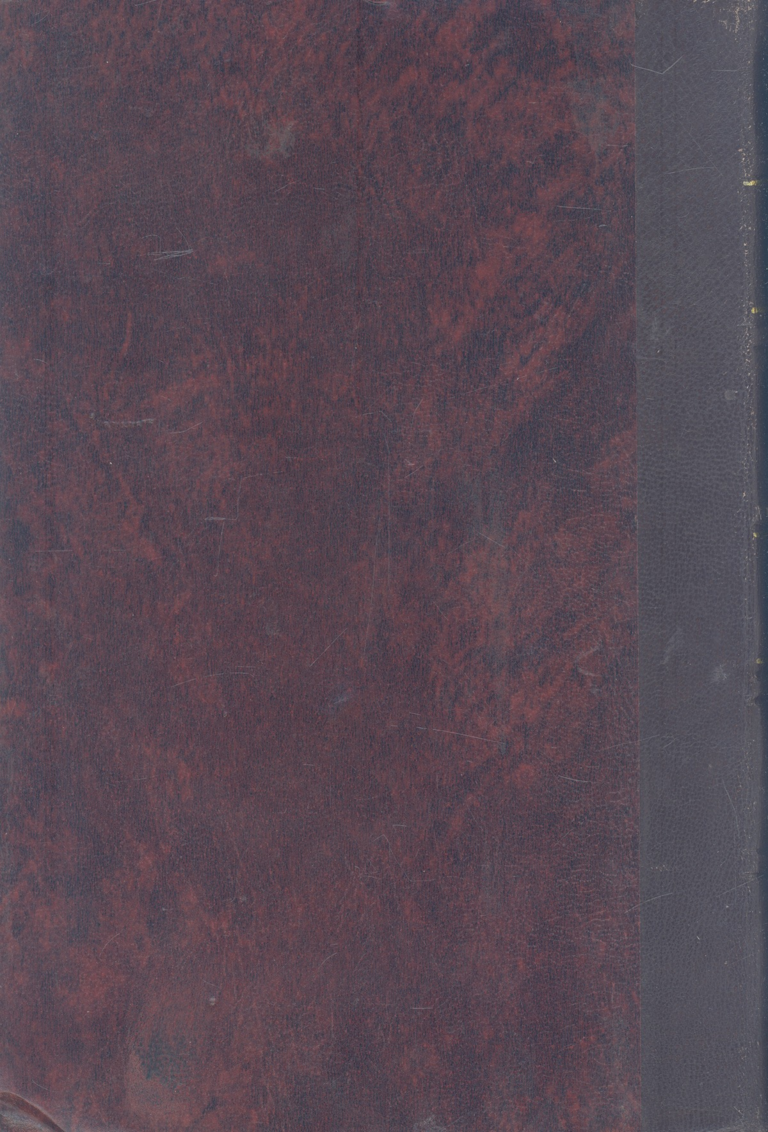




قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ شعبان سنة ١٣٤٥هـ ١٢ برج العقرب سنة ١٣٠٦هـ ش ٣ مارس سنة ١٩٢٧

فاتحة المجلد الثامن والعشرين

﴿ وفيها بيان علاقتنا بالامام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه الصالحين المصلحين، والتابعين لهم في ذلك إلى يوم الدين

(أما بعد) فقد تم للمنار سبعة وعشرون مجلداً صدرت في مدى ٣٠ سنة هجرية (توافق ٢٩ سنة شمسية) إذ عجزنا عن إصداره في كل شهر من سني الحرب العظمى وما تلاها من سني الغلاء والعسرة، التي تضاعفت فيها النفقات وكثرت افراد الفصيلة العامة، وتكونت الاسرة الخاصة ، ونضبت الموارد التي كانت تسح من الخارج ، وشحت الموارد التي كانت تنبجس في الداخل ، ولم يتم لنا لم الشعث إلا من عامين ونصف عام، وتلاه بفضل الله تنظيم العمل بأحسن مما كان منذ كان، وما اضعنا على المشتركين شيئا بهذا الادغام، لاننا نتقاضى قيمة الاشتراك بحساب الاجزاء لا بحساب الاعوام، ولكن من لا وفاء لهم قد اتخذوا عجزنا عن إصدار المنار في كل شهر من سني العسرة حجة على هضم حقنا ، ونحن مازلنا نكلهم إلى وجدانهم ، واستفتاء قلوبهم وهداية إيمانهم، وحسابهم على الله تعالى فهو يقضي بالحق بيننا وبينهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

على انا نرجو أن يوفقنا الله تعالى في القابل لاستدراك ما نقص من المجلدات عن عدد السنين الى ان يتفقا في العدد ، وان يعيننا على اكمال النظام في العمل ، والزيادة من الفوائد في العلم ، وان يوفق قراء المنار لمساعدتنا على ذلك بحسن الوفاء ، ولا يحقق معنى الاشتراك الا تعجيل الاداء ، وقد اقترح علينا بعضهم أن نزيد في أبوابه مباحث في الادب والتاريخ وبعض الفنون الحديثة ، ومنهم من يريد بذلك ترويجه وكثرة سواد المشتركين فيه ، ورأيهم هذا صحيح وانا على علمنا بصحته كنا نختار ان نملأ صفحات المنار بما لا تكاد الامة تجده في غيره من الصحف الا قليلا ، ونحن نستفتي جمهور القراء في ذلك ونعمل بما يراه الاكثرون أقوى حجة وأقوم قيلا ، وان كانت فائدته المالية أقل ، وقد بينا في فاتحة السنة الاولى أننا فيما اخترناه من الخطة الاصلاحية لا نرضي الا القليل من الناس (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) ولو أنشأنا المنار لاجل الكسب لما اخترنا هذه الخطة أولما اقتصرنا عليها

لو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير في اختيار الهزل على الجد ، وإيثار الافساد على الاصلاح ، وترجيح أهواء الناس على هداية كتاب الله ، ولهو الحديث على حديث رسول الله (ص) ، وصور القيان والراقصات ، والبغايا والممثلات ، ومن وصفهن الرسول (ص) فيما كوشف به من أنباء الغيب بالكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، وما دون ذلك من المسليات ، وصور الحيوانات والحشرات ، وغرائب الآلات والمخترعات ، التي يصورها أهلها لأغراض علمية صناعية وتجارية ، وننصورها للهو والتسلية

أو لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الافراد والجماعات ، كالاحزاب والحكومات ، ولوجد من الحجج علينا في ذلك مالا نستطيع رده ولا كتمانه ، ونحمد الله تعالى أننا لم نسلك طريقا في الاصلاح الخاص بالحكام الباذلين ، والامراء والملوك والسلاطين ، وجماعات الدينيين والسياسيين ، إلا كان نقصاً في دنيانا ، وكمالا في شرفنا وديننا ، وانتهى الجماهير فيه إلى رأينا ، وفي مقدمتهم الذين كانوا ينكرونه علينا ، تلك سيرتنا في نقد الحكومة الحميدية ، ثم في التشنيع على الجمعية الاتحادية ، وخليفتها الحكومة الكمالية ، وفي جهاد الملك حسين بن علي وأولاده ، وفي انكارنا على متعصبي المذاهب من الشيوخ الجامدين ، ورجال الطرق الخرافيين

نعم انه قد عرضت في هذه الايام شبهة علينا في تأييدنا للحكومة السعودية ، والطريقة الوهابية ، فتحدث بعض الذين لا يعقلون انه يوجد في البشر أحد ينصر عقيدة دينية ، أو يؤيد طريقة إصلاحية ، إلا لاجل منفعة شخصية ، بأننا نأخذ

من ابن السعود أجرا على تاييدنا لحكومته ،والدفع عن قومه وشيعته ،ثم تجلى هذا التصور في صورة الواقع ، وظهر هذا الرأي في مظهر الرواية ، فصدقه من رآه من الناس معقولا ، حتى إن بعض كبار علماء الازهر قال لي في مجلس من مجالس الخواص في هذه الايام يقال انك أخذت من ابن السعود خمسة آلاف جنيه ، فقال أحد كبار الوجهاء الحاضرين بل أنا سمعت في أوربة أنه أخذ منه عشرة آلاف جنيه، وليس هذا بكثير فان فلاناً خدم ابن سعود وقومه منذ سنين خدمة لا تكثر هذه المكافأة عليها، فما كان أحد يسمع في هذا الرجل ولا في هؤلاء القوم كلمة خير قبل مقالاته الرنانة في مناره وفي بعض الجرائد اليومية

الوهابية ودعوة المنار الى مذهب السلف

أقول لو صح ما تخيله هؤلاء معقولا ، فجاءوه أمرا مفعولا ، فأحدثوا فيه قالا وقيلا — وماهو بصحيح — لما صح أن يجعل حجة على أن المنار أنشيء لجمع المال، لا يبالي أجمعه من حرام أو حلال ،وإنما كان يعد مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الاسلام ونشر العلم ، لا على دعاية سياسية حادثة لاجل الملك، فان المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ،ومذهب السلف الصالح، في عقائد الاسلام وهدايته، كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان نتهم بالطمع في مساعدته ، بل لم نكن يومئذ نعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف ، بل كنا نصدق الدعاية التركية التي أذيعت في العالم الاسلامي منذ القرن الثالث عشر للهجرة النبوية ، وجددها السلطان عبد الحميد منذ أوائل القرن الرابع عشر لأسباب سياسية ، من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها . وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الاسلام إلى عهدها الاول، وأنه كان يرجى أن يجددوا مجد الاسلام والعرب، هو محمد مسعود (بك) المصري الكاتب المؤلف المشهور ، ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري، ثم ما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخه (البحر الزاخر) وصاحب (الاستقصاء في تاريخ المغرب الاقصى) ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت في (تاريخ الاسلام) له — كما أنه أتيح لي الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للشيخ الامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج ، وأطلعت

شيخنا الاستاذ الامام على كتاب التوحيد وكشف الشبهات فأثنى عليهما ، ورأيته موافقاً لرأي محمد مسعود وأنه لم تظلم طائفة من المسلمين في التاريخ بمثل ماظلم به هؤلاء القوم، على كثرة طعن أعوان الدول والمذاهب بعضهم في بعض

وكنت أسمع من والدي قبل هجرتي إلى مصر شيئاً مما افتراه على الوهابية احمد زيني دحلان وأمثاله من صنائع شرفاء مكة والترك ،وثناءعلى محمد علي باشا الذي أخرجهم من الحجاز بالدين والتقوى، وأنه كنس الكعبة المعظمة ومرغ لحيته بها أو بكناستها

وفي شهر صفر سنة ١٣٢٠ احتفل ديوان الاوقاف العامة بمرور مائة عام على تأسيس محمد علي باشا للامارة المصرية واحتفلت به مشيخة الازهر في الجامع الازهر فانتقدت ذلك في المنار من حيث صرف أموال الاوقاف الاسلامية وتزيين المساجد بذكر امراء الدنيا وسلاطينها والاوقاف انما وقفت للتقرب إلى الله تعالى والمساجد انما أنشئت لذكره تعالى وعبادته ...

وذكرت يومئذ حرب محمد علي للوهابيــة واعتقاد عموم المسلمين الجاهلين بالتاريخ أنها كانت خدمة للاسلام ، واعتقاد الخواص العارفين أنها جناية عليه، و بينت فيما كتبته ما كنت وقفت عليه من حقيقة أمر الوهابيين في اتباعهم للسلف واعتصامهم بالسنة وسبب الطعن فيهم — وكل ما كتبته في هــذه السنين الاخيرة يدور حوله لا يزيد في بيان حقيقتهم عليه، فانا ادافع عن الوهابية واثني عليهم منذ ربع قرن

كتبت ذلك يومئذ لوجه الله وخدمة للاسلام وأنا لا آمن ايذاء أمير البلاد لي على ذلك ـ وقد فعل بقدر الامكان في ذلك الزمان ـ وما كنت أرجو أن يكون لي تجاه هذا الايذاء أدنى نفع من أحد من الوهابيين، ولا أدري أن لهم أميراً يحسن أن أرسل اليه ما كتبت عنهم، وقد صار للوهابيين حزب كبير في القطر المصري من نجباء علماء الازهر وغيره من المعاهد الدينية وغيرها بارشاد المنار لا تشوبه أدنى شائبة دنيوية

علاقتنا بصاحب نجد وسببها

بعد هذا التاريخ ببضع سنين بدأت المكاتبة بيني و بين الأمير عبد العزيز بن السعود في مسألة العرب وجزيرة العرب ووجوب الولاء والتحالف بين أمرائها لأجل حفظها من تدخل الأجانب وإعلاء شأنها بالعمران والثروة والقوة ـ كما كاتبت في ذلك نفسه الامام يحيى بن حميد الدين والسيد محمد علي الادريسي (رحمه الله تعالى) وأرسلت رسلا إلى كل منهم ، وأنفقت في هذه السبيل مالا يعد كثيراً علي ، وأذكر

ان في أول كتبي إلى ابن السعود إنكاراً شديداً على شيء بلغني عنه عاتبني عليه بأنه لا يقبل مثله من غيري ، وإنما قبله مني لما بلغه من خدمتي للسنة واعتقاده انه صدر عن اخلاص لله تعالى ومحض لخدمة الاسلام والعرب

أجابني كل واحد من هؤلاء الأئمة باستحسان ما دعوتهم اليه ، إلا أن الامام يحيى استثنى الاتفاق مع جاره الادريسي معللا ذلك بأنه كان قد عقد معه اتفاقا فغدر « وحالف أعداء الله الطليان » وأما الامام عبد العزيز السعود فرغب إلي أن أرسل اليه رسولا بصيراً عارفا ليشرح له هذا المشروع من الوجهة الشرعية والسياسية لاقناع أهل الحل والعقد من قومه به - وقد أرسلت اليه رسولا وحملته صندوقا من الكتب الدينية وغيرها هدية للامام . وفي أثناء ذلك استعرت نار الحرب العامة الكبرى فتعذر وصول الرسول إلى نجد ، وأخذ منه صندوق الكتب في (بمبي) من ثغور الهند ، أخذ لاجل تفتيشه ثم لم يعرف عنه شيء ولعلهم أحرقوه

ثم قضت الحرب الكبرى بانقطاع المراسلة بيني وبين أمراء العرب المذكورين، وكان من أحداثها دخول أمير مكة الشريف حسين بن علي في حلف البريطانيين، وكنت قد بلغته مشروع الاتفاق الحلفي بين أئمة الجزيرة بمشافهة ولده الشريف عبدالله في مصر أطلع والده فيه،وقد استحسنه ووعد باقناع والده به،وكان من عواقبها ان صار حسين ملكا سماه الانكليز وأحلافهم ملك الحجاز وسمى نفسه ملك العرب، وقد أظهرنا له الولاء، لأجل إقناعه باتمام مشروع الاتفاق الحلفي مع سائر الامراء، فلما تعذر ذلك وسار في الحجاز تلك السيرة السوءى اضطررت إلى مقاومته بما علمه القراء وغير القراء ، وكان قد جدد الدعوة إلى الطعن في دين الوهابية ، وتنحل لنفسه دعوى الامامة الرافضية الباطنية ، وأقامها في مقام التشريع الذي يراه إرثاً للهاشمية العلوية ، فأريناه أن بني عمه من انصار السنة فيهم رماح ، وكلنا له الصاع عدة أصواع

ثم انني عدت بعد الحرب الى دعوة امامي اليمن ونجد الى الولاء ، وأفتيت في أواخر سنة ١٣٤١ بوجوب انقاذ الحجاز من إلحاد حسين بالظلم فيه ، وجعله قطراً حراً حياديا بضمان العالم الاسلامي كله، وكتبت في ذلك مقالا طويلا نشر في بعض الجرائد اليومية وفي المنار(ج ٨م ٢٤) بينت فيه ان المخاطب بالقيام بهذا الواجب أولا وبالذات الحكومات الاسلامية وأن أولاها بذلك أقربها إلى الحجاز، ومن جمله « ان كلا من إمام اليمن وسلطان نجد قادر على إنقاذ الحجاز من هذا الرجل فكيف إذا اجتمعا » ثم بينت سبب امتناع كل منهما، وانه ان لم تفعل الحكومات ذلك فالواجب

على العالم الاسلامي أن يسعى له بتأليف جمعية إسلامية وضعنا لها نظاما بمساعدة بعض الاصدقاء ونشرناه في المنار

ولم أكتف بالنشر بل سعيت سعياً سريا لحمل الامامين يحيي وعبدالعزيز على الاشتراك والتعاون على ذلك وإلا فليقم به أحدهما على انفراد. ثم تصدى الثاني لاداء هذه الفريضة للاسباب الاسلامية العامة والاسباب الخاصة بنجد التي نشرها في العالم ونقلناها في المنار، فوجب علينا تأييده فيها ، وهل يعقل أن نقتيه بافتراض هذا العمل عليه حتى إذا مااصطلى بناره ، وشرع يجاهد في سبيله بماله ورجاله، وانبرى المبتدعون والمفسدون للطعن فيه وفي قومه — نترك لهم الحبال على الغوارب، ولا نقوم بقسطنا من الجهاد الواجب ، جهاد القلم واللسان ، وإقامة الحجة والبرهان

إنني لم أفضل ابن السعود على غيره من أمراء العرب في شيء من ذلك السعي العام للعرب ولجزيرة العرب ، ولا من هذا السعي الخاص بالحجاز والاسلام ، وقد كان رجائي في غيره أولا أقوي من رجائي فيه ثم كان ثنائي على الامام يحيي حميد الدين أكبر من ثنائي عليه ، حتى قالت بعض الجرائد المصرية في أثناء الخوض في مسألة الخلافة ان صاحب المنار يدعو إلى الامام يحيي ويسعى لتوسيد منصب الخلافة اليه ، على انني كنت أعتقد أن الامام عبدالعزيز ابن السعود أرجى لخدمة الاسلام وإعلاء شأن العرب إذا هو خرج من عزلته ، وترك القبوع في ربوع امارته ، وانما كنت أشك في خروجه منها ، كما كنت أشك في ميل الامام يحيي إلى تجاوز حدود اليمن إلا إلي عسير التي يعدها هو منها ،

كان من عناية الله تعالى في ابن السعود ان استعمله وحده في انقاذ حرمه وحرم رسوله ممن سمى نفسه المنقذ وقضى الله أمراً كان مفعولا ، فلم يستجب لنا غيره من أمراء المسلمين وملوكهم ، ولا من جماعاتهم ودهمائهم ،إلا أننا أسسنا الجمعية بمصر من رجال مختارين من أولي الكفاءة والكفاية علماً وعملا وهمة فنقحوا نظامها في مجالس كثيرة عقدوها لذلك،وبتنا ننتظر سنوح الفرصة للعمل فكفانا الله تعالى ذلك بهذا الرجل العظيم الذي أنقذ الحجاز ، وأمنه تأميناً لم يسبق له نظير إلا في صدر الاسلام ، ثم ألف فيه المؤتمر الاسلامي العام ، وقد كان هذا المؤتمر أهم مقاصد جمعيتنا هذه فلم نحتج إلى استيكاف الاكف لجمع المال له ، ولا لدعوة رجال الخافقين اليه ، فقد أنفق هو بسخائه وجوده الواسع على إنشاء المؤتمر وضيافة رجاله هم ومن كان مع بعضهم من أهل

وخدم منذ وصلوا إلى الحجاز إلى أن خرجوا منه - مالم يكن يتيسر لنا جمع بعضه من العالم الاسلامي إلا في عدة سنين

كيف لا أنصر ابن السعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل كل هذا ويرجى أن يفعل ماهو أتم منه وأكمل ؟ وهو ماأفنيت شبابي وكهولتي في الدعوة اليه ، فانني أدعو الى مؤتمر اسلامي يعقد في مكة من زهاء ثلاثين سنة، وهو من وسائل الاصلاح الذي أدعو اليه من التوحيد واقامة السنن ، وتقويض هيا كل الوثنية والبدع ، وتجديد اصلاح الاسلام ومجد العرب، وقد ايقنا بطول الاختبار، وبما ورد في دلائل النبوة من الاخبار ، أن هذا الاصلاح والتجديد لا يأتي الا من الحجاز، وان كل ما قمنا به من الدعوة اليهما لم يكن الا تمهيدا لتأييد العالم الاسلامي لهما ، فقد صح في الحديث ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وانه يأرز الى الحجاز وفي رواية في الصحيحين الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها، وانه يعقل بين المسجدين معقل الوعول من رؤوس الجبال

اني أشهد الله تعالى وكل من يطلع على قولي هذا انني أشعر في سريرتي وما يكنّ قلبي بتقصير في الثناء على هذا الرجل بالجهر بكل ماأعتقده وماأرى فيه من المصلحة والنصيحة للمسلمين، وكم طالبتني نفسي في مجالسه العامة الحافلة، التي حضرتها بعد صلوات الجمع بمكة المكرمة بالقاء خطاب في شكره والثناء عليه كما فعل أمامي بعض علماء الهند وفصحاء المصريين وغيرهم ، ولكنني كنت أستحي أن أقف مواقفهم ، وان كنت أجدر بها منهم ، فقد أقمت بمكة زهاء ثلاثة أشهر ولم يسمع خطابي ، وربما كنت أقدر على البيان وأعلم بما يحسن بيانه بالحق من كل من سمعت ، اذا كان من الدعوى والغرور المذمومين أن أقول أكثر من ذلك، وما ابرىء نفسي من كراهة الاتهام بالتملق والتزلف ان يعلق ببعض النفوس الصغيرة ، وانا آمن أن يلوح في جانب من جوانب نفسه الكبيرة .

وجملة القول ان مجلدات المنار السبعة والعشرين برهان على انه لا يعقل أن يكون ما كتبته في تأييد ابن السعود والدفاع عنه لغرض منفعة دنيوية، لانه عين ما كنت أكتبه قبل قيامه بما نصرته فيه وقبل علمي بوجوده أيضا ، وقد لقيت فيه من الاذى ما يجهل أقرب الناس مني كل ظاهره . وباطنه عند الله تعالى وحده

اضطررت الى بيان هذا كله في فاتحة هذا المجلد تذكيراً لقرائه بفصل من فصول تاريخ المنار في الاصلاح . على السنن الذي نتناوبه منذ اعوام . وتقوية لعزيمة

اخواني انصار الكتاب والسنة ، على اني لا اريد بهذا التنصل والتبرؤ مما قيل بغير حق من أن مساعدة هذا الامام اوغيره من ملوك المسلمين وأمرائهم ايانا على عملنا في خدمة الملة والأمة مما يقبح منهم فعله ، أو يحرم علينا قبوله، بل نحن من أحق الناس به ، ولكن الاخلاص لله تعالى ونزاهة النفس . وتحليها بأدب الشرع ، تحول دون استشرافنا له ، بله السعي له أو التعريض به ، وقد قال شيخ الصوفية الاكبر في مال السلاطين الذي يعدون من شروط طريقتهم التنزه عنه :

هو عنــده للمسلمين أمانة فاذا حباك نخذه انك صاحبه

لا أقول هذا تعريضاً بطلب المساعدة من أحدوانما افترصت هذه المناسبة للرد على جريدة من جرائد القاهرة التي جعلت هجيراها الطعن في علماء الدين ،واستكثار كل ماياخذونه من ريع الاوقاف الخيرية مع العلم بأن الوف الجنيهات من اموال هذه الاوقاف ينفق في اعمال غير شرعية ، فقد ذكرت هذه الجريدة ان شيخ الازهر قد انفق زهاء ثلاثة آلاف جنيه فى اعمال مؤتمر الخلافة كان منها لفلان من العلماء كذا ولفلان كذا من اول هذه الحركة: «كما كان لفضيلة الاستاذ الورع الشيخ رشيد رضا صاحب المنار ثلاثون جنيها حتى في الوقت الذي كان فيه بالمدينة المنورة عند ابن السعود»

أقول فيما يعنيني إنني لم أكن في أول هذه الحركة كما قال. ولم أكن آخذ شيئاً أيام وجودي في(مكة المكرمة) كما توهم . وانما بعض المؤسسين لمؤتمر الخلافة من العلماء كانوا قد دعوني إلى مشاركتهم فيه فأبيت ، ثم أقنعني بعضهم بأنه يمكنني فيه خدمة الاسلام فقبلت ، وقد دعيت بعــد الدخول في مجلس المؤتمر إلى المساعدة على إنشاء مجلة له تحريراً وتصحيحاً ونشراً . وهو ماتعد هذه المكافأة عليه نزراً، ولولا أن قيــل لي إن هذه خدمة إسلامية نعدها تبرعا منك لما رضيت بها ، وقد كنت اعطى منذ بضع عشرة سنة ثلاثة جنيهات من إدارة (الجريدة) مكافأة على كل مقالة من مقالات كلفني إياها مديرها، وكنت أكتب المقالة منها في ساعة واحدة ،ولم يكن لدي من الاعمال في ذلك الوقت ربع مالدي الآن منها ،فهل يستكثر علي الآن زميلي صاحب البلاغ الاغر ٣٠ جنيها في الشهر في مثل ماذكرت ؟

هذا وانا ندعو اهل العلم المخلصين إلى الكتابة إلينا بما يرون اننا اخطأنا فيه من امور الدين أو مصلحة الامة — كما هو دأبنا في كل عام — (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) منشيء المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

وجدت بين أوراق شيخنا الاستاذ الامام الفتاوى الآتية فأحببت نشرها لتصدي الحكومة المصرية لتقييد اباحة التعدد وكثرة الكلام فيه وهي .

السؤال الاول

« مامنشأ تعدد الزوجات في بلاد العرب (أوفي الشرق على الجملة) قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم »

(ج) ليس تعدد الزوجات من خواص المشرق ولا وحدة الزوجة من خواص المغرب بل في المشرق شعوب لا تعرف تعدد الزوجات كالتُّبت والمغول ، وفي الغرب شعوب كان عندها تعدد الزوجات كالغولوا والجرمانيين، ففي زمن سيزار كان تعدد الزوجات شائعا عند الغولوا وكان معروفا عند الجرمانيين في زمن ناسيت ،بل أباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد دخول الدين المسيحي إلى أوروبا كشرلمان ملك فرانسا وكان ذلك بعد الاسلام (١)

كان الرؤساء وأهل الثروة يميلون إلى تعدد الزوجات في بلاد يزيد فيها عدد النساء على عدد الرجال توسعا في التمتع ،وكانت البلاد العربية مما تجري فيها هذه العادة لا إلى حد محدود ، فكان الرجل يتزوج من النساء ما تسمح له أو تحمله عليه قوة الرجولية وسعة الثروة للانفاق عليهن وعلى ما يأتي له من الولد

(١) المنار: كان شرلمان معاصراً للخليفة المهدي وابنه الرشيد وحارب العرب فانكسر

وقد جاء الاسلام وبعض العرب تحته عشر نسوة وأسلم غيلان رضي الله عنه وعنده عشر نسوة فأمره النبي ﷺ بامساك أربعة منهن ومفارقة الباقيات ، وأسلم قيس بن الحارث الأسدي وتحته ثمان نسوة فأمره ﷺ بأن يختار منهن أربعا وأن يخلي ما بقي ، فسبب الاكثار من الزوجات إنما هو الميل إلى التمتع بتلك اللذة المعروفة وبكثرة النساء ، وقد كان العرب قبل البعثة في شقاق وقتال دائمين ، والقتال إنما كان بين الرجال فكان عدد الرجال ينقص بالقتل فيبقى كثير من النساء بلا أزواج ، فمن كانت عنده قوة بدنية وسعة في المال كانت تذهب نفسه وراء التمتع بالنساء فيجد منهن ما يرضي شهوته ، ولا يزال يتنقل من زوجة إلى أخرى مادام في بدنه قوة ، وفي ماله سعة. وكان العرب ينكحون النساء بالاسترقاق ولكن لا يستكثرون من ذلك ، بل كان الرجل يأخذ السبايا فيختار منهن واحدة ثم يوزع على رجاله ما بقي واحدة واحدة. ولم يعرف أن أحداً منهم اختار لنفسه عدة منهن أو وهب لاحد رجاله كذلك دفعة واحدة

السؤال الثاني

على أي صورة كان الناس يعملون بهذه العادة في بلاد العرب خاصة ؟

(ج) كان عملهم على النحو الذي ذكرته : إما بالتزوج واحدة بعد واحدة أو بالتسري وأخذ سرية بعد أخرى أو جمع سرية إلى زوجة أو زوجة إلى سرية ، ولم يكن النساء الا متاعا للشهوة لا يرعى فيهن حق ، ولا يؤخذ فيهن بعدل ، حتى جاء الاسلام فشرع لهن الحقوق وفرض فيهن العدل

السؤال الثالث

كيف أصلح نبينا صلى الله عليه وسلم هذه العادة وكيف كان يفهمها؟

جاء ﷺ وحال الرجال مع النساء كما ذكرنا لا فرق بين متزوجة وسرية في المعاملة ، ولا حد لما يبتغي الرجل من الزوجات ، فأراد الله أن يجعل في شرعه ﷺ رحمة بالنساء وتقريراً لحقوقهن ، وحكما عدلا يرتفع به شأنهن ، وليس الامر كما يقول كتبة الاوربيين أن ما كان عند العرب عادة جعله الاسلام دينا ، وانما أخذ الافرنج ماذهبوا اليه من سوء استعمال المسلمين لدينهم وليس له مأخذ صحيح منه

حكم تعدد الزوجات جاء في قوله تعالى في سورة النساء (وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم)

كان الرجل من العرب يكفل اليتيمة فيعجبه جمالها ومالها فان كانت تحل له تزوجها وأعطاها من المهر دون ماتستحق وأساء صحبتها وقتر في الانفاق عليها وأكل مالها ، فنهى الله المؤمنين عن ذلك وشدد عليهم في الامتناع عنه ، وأمرهم أن يؤتوا اليتامى أموالهم ، وحذرهم من أن يأكلوا أموالهم الى أموالهم ، ثم قال لهم ان كان ضعف اليتيمات يجركم الى ظلمهن وخفتم أن لا تقسطوا فيهن اذا تزوجتموهن وأن يطغى فيكم سلطان الزوجية فتأكلوا أموالهن وتستذلوهن ، فدونكم النساء سواهن فانكحوا مايطيب لكم منهن من ذوات جمال ومال من واحدة الى أربع . ولكن ذلك على شرط أن تعدلوا بينهن فلا يباح لاحد من المسلمين أن يزيد في الزوجات على واحدة الا اذا وثق بأن يراعي حق كل واحدة منهن ويقوم

بينهن بالقسط ، ولا يفضل احداهن على الأخرى في أي أمر حسن يتعلق بحقوق الزوجية التي تجب مراعاتها، فاذا ظن أنه اذا تزوج فوق الواحدة لا يستطيع العدل وجب عليه أن يكتفي بواحدة فقط . فتراه قد جاء في أمر تعدد الزوجات بعبارة تدل على مجرد الاباحة على شرط العدل ، فان ظن الجور منعت الزيادة على الواحدة ، وليس في ذلك ترغيب في التعدد بل فيه تبغيض له ، وقد قال في الآية الاخرى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما) فاذا كان العدل غير مستطاع والخوف من عدم العدل يوجب الاقتصار على الواحدة فما أعظم الحرج في الزيادة عليها؟ فالاسلام قد خفف الاكثار من الزوجات ووقف عند الاربعة ثم انه شدد الامر على المكثرين الى حد لو عقلوه لما زاد واحد منهم على الواحدة

وأما المملوكات من النساء فقد جاء حكمهن في قوله تعالى (أو ماملكت أيمانكم) وهو إباحة الجمع بينهن وإن لم يكن من الرجل عدل فيهن لان المملوكة لا حق لها ، ولمالكها أن يتركها للخدمة ولا يضاجعها البتة وقد اتفق المسلمون على أنه يجوز للرجل أن يأخذ من الجواري ما يشاء بدون حصر ، ولكن يمكن لفاهم أن يفهم من الآية غير ذلك ، فان الكلام جاء مرتبطا باباحة العدد إلى الاربعة فقط وأن الشرط في الاباحة التحقق من العدل ، فيكون المعنى أنه إذا خيف الجور وجب الاقتصار على الواحدة من الزوجات ، أو أخذ العدد المذكور مما ملكت الايمان ، فلا يباح من النساء مافوق الاربع على كل حال ، ويباح الاربع بدون مراعاة للعدل في المملوكات دون الزوجات ، لأن المملوكات ليس لهن حقوق في العشرة

على ساداتهن ،إلا ما كان من حقوق العبد على سيده. وحق العبد على سيده أن يطعمه ويكسوه وأن لا يكلفه من العمل في الخدمة ما لا يطيق،أما ان ان يمتعه بما تتمتع به الزوجات فلا «١»

وقد ساء استعمال المسلمين لما جاء في دينهم من هذه الاحكام الجليلة فأفرطوا في الاستزادة من عدد الجواري،وأفسدوا بذلك عقولهم وعقول ذراريهم بمقدار ما اتسعت لذلك ثروتهم

أما الاسرى اللاتي يصح نكاحهن فهن أسرى الحرب الشرعية التي قصد بها المدافعة عن الدين القويم أو الدعوة اليه بشروطها ولا يكن عند الاسر إلا غير مسلمات ،ثم يجوز بيعهن بعد ذلك وإن كن مسلمات ، وأما مامضى المسلمون على اعتياده من الرق وجرى عليه عملهم في الازمان الاخيرة فليس من الدين في شيء فما يشترونه من بنات الجراكسة المسلمين اللاتي يبيعهن أباؤهن وأقاربهن طلبا للرزق ، أو من السودانيات اللاتي يتخطفهن الاشقياء السلبة المعروفون بالاسيرجية فهو ليس بمشروع ولا معروف في دين الاسلام وإنما هو من عادات الجاهلية لكن لا جاهلية العرب بل جاهلية السودان والجركس

وأما جواز إبطال هذه العادة أي عادة تعدد الزوجات فلا ريب فيه

السؤال الرابع

هل يجوز تعدد الزوجات إذا غلبت مفسدته «٢»

«١» هذا هو المنصوص في فقه المذاهب المشهورة . ولكن قالوا بأن ما يجب للزوجة يستحب للسرية وفي كتب الحنابلة قول بانه يجب علي السيد ان يحصن مملوكه ومملوكته بالزواج بشرطه (٢) ذكر السؤال الرابع ليس من الاصل الذي عندنا بل زدناه للايضاح وكونه مقصودا لذاته

أما (أولا) فلأن شرط التعدد هو التحقق من العدل وهذا الشرط مفقود حتما فان وجد في واحد من المليون فلا يصح أن يتخذ قاعدة، ومتى غلب الفساد على النفوس وصار من المرجح أن لا يعدل الرجال في زوجاتهم جاز للحاكم أو للعالم (١) أن يمنع التعدد مطلقا مراعاة للاغلب

(وثانيا) قد غلب سوء معاملة الرجال لزوجاتهم عند التعدد وحرمانهن من حقوقهن في النفقة والراحة ولهذا يجوز للحاكم وللقائم على الشرع أن يمنع التعدد دفعا للفساد الغالب

(وثالثا) قد ظهر أن منشأ الفساد والعداوة بين الاولاد هو اختلاف أمهاتهم فان كل واحد منهم يتربى على بغض الآخر وكراهته فلا يبلغ الاولاد أشدهم إلا وقد صار كل منهم من أشد الاعداء للآخر ويستمر النزاع بينهم إلى أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي الظالمين، ولهذا يجوز للحاكم أو لصاحب الدين أن يمنع تعدد الزوجات والجواري معا صيانة للبيوت عن الفساد .

نعم ليس من العدل أن يمنع رجل لم تأت زوجته منه باولاد أن يتزوج أخرى ليأتي منها بذرية فان الغرض من الزواج التناسل فاذا كانت الزوجة عاقراً فليس من الحق أن يمنع زوجها من أن يضم اليها أخرى

وبالجملة فيجوز الحجر على الازواج عموما أن يتزوجوا غير واحدة الا لضرورة تثبت لدى القاضي ولا مانع من ذلك في الدين البتة وإنما الذي يمنع ذلك هو العادة فقط اه

(المنار) هذا نص الفتوى وهي مبنية على قاعدة جواز منع كل مباح ثبت

---

(١) المنار : اي جاز للحاكم حكما وللعالم افتاء

ضرر استعماله لدى أولي الامر ، ومنه منع حكومة مصر لصيد بعض الطيور التي تأكل حشرات الزرع فيسلم من الهلاك ، ومنع ذبح عجول البقر أحياناً للحاجة إليها في الزراعة مع قاعدة اعطاء الفساد الغالب حكم العام. ثم استثنى من منع تعدد الزوجات ماكان لغرض شرعي صحيح وهو طلب النسل، أقول ومثله ماكان لضرورة أخرى تثبت لدى الحاكم الشرعي ، وهذه الضرورات لا يسهل حصرها في عدد معين . ومن أظهرها أن تصاب الزوجة الاولى بمرض يحول دون الاستمتاع الذي يحصل به الاحصان ، ومنها وصولها الى سن اليأس مع امكان النسل منه ، فالاحصان المانع من العنت - أي اندفاع الطبع الى الزنا - من اغراض الزواج الشرعية، ومفاسد الزنا ومضاره أكبر من مفاسد تعدد الزوجات ومضاره فانه يولد الامراض ويقلل النسل ويوقع العداوة بين الازواج، ويفسد نظام البيوت ويضيع الثروة. وانما أباح الاسلام التعدد المعين بشرط ارادة العدل والقدرة على النفقة لدفع مفاسد وتقرير مصالح متعددة جعلته من الضرورات الاجتماعية في أمة ذات دولة وسلطان فرض عليها تنفيذ شريعتها ، وحماية بيضتها ، وتدين الله بالفضيلة فهي تحرم الزنا ، وهي عرضة لان يقل فيها الرجال ويكثر النساء بالحروب وغيرها حتى يكون من مصلحتهن أن يكفل الرجل اثنتين أو أكثر منهن.

وما ذكره رحمه الله من مفاسد التعدد ليس سببه التعدد وحده لذاته بل يضم اليه فساد الاخلاق وضعف الدين وقد كان يعرف من ذلك مايقل أن يعرفه غيره من أهل البصيرة والخبرة لشدة غيرته وعنايته بالاصلاح ، وهو الذي كان يؤلم قلبه ويذهله عما لهذه الضرورة الاجتماعية من الفوائد التي أشرنا الى أهمها . ولعمري إن ما عرفناه نحن هنا من قلة احترام ميثاق الزوجية ومن كثرة تعدد الزوجات وكثرة مفاسده لا نعرف له نظيرا في غير هذه البلاد المصرية من بلاد الاسلام . وقد فصلنا القول في هذه المسئلة في تفسير آية النساء بعد أن أوردنا ما قاله شيخنا في تفسيرها في درسه فليراجعه في الجزء الرابع من التفسير من شاء أن يزداد بيانا في المسألة

﴿ حكمة تعدد أزواج النبي ﷺ ﴾

جاءنا السؤال الآتي من الباحثة الفاضلة صاحبة الامضاء من طنطا مع كتاب قالت فيه أنها عرضته على الاستاذ الشيخ محمود الغراب المحامي فأجابها بجواب ارتاحت له بعض الارتياح وتود ان تزداد علماً وبصيرة في موضوعه فأرسلته الينا مع الجواب لننشره في المنار ونعلق عليه بما عندنا في موضوعه وهذا نص السؤال ويليه الجواب:

سيدي الاستاذ

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد لما كان أساس ديننا القويم اليقين فقد أباح لنا البحث والسؤال ، بل وحثنا عليهما ، ولما أعرفه عنكم من وافر العلم وسعة الاطلاع أتقدم إلى فضيلتكم بسؤال أرجو التكرم بالاجابة عليه ليرتاح ضميري ولكم مني وافر الشكر ومن الله عظيم الاجر ، أما السؤال فهو

ماهي الحكمة في أن الله تعالى أباح للنبي عليه السلام التزوج بأكثر من أربع ؟ إن عللنا ذلك بكثرة النسل فانه لم يرزق من بعضهن بولد ، وإن عللناه بأن الله أراد أن يمتعه (ولا مؤاخذة) قلنا أن مقام النبوة أرفع من ذلك . إني أعرف سبب زواجه بواحدة كانت زوج شخص تبناه إذ جاء ذكر زواجها في القرآن الكريم (زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الخ . وأما غيرها فلا أعرف سبب زواجه بهن وحكمته وأنى لمثلي أن تدركه ، وهذا النوع من البحث لايدركه إلا العلماء والباحثون فلعلكم مجيبون ببيان واف ولفضيلتكم عظيم احترامي

بهيجه ضيا

﴿ جواب الاستاذ الشيخ محمود الغراب ﴾

سيدتي المحترمة

سألت عن مسألة كثر فيها الكلام وزلت فيها أقدام وهي بين قائل بأنه عليه الصلاة والسلام خص من الله باباحة الزيادة على أربع في الزوجات وأن ذلك ثبت له إلى وفاته . وبين مستنكر لذلك قائلا إن محمداً شرع للناس مالم يعمل به في خاصة نفسه .

ولكني ياسيدتي مؤمن على كل حال بأن هذا الرسول الذي قال فيه الكبير المتعال (وإنك لعلى خلق عظيم) والذي قال فيه (ماضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) كل عمل يصدر منه لايكون إلا عن حكمة علمناها أو عجزنا عن ادراكها ، إلا أن طبيعة الانسان تأبى إلا أن بتعرف سر الكائنات، فمنهم من يصل ومنهم من يعجز ، وهذا الفريق منه المسلم بعجزه، ومنه من يلقي تبعة جهله على غيره ، وليس في البحث لقصد العلم مايعد غضاضة على النفس . ولكن نفوساً دأبها الشك حتى في أسمى المقامات ، وأعلى طبقات المخلوقات ، فتلك لايريحها بيان ، ولا يقنعها إنسان ، فمن العبث الاسترسال معها في جدل . وأنت بحمد الله ذات نفس مطمئنة فما وصلت إلى تعرف أسراره كان لك أجر اجتهاده . ومالم تصلي اليه وسلمت فيه بالعجز كان لك حسن الاعتقاد أكبر شفيع :

هذه المسألة ياسيدتي كل ماأعلمه فيها عمن تعرض لهذا البحث أنها من خصوصياته عليه السلام ، بمعنى أنه عليه السلام بعدأن شرع قصر الرجال على أربع من النساء كان يحل له التزوج من غير أن يتقيد بهذا العدد . ولكن ياسيدتي من تتبع أصل التشريع في ذلك يرى أن النبي عليه السلام كان مضيقاً عليه في هذا أكثر من أمته ، ولم يكن له تشريع خاص لقصد التوسعة عليه في هذا الأمر

إذ من المعلوم أنه قبل أن يشرع تحديد عدد الزوجات بأربع كان يحل لكل رجل أن يجمع في عصمته من النساء ماشاء من العدد ، لافرق بين نبي وغيره ، بل الكل كان في ذلك سواء . فلما جاء التشريع الخاص بالعدد أمر النبي من عنده زيادة على أربع أن يمسك أربعاً ويفارق الباقي ، وشرع الطلاق وحل استبدال المرأة بغيرها ، أما بالنسبة للنبي عليه السلام فجاء التخيير من الله تعالى لزوجاته (ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) فاخترن الطرف الثاني فأكرمن بأن اعتبرن أمهات المؤمنين ، وقصر عليه السلام عليهن فقط من بين نساء المؤمنين

كزوجات ، وحرم عليه طلاقهن ومنع من استبدالهن بغيرهن ، وفي ذلك تضييق شديد بالنسبة لما أجيز لأمته ، وفي ذلك يقول الله تعالى (يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللآتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك اللآتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي * لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الاماملكت يمينك)

وكان في عصمته إذ ذاك تسع من النساء بقين في عصمته إلى أن لحق بالرفيق الاعلى . ولم يمسك النبي عليه السلام أربعا ويفارق من عداهن كما أمر غيره بذلك لحكمة ظاهرة . هي أن الله اعتبرهن أمهات المؤمنين فحرمن على الغير . فلو جاز طلاقهن وصرن لا إلى أزواج لكان في ذلك حرج شديد يأباه الشرع ، ولأنهن لما خيرن واخترن الله ورسوله حرم طلاقهن ، ولو أن احداهن أو كلهن اخترن فراقه عليه السلام لوجب عليه فراقها قبل أن يشرع في حقهن هـذا التشريع الخاص بهن فالخصوصية في الحقيقة إنما كانت لأزواجه عليه السلام لا له ، لمـا قدمناه من الحكمة .

فالحقيقة أن النبي لم يكن له أن يتزوج بأكثر من أربع بعد التشريع الخاص بذلك ولم يكن عليه السلام ممن يرغبون في الاكثار من الزوجات لغرض الرجل من المرأة ، يدلك على ذلك أنه اقترن بالسيدة خديجة أولى زوجاته وكانت ممن يولد مثله عليه السلام لمثلها ، وقضى معها زهرة شبابه حتى شغل بأمر الوحي والتبليغ وكان زواجه بها عن رغبة منها هي ولو أراد غيرها لكان .

ولكن ظروف الدعوة إلى الدين قضت بأن يصاهر كثيراً وبالاخص كان أصحابه يعرضون عليه بناتهم كأبي بكر لغرض أن ينال بمصاهرته أكبر شرف وكان النسب والمصاهرة عنـد العرب من دواعي النصرة والحماية ، ولم يكن ذلك محظوراً فلم ير مانعاً من أن يحقق هذه الرغبات حتى جاء التشريع الخاص بذلك فكان هو في حالة لا تعتبر تيسيراً بالنسبة لمن عداه .

هذا هو رأيي ياسيدتي أقدمه بكل احترام وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما بحثت والسلام م؟ محمود الغراب

(المنار) سبق لنا بيان لحكمة تعدد أزواجه (ص) بالاجمال والتفصيل وسنعود الى تلخيصه مع زيادة بعض الفوائد في جزء تال ان شاء الله تعالى

﴿ استقلال مملكة ابن السعود ﴾

(س١) من صاحب الامضاء في (بونس ايرس) عاصمة الارجنتين

جناب حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا الافخم

من بعد التحية والسلام : أرجو الافادة على سؤالي الآتي ولكم منا مزيد الثناء بذلك : هل مملكة ابن سعود مستقلة استقلالا تاما مطلقاً في كل شؤونها الداخلية والخارجية أم لا ؟ وإذ لم كانت من هي الدولة الوصية عليها والسلام

الداعي سعيد يوسف مراد
من شركة مراد اخوان

(ج) إن مملكة ابن السعود مستقلة استقلالا تاما مطلقاً لا وصاية عليها لدولة من الدول وليس فيها موظف أجنبي إلا بعض قناصل للدول التي لها رعايا من المسلمين في جدة من عهد حكم الترك ، وقد سئلت مجلة المقتطف هذا السؤال فأجابت بمثل هذا الجواب ، ومن الادلة على فسخ الاتفاق القديم مع الانكليز الخاص بنجد أنه أخذ بلاد الحجاز بالسيف وعقد معاهدة سابقة مع السيد الادريسي ثم معاهدة أخرى جعلت بلاد الادريسي كلها تحت حمايته

﴿ البناء على القبور ومن استثنى من تحريمه قبور الانبياء والصالحين ﴾

(س٢) لصاحب الامضاء في (أوغانده)

إلى حضرة جلالة (؟) الاستاذ الكامل الشيخ الفاضل محمد رشيد رضا حفظه الله تعالى . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فهذا سؤال موجها لحضرتكم الشريفة عن البناء على القبور من كتاب تنوير القلوب لصاحبه محمد أمين الكردي

نسباً النقشبندي مذهباً بصحيفة ٢١٣ مانصه (ويحرم البناء على المقبرة الموقوفة إلا لنبي أو شهيد أو عالم أو صالح) هل المراد من فحوى كلامه هنا الحوش المستدير على قبر النبي أو الشهيد أو العالم أو الصالح كما يفيده استثناؤه أو نفس البناء عليه بالجص والاجر وعلى كلا الحالين لأي شيء يحل له ويحرم لما عداه ؟ وهل يحل أيضاً لما عدا قبر غير النبي أو العالم فيما اذا كانت المقبرة غير موقوفة أليس منع البناء على المقابر مطلقاً كما علم بالضرورة ومع هذا إنكم صرحتم بعدم الجواز في عدة مواضع بمجلتكم الغراء أفيدونا بالجواب ولكم الاجر والثواب والسلام

مقبل فاضل

أوغانده مبالي

(ج) إن كلام هذا الكردي شرع لم يأذن به الله ، ولا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فليس لنا أن نبحث عن مراده منه بل هو مردود عليه ، وأنتم في غنى عنه بما نشرناه في المنار مراراً من الاحاديث الصحيحة في تحريم البناء على قبور الانبياء والصالحين ، ويؤخذ منها أن قبورهم هي المقصودة بالحظر أولا وبالذات،لافتتان الاولين والآخرين بها وعبادتها بالتعظيم والطواف والدعاء وغير ذلك كالحديث المتفق عليه في أهل الكتاب « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ... أولئك شرار الخلق عند الله » وعند ابن سعد « إن من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وسواء فيما بني على قبر النبي أو الصالح أكان مسجداً أم غير مسجد فان مقصد الشارع سد ذريعة تعظيم قبورهم أو تعظيمهم بما لا يبيحه الشرع من الدعاء والنذر وأمثال ذلك مما هو خاص بالله تعالى كالحلف أو خاص ببيته كالطواف . وما ذكره الفقهاء من تحريم البناء في المقبرة المسبلة فله مدرك آخر يشمل الصالح والطالح وهو تصرف الانسان في الوقف بغير ما وقف عليه ومثله التصرف في ملك غيره كما هو ظاهر

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

مذهب عثمان (رض) في قصر الصلاة

وأما إتمام عثمان فالذى ينبغي أن يحمل حاله على ما كان يقول لا على مالم يثبت عنه فقوله انه بلغني أن قوما يخرجون إما لتجارة وإما لجباية وإما لجريم يقصرون الصلاة وإنما يقصر الصلاة من كان شاخصا أو بحضرة عدو، وقوله بين فيه مذهبه وهو أنه لا يقصر الصلاة من كان نازلا في قرية أو مصر إلا إذا كان خائفا بحضرة عدو وإنما يقصر من كان شاخصا أي مسافراً وهو الحامل للزاد والمزاد أي للطعام والشراب، والمزادوعاء الماء، يقول إذا كان نازلا مكانا فيه الطعام والشراب كان مترفها بمنزلة المقيم فلا يقصر لان القصر إنما جعل للمشقة التي تلحق الانسان وهذا لا تلحقه مشقة. فالقصر عنده للمسافر الذي يحمل الزاد والمزاد وللخائف ولما عمرت منى وصار بها زاد ومزاد لم ير القصر بها لا لنفسه ولا لمن معه من الحاج، وقوله في تلك الرواية: ولكن حدث العام. لم يذكر فيها ماحدث فقد يكون هذا هو الحادث، وان كان قد جاءت الجهال من الاعراب وغيرهم يظنون أن الصلاة أربع فقد خاف عليهم أن يظنوا أنها تفعل في مكان فيه الزاد والمزاد أربعا وهذا عنده لا يجوز، وان كان قد

تأهل بمكة فيكون هذا أيضا موافقا فانه إنما تأهل بمكان فيه الزاد والمزاد وهو لا يرى القصر لمن كان نازلا باهله في مكان فيه الزاد والمزاد . وعلى هذا فجميع ما ثبت في هذا الباب من عذره يصدق بعضه بعضا

وأما ما اعتذر به الطحاوي من أن مكة كانت على عهد النبي ﷺ اعمر من منى في زمن عثمان فجواب عثمان له ان النبي ﷺ في عمرة القضية ثم في غزوة الفتح ثم في عمرة الجعرانة كان خائفا من العدو وعثمان يجوّز القصر لمن كان خائفا وان كا نازلا في مكان فيه الزاد والمزاد فانه يجوزه للمسافر ولمن كان بحضرة العدو ، واما في حجة الوداع فقد كان النبي ﷺ آمنا لكنه لم يكن نازلا بمكة وإنما كان نازلا بالابطح خارج مكة هو وأصحابه فلم يكونوا نازلين بدار إقامة ولا بمكان فيه الزاد والمزاد . وقد قال أسامة أين ننزل غداً هل ننزل بدارك بمكة، فقال «وهل ترك لنا عقيل من دار ننزل بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر وهذا المنزل بالابطح بين المقابر ومنى

وكذلك عائشة رضي الله عنها اخبرت عن نفسها أنها انما تتم لان القصر لاجل المشقة وان الاتمام لا يشق عليها ، والسلف والخلف تنازعوا في سفر القصر في جنسه وفي قدره فكان قول عثمان وعائشة أحد أقوالهم فيها ،

وللناس في جنس سفر القصر أقوال أخر مع ان عثمان قد خالفه علي وابن مسعود وعمران بن الحصين وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابن عباس وغيرهم من علماء الصحابة فروى سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن ابيه قال اعتل عثمان وهو بمنى فاتى علي فقيل له صل بالناس فقال إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله ﷺ ركعتين قالوا لا الا صلاة

امير المؤمنين يعنون اربعا ، فأبى وفي الصحيحين عن ابن مسعود [١]

الخلاف في جواز تمام الرباعية في السفر

وقد تنازع الناس في الاربع في السفر على أقوال (أحدها) أن ذلك بمنزلة صلاة الصبح أربعا وهذا مذهب طائفة من السلف والخلف وهو مذهب أبي حنيفة وابن حزم وغيره من أهل الظاهر . ثم عند أبي حنيفة اذا جلس مقدار التشهد تمت صلاته والمفعول بعد ذلك كصلاة منفصلة قد تطوع بها ، وإن لم يقعد مقدار التشهد بطلت صلاته ، ومذهب ابن حزم وغيره أن صلاته باطلة كما لو صلى عندهم الفجر أربعا

وقد روى سعيد في سننه عن الضحاك بن مزاحم قال : قال ابن عباس من صلى في السفر أربعا كمن صلى في الحضر ركعتين . قال ابن حزم : وروينا عن عمر بن عبد العزيز وقد ذكر له الاتمام في السفر لمن شاء فقال: لا ، الصلاة في السفر ركعتان حتمان لا يصح غيرهما ، وحجة هؤلاء أنه قد ثبت أن الله انما فرض في السفر ركعتين والزيادة على ذلك لم يأت بها كتاب ولا سنة ، وكل ماروي عن النبي ﷺ من أنه صلى أربعا أو أقر من صلى أربعا فانه كذب

وأما فعل عثمان وعائشة فتأويل منهما أن القصر انما يكون في بعض

(١) المنار: ههنا بياض بالاصل والمروي فيهما عنه بهذه المسألة أنه قيل له في منى إن عثمان صلى بالناس أربعاً فاسترجع وقال : صليت مع رسول الله (ص) بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر الصديق (رض) بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان

الاسفار دون بعض كما تأول غيرهما أنه لا يكون إلا في حج أو عمرة أو جهاد ثم قد خالفهما أئمة الصحابة وأنكروا ذلك . قالوا : لان النبي ﷺ قال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » فأمر بقبولها والامر يقتضي الوجوب . ومن قال يجوز الامران فعمدتهم قوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قالوا وهذه العبارة انما تستعمل في المباح لا في الواجب كقوله (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) وقوله (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) ونحو ذلك . واحتجوا من السنة بما تقدم من أن النبي ﷺ حسن لعائشة اتمامها وبما روي من أنه فعل ذلك واحتجوا بأن عثمان اتم الصلاة بمنى بحضر الصحابة فأتموا خلفه وهذه كلها حجج ضعيفة .

أما الآية فنقول قد علم بالتواتر أن النبي ﷺ انما كان يصلي في السفر ركعتين وكذلك أبو بكر وعمر بعده وهذا يدل على أن الركعتين أفضل كما عليه جماهير العلماء ، واذا كان القصر طاعة لله ورسوله وهو أفضل من غيره لم يجز أن يحتج بنفي الجناح على أنه مباح لا فضيلة فيه ، ثم ماكان عذرهم عن كونه مستحباً هو عذر لغيرهم عن كونه مأموراً به أمر إيجاب ، وقد قال تعالى في السعي (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) والطواف بين الصفا والمروة هو السعي المشروع باتفاق المسلمين وذلك إما ركن وإما واجب وإما سنة ، وأيضاً فالقصر وإن كان رخصة استباحة المحظور فقد تكون واجبة كأكل الميت للمضطر والتيمم

لمن عدم الماء ونحو ذلك ، هذا إن سلم ان المراد به قصر العدد ، فان للناس في الآية ثلاثة أقوال : قيل المراد به قصر العدد فقط وعلى هذا فيكون التخصيص بالخوف غير مفيد (والثاني) أن المراد به قصر الاعمال فان صلاة الخوف تقصر عن صلاة الامن والخوف يبيح ذلك ، وهذا يرد عليه أن صلاة الخوف جائزة حضراً وسفراً والآية أفادت القصر في السفر (والقول الثالث) وهو الاصح أن الآية أفادت قصر العدد وقصر العمل جميعاً ولهذا علق ذلك بالسفر والخوف فاذا اجتمع الضرب في الارض والخوف أبيح القصر الجامع لهذا ولهذا ، واذا انفرد السفر فانما يبيح قصر العدد ، واذا انفرد الخوف فانما يفيد قصر العمل

ومن قال إن الفرض في الخوف والسفر ركعة كأحد القولين في مذهب احمد وهو مذهب ابن حزم فمراده اذا كان خوف وسفر فيكون السفر والخوف قد أفادا القصر إلى ركعة كما روى أبو داود الطيالسي ثنا المسعودي هو عبد الرحمن بن عبدالله عن يزيد الفقير قال سألت جابر بن عبدالله عن الركعتين في السفر أقصرهما ، قال جابر لا : فان الركعتين في السفر ليستا بقصر انما القصر ركعة عند القتال

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة . قال ابن حزم : ورويناه أيضا من طريق حذيفة وجابر وزيد بن ثابت وأبي هريرة وابن عمر عن النبي ﷺ بأسانيد في غاية الصحة . قال ابن حزم : وبهذه الآية قلنا إن صلاة الخوف في السفر ان شاء ركعة وإن شاء ركعتين لانه جاء في القرآن بلفظ (لا جناح)لا بلفظ الامر والايجاب وصلاها الناس مع النبي

ﷺ مرة ركعة فقط ومرة ركعتين فكان ذلك على الاختيار كما قال جابر

وأما صلاة عثمان فقد عرف انكار أئمة الصحابة عليه ومع هذا فكانوا يصلون خلفه ، بل كان ابن مسعود يصلي أربعا وان انفرد ويقول الخلاف شر وكان ابن عمر اذا انفرد صلى ركعتين .وهذا دليل على أن صلاة السفر أربعا مكروهة عندهم ومخالفة للسنة ومع ذلك فلا اعادة على من فعلها واذا فعلها الامام اتبع فيها ، وهذا لان صلاة المسافر ليست كصلاة الفجر، بل هي من جنس الجمعة والعيدين ، ولهذا قرن عمر بن الخطاب في السنة التي نقلها بين الاربع فقال : صلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة المسافر ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افترى . رواه احمد والنسائي من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : قال عمر ، ورواه يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن زبيد الايامي(١) عن عبد الرحمن فهذه الاربعة ليست من جنس الفجر

ومعلوم أنه يوم الجمعة يصلي ركعتين تارة ويصلي أربعا أخرى ومن فاتته الجمعة انما يصلي أربعا لا يصلي ركعتين وكذلك من لم يدرك منها ركعة عند الصحابة وجمهور العلماء كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدركها » واذا حصلت شروط الجمعة خطب خطبتين وصلى ركعتين فلو قدر انه خطب وصلى الظهر أربعا لكان تاركا للسنة ومع هذا فليسوا كمن صلى الفجر أربعا ولهذا يجوز

(١) كذا والصواب اليامي ، قال في تقريب التهذيب : زبيد بموحدة مصغر ابن الحارث أبو عبد الله الكريم بن عمرو بن كعب اليامي بالتحتانية ، أبو عبد الرحمن الكوفي ثقة ثبت عابد من السادسة مات سنة ثنتين وعشرين أو بعدها .

للمريض والمسافر والمرأة وغيرهم ممن لا تجب عليهم الجمعة أن يصلي الظهر أربعا ان يأتم به في الجمعة فيصلي ركعتين فكذلك المسافر له أن يصلي ركعتين وله أن يأتم بمقيم فيصلي خلفه أربعا فان قيل الجمعة يشترط لها الجماعة فلهذا كان حكم المنفرد فيها خلاف حكم المؤتم

وهذا الفرق ذكره أصحاب الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد قيل لهم اشتراط الجماعة في الصلوات الخمس فيه نزاع في مذهب أحمد وغيره والأقوى انه شرط مع القدرة وحينئذ المسافر لما ائتم بالمقيم دخل في الجماعة الواجبة فلزمه اتباع الامام كما في الجمعة ، وان قيل فللمسافرين أن يصلوا جماعة قيل ولهم أن يصلوا يوم الجمعة جماعة ويصلوا أربعا ،وصلاة العيد قد ثبت عن علي انه استخلف من صلى بالناس في المسجد أربعا ركعتين للسنة وركعتين لكونهم لم يخرجوا إلى الصحراء ،فصلاة الظهر يوم الجمعة وصلاة العيدين تفعل تارة ثنتين وتارة أربعا كصلاة المسافر بخلاف صلاة الفجر ، وعلى هذا تدل آثار الصحابة فانهم كانوا يكرهون من الامام أن يصلي أربعا ويصلون خلفه كما في حديث سلمان وحديث ابن مسعود وغيره مع عثمان ولو كان ذلك عندهم كمن يصلي الفجر أربعا لما استجازوا أن يصلوا أربعا كما لا يستجيز مسلم أن يصلي الفجر أربعا

ومن قال انهم لما قعدوا قدر التشهد أدوا الفرض والباقي تطوع قيل له : من المعلوم انه لم ينقل عن أحدهم انه قال نوينا التطوع بالركعتين وأيضا فان ذلك ليس بمشروع فليس لأحد أن يصلي بعد الفجر ركعتين بل قد أنكر النبي ﷺ على من صلى بعد الاقامة السنة وقال الصبح أربعا وقد صلى قبل الامام فكيف إذا وصل الصلاة بصلاة وقد ثبت في

الصحيح ان النبي ﷺ نهى أن توصل صلاة بصلاة حتى يفصل بينهما بكلام أو قيام

وقد كان الصحابة ينكرون على من يصلي الجمعة وغيرها بصلاة تطوع فكيف يسوغون ان يصلي الركعتين في السفر ان كان لا يجوز الا ركعتان بصلاة تطوع ، وأيضا فلماذا وجب على المقيم خلف المسافر أن يصلي أربعا كما ثبت ذلك عن الصحابة وقد وافق عليه أبو حنيفة وأيضا فيجوز أن يصلي المقيم أربعا خلف المسافر ركعتين كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه يفعلون ذلك ويقولون أتموا صلاتكم فانا قوم سفر

وهذا مما يبين ان صلاة المسافر من جنس صلاة المقيم فانه قد سلم جماهير العلماء أن يصلي هذا خلف هذا كما يصلي الظهر خلف من يصلي الجمعة وليس هذا كمن صلى الظهر قضاء خلف من يصلي الفجر

وأما من قال ان المسافر فرضه أربع وله أن يسقط ركعتين بالقصر فقوله مخالف للنصوص واجماع السلف والاصول وهو قول متناقض فان هاتين الركعتين يملك المسافر اسقاطهما لا الى بدل ولا الى نظيره وهذا يناقض الوجوب فانه يمتنع أن يكون الشيء واجبا على العبد ومع هذا لا يلزمه فعله ولا فعل بدله ولا نظيره فعلم بذلك أن الفرض على المسافر الركعتان فقط ، وهذا الذي يدل عليه كلام أحمد وقدماء الصحابة فانهم لم يشترط في القصر نية وقال لا يعجبني الأربع وتوقف في إجزاء الأربع

ولم ينقل أحد عن أحمد انه قال لا يقصر الا بنية وانما هذا من قول الخرقي ومن اتبعه ونصوص أحمد وأجوبته كلها مطلقة في ذلك كما قاله جماهير العلماء وهو اختيار أبي بكر موافقة لقدماء الأصحاب كالخلال وغيره

بل والاثرم وأبي داود وابراهيم الحربي وغيرهم انهم لم يشترطوا النية لا في قصر ولا في جمع ، واذا كان فرضه ركعتين فاذا أتى بهما أجزأه ذلك سواء نوى القصر أو لم ينوه وهذا قول الجماهير كمالك وأبي حنيفة وعامة السلف وما علمت أحداً من الصحابة والتابعين لهم باحسان اشترط نية لا في قصر ولا في جمع ولو نوى المسافر الاتمام كانت السنة في حقه الركعتين ، ولو صلى أربعا كان ذلك مكروها كما لم ينوه

ولم ينقل قط أحد عن النبي ﷺ انه أمر أصحابه لا بنية قصر ولا نية جمع ولا كان خلفاؤه وأصحابه يأمرون بذلك من يصلي خلفهم مع ان المأمومين أو أكثرهم لا يعرفون مايفعله الامام فان النبي ﷺ لما خرج في حجته صلى بهم الظهر بالمدينة أربعا ، وصلى بهم العصر بذي الحليفة ركعتين وخلفه أمم لا يحصي عددهم الا الله كلهم خرجوا معه يحجون معه وكثير منهم لا يعرفون صلاة السفر اما لحدوث عهده بالاسلام واما لكونه لم يسافر بعد لا سيما النساء الذين صلوا معه ولم يأمرهم بنية القصر وكذلك جمع بهم بعرفة ولم يقل لهم اني أريد أن أصلي العصر بعد الظهر حتى صلاها . (الكلام بقية)

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

يتشابه مشرق العالم الاسلامي ومغربه فيما فشا فيهما من الجهل والبدع والخرافات التي أضعفت جميع شعوب الامة ، ويتشابهان أيضا فيما يشعر به العقلاء السليمو الفطرة من الحاجة إلى الاصلاح الديني الذي يتوقف عليه الاصلاح الاجتماعي والسياسي مع بقاء هداية الاسلام جامعة لهذه الشعوب مميزة لها كالفصل المنطقي المميز للنوع دون أنواع جنسه القريب .

ولدينا من مواد المجلد الثامن والعشرين من المنار رسالتان طويلتان في موضوع الاصلاح في المغرب الاقصى احداهما لاستاذ من شيوخه والاخرى لسائح تغلغل في تلك البلاد وهما ممن يرجع بهداية الذين إلى مذهب السلف الصالح في العصر الاول ويعول في المدنية وعزة الامة على أحدث فنون العصر ونظمه الملائمة لتلك الهداية وانا ننشرهما بالتدريج للتعاون بين الملوين ، وتبادل الشعور الذي تخفق له قلوب الامة في الخافقين . ونبدأ بالاولى وهي:

نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم

لصاحب الفضيلة الشيخ بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

مني المسلمون في جميع بقاع الارض بفئة ضالة تقمصت الاسلام على ظهرها وأما قلوبها فقد ملئت عليه حقداً وحسداً حملاها على النكاية به ، والعمل على نقضه من أساسه ، ولولا أن الاسلام قوي بنفسه وبتعاليمه ، ولولا أنه نور من نور الله لاينطفيء أبداً ولو كره الملحدون الحاقدون : لكانت المصيبة أدهى وأمر ولكن العاقبة للمسلمين. قال الله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال ﷺ «لا يزال

(*) لصاحب الامضاء الرمزي

طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة في كتاب الاعتصام في (باب قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم)

وقد اختارت هذه الفئة الضالة في كل عصر من أول الاسلام إلى يومنا هذا أقواما لنشر دعوتها من أعظم الابالسة وأبلغ الخطباء المصاقيع وأجرئهم على ذلك فلبسوا لبوس الاسلام ، ولابسوا قادة المسلمين من ملوك وعلماء ، وتظاهروا بالزهد ومحبة الاسلام والغيرة عليه وعلى أهله ، وصاروا يزيدون فيه ماليس منه، ويستظهرون على ذلك برواية أحاديث بعضها صحيح ليستدرجوا الناس إلى قبول الموضوع ، ويتظاهرون بأن ذلك من تعظيم الاسلام ، فاستحوذوا بذلك على قلوب العامة لأنهم تبع للخاصة ، حتى كاد زمام العامة يصير في يدهم ، فصارت لهم بذلك مكانة ومنزلة عند الملوك وكبار الدولة وصاروا يتداخلون في كل شيء حتى في نصب الوزراء والقضاة وما أدراك ماهذه المكيدة ، وصاروا يحلون ويحرمون للملوك ويفتونهم بما فيه ضررهم وضرر الاسلام ، كل ذلك تحت ستار الزهد والتقشف ومكيدة مايشيعه أتباعهم من الكرامات الكاذبة الباردة الخ .وطوائف منهم خالطت عامة الناس ودونت لهم أقاويل وأوراقا كلها مشعوذة وتقوُّل على الدين ومحاربة له وهدم لبنيانه ، وما قصة الحلاج بمجهولة

وبعد خراب البصرة ، استفاق العلماء من الغفلة وتجردوا للرد عليهم، كابن حزم والغزالي وأبي بكر بن العربي المعافري وابن تيمية وابن القيم والامام محمد بن عبد الوهاب في نجد وغيرهم ، إلى أن قذف الله بنور من عنده بنابغة الدهر (السيد) جمال الدين الافغاني فنبه الامة الاسلامية من رقادها الطويل ، وصدع فيهم بأمر القرآن كأنه المعني بقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) وجاهد في الله حق جهاده، ونشر علومه وهديه في الهند والفرس والافغان ومصر والاستانه (*) وخلف رحمه الله تلاميذ

(*) المنار.كان جل ماخدم به السيد امته بيان الخطر الاستعماري الذي ذهب بأكثر ممالكها ، واسباب ضعفها وما يقابله من بيان اسباب درء هذا الخطر بنهضة اسلامية ، ووحدة ملية ، يكون روحها القرآن وصحيح الآثر ، والاتفاق

نبغاء في هذه الاقطار أعظمهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والعلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار وسعد زغلول باشا وغيرهم كثير

فقامت هذه الفئة القليلة بنشر محاسن الاسلام وبيان أصوله وسهولته وموافقته لكل زمان ومكان، وبالرد على المبتدعة والملحدة والجاحدة، فغلبت فئات كثيرة باذن الله لانها صبرت والله مع الصابرين، قال جل علاه (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وما مناظرة جمال الدين الافغاني لرينان ببعيدة ، وأقرب منها رد الشيخ محمد عبده على هانوتو وردود صاحب المنار على الجامدين والملحدين في كل عدد من أعداد المنار معروفة ، وفي مقالات سعد باشا وخطبه وردوده القاهرة على دهاقين السياسة أكبر شاهد على ماقلنا

في تلك الايام الحالولكة كان علماء الدين في الازهر وأياصوفيا والجامع الاموي والزيتونة ملازمين لظلهم يخافون من خياله رغماً عما نفخ فيهم الشيخ محمد عبده من كهرباء روحه الطاهرة ، وعما قرعهم به ووعظهم بالحجج الساطعة ، والآيات القاطعة ، إلى أن قام صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم فضرب على وجهه صفيحة من نحاس . . . : . . : . .

. . . .

ولم يشهد التاريخ لها شيئاً في العالمين فغضب لذلك أسد الاسلام ومؤسس مناره السيد رشيد رضا وصفعه صفعة قضت على أمثاله ، ونبه مشيخة الازهر لعمل الواجب ضد ضلاله ، واذا غضب رشيد رضا رأيت العلماء العاملين كلهم غضاباً، فقام حينئذ علماء الازهر بالامر خير قيام وأسقطوه من زمرة علماء المسلمين

حينئذ تنبه الازهريون فرأوا أنفسهم مسوقين بجبال الملحدين إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم ، فتحفزوا للوثوب إلى الميدان وبرزوا للمعركة أسوداً شم العرانين منشدين :

ونبكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

الوطني في كل قطر مشترك ، كما هو مشروح في العروة الوثقى ـ فجل عمله في الشرق الاسلامي سياسي ، وفي مصر وحدها سياسي وعلمي

وأول من برز للميدان وبز ، وحاز قصب السبق وأحرز ؛ الاستاذ الشيخ محمد بخيت دام بقاؤه ، فقد شحذ سيفه البتار ﴿ حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾ وضرب الملحدين ضربة قاضية أسقطتهم من صياصيهم التي كانت موضوعة على شفا جرف هار من آراء الضالين الاباحيين الذين يستدرجون الامة الاسلامية ليزيغوها عن دينها الذي هو أعظم حصن واقف للضالين بالمرصاد، فاذا أزاحوها عنه ، وتقمصت عقائد الاباحيين وفرطت في أثمن سلوة لها ، وابتليت بالاباحة المطلقة ، واستحلت الربا والخمر والزنا ، ورفعت الحجاب عن فتياتها ، واختلط الحابل بالنابل ، هنالك يجد الماليون مفاتيح الاستيلاء على المسلمين واستهواء قلوبهم ، زيادة على ملك رقابهم وأموالهم ، وهناك يصبح المسلمون لامفر لهم من الاستخذاء للماليين واستخدامهم في المعامل الجهنمية وجر الاثقال ومزاولة الاشغال الشاقة ليلا ونهاراً بأجور زهيدة لا يستطيعون معها أن يأكلوا الخبز والزيت ، ولا يستطيعون أن يلبسوا إلا مايفضل عن الاوروباويين من صدار وقميص وسراويل وسخة متلاشية ، ونعال بالية متعفنة ، تكسو أكثر لابسيها أمراضاً متنوعة تذهب بأكثرهم إلى القبور ، دع عنك الحفاة والعراة والجائعين الذين هم أزيد من خمسين في المائة

هنالك تغلق المدارس والمعاهد الدينية ، وتملأ السجون والمارستانات، هناك هناك ألخ هذه نتيجة مايدعو اليه الملحدون في مصر وغيرها

فكان الواجب على قادة الملحدين أن يختبروا مقاصد سادتهم ومسخريهم وإلى أي هوة يسوقونهم ، وفي أي مجزرة يذبحونهم

كان عليهم أن يتبينوا أحوال المسلمين في المستعمرات ويبحثوا عن معايشهم ومكاسبهم ومدارسهم ومصانعهم وصنائعهم ومتاجرهم ، ثم بعد الدرس العميق والبحث المتوالي يحكمون فاذا وجدوا الماليين يعاملونهم معاملة جميلة ويعلمونهم ويسهرون على مصالحهم كما يدعون فلا بأس حينئذ بالميل اليهم كما يريد بعض المتهاونين بالوطن

أما والحالة على النقيض وليس هناك إلا الفقر والجهل والاهانة والحرمان

والبؤس والشقاء ، فيظهر بادي، بدء أن دعوة الملحدين لمواطنيهم إلى ماذكر غش وتدليس وخيانة فتجب مقاومتهم بكل مايمكن ويجب الاستعداد لمحاربتهم استعداداً هائلا تستحضر عدده من معامل الازهر والمعاهد الدينية

لذلك جاء كتاب حقيقة الاسلام في أشد أوقات الحاجة اليه فأشبه النجدة الى المحارب الذي كاد ينهزم في المعركة النهائية الفاصلة فانتصر به إلى غاية الانتصار وهزم جيوش الملحدين هزيمة شنعاء لاتقوم لهم بعدها قائمة

وقد حوى حقائق الاسلام وبين أهم مايحتاج اليه منها بعبارة واضحة ليس فيها تكلف ولا غموض ، جلب المؤلف فيها الآيات والاحاديث النبوية ونصوص الاصوليين المعتمدة ، مذيلا ذلك بنقول المؤرخين وأهل السير وآراء فلاسفة المسلمين ، ولكون ذلك معروفا عند المسلمين ومؤلفات الاسلام فيه كثيرة جاءت عبارة الكتاب منسجمة غاية الانسجام كأنما المؤلف يغرف من بحر فطلع منه بدرر نفيسة ينبغي بل يتحتم على كل مفكر أن يزين مكتبته به ، ويتعين على كل كاتب أو عالم أو فيلسوف أن ينير أفكاره بآرائه وآياته اللامعة

(من مراكش) (مسلم غيور)

(للرسالة بقية وفيها تعقب لكتاب حقيقة الاسلام)

سياسة الانكليز في الشرق وزعماء العرب

مذهبان فى سياسة بريطانية في الشرق الأوسط — قرارات لجنة لويد جورج — انجلترة وابن السعود — تصرفات الملك حسين — الادريسي وبريطانية — شكاوي الحجاج الى الدول الاوربية — الجزيرة العربية تهم العالم الاسلامي اجمع

ان العلائق الودية بين الحكومة البريطانية والسلطان ابن السعود التي انتجتها مفاوضات السير جلبرت كلايتن في بحرا والمعاهدات السلمية التى ارتبط بها أمام اليمن يحيى مع نفس الحكومة لابد أن يكون لها أثر حميد في تحسين سياسة بريطانية العظمى في الشرق الأوسط ، اذ إن هذه السياسة كانت ولا تزال حتى يومنا هذا متقلبة لا يعرف لها قرار نهائي . واتفاقات بحرا هذه ليست في عالم السياسة بأمور

غير معتادة ، اتفق عليها لتحسين العلائق بين انكلترة والبلاد العربية. الا أن أنصار العرب فى « دوتنغ ستريت » جعلوها نصب أعينهم لما رأوا لها من الأهمية، وكانت مدار حديثهم في المدة الأخيرة مع السر جلبرت كلايتن السكرتير المدني السابق لحكومة فلسطين الذي لم يكن مسئولا الا عن ايصال المفاوضات الأخيرة على علاتها الى حكومته ، وغير خاف أن معاهدات ذات تأثير في حركة الاستقلال العربي وفي توحيد السياسة الانكليزية في الشرق الأوسط هي ولا شك من الوجهة التاريخية ذات بال واي ذات بال ولذا يجدر بنا أن نبحث في شأنها بعض البحث :

لما حملت انكلترا على عاتقها مسئولية ادارة شئون امبراطورية الشرق الأوسط تضاربت الآراء العامة وآراء الساسة الحذاق خاصة فيما ستؤول اليه نتيجة هذا الامر ووقف في المضمار فريقان فأما الفريق الاول فكان من المحافظين أرباب الفلسفة السياسية ، وكان الكولونيل (لورنس) والمس (جزترود بل) ألسنتهم الناطقة . فهؤلاء احتجوا بأن سياسة الالحاق السرية أو الجهرية لاتوافق ولا بوجه من الوجوه روح الحماية أو ماعليه سياسة الانكليز الحق . وأخذوا يبثون آراءهم بكل الوسائل ويطلبون استقلالا تاما للممالك والامارات العربية التي أسست حديثا . وكانوا يعدون أنفسهم مسئولين بذواتهم عما كان يحدث في البلاد العربية على يد بريطانية العظمى ويؤنبون أولي الأيدي التي كانت عاملة آنئذ على سحب العهود التي قطعوها للامة العربية .وأما الفريق الثاني ـ وكان جله من الاحرار ـ فاعتبروا ضمانة أية حماية من غير ضم البلاد المحمية رأسا أو بالواسطة الى الامبراطورية البريطانية إنما هو تفريط في غير محله وما هو إلا زيادة عبء ثقيل الى العبء البريطاني في آونة كان العالم فيها يئن من نتائج الحرب العظمى . وظني أن كثيراً من المسائل الجوهرية البريطانية المدفونة في السجلات السرية في وزارة الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات لم يطلع عليها الشعب ولن يطلع عليها إلا بعد أجيال عديدة إذ يظهرها المؤرخون . وهذه المعجزة الانكليزية التي تتعلق بالشئون العربية لا يسأل عنها إلا أنصار العرب من الانكليز ذوي الضمائر الحرة . واستدعي المفاوضون من العرب المرة تلو الأخرى ولكن لم يكن هنالك مفاوضات حقيقية . ولا تزال قصة استدعاء الدكتور ناجي الاصيل السياسي السوري الذي مثل الملك حسيناً في بلاط سنت جيمس تخدش مخيلة من يهمهم هذا الامر . فالعرب البسطاء هم الذين أوقعوا أنفسهم في أيدي من لا يعرفون للعهود معنى . ولما اعترف بسلالة الشريف حسين

كالعائلة الوحيدة المالكة في عموم الاقطار العربية قامت الضجات والصرخات. وأصبح بعض الانكليز يقولون إن دولتهم جازفت بأن راهنت على الحصان الذي لا يكسب الرهان. ولما انتخب فيصل أنجب افراد هذه السلالة للاستواء على عرش العراق رميت وزارة الخارجية البريطانية بقصر النظر والتحزب، ولما أشار السير أوستين تشمبرلن على الملك حسين الشيخ ان يغادر البلاد العربية إلى قبرص أيضا هطلت الشكاوي التى يناقض بعضها البعض مدراراً .

دعنا الآن نعير التفاتة نحو الحقائق العارية من كل شائبة لنرى - إن أمكننا نتيجة الخطط التى رسمها رجال السياسة الذين يسمون أنفسهم احراراً :

في سنة ١٩٢١ قررت وزارة لويد جورج تشكيل لجنة وزارية «لتتعهد بتأسيس دائرة جديدة تحت مراقبة وزارة الخارجية لتقوم بشئون الحمايات وغيرها من الاقطار التي للانكليز علاقة بها في الشرق الادنى » وهذه اللجنة التى كان يساعدها قواد القوات البحرية والحربية اتيح لها درس الحالة الادارية والسياسية في هذه البقاع ، وكانت تستعين بنصائح من كان يحكم البلاد من العمال الانكليز ، وأعني بهم مندوبي فلسطين والعراق — السير هربرت صموئيل والسير برسي كوكس — ومعتمدي عدن والبحرين . واستطاعت هذه اللجنة بعد البحث الطويل، ان تصل إلى نتائج قدمتها بصورة تقرير لوزارة الخارجية ، ولكن مع الاسف لم تر الشمس هـذا التقرير حتى وقتنا هذا ، بل خبيء في ظلمات صناديق الوزارة ، مع انه بلا شك أهم الاوراق السياسية التى تبين مجرى الامور في الشرق في الوقت الحاضر.

وهذه اللجنة عينت لجانا ثانوية ، وليس غرضنا هنا تعديد هذه اللجان، وعلى كل فكان غرض احداها -وهي التى كان يرأسها سكرتير وزارة الخارجية وكان يتألف أعضاؤها من ونستون تشرتشل والسير برسي كوكس والكولونل لورنس والجنرال سكوت- ان تضع على بساط البحث أموراً تتعلق بالسياسة البريطانية الشرقية وخصوصاً بما يتعلق بأمراء العرب وملوكهم المسيطرين في شبه الجزيرة العربية وأول مانظرت فيه هذه اللجنة هو مسئلة التقدمات المالية التى كانت تدفع لهولاء الزعماء استناداً على اسس واهية هذه اللجنة قررت بعد البحث والتدقيق ما يأتي :

١ — ان تدفع الامبراطورية البريطانية لابن السعود مئة الف ليرا سنويا .

٢— أن يدفع لفهد بك الهذال مئتان وأربعون ألف روبية

٣ — ان يدفع للملك حسين مئة الف ليرا انكليزية سنويا

٤ — ان يدفع للادريسي اثنتا عشرة الف ليرا سنويا
وبنت اللجنة حكمها علي الامور الآتية : —
ابن السعود اعظم يد عاملة في السياسة العربية وذو الشخصية البارزة والذكاء المفرط ، عقد معاهدة مع الدولة البريطانية ولم يخطرله يوما ما ان يحل عقدالعلائق الودية بينه وبينها ، مع انه قادر على ذلك . وفي استطاعته ان يعرقل مساعي الدولة البريطانية ولا يكلفه ذلك أكثر من ان يأمر اتباعه بشن الغارة على الجنوب الغربي من بلاد مابين النهرين ، كما انه يمكنه أن يهاجم بخيله ورجله الكويت وجبل شمر ان أوحت اليه ارادته بذلك. والاخوان ـ الفريق المجاهد من اتباعه ـ دوما يحثونه على مهاجمة جيرانه المسلمين وقدحدثت مؤخرا اربع غزوات من هذا القبيل. ولابن السعود تأثير في نفوس اتباعه الاخوان، وقد تمكن من ان يردهم عن مهاجمة جيرانهم مرارا وذلك بفضل تصرفه بحكمة في التقدمة المالية التي تساوي ماتجمعه حكومته من الضرائب
وقبيل أن تضمن هذه التقدمة المالية لابن السعود يجب عليه أن يوافق على الشروط الاتية:
١ — ان لايهاجم العراق ولا يسمح لقواته باجتياز حدوده
٢ — ان لايهاجم الكويت ولا يسمح لقواته باجتياز حدوده أيضاً .
٣ — ان لايهاجم الحجاز ولا يرسل حملات من اتباعه لمهاجمته .
وكانت التقدمة الاساسية لابن السعود ستين الف ليرا انكليزية واما الآن(١) فازدادت حتى بلغت مئة الف ليرا انكليزية في السنة ، ظنا من اللجنة ان هذه الزيادة المالية تقوي نفوذ ابن السعود وتمكنه من أعناق اتباعه، وبذلك يتسنى له ان يعمل على موافقة الادارة البريطانية . وحثت اللجنة ابن السعود على ابقاء حبل المودة متصلا بينه وبين فيصل من جهة، وبينه وبين الملك حسين من جهة اخرى.
زد على ذلك أن اللجنة اعترفت بابن السعود سلطانا على نجد واوصت من لهم علاقة بالامر ان يعترفوا به .
وفهد بك الهذال زعيم عشائر عنزة ـ التي على حدود مابين النهرين الى الجهة الغربية من بغداد وكربلاء وعلى ضفة الفرات الغربية ـ اعتادت حكومة الهند أن تدفع له مقابل خدماته لها مئتين وأربعين الف روبية وغيرخاف أن الطريق الجوية الحاضرة التي تؤدي الى فلسطين تمر بمنطقته مسافة مئتي ميل ، ولذا فلا مشاحة في أن مساعدته أمر لابد منه ، ان ارادت الحكومة البريطانية ان تحافظ على سلامة

(١) يعني عند وضع هذا التقرير بدليل أن من شروطها عدم الاعتداء على العراق والحجاز

سفنها البرية التي تمر بهذه المنطقة . لهذا قررت اللجنة ابقاء ماكان على ماكان اي الاستمرار بدفع التقدمة المالية البالغة مئتين واربعين الف روبية للزعيم المذكور.

اما الملك حسين فمع انه اضعف من ابن السعود من الوجهة العسكرية ، فهو ولا شك حامي البلاد المقدسة. فمن مصلحة بريطانية أن تحافظ على ولائه وخصوصاً للعقيدة التي أظهرها للملأ تجاه مافرره الحلفاء بشأن المقاطعات العربية ان هو لم يذعن لقرار الحلفاء الجديد والآن فلا جدال انه سيكون ثورة فتن وقلاقل في الحجاز ينتشر منها شرر يشعل نيران ثورات في المناطق العربية التي تحت الحماية. ويعتقد العالم الاسلامي ان لندن هي التي خلقته من العدم، فلذا تكون بريطانية العظمى هي الملومة بل المسئولة ان اصبحت حالة الحجاج أسوأ مما كانت يوم كان بيد الاتراك عصا السيادة في البلاد العربية.

وأما الشروط التي عرضت على الملك حسين مقابل ضمان هذه التقدمة له فتتلخص فيما يلي:

١ — أن يصادق على معاهدة فرسايل ويصادق على المعاهدة التركية ويوقعها

٢ — أن يعترف بالمعاهدات البريطانية مع ابن السعود والادريسي ويحترمها ويمتنع من عمل كل مايمس حقوق المذكورين، كما انه يتعهد بأن لا يعتدي عليهما

٣ — أن يحسن حالة الحج! وخصوصاً ان يحافظ على الامن العام ويحترم حقوق الحجاج ويعتني اعتناء خاصاً بالامور الصحية ويعيد تأسيس المستشفيات في جدة كما انه يتعهد بتحسين موارد المياه

٤ — ان يعترف بحقوق الرعايا الانكليز في الحجاز ويحافظ على مصالحهم

٥ — أن يرحب بقنصل انكليزي ووكيل في جدة وان أبى ذلك فيرحب على الاقل بوكيل بريطاني مسلم

٦ — أن يطهر البلاد المقدسة من الذين يسعون ضد المصالح الانكليزية وينشرون الدعوة للجامعة الاسلامية « Pan-Islamic Infrique »

٧ — ان يمنع عائلة الشرفاء من الاتيان باية حركة تهدد مصالح الفرنسيين او بكلمة أخرى أن يكبح جماح أتباعه من القبائل التي تقطن سورية عن القيام بأية مظاهرة تمس مصالح البريطانيين ومصالح حلفائهم

وكان المتوقع ان انشاء حكومتي العراق وشرقي الاردن سوف ينال استحسان الملك حسين ويغريه بقبول نصائح البريطانيين كما فعل سابقاً . ولكن الواقع ونفس الامر كان خلاف ذلك فلذا أنقصت التقدمة المالية حين رجعت المياه الى مجاريها وتوافد الحجاج الى البلاد المقدسة من كل فج عميق . غير أن هذا لم يحجر

الحجاز عن أن يقع في هاوية الافلاس مرة أخرى

وأما الادريسي فكان أول حاكم عربي انضم إلى بريطانية العظمى أثناء الحرب العالمية الكبرى وبمعاهدة سنة ١٩١٧ تعهدت له بريطانية بمده بكل مايلزمه من عدد حربية وأسلحة نارية أثناء الحرب وبعدها ،وكذلك تعهدت له بان تؤويه إلى بلادها وتحميه إن حدث له أمر يضطره إلى الجلاء عن وطنه ، بل تعهدت له أيضاً أن تبذل جهدها لارجاعه الى مركزه الاول دون أن تدخل في أحكام بلاده . ومقابل هذه الضمانات ضمن الادريسي للدولة حليفته امتيازات في بلاده ، وهكذا استطاعت بريطانية أن تمنع تدخل غيرها من الدول في بلاد عسير

وكان الادريسي على وفاق تام مع ابن السعود مع انه كانت هناك أمور كادت تقطع حبل المودة بينهما لولا أن تداركاها بحكمة عجيبة . وفي ذلك الوقت كان الادريسي عدو إمام صنعاء وخصمه الألد . وامام صنعاء هذا هو أمير يماني كان خاضعا للواء التركي ولكنه في هذه الاونة أعلن انفصاله عن الباب العالي واستقلاله عن كل يد أجنبية . فاخذت الايدي البريطانية تسعى لتكسب وده ولكن غناه وقف عثرة في سبيل اغرائه بالمال. غير أن الدسائس الانكليزية لم تقف عند حدها بل أخذت تقدم له مبلغ ألفي ليرا انكليزية في الشهر إلا أن هذ الاموال لم تؤثر إلا بعض التأثير. ولم تأخذ من نفس الامام ما أخذت من نفس ابن السعود .

ولما تيقنت الايدي البريطانية من ثبات الامام على عقيدته نحو الامم الاجنبية رأت أن محافظتها على ولاء الادريسي هي أقوى العوامل التي يمكنها الحصول عليها لنشر سياستها في أنحاء الجزيرة ولهذا قررت دفع الف ليرا انكليزية شهرية للادريسي لتعزز مركزه المالي على شرط محافظته على الولاء لانكلترا وعلى شرط أن لا يضمن امتيازات في بلاده لغيرها من الدول .

نعم ان حسينا نجح في تمثيل دوره لمدة ليست بالقليلة وكان للنصائح الانكليزية والاموال البريطانية اليد الطولى في رفع مستوى شهرته . ولكن مع الاسف اقول ان تلك الشهرة لم تك الا طائفية فهو لم يكتف بان حسب نفسه رأس الامة العربية وخليفة المسلمين فقط، بل تعدى ذلك الى أن زعم انه أكبر يد عاملة في العالم الاسلامي أجمع .

وقد جرب ان يجعل الناس يعتقدون بانه يحكم بحق إلهي لا يستطيع غير العزيز الحكيم ان يسلبه اياه

ولم يكن بعد نظر اللجنة في شأن الحجاج المسلمين الا ليزيد التعاسة شقاء فهم

وكلوا أمرهم إلى الحسين وتركو إليه أمر الاهتمام باصلاح شئونهم. ويحزنني ان اقول انه هو وحكومته تصرفوا في حجاج بيت الله الحرام من المسلمين كما يتصرف المرء بأملاكه . بل ان الملك حسينا نفسه عد الاماكن الاسلامية المقدسة ملكه الموروث عن آبائه وأجداده . فهو مطلق التصرف فيه وليس على وجه الارض من ينازعه

ولما تواردت التقارير التي تنذر بسوء طالع الحجاج المسلمين على رؤساء الوزارات الاوربية من وكلائهم في جدة اهتم هؤلاء الوكلاء بهذا الامر وأخذوا يسعون لتحسين الاحوال متحدين . ورسائل المستر بولارد المعتمد السياسي البريطاني في جدة مثلت شعور كل الدول الاوربية تجاه معاملة الملك للحجاج — اذا استثنينا حكومة السوفيت الروسية التي كان لها معتمد بخاري مسلم في مكة، وهذا كان يتخابر مع دولته رأسا — ولم تكن معاملة الملك حسين للبلاد الاسلامية التي تجاوره أحسن من معاملته للحجاج فكان يتغطرس عليهم ويحتقرهم معتمداً على مركزه مدلا بلقب حامي بيت الله الحرام متكلا على أمواله الوافرة . ويقال ان الملك حسيناً جمع من الضرائب ماينيف على مليون ليرا ذهبية هذا عدا الاراضي التي على الساحل الافريقي بالبحر الاحمر. ولذا أخذ بغضه لفرنسا ولنجد يزداد شيئا فشيئا وكان من حين الى آخر يسرد على اعوانه قصة اخراج ابنه فيصل من الشام وينهي القصة بقوله : ان هـذه عدواة تاريخية لا أنساها ولن انسى اليوم الذي احتل فيه جنود الجنرال غورو عاصمة ولدي . وأما موقفه تجاه ابن السعود فكان موقف امرىء يغـار على مصالح العراق وشرقي الاردن لمـآرب في نفسه ولان ولديه كانا ولا يزالان في هذين القطرين . ولقد أبدى الملك حسين عاطفة شريفة نحو فلسطين .

بينا نرى الملك حسينا على هذه الحالة نرى ان قدم ابن السعود اصبحت تزداد رسوخا يوما بعد يوم. فأسس في البلاد انظمة لجباية الضرائب وساعده في توطيد احواله المالية مستشارون بعضهم انكليز والبعض الآخر فرنسيون (١) وكان جراب دراهم السلطان هو خزينة الامة النجدية ـ بخلاف الملك الهاشمي ـ وكان ابن السعود يسير بخطى واسعة نحو ادخال الاصلاحات متحاشيا في ذلك كل مامن شأنه أن يمس المذهب الوهابي خيفة ان يثور عليه الرأي العام. فهذه الاصلاحات

«١» هذا لم نقرأه في صحيفة ولا سمعنا به قبل هذه المقالة ولا يمكن ان يراد به انه كان عنده بنجد مستشارون موظفون بل المراد ان صح الخبر انه استشار بنفسه او بواسطة بعض رجاله اناساً من هؤلاء ومن غيرهم وسنبحث عن حقيقة ذلك

وسوء سمعة الملك حسين اشتغلت جنبا الى جنب في بث الدعوة لابن السعود في البلاد الاسلامية، ولم يبق له من المعارضين الا النزر القليل من سكان البلاد الاسلامية البعيدة . ولما اخذ عدد الوهابيين يزداد شعر حماة البلاد المجاورة من الاوربيين بالخطر المحدق وخافوا انتشار سطوة ابن السعود ، وخوفاً من ان تسري الدعوة الوهابية الى جوف سورية وفلسطين اتخذت التدابير التي من شأنها منع انتشار الدعوة الوهابية وحظر على الوهابيين دخول هذه الاقطار (١) .

ولا شك أن احد العوامل التي قضت على آمال الهاشميين في البلاد العربية كان احتلال الوهابيين للبلدين الاسلاميين المقدسين وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعدا هذا فان سقوط هذين البلدين في ايدي القوات الوهابية فتح المجال لابن السعود ليسعى في تحسين احوال الحجاج والبت في امر الخلافة ـ فدعا الى مؤتمر اسلامي عام ـ ولفت نظر ابن السعود امور داخلية كثيرة لم يكن ملك الحجاز السابق ليأبه لها، ولم يبق لدى ابن السعود وقت يصرفه للاهتمام بتوسيع منطقته الى ماوراء الصحراء العربية . زد على هذا أن السعي في ترميم ماخربته الحرب النجدية الحجازية منع الوهابيين من الانشغال باشعال نار أية حرب مع جيرانهم .

ان هذا التاريخ هو ماسجله مؤرخو العرب انفسهم عن انفسهم ولم يك أى مجال للايدي الاوربية للتلاعب فيه، وما هو الا تاريخ عدواة بين اشد القبائل العربية تأثيراً. وقصارى القول ان تأثير احدى هذه القبائل انتشر انتشاراً كبيراً ولكن لم تمض مدة زهيدة الا وقد انعكست القضية واخذت ثقة الملايين من المسلمين تضعف وهذا لايستلزم ان لاعلاقة لانكلترا في وضع هذه القبيلة واعلاء شأن الاخرى فهي التي تظاهرت باعلان حيادها احتراما لمعاهداتها مع الطرفين ، وكانت تختلس النظر من وراء حجاب متغاضية عما لايمس حقوقها. وتاركة الامور تأخذ مجراها الطبيعي في البلاد العربية. وسرعان ماأوحت الى الملك حسين أن يغادر البلاد العربية حينما تيقنت أن لاتأثير باقباله في العالم العربي والاسلامي على السواء .

واستناداً على ماتقدم ليست المعاهدات الحديثة بين انكلترا وابن السعود الا صدى صوت لم يك بد من سماعه ، ونتيجة درس تعلمه من له علاقة بالامر في المدرسة الانكليزية الحجازية خلال تسع سنوات مرن. فان انكلترا عاضدت الفئة

«١» ليتأمل القراء هذا وليعلموا سبب استعمال الانكليز عبدالله بن حسين على شرق الاردن

الغالبة ، وهي غير غافلة عن مصالحها . ولا شك أننا سنرى من نتائجها اما صلاح الخطط التي يتبعها الآن ابن السعود أو فسادها . وعما قريب سوف نرى الحد الذي تنتهي اليه اصلاحاته . ولكن ليس هنالك مجال للشك في شرف مقصد ابن السعود وحسن نيته نحو العرب . هذا ان تذكرنا أننا انما نبحث في شأن بلاد بل عالم لم يحلم احد بانه رأي في صفحات تاريخه روح اللاحزبية يظهرها للملأ حكامه.

ولم تعد بعد الآن مسئلة الجزيرة العربية والاماكن المقدسة مسئلة تهم الدول الاوربية فقط، بل أنها اصبحت مسئلة هي مدار البحث الاسلامي اجمع . ولا شك ان انكلترا التي ترفرف رايتها فوق رءوس القسم الاكبر من الذين يعتنقون الديانة الاسلامية هي اول من يهمه هذا الامر كما تظهر لرعاياها من المسلمين اهتمامها بشئونهم ، فهي لا تتخلى بعد اليوم عن الجزيرة العربية أيا كان حكامها . وأما الدول الاوربية الاخرى بما فيها ايتاليا التي لها مصالح كثيرة على الساحل الافريقي المجاور للبلاد العربية -فلديها من القلاقل في مستعمراتها ما يردعها عن أن تجازف بالخوض في البحث في شئون غير بلادها ،أو بطلب الاستيلاء على مستعمرات جديدة

فأمل انكلترا وطيد بأن نفوذها سينتشر يوما ما في كل أنحاء البلاد العربية وذلك لان الدول الاوربية الاخري لا تنازعها هذا ، ولانها تخلق مشاغل لاتباعها من المسلمين فتجعلهم بذلك يغفلون عما تنويه للبلاد العربية التي فيها قبلتهم

جامعة بيروت الاميركية تعريب محمد يونس الحسيني

عن مجلة (foreign affairs)

(المنار) هذه المقالة من أهم ما كتب أحرار الانكليز في المسألة العربية والشؤون الاسلامية تحقيقاً و تمحيصاً للتاريخ، وإنما كتبت لاثارة الرأي العام الانكليزي لا الرأي العام العربي أو الاسلامي ، وإنما العرب والمسلمون في شغل عن الاستفادة بهذه الحقائق بالنظريات الوهمية كنظرية شوكت علي ومحمد علي من ساسة الهند بانشاء جمهورية إسلامية في الحجاز يدير نظامها أفراد ينتخبون من جميع الاقطار الاسلامية

ألا فليعتبر المسلمون الصادقون بما قرره صاحب هذه المقالة من قوة ابن السعود وقومه ووجل المستعمرين والطامعين منها ، فمن عقل هذا علم انه يجب على العالم الاسلامي تأييد هذا الرجل بالمال والرجال ، والألسنة والاقلام ، فان عقد الف مؤتمر وتأليف الف جمعية لا تعطي المسلمين من القوة والاصلاح ما سخره الله تعالى لهذا الرجل واستعمله فيه (وما يتذكر إلا اولوا الألباب)

إثبات شهر رمضان

وبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب

مازلنا منذ بلغنا سن الرشد إلى أن أدركنا سن الشيخوخة نسمع المسلمين يتألمون من الاضطراب والاختلاف الذي يحدث في إثبات أول شهر رمضان لأجل الصيام الواجب ، وإثبات أول شوال لأجل الفطر الواجب في يوم العيد ، وكذا هلال ذي الحجة لأجل وقوف عرفة. وقد سبق لنا الكتابة في هذه المسألة في بعض المجلدات السابقة ، وقد عرض لنا في هذا اليوم (الجمعة ٣٠ شعبان) أن سمعنا قبيل ذرور قرن الشمس دوي المدافع تنفجر من قلعة القاهرة إعلاناً لاثبات شهر رمضان . وكان الحاسبون من الفلكيين قد نشروا في جميع الجرائد تذكيراً بما دون في جميع التقاويم (النتائج) لهذه السنة الهجرية من أن أول رمضان فيها ليلة السبت ٥ مارس (آذار) لأن هلاله يولد في ليلة الجمعة بعد ثلاث ساعات ونصف ساعة ودقيقة واحدة من غروب الشمس فرؤيته مستحيلة قطعاً في ليلة الجمعة وممكنة لكل معتدل البصر في ليلة السبت . وما كان من الممكن إثبات رمضان باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما كدأبهم في حال عدم الرؤية لان يوم الجمعة هو اليوم الثلاثون من شعبان بحسب التقاويم ولم يثبت خلافه بحكم شرعي فكان الناس موقنين بأن أول رمضان يوم السبت ، وإن أعلنت الحكومة أن رجال القضاء يجتمعون ليلة الجمعة في المحكمة الشرعية لأجل سماع شهادة من عساه يشهد أنه رأى الهلال كعادتهم

وقد تساءلنا كيف كان إثبات الشهر فعلمنا أن برقية جاءت من العريش بأن قاضيها الشرعي قد حكم بأن يوم الخميس (أمس) الموافق لليوم الثالث من شهر مارس هو الثلاثون من شهر شعبان . وهذا مبني على أنه قد ثبت عنده أن أول شعبان كان يوم الاربعاء الموافق ٢ فبراير (شباط) وأنه صدر بذلك حكم شرعي ، وهم لا يعتدون برؤية الهلال وإثبات الشهور إلا بصدور حكم شرعي به ، ولأجل ذلك يلفقون دعوى صورية يتوسلون بها إلى هذا الحكم . وهي طريقة مبتدعة ومنتقدة غرضهم منها إزالة الخلاف في إثبات الشهر وصيام

بعض الناس وإفطار بعض في القطر الواحد وفي البلد الواحد أيضاً ، ولكن هذا لم يرفع الخلاف بين الاقطار البعيدة ولا القريبة التي لا تختلف مطالع الهلال فيها

فما زال هذا الاثبات بهذه الطريقة يتخذ في كل محكمة شرعيـة من المحاكم فتختلف أحكامها فيه ويتعذر إبلاغ أسبقها حكماً وأحقها بالتقديم إلى سائر البلاد فلهذا نقرأ في الجرائد كل عام أن أهل الشام صاموا يوم كذا، وأهل مصر يوم كذا، وأهل مكة يوم كذا الخ يتفقون تارة. يختلفون أخرى ولا يرجعون إلى امام واحد يتبعون حكمه

وأهل القطر المصري وملحقاته هم الذين يصومون ويفطرون في يوم واحد بأن محاكمهم تعمل بخبر البرق كما حدث لنا اليوم، وقد تبرم الناس بهذا الاثبات اليوم لأن جميع أهل المعرفة منهم يعتقدون أن هذا اليوم من شعبان ، فان ما أثبته الحاسبون من اليقينيات القطعية وهو أصح وأثبت من تحديدهم لوقت طلوع الفجر من كل يوم الذي نعمل به في صيام كل يوم وصلاة فجره ، والشهادة برؤية الهلال اذا انحصرت في واحد أو اثنين أو ثلاثة لا تفيد إلا الظن لكثرة ما يقع فيها من الاشتباه .وقد وقع لي في بعض السنين وانا في سورية أن رأيت الشمس غربت كاسفة في اليوم التاسع والعشرين من شعبان ثم شهد شاهدان ذوا عدل بعد غروبها بساعة زمانية أنهما رأيا الهلال فحكم القاضي الشرعي باثبات الشهر بالرؤية، ومن المعلوم باليقين أن رؤية الهلال كانت من المحال لأنه غرب مع الشمس، فلا يمكن إن يكون عاد ورأياه ،وأنا أعتقد أن ذينك الشاهدين لم يتعمدا الكذب فهما من أهل التقوى والعلم ،ولكنهما تخيلا الهلال تخيلا ، ولاجل مثـل هذا الاشتباه قال المحققون من الفقهاء في هـذه المسألة ان الشهادة برؤية الهلال في أيام الصحو لا تثبت إلا برؤية جمع كثير ،وينبغي تقييد هذا بما اذا نراءى الهلال كثيرون كما هي العادة وذلك أن العبرة في الرؤية رؤية معتدل البصر لا أمثال زرقاء اليمامة في حدة البصر

وأما إكمال عدة الشهر ثلاثين فهو أضعف من شهادة الآحاد برؤية الهلال لأن الاشهر القمرية (وإن كان بعضها ٢٩ وبعضها ٣٠ كما هو معروف في الحساب ويشير اليه حديث « الشهر هكذا وهكذا » وأشار ﷺ بالعقد إلى عددي ٣٠ و٢٩ وهو في الصحيحين) قد يتتابع شهران منها تامين وشهران ناقصين ، والعمل

باكمال العدة في حال عدم رؤية الهلال ، مقيدة في الحديث بما اذا غم علينا الهلال

والاصل في المسألة حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم — وللبخاري غبي — عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » هذا لفظ البخاري ولم يذكر مسلم والجمهور لفظ شعبان، وقال بعضهم انه تفسير من شيخ البخاري لا مرفوع، وفي رواية لأحمد والنسائي زيادة « وانسكوا لها » وزيادة « فان شهد شاهدان مسلمان فصوموا وافطروا » وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي وغيرهما « فان حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا عدة شعبان ولا تستقبلوا الشهر استقبالا ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان » وهو حديث صحيح وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال « لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فاقدروا له » وروي بلفظ آخر بمعناه . فهذه الاحاديث وما في معناها تقيد العمل باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما بما اذا غم الهلال وغبي على الناس بأن حال دونه سحاب، ولم يكن أمس في السماء قزعة من سحاب ، دع علم أهل العلم بأن الهلال لا يمكن أن يرى ،

وقد اختلف علماء السلف والخلف بما يجب عمله اذا لم ير الهلال فقد روى الامام احمد عن عبدالله بن عمر راوي الحديث الاخير أنه كان اذا مضى من شعبان ٢٩ يوما يبعث من ينظر فان رأى فذاك ، وإن لم ير ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتر أصبح مفطراً ، وإن حال أصبح صائما . وروى عنه الثوري في جامعه أنه قال : لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه . وقال عمار بن ياسر : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ، ذكره البخاري تعليقا ورواه اصحاب السنن ماعدا ابن ماجه وغيرهم موصولا . وهو صريح في تحريم النبي (ص) له فهو مرفوع في المعنى.

وجمهور السلف من علماء الصحابة والتابعين وأئمة الامصار على عدم صيام الثلاثين من شعبان إذا لم ير الهلال مع عدم المانع من رؤيته كالغيم والقتر وقد صرحت به الاحاديث الصحيحة ، وكان بعضهم يصومه احتياطا وهو منهي عنه في الاحاديث المتفق عليها بل المروي بعضها عند الجماعة كلهم كما سيأتي ، فعدم رؤية الهلال في حال الصحو دليل على عدم وجوده وفي هذه الحالة لا نؤمر باكمال

شعبان ٣٠ يوما وانما نؤمر بذلك إذا وجد المانع من الرؤية كالغيم والضباب

وقال الحافظ في شرح حديث «لا تصوموا حتى تروا الهلال» الخ: وهو ظاهر في النهي عن صوم رمضان قبل رؤية الهلال فيدخل فيه صورة الغيم وغيرها. ولو وقع الاقتصار على هذه الجملة لكفى بذلك لمن تمسك به لكن اللفظ الذي رواه أكثر الرواة اوقع للمخالف شبهة وهو قوله «فان غم عليكم فاقدروا له» فاحتمل ان يكون المراد التفرقة بين حكم الصحو والغيم فيكون التعليق على الرؤية متعلقا بالصحو واما الغيم فله حكم آخر ويحتمل عدم التفرقة ويكون الثاني مؤكدا للاول والى الاول ذهب أكثر الحنابلة والى الثاني ذهب الجمهور اه

وقد ذكر المحقق ابن القيم في الهدي النبوي جملة الاحاديث الواردة في رؤية الهلال أو اكمال شعبان اذا حال دون رؤيته سحاب أو قتر، والاحاديث في النهي عن صيام يوم الشك أو آخر يوم من شعبان في غير الحالتين المنصوصتين آنفاً، ثم ذكر اختلاف عمل السلف في هذه الاحوال ومداركهم التي ظاهرها اختلاف النصوص إذ كان بعضهم يصوم آخر يوم من شعبان مع عدم تحقق إحدى الحالتين لأجل الاحتياط ولكن النهي يشمل الاحتياط كما سيأتي ثم قال في آخر البحث:

« فهذه الآثار (أي في ترك الصوم) إن قدر أنها معارضة لتلك الآثار التي رويت عنهم في الصوم — فهذه أولى لموافقتها النصوص المرفوعة لفظا ومعنى، وإن قدر أنها لا تعارض بينها فههنا طريقان من الجمع (أحدهما) حملها على غير صورة الاغمام أو على الاغمام في آخر الشهر كما فعله الموجبون للصوم[1] (والثاني) حمل آثار الصوم عنهم على التحري والاحتياط استحبابا لا وجوبا. وهذه الآثار صريحة في نفي الوجوب. وهذه الطريقة أقرب إلى موافقة النصوص وقواعد الشرع » اه

وقال الحافظ في الكلام على حديث ابن عمر « لا تصوموا حتى تروا الهلال» الخ من الفتح مانصه: قال ابن الجوزي في التحقيق: لاحمد في هذه المسألة — وهي ماإذا حال دون مطلع الهلال غيم أو قتر ليلة الثلاثين من شعبان — ثلاثة أقوال (أحدها) يجب صومه على أنه من رمضان (ثانيها) لا يجوز فرضاً ولا نفلا مطلقاً، بل قضاء وكفارة ونذراً ونفلا يوافق عادة وبه قال الشافعي، وقال مالك

وأبو حنيفة : لايجوز عن رمضان ويجوز عما سوى ذلك (ثالثها) المرجع إلى رأي الامام في الصوم والفطر . اه وذكر بعد ذلك أن عمل راوي الحديث يؤيد الاول وقد تقدم ماذكره عنه وهو لا يؤيد القول الاول مطلقاً بل في حال الاغمام.

والراجح من هذه الاقوال الثاني وأضعفها الاول

وأما الاحاديث في النهي عن صيام آخر يوم من شعبان فأشهرها قوله ﷺ « لايتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صوما فليصم ذلك الصوم » رواه الجماعة من حديث أبي هريرة وفي بعض ألفاظه عند بعضهم : لاتقدموا بين يدي رمضان بصوم — ولا تقدموا صوم رمضان بصوم — ولا تقدموا شهر رمضان بصيام قبله . قال الحافظ في شرحه للحديث من الفتح : قال العلماء معنى الحديث لاتستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان . قال الترمذي لما أخرجه : العمل على هذا عند أهل العلم كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان اه واعتمد الحافظ مما قيل في حكمة هذا النهي قول من قال إن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم .

أقول فعلم مما ذكرنا أن الحكم باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما مقيد بما اذا غم الهلال وحال دون رؤيته مانع ، وفي هذه الحال يقبل في اثبات الرؤية اخبار رجل عدل واحد ، لاحتمال أنه لم يظهر من خلال السحاب الا لحظة رآه فيها دون غيره . وخلاصة القول أن إثبات أول رمضاننا هذا ليس عملا بنص حديث الرؤية وإنما هو عمل بقول تقليدي ، يقابله قول من قال من الفقهاء بالعمل بالحساب واعتبار اختلاف المطالع ، ولنا كلمة فيه

إن حكمة نوط الشارع أوقات العبادة من صلاة وصيام وحج بالرؤية معروفة لاتنكر ، وحسنها لايجحد ، وذلك أن الاسلام دين عام للبشر ، من بدو وحضر ، ليس فيه رياسة دينية تقيد العبادات برجالها ، وتخضع الدهماء لارادتهم (أو هو دين دمقراطي كما يقال في عرف هذا العصر) وناهيك بأنه ظهر أولا في أمة أمية كما ورد في الحديث الصحيح — فمن اليسر والاستقلال الشخصي فيه وعدم الاختلاف

أن تكون أوقات العبادات فيه مما يسهل على كل فرد من أهله أن يعرف طرفيها بنفسه، بدون توقف على شيء من العلوم والفنون التي لا يعرفها الا بعض الناس في المدائن وامصار الحضارة ، او على رياسة رجال يتحكمون في العبادة بأهوائهم

فأول وقت الفجر يعرف برؤية النور المستطير المنتشر من موضع طلوع الشمس من المشرق وبه يدخل الصائم في صيامه ويصلّي الفجر، وينتهي بغروب الشمس الذي تجب به صلاة المغرب وينتهي وقتها بغيبة الشفق الاحمر ، وكذلك أول وقت وقتي الظهر والعصر ، كل ذلك يعرف برؤية البصر وبذلك تكون الامة متفقة متحدة لا تختلف مواقيت عباداتها لله تعالى لا في حال الانفراد ولا في حال الاجتماع. الا مايكون من اختلاف الاقطار باختلاف الرؤية فيها ، فليل اناس نهار عند آخرين وكذلك تختلف مطالع الاهلة

مباحث العمل بالحساب في مواقيت العبادة

قال الحافظ في شرح الحديث المتفق عليه « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا : يعني مرة ٢٩ ومرة ٣٠ » من فتح الباري مانصه : والمراد هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً (اي كالكتابة) الا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك. بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلا . ويوضحه قوله في الحديث الماضي « فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ولم يقل فسلوا أهل الحساب . والحكمة فيه كون العدد عند الاغماء يستوي فيه المكلفون فيرتفع الخلاف والنزاع عنهم اه

ثم ذكر أن الروافض وبعض الفقهاء قالوا بالرجوع إلى أهل التسيير في ذلك ورده بما ورد من النهي عن علم النجوم (قال) « لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب مع أنه لو ارتبط الامر بها لضاق إذ لا يعرفها إلا قليل »

وأقول إن ماذكره من حكمة التشريع صحيح الأصل فالاتفاق مطلوب شرعا ، وكون أوقات العبادة منوطة بما يعرفه كل الناس والحساب الفلكي لا يعرفه إلا قليل منهم — صحيح أيضاً . ولكن المسلمين على زعمهم أنهم يعملون بنصوص هذه

الاحاديث مختلفون غير متفقين فهم في حال الصحو التام الذي يمكن أن يرى الهلال فيه السواد الاعظم من الناس إن كان موجوداً يستهلون أي يتراءون الهلال فرادى وجماعات في مواضع كثيرة من كل بلد فلا يراه أحد ، وبعد انصرافهم يشهد واحد أو اثنان برؤيته فيحكم الحاكم بهذه الشهادة الظاهر خطؤها بعدم رؤية الجماهير، أو يكملون عدة شعبان ثلاثين يوما بعد العلم بعدم وجود الهلال إذ لو كان موجوداً لرآه الجمهور والعبرة برؤية معتدلي البصر لأنه هو الذي يشترك فيه الناس ويرتفع به الخلاف ولا عبرة برؤية حديد البصر وحده لأنه أندر من العالم بالحساب ، فلا يكون مناطاً عاما ولا يمكن معــه اتفاق ، وليس فيــه قطع ولا ظن غالب إلا في حالة الاغمام مع عدالة الشهود وعدم مخالفة شهادتهم للعلم القطعي

وقوله « إن ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصــلا » الخ غلط ظاهر، وماذكر من توضيحه بالأمر باكمال العدة دون الامر بسؤال أهل الحساب غير واضح ، بل خلاف المتبادر من منطوق الحديث وهو أن الامة أمية لاتعرف الحساب (وهذا بيان لما كانت عليه وهو قد بعث لاخراجها منه بنص القرآن) فكيف تؤمر بما لا تعرف ؟ ومفهومه الظاهر أنه لو وجد الحاسبون لصح الرجوع اليهم ،وما احتج به من النهي عن الخوض في علم النجوم لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب — لا يرد على الحساب الذي نعنيه فان علم النجوم الذي ذكره هو استنباط أخبار الغيب من حركاتها وتنقلاتها ومقارنة بعضها لبعض ، وليس منه حساب البروج والمنازل للشمس والقمر الثابتة باليقين القطعي،والمشروع العمل بها في قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) مع قوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فهو صريح في إثبات هذا النوع من الحساب وإفادته للعلم بضبط السنين والشهور ، ولهــذا قال بعض العلماء في حديث « فان غم عليكم فاقدروا له » فاقدروه بحساب المنازل . قال الحافظ قاله العباس بن سريج من الشافعية ، ومطرف بن عبدالله من التابعين ، وقتيبة من المحدثين، نقله الحافظ عنهم وذكر أن ابن عبدالبر لم يعبأ بقولهم (ثم قال) و نقل ابن العربي عن ابن سريج أن قوله (ص) « فاقدروا له » خطاب لمن خصه الله بهذا العلم،

وأن قوله « فأكملوا العدة » خطاب للعامة ، فصار وجوب رمضان عنده مختلف الحال يجب على قوم بحساب الشمس والقمر ، وعلى آخرين بحساب العدد (قال) وهـذا بعيد عن النبلاء أهـ . واقول إنه يمكن حمل اختلاف الحالين على اختلاف الاوقات ، فاذا وجد الحاسبون عمل بقولهم لانه علم يقيني قطعي ، وإن لم يوجدوا أكملت عدة الشهر ثلاثين بشرطه، إذ لايمكن الاتفاق على غيره

ومثل ماذكر من الاستدلال على منع العمل بالحساب بأنه لايفيد علماولا ظناغالبا ماذكره الحافظ عن ابن بطال قال في شرحه للحديث المذكور: في الحديث رفع لمراعاة النجوم بقانون التعديل وانما المعول عليه رؤية الاهلة وقد نهينا عن التكايف ولا ريب ان ما غمض حتى لايدرك الا بالظنون غاية التكلف اه من الفتح وهو رد لا يرد على الحساب الذي نقول به لان هذا لاتكلف فيه ولاغموض، وهو يدرك باليقين لا بالظنون. بل أقول ان حساب التعديل الذى اشار اليه صحيح في نفسه وانما التكلف في حفظ قواعده والنظر في الزيج والاصطرلاب ، وقد استغني عن ذلك في هذا الزمان .

وقد اختلف فقهاء الشافعية في العمل بالحساب على أقوال (١) يجوز ولايجزيء عن الفرض (٢) يجوز ويجزيء (٣) يجوز للحاسب ويجزئه لا للمنجم (٤) يجوز لهما ، ولغيرهما تقليد الحاسب دون المنجم (٥) يجوز لهما ولغيرهما مطلقاً . ذكر هذه الاقوال الحافظ في الفتح وقال بعدها : وقال الصباغ : أما بالحساب فلا يلزمه بلا خلاف بين أصحابنا (قلت) ونقل ابن المنذر قبله الاجماع على ذلك فقال في (الاشراف) صوم يوم الثلاثين من شعبان اذا لم ير الهلال مع الصحو لايجب باجماع الامة ، وقد صح عن أكثر الصحابة والتابعين كراهته . هكذا أطلق ولم يفصل بين حاسب وغيره ، فمن فرق بينهم كان محجوجا بالاجماع قبله اه

وظاهر هذا القول الذي اعتمد عليه الحافظ في الاجماع بل نصّ منطوقه أنه لايجوز إكمال عدة شعبان ثلاثين في حال الصحو مطلقاً ولا يعتد بقول أحد يجيزه كائناً من كان لأنه محجوج بالاجماع قبله ، فاثبات رمضان هذا العام في هذا اليوم (الجمعة) مخالف للاجماع فهو باطل ويجب إبطال هذا النوع من إثباته

وأما الحساب فيظهر أنه لم يكن في عهد السلف الذين أجمعوا على ماذكر قد

وصل إلى الدرجة المعهودة عندنا في هذا العصر من العلم اليقيني ، والصورة التي أجمعوا عليها لايمكن أن تخالف الحساب — أعني أنه لايمكن أن لايرى الهلال في مساء اليوم الذي يثبت الفلكيون الحاسبون إمكان رؤيته فيه عند انتفاء المانع ، فهم يبينون وقت ولادة الهلال أي مفارقته للشمس في آخر الشهر بالساعات والدقائق ، ومنه يعلم إمكان رؤيته لمعتدلي البصر وعدم إمكانها ، فاذا كان من الدقة بحيث لايرى لايثبتون الشهر الشرعي بولادته — واذا كان بحيث يرى قطعاً عند انتفاء المانع من غيم أو قتر يثبتون الشهر — فهمنا يقال إن الشهر قد ثبت برؤية الهلال حقيقة أو حكماً . وذلك أنهم اذا تراءوه رأوه قطعاً ، فلا يكون إثبات وجوب الصيام بقول الفلكيين الحاسبين بل بوجود الهلال ، وأمامهم يبينون للناس متى يرى ، وقد ظهر باختبار السنين صدقهم لكل من يرى تقاويمهم ، ونحن في أشد الحاجة إلى علمهم في حال وجود المانع من رؤية الهلال لانه علم يقيني كرؤية الهلال ، وإكمال عدة الشهر كثيراً ماتكون خطأ كما تقدم بيانه ،وهي تبنى في كل شهر على رؤية هلاله وإلا كانت مسألة حسابية ، وقد تمر في بعض الاقطار التي تكثر فيها الامطار عدة أشهر لايرى فيها هلال فكيف يمكن العمل فيها باكمال عدة الشهر ثلاثين ومن المعلوم حسابا وشرعا أن الشهر يكون تارة ٣٠ وتارة ٢٩ ؟

اذا تمهد هذا فنحن نلخص الكلام في هذا الموضوع في مسائل

(١) أن إثبات أول شهر رمضان وأول شهر شوال هو كاثبات أوقات الصلوات الخمس قد ناطها الشارع كلها بما يسهل العلم به على البدو والحضر لما تقدم من بيان حكمة ذلك .وغرض الشارع من ذلك العلم بهذه الاوقات لاالتعبد برؤية الهلال ولا بتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر أي انفصال كل من الآخر برؤية ضوء الفجر المستطير من جهة المشرق — ولاالتعبد برؤية ظل الزوال وقت الظهر ، وصيرورة ظل الشيء مثله وقت العصر — ولا برؤية غروب الشمس وغيبة الشفق لوقتي العشائين ، نغرض الشارع من مواقيت العبادة معرفتها وما ذكره (ص) من نوط اثبات الشهر برؤية الهلال أو اكمال العدة بشرطه قد علله بكون الامة في عهده كانت أمية ومن

مقاصد بعثته إخراجها من الامية لا إبقاؤها فيها، قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وفي معناه ماذكره من دعوة ابراهيم (ص) بذلك في سورة البقرة ويؤخذ منه ان لعلم الكتابة والحكمة حكما غير حكم الامية

(٢) أن من مقاصد الشارع اتفاق الامة في عبادتها ماأمكن الاتفاق وسيلة ومقصدا ، فاما أن تتفق كلها أو أهل كل قطر منها على العمل بظواهر نصوص الشرع وعمل النبي ﷺ وأصحابه في الصدر الاول في مواقيت الصلاة والصيام والحج من رؤية الفجر والظل والغروب والشفق والهلال عند الامكان ، وبالتقدير أو رؤية العلامات عند عدم الامكان ، وفي هذه الحالة لايجوز لمؤذن الفجر ان يؤذن الا اذا رأى ضوءه معترضا في جهة المشرق وهو يختلف باختلاف الليالى ففي النصف الثاني من الشهر ولاسيما أواخره يرى متأخرا عن الوقت الذى يرى فيه ليالي النصف الاول المظلمة بقدر تأثير نور القمر في جهة المشرق . وقد قال ﷺ في رمضان « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا آذان ابن ام مكتوم » قال بعض رواته وكان رجلا أعمى لايؤذن حتى يقال له : اصبحت اصبحت » رواه الشيخان وغيرهما — وإما أن تعمل بالحساب والمراصد عند ثبوت إفادتها العلم القطعي بهذه المواقيت التي جرى عليها العمل في جميع بلاد الحضارة الاسلامية في الصلاة مع المحافظة على الاستهلال ورؤية الهلال في حال عدم المانع من رؤيته للجمع بين ظاهر النص والمراد منه . ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة عماد الدين فهي أفضل من الصوم وأعم ، وفي غير حالة الصحو وعدم المانع من رؤية الهلال يكون إثبات الشهر باكمال العدة ثلاثين ظنياً أو دون الظني ، ومن قواعد الشريعة المتفق عليها أن العلم مقدم على الظن فلا يعمل بالظن مع إمكان العلم ، فمن أمكنه رؤية الكعبة لايجوز له أن يجتهد في التوجه اليها ويعمل بظنه الذي يؤديه اليه الاجتهاد

(٣) اذا قيل إن إفادة الحساب للعلم القطعي بوجود الهلال وإمكان رؤيته خاص بالفلكي الحاسب وقد اختلف العلماء في العلم به كما ذكرتم ولا يكون علمهم

حجة على غيرهم (قلنا) إن الذين لم يبيحوا العمل بالحساب قد علاوه بأنه ظن وتخمين لا يفيد علماً ولا ظناً كما نقلناه عن شرح البخاري للحافظ ابن حجر آنفا ، والحساب المعروف في عصرنا هذا يفيد العلم القطعي كما تقدم ويمكن لأئمة المسلمين وأمرائهم الذين ثبت ذلك عندهم أن يصدروا حكماً بالعمل به فيصير حجة على الجمهور ؛ وهذا أصح من الحكم باثبات الشهر باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما مع عدم رؤية الهلال ليلة الثلاثين والسماء صحو ليس فيها قتر ولا سحاب يمنع الرؤية ، فان هذا مخالف لنصوص الاحاديث الصحيحة كما تقدم في هذا المقال فهو حكم باطل

(٤) يؤيد هذا الوجه الاخير القول الثالث للامام احمد فيما يجب العمل به اذا غم على الناس رؤية الهلال وهو أن يرجعوا إلى رأي الامام (أي السلطان ولي الامر الشرعي) في الصوم والفطر وقد تقدم مع القولين الآخرين

(٥) اذا تقرر لدى أولي الامر بالعمل بالتقاويم الفلكية في مواقيت شهري الصيام والحج كمواقيت الصلاة وصيام كل يوم من الفجر إلى الليل امتنع التفرق والاختلاف بين المسلمين في كل قطر أو في البلاد التي تتفق مطالعها ، وهذه لا ضرر في الاختلاف فى صيامها كما أنه لا ضرر فى الاختلاف فى صلواتها

وجملة القول أننا بين أمرين: اما ان نعمل بالرؤية في جميع مواقيت العبادات أخذا بظواهر النصوص وحسبانها تعبدية، وحينئذ يجب على كل مؤذن ان لا يؤذن حتى يرى نور الفجر الصادق مستطيرا منتشرا في الافق ، وحتى يرى الزوال والغروب الخ ، وإما أن نعمل بالحساب المقطوع به لانه اقرب الى مقصد الشارع وهو العلم القطعي بالمواقيت وعدم الاختلاف فيها، وحينئذ يمكن وضع تقويم عام تبين فيه الاوقات التي يرى فيها هلال كل شهر في كل قطر عند عدم المانع من الرؤية وتوزع في العالم ، فاذا زادوا عليها استهلال جماعة في كل مكان فان رأوه كان ذلك نوراً على نور ، وأما هذا الاختلاف وترك النصوص فى جميع المواقيت عملا بالحساب ماعدا مسألة الهلال فلا وجه ولا دليل عليه ولم يقل به امام مجتهد بل هو من قبيل (أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) والله أعلم وأحكم

انباء العالم الاسلامي

﴿ الحجاز ونجد ﴾ هما خير الاقطار الاسلامية في هذا العصر أمانا في الانفس والآفاق ، وعدلا في الاحكام ، وطاعة للامام ، وقد شرعت حكومة الحجاز السعودية في رصف الحجارة في المسعى بين الصفا والمروة لمنع الغبار وتسهيل فريضة السعي على الحجاج ، وهو عمل قد فضلت به هذه الحكومة جميع ماقبلها من حكومات الاسلام . وشرعت أيضاً في نشر التعليم فناطت إدارة المعارف العامة بصديقنا الاستاذ الشيخ محمد كامل قصاب الشهير فأنشأ المعهد السعودي العلمي الجامع للتعليم الديني والدنيوي وبعض اللغات الاجنبية : وناط إدارته بصديقنا الأستاذ الشيخ محمد بهجت البيطار فأحسن الاختيار ، وانشأ مدارس جديدة وسنبين تفصيل ذلك في باب التربية والتعليم من جزء آخر ، وإدارة الصحة هنالك مجدة في عملها

وقد انتشر صيت الامام السعودي في بلاد الغرب وزار ثغر جدة بعض الأوربيين والاميركانيين فأثنوا عليه وعلى إدارته وأحكامه الاسلامية ثناء لم يكن يتصوره أحد حتى شبهه كاتب ألماني يراسل كثيراً من صحف بلاده بالبرنس بسمارك أعظم ساسة أوربة في عصره ، مع الشهادة بالقل عن جميع قناصل الدول بصراحته وصدقه ، وأثنى عليه وعلى حكمه الاسلامي المستر كراين سفير الولايات المتحدة في الصين من قبل ، فقال لو رجع النبي محمد (ص) إلى الدنيا لما رأى دينه الذي جاء به من النور والهدى إلا في بلاده (نجد) وقد نشر ثناؤهما في أشهر الجرائد المصرية

﴿ اليمن ﴾ يسوءنا من أخبارها رسوخ اقدام الدولة الايطالية فيها يوما بعد يوم باقدام رجلها الطماح الطماع الضاري باستعمار البلاد العربية السنيور موسوليني الجريء ، وما تلا تدخل هذه الدولة من استعداد الامام يحيى للحرب والكفاح ، ولا مجال للحرب هنالك إلا قتال جيرانه من العرب والمسلمين ، ويقال إن موعد زحف جيوشه على جاره السيد الادريسي شهر شوال الآتي ، أعاذ الله العرب والمسلمين من هذه الفتنة التي أجمعوا على كراهتها ، والخوف من سوء عاقبتها ، ولا نزال

نستبعد على حكمة الامام يحيى إيقاد نارها ، لما نعهد من بصيرته واخلاقه وقد شرحنا ذلك في الجزء الماضي من المنار

﴿ مصر ﴾ يعمل برلمانها عمله بهدوء واتفاق ، وتسير حكومتها سيرها في إدارة البلاد ، مؤيدة بتضامن الاحزاب ، وهي تتمتع فيها باستقلال إداري تام ، ولكنه مقيد بالامتيازات الاجنبية ، والمراقبة البريطانية ، وقد رزئت البلاد بعسرة مالية ، كانت عثرة في سبيل الغلو الفاحش في الاسراف والزينة ، وانتشر وباء الالحاد وفساد الاخلاق وتهتك النساء وفشو المسكرات والمخدرات ، فهو يفتك بالارواح والاجساد ، ويجرف ثروة البلاد ، وقد أبت النيابة محاكمة داعية هذا الالحاد ولوازمه الاباحية الدكتور طه حسين ، وابت وزارة المعارف إخراجه من مدرسة الجامعة ، فبانت الجامعة المصرية الجديدة خطر عظيم على مصر

﴿ العراق ﴾ تسير حكومته كما تحب الدولة البريطانية وترضى في الظاهر ، والشعب مضطرب الباطن ، وأداء فريضة الحج ممنوع إرضاء الملك فيصل وأخيه وتغليباً لأهواء متعصبي الشيعة ، وقد حدثت في بغداد ثورة مدرسية فصحفية أيدها أحرار البلاد بسبب اضطهاد وزير المعارف الشيعي لاستاذ سوري ألف كتابا في التاريخ يفضل به خلافة معاوية على خلافة أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله وجهه ، وذكر رأيه هذا في المدرسة للطلبة فهاجت التلاميذ من الشيعة فعزله الوزير وعزل سائر المدرسين السوريين وأخرجتهم الحكومة من البلاد العراقية ، وعزلت بعض المدرسين البغداديين أيضاً ، وطردت بعض الطلبة المتظاهرين لحرية العلم على الوزارة طرداً ، هكذا بلغتنا الحادثة ولم نر الكتاب المذكور

﴿ سورية ﴾ تنتظر البلاد السورية ماعسى أن يكون من دراسة المندوب السامي الاخير (موسيو بونسو) لأحوالها ، وسماعه لآراء كبرائها وأحزابها ، وزعماء الثورة ينتظرون مع الامة آخر أمل لهم في وحدة البلاد وحريتها واستقلالها ، فلذلك هدأت الثورة ولكن لم تنطفيء جذوتها

﴿ فلسطين ﴾ اسوأ مايسوء من حوادثها تخاذل المسلمين بعد اتحاد كان مثار الاعجاب ، ومضي المستعمرين في عملهم بمنتهى النجاح ، ودخول الصهيونيين لأرضهم

الاسمى من كل باب ، وقيام الامير عبد الله (الحسينعلي) بخدمته لمستعمليه على شرق الاردن بمنتهى الاجتهاد ، فقد قضى على استقلالها ، وجعلها ملحقة بفلسطين في « انتدابها »، واقتطع بالتواطؤ مع أخيه (علي) الذي كان مملكا في جدة قطعة من أثمن أرض الحجاز المقدسة فألصقها بهـا ، ومكن بها الاجانب مقاتلها ، بل مقاتل الحجاز أيضاً وألقى الشقاق بين أعرابهـا وبين جيرانهم من أهـل نجد والحجاز الخ « وكل الصيد في جوف الفرا »

﴿ جاوه ﴾ مسلمو جاوه يسيرون في نشر العـلم والاصلاح في بلادهم سيراً حسناً، ولم تؤثر في بلادهم دعاية الرفض والشقاق شيئا ، ولكن حدث في بلادهم ثورة بلشفية لم تكن منتظرة منهم ، لأن هداية الاسلام أقوى من نزعات التفرنج فيهم ، وقد نكلت حكومتهم الهولندية بكثير من رجال الثورة والمتهمين بهـا ، فنحن ننصح لرجال الدين أن يبينوا للشعب ما بين البلشفية والاسلام من الخلاف والتباين ، وننصح للحكومة الهولندية أن تكف من غلواء دعاة النصرانية في هذه البلاد فانه لاشيء يبغضها إلى المسلمين ويعدهم لقبول الثورات البلشفية وغيرها من الفتن إلا الطعن في دينهم واضطهادهم فيه . وليعلم أحرار هـذه الامة أن نقل شعب مسلم من أفق التوحيد إلى حظيرة التثليث غاية لاتدرك ، وأكبر مافعله دعاة النصرانيـة في البلاد الاسلاميـة تشكيك بعض المسلمين في دينهم وفي كل دين بالاولى ، ومتى ضاع دين المسلم صار قابلا لجميع الآراء والافكار العصرية ، التي هي أشد خطراً على الدول الاستعمارية ... مما حدث في الشرق من اليقظة العامة والجرأة التامة ،

﴿ الهند ﴾ كان مسلمو الهنـد في السنين التي تلت الحرب أحسن حالا مما كانوا قبلها في اتفاقهم مع الوثنيين من أهل وطنهم على الحكومة الانكليزية كما كانوا أحسن حالا في شؤونهم الاسلامية الخاصة بهم ، فساء الحالان كلاهما في هذا العام ، واشتد الشقاق والخصام ، ومما ينتقد على أهل الهنـد في مسألتهم الوطنية إن أكبر مثار للشقاق بين المسلمين والهندوس هو إصرار المسلمين على ذبح البقر على مرأى من الهندوس وأكلها ، ومرور هؤلاء بمعازفهم على مساجد أولئـك

للتهويش عليهم في أثناء صلواتهم ، ولو ترك كل من الفريقين مايسوء الآخر من هذين الأمرين لم يكن آثما في حكم دينه ، والأولى بالاثم من يعمل عملا مباحا في الدين وهو يعلم انه يفضي الى شقاق وقتال تسفك فيه الدماء . إن الله تعالى أحل للمسلمين أكل البقر ولم يفرضه عليهم ، وإن أكثر المسلمين الذين عرفنا بلادهم لا يأكلون لحم البقر ولا يحرمونه

وأما الشقاق بين المسلمين أنفسهم فقد بدأ باثارته غلاة التعصب من الشيعة واستخدموا جمعية خدام الحرمين في (لكهنو) ولكن تأثير هؤلاء بدعاية مملكي مكة الشريف حسين وولده الشريف علي كان ككيد الشيطان ضعيفا ، فنفخ في ناره الزعيمان السياسيان شوكت علي ومحمد علي بتحولهما عن سياستهما السابقة في تأييد ابن السعود الى سياسة الاسراف والافراط في عداوته لأنه لم ينفذ لهما رأيهما في جعل حكومة الحجاز جمهورية بالشكل الذي يقترحانه، وهو مالا يوافقهما عليه العالم الاسلامي وانما يوافقهم عليه الشيعة وبعض المقلدين لهما من عوام الهنود ، وسنبين ذلك بالتفصيل في رحلتنا الحجازية إن شاء الله تعالى

ونقول هنا انه لايوجد شيء أضر على الأمم والشعوب من الخلاف والشقاق. فان فرضنا أن رأي الزعيمين الكبيرين حسن في نفسه ، فان مساوي الوسيلة التي يتوسلان بها إليه تزيد على حسنه أضعافا كثيرة ، وهذه المساوي دينية وسياسية ، من أقبحها تجديد النزاع والتباغض بين أهل السنة والشيعة بعد أن خبت نارهما بسعي العقلاء المصلحين بدعوة حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني ومريديه من الفريقين — ولعلنا أشدهم اجتهاداً في ذلك — ومنها الدعوة الى ترك أداء فريضة الحج مادام ابن سعود مستوليًا على الحجاز ، ومن استحل هذا يرتد عن الاسلام باجماع أهل السنة والشيعة . وقد كان من مفاسد هذا الشقاق سعي بعض الهنود لدى الدولة البريطانية بقتال ابن السعود في حرم الله ورسوله وإخراجها إياه منه . وزعيم هذه الجناية على الاسلام والمسلمين زعيم الشيعة محمد علي راجامحمود آباد — فهل يجهل أجهل مسلم في الدنيا أن خصوم ابن السعود أعدى أعداء الاسلام ؟ ؟

تقريظ المطبوعات: مجلات جديدة

﴿ لغة العرب ﴾ « مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية — بيد الآباء الكرمليين المرسلين . صاحب امتيازها الاب أنستانس ماري الكرملي »

أنشئت هذه المجلة ببغداد سنة ١٣٢٩ الموافقة سنة ١١٩١ وصدر الجزء الاول في منتصف هذه السنة الميلادية وقرظناها في الجزء الثامن من المجلد الرابع عشر واستمرت ثلاث سنين ثم حجبت في سنة ١٩١٤ ميلادية بسبب الحرب العظمى ونكباتها . وقد استؤنف اصدارها في منتصف السنة الماضية (١٩٢٦) وهي تصدر في بغداد كل شهر « وبدل اشتراكها في بغداد ١٢ ربية (هندية) وفي الديار العربية اللسان ١٣ ربيه ، وفي الديار الاجنبية ١٥ربية تدفع كلها سلفاً » فعسى أن تلقى في جميع البلاد العربية وعند أهل العلم والادب العربي في كل قطر ماتستحقه من الرواج ، ويكافيء عناية صاحب امتيازها المدقق بهذه اللغة الجليلة

﴿ الجامعة ﴾ مجلة علمية تاريخية فلسفية أدبية تصدر في بغداد من قبل المدرسة العالية التي أنشئت في ضواحي بغداد باسم (جامعة آل البيت) وفي طرتها أنها مختصة بمحاضرات الاساتذة ومقالات المنتمين إلى الجامعة ، وأنه يقوم بطبعها طلبة الجامعة ، وأنها تصدر في الشهر مرة أو مرتين وأن بدل الاشتراك فيها عن اثني عشر عدداً ١٥ ربية (هندية) وقد صدر العدد الأول منها في ٣٠ شعبان سنة ١٣٤٤ الموافق ١٥ آذار (مارس) سنة ١٩٢٦ وصفحاته ٩٦ من القطع الكامل — وصدر العددالثاني في ٥صفر سنة ١٣٤٥الموافق ١٥ آب (أغسطس) ولم نطلع على غير هذين العددين

جامعة آل البيت هذه أثر للملك فيصل يحفظه له التاريخ فهو الذي اقترحها وينفذ اقتراحه بالتدريج وستتكلم عنها في فرصة أخرى بعد الوقوف على مايجب من شؤونها وفي المجلة جل المباحث العلمية منه وان لنا العودة اليه ان شاء الله تعالى

﴿الوحي﴾ مجلة شهرية تبحث في الادب والدين لمنشئيها محمود عثمان وزاكي عثمان » تصدر في مدينة (حماه) وقيمة اشتراكها في حماه وسورية ٤٠ قرشاذهباً

وفي بقية الاقطار ٣٠ قرشا مصريا ويحسم ربع القيمة لمعلمي المدارس وتلاميذها والجزء منها مؤلف أربع كراريس (ملازم) من القطع الوسط (أي ٣٢ صفحة)

﴿ مرآة المحمدية ﴾ « مجلة اجتماعية أخلاقية تصدر مرة في كل شهر أصدرها مؤلفات الكتب للجمعية المحمدية » في (جكجاكرتا ـ جاوه) باللغة العربية في هذا العام فصدر العدد الاول منها في عاشر ربيع الاول منه . ومحررها السي (محمد علي قدس) ومديرها المالي السي (محمد أسلم بن زين الدين) « وهي ترسل لكل من يطلبها مجانا لأن اشتراكها على أريحية المحسنين » فبارك الله بمحسني الجاويين

وأما الجمعية المحمدية نفسها فقد ألفت منذ بضع عشرة سنة بارشاد داعية الاصلاح الحاج احمد دحلان رحمه الله تعالى ونجحت نجاحا عظيما ، ولها في مركزها العام مكتبة مفتوحة للمطالعين فيها المختارات النافعة من المطبوعات العربية والجاوية . وقد انشأت جماعة النساء المنتسبات الى الجمعية مسجدا خاصا بهن يصلين فيه الصلوات . وللجمعية أيضا فرقة كشافة تتولى تربيتها على الاساليب الحديثة زادها الله نجاحا وتوفيقا

﴿ التمدن الاسلامي ﴾ مجلة تبحث في الدين والأدب وشؤون الاجتماع ، شعارها (أن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أنشأها في طرابلس الشام كل من عبد الحليم بك مراد صاحب الامتياز بها والمدير المسؤول عنها ـ وعبدالله افندي الشامي رئيس تحريرها . وهي تصدر في كل شهر قمري مرتين كل جزء منها عشرون صفحة كبيرة وقيمة الاشتراك فيها مدة سنة كاملة ثلاثون قرشا سوريا ذهبا في سورية وخمسون قرشا في خارجها . وقد رأينا فيما صدر منها مقالات في أهم المسائل الاسلامية التي تهم مسلمي هذا العصر . لعلماء طرابلس وأدبائها، تبشر بأمدادهم إياها وعنايتهم بها ، فنتمنى لها سعة الانتشار والتوفيق

﴿ الكشاف ﴾ مجلة علمية أدبية مصورة « غايتها الاجتماعي عن طريق التربية والتهذيب » يصدرها في بيروت مقر الكشاف العام . مديرها المسئول محمود افندي أحمد عيتاني ، ومدير شؤونها بهاء الدين أفنـدي الطباع . واشتراكها السنوي في البـلاد السورية ٧٥ قرشا ذهبيا وفي الخارج عشرون شلنا (جنيه انكليزي)

والكشافة في سورية ٦٠ قرشا وفي الخارج ١٧ شلنا . وقد صدر الجزء الأول منها في رجب الماضي في ٦٤ صفحة حافلة بالفوائد - والرجاء في ثباتها والانتفاع بها قوي بهمة الكشافة واستعداد الشعب

﴿ الطائف المصرية ﴾ «مجلة علمية أدبية روائية فكاهية تصدر في بيروت مرتين في الشهر - لصاحبها عبد الرحمن افندي عكاوي مديرها المسؤول وعزت افندى الطيان - واشتراكها السنوى ٤٠ قرشاً ذهبا في سورية ولبنان وفي الخارج ٧٥ قرشا أو مايعادلها قروشا سورية مع خصم ١٥ بالمائة لطلبة المدارس ومعلميها»

كان صدر منها بضعة أجزاء ثم حجبت عن قرائها ثم عادت الى الظهور وبين يدينا الآن الجزآن ٨و٩ وينتهيان بالصفحة ٢٨٨٩ وقد صدرا فى جمادى الآخرة من هذا العام

﴿ غابر الأندلس وحاضرها ﴾ تاريخ وجيز للأستاذ محمد كرد علي أفندي رئيس المجمع العلمي في دمشق أودعه خلاصة تاريخية جامعة مفيدة مما طالعه في الكتب العربية والافرنجية في ذلك التاريخ العربي الذهبي في بدايته الناري في نهايته ومما أطلع عليه واستفاده في سياحته. وقد طبع سنة ١٣٤١ بالمطبعة الرحمانية بمصر وثمن النسخة منه خمسة قروش

﴿ مجلة كلية الحقوق ﴾ «للمباحث القانونية والاقتصادية » يصدرها في مصر جماعة من كبار رجال القوانين وطلبة كلية الحقوق ورئيس تحريرها الاستاذ حسني عبده الشنتناوي وقد صدر الجزآن الأولان منها وفي صدورهما مقالان لصديقنا الاستاذ الشيخ أحمد ابراهيم مدرس الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق أفقه فقهاء مصر في هذا العصر فهو من محرري هذه المجلة - وهي تطبع على ورق جيد من القطع الكامل ومن الغريب الشاذ أن الارقام العددية لصحائفها غير متسلسلة في أجزائها بل جعل للجزء الثاني أرقام مستأنفة كأنه كتاب مستقل

﴿ البلاغ الجزائرى ﴾ جريدة علمية إرشادية دفاعية يصدرها في مدينة الجزائر مديرها وصاحب امتيازها السي حدوني محمد بن محيي الدين في ورقة ذات صفحتين ، وهي تنوه بالصوفية وتدافع عن مشايخ الطرق الذين قامت عليهم قيامة أهل هذا العصر من المسلمين . وقيمة اشتراكها في الجزائر ٣٠ فرنكا وفي بقية الاقطار ٣٥ فرنكا



قال عليه الصلاة والسلام إن للإسلام صُوًى « ومنارًا » كمنار الطريق

سلخ رمضان سنة ١٣٤٥هـ ١٢ برج الحمل سنة ١٣٠٦هـ ش ٢ إبريل سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

حكمة تعدد أزواج النبي (ص)

(وهي الفتوى الثالثة الخاصة بنا في هذا المجلد)

نشرنا في الجزء الماضي سؤالا عن حكمة تعدد أزواج النبي ﷺ بامضاء الباحثة الفاضلة (بهيجه ضيا) من طنطا كان أجابها عنه الاستاذ الشيخ محمود غراب وأرسلت الينا جوابه لنبين رأينا فيه ، فنشرناه ووعدنا بالعود إلى ابداء رأينا فيه بعد ماسبق لنا من بيان ذلك في المنار والتفسير فنقول :

إن ماأجاب به الاستاذ المذكور حسن ولكن يتوقف تحقيقه من كل وجه على العلم بتاريخ نزول آية حصر تعدد الازواج في أربع وآية تخيير الرسول ﷺ لأزواجه .

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح إن التخيير كان سنة تسع من الهجرة ، ولم نقف على تاريخ نزول آية سورة النساء في التعدد ، إلا أن المذكور في كتب المصاحف أن سورة الاحزاب المشتملة على آية التخيير قد نزلت قبل سورة النساء ، فاذا كانت سورة الاحزاب نزلت دفعة واحدة لكان التخيير وقع قبل تقييد التعدد بالأربع . وقد ورد أن غيلان بن سلمة الثقفي لما أسلم كان عنده عشر نسوة فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعا ، وكان اسلامه عند فتح الطائف بلده سنة ثمان من الهجرة ، وروي أن قيس بن الحارث أسلم وله ثمان نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعا منهن أيضا ، ولكننا لا نعرف سنة اسلامه ، وكان آخر زواج له ﷺ هو زواج ميمونة في أواخر سنة سبع وذلك بعد نزول سورة النساء فيما يظهر .

وقد اتفق العلماء على خصائصه ﷺ وأن منها عدم التقييد بالاربع وذهب بعضهم إلى نسخ تحريم النساء عليه بعد اختيار أزواجه التسع له ، ولكن هذا ضعيف بالرغم من ترجيح بعض المتأخرين له ، والتحقيق المختار أنها محكمة وأن الله تعالى حرم عليه أن يتزوج على نسائه التسع اللاتي خيرهن فاخترن الله ورسوله

أو أن يستبدل بهن غيرهن بالطلاق كما يباح لغيره . وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والحسن البصري وابن سيرين وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن زيد وابن جرير . قاله في فتح البيان ورجح غيره

ومن أدلة الاول مارواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن شداد (رض) في قوله تعالى (ولا ان تبدل بهن من أزواج) قال ذلك لو طلقهن لم يحل له أن يستبدل ، وقد كان ينكح بعدما نزلت هذه الآية ماشاء (قال) ونزلت وتحته تسع نسوة ثم تزوج بعد أم حبيبة (رض) بنت ابي سفيان وجويرية بنت الحارث أه

وأقول أن هذا غلط والروايه ملفقة فيما يظهر لأن التخيير كان سنة تسع من الهجرة كما تقدم آنفا ، وكان تزوجه بجويرية بنت الحارث سنة خمس وبأم حبيبة سنة ست وقيل سبع وهما من التسع اللاتي خيرهن كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة والحسن (قالا) وكان تحته تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصه وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية . وأما الاربع الباقيات فهي صفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق (قالا أو قال قتادة) وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ فتتابعن كلهن على ذلك، فلما خيرهن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة شكرهن الله على ذلك أن قال (لاتحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فقصره الله عليهن وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله أه وخبر التخيير والبدء بعائشة في الصحاح وذكره البخاري في عدة مواضع

وأما الشق الثاني من سؤال الباحثة الفاضلة (بهيجه ضيا) وهو السبب أو الحكمة في تزوجه ﷺ بغير السيدة زينب بنت جحش المعروف سبب زواجها بالنص وهو مالم يقل فيه الشيخ محمود الغراب شيئا فقد سبق لنا بيانه في المجلد الخامس من المنار ثم في تفسير آية النساء من جزء التفسير الرابع فنعيده مع زيادة في الفائدة فنقول

ان أول امرأة تزوجها ﷺ بعد خديجة هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية ، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار ، وهي من المؤمنات السابقات إلى الايمان المهاجرات الهاجرات لأهليهن خوف الفتنة في دينها ، توفي زوجها وهو ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، ولو رجعت إلى أهلها لعذبوها ليفتنوها عن الاسلام كغيرها فاختار ﷺ كفالتها وتزوج بها في مكة عام الهجرة ، وفي هذا الاختيار تأليف لبني عبد شمس أعدائه وأعداء بني هاشم كلهم من قبله ، وتشريف لبني النجار أخوال عترته الهاشمية وأكرم أنصاره ، وقد هاجر على أثر بنائه بها إلى المدينة . روى عنها ابن عباس وغيره

وفي السنة الثانية من الهجرة تزوج بعائشة بنت أبي بكر الصديق الاكبر وأول من آمن به من الرجال ، وفداه بالنفس والمال ، وصاحبه في الغار ، ورفيقه الوحيد في الهجرة من الدار ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت من أذكى البشر عقلا ، وأزكاهم نفساً ، وهي أكثر أمهات المؤمنين وغيرهن رواية وفقهاً في الدين.

وفي السنة الثالثة وقيل الثانية تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب وزيره الثاني بعد أبي بكر وأعز صحبه ومظهر دينه ، وكان عمر عرضها بعد وفاة زوجها الاول على أبي بكر (رضي الله عنهما) فعلم بذلك النبي ﷺ فاختارها لنفسه ليساوي بين وزيريه في تشريفهما بمصاهرته ، ولم يكن من الممكن أن يكافئهما في هذه الحياة الدنيا بأكبر من هذا الشرف . ويقابل ذلك اكرامه لعثمان وعلي (رضي الله تعالى عنهما) بتزويجهما بناته . وهؤلاء الاربعة أعظم أصحابه في حياته وخلفاؤه في اقامة دينه ونشر دعوته بعد وفاته. روى عن حفصة أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية وكثيرون

وفي السنة الثالثة وقيل الخامسة تزوج زينب بنت جحش الاسدية وهي ابنة عمته أميمة بعد أن زوجها بمولاه (عتيقه) زيد بن حارثة الذي كان تبناه في الجاهلية فلما حرم الله التبني في الاسلام ، وأبطل كل ما كان يتعلق به من أحكام ، ومن أهمها تحريم زوجة الدعيّ على متبنيه كحرمتها على والده — وكان العمل بالغاء

هذه الاحكام شاقا على الانفس لا يسهل على الجمهور إلا إذا بدأ به من يشرف كل كبير وصغير بالاقتداء به فلا يعيره أحد — أمر الله نبيه ﷺ أن يزوج زيداً بزينب هذه لعلمه تعالى بأنهما لا يثبتان على هذه الزوجية لأنها بطبعها ونسبها تترفع عليه وتسيء عشرته — ففعل فاشتد الشقاق بينهما فطلقها فأنزل الله تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية. ولشيخنا مقال طويل في هذه المسألة ولنا مقال وضحناه فيه. وهما منشوران في المجلد الرابع من المنار ومع تفسير سورة الفاتحة الذي طبع مراراً

وفي سنة أربع تزوج بهند أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية وكان أبوها من أجواد العرب المشهورين، وتزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وكان من السابقين الاولين الى الاسلام أسلم بعد عشرة أنفس وهو ابن عمة رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، وكان أول من هاجر إلى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة في أثناء ذلك. ثم عاد إلى مكة ولما أراد الهجرة بها إلى المدينة صدها قومها وانتزعوها منه هي وابنها سلمة، ثم انتزع بنو عبد الاسد آل زوجها ابنها سلمة من آلها بالقوة حتى خلعوا يده، فكانت كل يوم تخرج الى الابطح تبكي حتى شفع فيها شافع من قومها فأعطوها ولدها فرحلت بعيراً ووضعت ابنها في حجرها وهاجرت عليه فكانت أول امرأة هاجرت إلى الحبشة ثم كانت أول ظعينة هاجرت إلى المدينة. وكانت تجل زوجها أيما إجلال حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل، وعزاها النبي ﷺ عنه بقوله «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» فقالت: ومن يكون خيراً من أبي سلمة؟ فلم ير لها صلوات الله تعالى عليه وعلى آله عزاء ولا كافلا لها ولأولادها ترضاه غيره، ولما خطبها لنفسه اعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام وذات غيرة فأجاب ﷺ بأنه أكبر منها سنا وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى وبأن الايتام الى الله ورسوله. فالنسب الشريف والسبق إلى الاسلام والمتانة فيه وعلو الاخلاق وكفالة الايتام لمثل هذا البيت كل منها سبب صحيح لاختيار صاحب الخلق العظيم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق لهذه المرأة الفضلى، على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي

جودة الفكر وصحة الرأي ، وحسبك من الشواهد على هذا استشارة النبي ﷺ لها في أهم ماحزنه وأهمه من أمر المسلمين في مدة البعثة وما أشارت به عليه . ذاك أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد ساءهم صلح الحديبية الذي عقده ﷺ مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين بالشروط المعلومة التي تدل في ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون ولم يكونوا بمغلوبين وانما حبه (ص) للسلم ولاختلاط المسلمين بالمشركين وكان دونه خرط القتاد . كان من أثر هذا الاستياء أنه ﷺ أمرهم بالتحلل من عمرتهم بالحلق أو التقصير والعود إلى المدينة فلم يمتثل أمره أحد فلما استشارها رضي الله عنه في ذلك وقال « هلك الناس » هونت عليه الامر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحلق رأسه ، وجزمت بأنهم لايلبثون أن يقتدوا به ، وكذلك كان وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهي تلي عائشة في كثرة الرواية

وفي سنة خمس تزوج برة بنت الحارث سيد بني المصطلق وسماها جويرية وكان أبوها هو وقومه قد ساعدوا المشركين على المؤمنين في غزوة أحد سنة أربع ثم بلغ النبي ﷺ أنه يجمع الجموع لقتاله فخرج له فالتقى الجمعان في المريسيع وهو ماء لخزاعة فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة منهم وكانت برة بنت سيدهم في الاسرى فكاتب عليها من وقعت في سهمه فجاءت النبي ﷺ فتعرفت اليه بأنها بنت سيد قومها وذكرت بلاياها واستعانته على كتابتها لتحرير نفسها فقال « أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » قالت نعم ففعل ، فقال المسلمون أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا جميع الاسرى والسبايا فأسلموا كلهم فكانت أعظم امرأة بركة على قومها ، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها . وروي أن أباها جاء النبي ﷺ فقال ان بنتي لايسبى مثلها فخل سبيلها ، فأمره ﷺ أن يخيرها فسر بذلك فخيرها فاختارت الله ورسوله . وكانت من أعبد أمهات المؤمنين وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد بن السباق وابن أختها الطفيل وغيرهم

وفي سنة ست تزوج صفية بنت حيي بن أخطب الاسرائيلية من ذرية نبي الله هارون أخي موسى عليهما السلام ، كانت من بني النضير ، وأسرت بعد قتل زوجها

في غزوة خيبر فأخذها دحية في سهمه فقال أهل الرأي من الصحابة يارسول الله انها سيدة بني قريظة والنضير لاتصلح إلا لك فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراه دونها فاصطفاها وأعتقها وتزوجها، كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل سببه ببني اسرائيل لعله يخفف مما كان من عدواتهم له. وكان بلال قد مر بها وبابنة عم لها على قتلى اليهود فصكت ابنة عمها وجهها وحثت عليه التراب وهي تصيح وتبكي. فقال النبي ﷺ «أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما؟» رواه ابن اسحاق وفي حديث الترمذي ان صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله منها. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «ألا قلت وكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟» روى عنها ابن أخيها ومو ليان لها وعلي بن الحسين بن علي وغيرهم

وفي سنة ست أو سبع تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموي أشد أعدائه تأليبا عليه وحربا له ﷺ وكانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر زوجها هنالك وفارقها فأرسل النبي ﷺ الى النجاشي يخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة ولما عادت الى المدينة بنى بها ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال: هو الفحل لايقدح انفه. فهو لم ينكر كفاءته ﷺ بل افتخر به ولكنه مازال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه (ص) له ان قال يوم الفتح «من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» روى عنها ابنتها وأخواها وابن أخيها وابن أختها ومولياها وآخرون

وفي أواخر سنة سبع تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان اسمها برة فسماها ميمونة وكان ذلك في إبان عمرة القضاء وهي آخر أزواجه أمهات المؤمنين زواجا وموتا كما في بعض الروايات. وقد قالت فيها عائشة: أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم. ولم أقف على سبب ولا حكمة لتزوجه بها ولكن ورد أن عمه العباس رغبه فيها وهي أخت زوجه لبابة الكبرى أم الفضل وهو الذي عقد له عليها باذنها. روى عنها أبناء أخواتها ومواليها وآخرون أجلهم ابن عباس هذا واني قلت في أواخر الفتوى الاولى (سنة ١٣٢٠) مانصه: وجملة الحكمة في الجواب

انه ﷺ راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع والتأديب لجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن ، والعدل بينهن ، وقرر الاحكام بذلك ، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام ما يليق بهن مما ينبغي ان يتعلمنه من النساء دون الرجال ، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الامة غناء التسع . ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج مايريده الملوك والامراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الابكار على اولئك الثيبات المكتهلات (منهن) كما قال لمن اختار ثيباً « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » وفي رواية زيادة « وتضاحكها وتضاحكك » وهو من حديث جابر في الصحيحين اه وأذكر القارىء بأن تعدد الزوجات في ذلك العصر كان من الضروريات لكثرة القتلى من الرجال وحاجة نسائهم الى من يكفلهن لان أكثر أهلهن من المشركين

﴿ مال الزكاة لاعانة المدارس الخيرية الاسلامية ﴾

(س٤) من صاحب الامضاء في بلدة (الشيخ سعيد ــ عدن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ماتقول السادة العلماء أئمة الدين المقتدى بهم رضي الله عنهم فيمن دفع شيئاً من زكاة ماله المفروضة لاعانة مدرسة خيرية تعلم أولاد الفقراء العاجزين عن أجرة تعليم القرآن والكتابة والنحو والصرف والحساب والفقه وغيره من العلوم الشرعية هل تجزيء الدافع وتسقط عنه الفرضية لمشروعنا المذكور أم لا ؟ أفيدونا زادكم الله علماً وهدى

السائل عبدالله بن عمر مدحج

ناظر الادارة الخيرية والمدرسة الاسلامية في بلدة الشيخ عثمان من ملحقات عدن

(ج) الجمهور على أن الانفاق على المدارس ليس مصارف الزكاة الثمانية وهنالك قول بأن قوله تعالى (في سبيل الله) عام يشمل مايرضي الله تعالى من أعمال البر ويدخل فيه التعليم المشروع واختاره شيخنا الاستاذ الامام . ومن يقلد الجمهور يمكنه أن يعطي مايريد إنفاقه على تعليم أولاد فقراء المسلمين لاوليائهم إن كانوا قاصرين لينفقوه على تعليمهم ولهم أنفسهم إن كانوا راشدين والله أعلم وأحكم

(سماع الغناء والتلاوة من آلة الفونغراف)

(س٥) من صاحب الامضاء في دنقلا (السودان)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة ، الاستاذ الجليل ، العلامة السيد محمد رشيد رضا، حفظه سرمدا ، وجعله مناراً للانام ومرشداً ، وبعد أريد أن أوجه لفضيلتكم سؤالا لارشادنا بالاجابة عنه للوقوف على الحقيقة وهاهو السؤال ونرجو نشره في مجلتكم المنار الغراء

ماقولكم دام فضلكم في الغناء بالآلة المسماة بالفونوغراف ، هل هو محرم أو مكروه؟ وان كان فانوع الكراهة وما حكم قراءة القرآن به؟ هل يترتب عليها مايترتب على القارئ من نحو سجود التلاوة أو الموانع التى تترتب على منع القارئ من القراءة — وهل يجوز استعماله ان كان لا يمنع صاحبه من أداء الفرائض في أوقاتها كالصلاة ونحوها — مع حفظ مجلسه من استعمال المحرمات فيه كالخمر وما شاكله ، وانما يقصد مسمعه منه ترويح النفس من عناء الاعمال ، وإدخال السرور على المستمعين له من الاصدقاء والاحباب والاهل والعشيرة ، أفيدونا الجواب ، ولكم الاجر والثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم في حفظه تعالى

للمخلص «محمود حسين الحكم طالب علم بدنقلا »

(ج) سبق لنا فتوى في سماع القرآن من الفونغراف وما يتعلق من الاحكام نشرت في (ج٦:م١٠ من المنار سنة ١٣٢٥) ذكرت فيها ان بعض أصحاب العمائم تجرأ على القول باباحته مطلقا ، وان شيخنا الاستاذ الامام كان يتأثم من ذلك مطلقا ، وان الاقرب أن يكون ذلك تابعاً لقصد المستعمل للآلة فاذا قصد بذلك الاتعاظ والاعتبار بسماع القرآن فلا وجه لحظره ، وإذا قصد به التلهي وهو ماعليه الجماهير فى كل مايسمعونه من الفونغراف فلا وجه لاستباحته، وأخشى أن يدخل صاحبه في عداد الذين اتخذوا دينهم هزواولعبا، وذكرت بعض الآيات في هذا المعنى ، وأنه يترتب على ماذكر كل مايتعلق به من وجوب احترام الالواح التي تنقش فيها آيات القرآن وسجود التلاوة وغير ذلك . هذا وانني لا تطيب نفسي لاستعمال الفونغراف في تلاوة القرآن ، ولكن تحريمه على من يمكن أن يتعظ به ويستفيد ليس بالامر السهل .

وأما سماع الغناء والشعر من هذه الآلة فحكمه حكم السماع من مغن ليس في غنائه فتنة ولا تحريض على معصية ولا شغل عن واجب وهو في هذه الحال التي تسألون عنها مباح . ومن العلماء من شدد في السماع ولا سيما للمعازف تشديداً عظيما وقد محصنا المسألة في المجلد التاسع من المنار بذكر أدلة الحظر والاباحة كلها وترجيح الحق فيها .وهو الاباحة

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

فصل

الخلاف في السفر الشرعي وحكمه

السفر في كتاب الله وسنة رسوله في القصر والفطر مطلق ثم قد تنازع الناس في جنس السفر وقدره أما جنسه فاختلفوا في نوعين (أحدهما) حكمه فمنهم من قال لا تقصر الا في حج أو عمرة أو غزو وهذا قول داود وأصحابه الا ابن حزم ، قال ابن حزم وهو قول جماعة من السلف كما روينا من طريق ابن أبي عدي حدثنا جرير عن الاعمش عن عمارة ابن عمير عن الاسود عن ابن مسعود قال لا يقصر الصلاة الا حاج أو مجاهد. وعن طاوس أنه كان يسأل عن قصر الصلاة فيقول إذا خرجنا حجاجا أو عمارا صلينا ركعتين وعن ابراهيم التيمي أنه كان لا يرى القصر الا في حج أو عمرة أو جهاد ، وحجة هؤلاء أنه ليس معنا نص يوجب عموم القصر للمسافر فان القرآن ليس فيه الا قصر المسافر إذا خاف أن يفتنه الذين كفروا وهذا سفر الجهاد وأما السنة فان النبي ﷺ قصر في حجه وعمرته وغزواته فثبت جواز هذا والاصل في الصلاة الاتمام فلا تسقط الاحيث أسقطتها السنة

ومنهم من قال لا يقصر الا في سفر يكون طاعة فلا يقصر في مباح كسفر التجارة وهذا يذكر رواية عن أحمد ، والجمهور يجوزون القصر في السفر الذي يجوز فيه الفطر وهو الصواب لان النبي ﷺ قال «ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة » رواه عنه انس بن مالك الكعبي وقد رواه احمد وغيره باسناد جيد. وأيضا فقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن يعلى بن أمية انه قال لعمر بن الخطاب (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» وهذا يبين ان سفر الامن يجوز فيه قصر العدد وان كان ذلك صدقة من الله علينا أمرنا بقبولها

وقد قال طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ان شئنا قبلناها وان شئنا لم نقبلها فان قبول الصدقة لا يجب، ليدفعوا بذلك الامر بالركعتين وهذا غلط فان النبي ﷺ أمرنا أن نقبل صدقة الله علينا والامر للايجاب وكل احسانه الينا صدقة علينا فان لم نقبل ذلك هلكنا وأيضا فقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افترى ، كما قال صلاة الجمعة ركعتان وصلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان ، وهذا نقل عن النبي ﷺ أنه سن للمسلمين الصلاة في جنس السفر ركعتين كما سن الجمعة والعيدين ولم يخص ذلك بسفر نسك أو جهاد وأيضا فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أنها قالت فرضت الصلاة ركعتين فزيد في صلاة

الحضر وأقرت صلاة السفر وهـذا يبين أن المسافر لم يؤمر بأربع قط وحينئذ فما أوجب الله على المسافر أن يصلى أربعا وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله لفظ يدل على أن المسافر فرض عليه أربع؛وحينئذ فمن أوجب على مسافر أربعا فقد أوجب مالم يوجبه الله ورسوله .

فان قيل قوله وضع يقتضي أنه كان واجبا قبل هذا كما قال أنه وضع عنه الصوم ومعلوم أنه لم يجب على المسافر صوم رمضان قط لكن لما انعقد سبب الوجوب فأخرج المسافر من ذلك سمي وضعا ولانه كان واجبا في المقام فلما سافر وضع بالسفر كما يقال من أسلم وضعت عنه الجزية مع أنها لاتجب على مسلم بحال ، وأيضا فقد قال صفوان بن محرز قلت لابن عمر حدثني عن صلاة السفر ، قال اتخشى أن يكذب علي قلت لا ؟ قال ركعتان من خالف السنة كفر،وهذا معروف رواه أبو التياح عن مورق العجل عنه وهو مشهور في كتب الآثار.وفي لفظ صلاة السفر ركعتان ومن خالف السنة كفر وبعضهم رفعه إلى النبي ﷺ ، فبين ان صلاة السفر ركعتان وان ذلك من السنة التي من خالفها فاعتقد خلافها فقد كفر. وهذه الادلة دليل على أن من قال انه لا يقصر الا في سفر واجب فقوله ضعيف

ومنهم من قال لا يقصر في السفر المكروه ولا المحرم ويقصر في المباح وهذا أيضا رواية عن أحمد وهل يقصر في سفر النزهة فيه ؟ عن أحمد روايتان : وأما السفر المحرم فمذهب الثلاثة مالك والشافعي واحمد لا يقصر فيه وأما أبو حنيفة وطوائف من السلف والخلف فقالوا يقصر في جنس الاسفار وهو قول ابن حزم وغيره ، وابو حنيفة وابن حزم وغيرهما يوجبون القصر في كل سفر وان كان محرما كما يوجب الجميع

التيمم إذا عدم الماء في السفر المحرم ؛ وابن عقيل رجح في بعض المواضع القصر والفطر في السفر المحرم

والحجة مع من جعل القصر والفطر مشروعا في جنس السفر ولم يخص سفراً من سفر وهذا القول هو الصحيح فان الكتاب والسنة قد أطلقا السفر قال تعالى (فمن كان مريضا أو على سفر فعدة أيام أخر) كما قال في آية التيمم (وان كنتم مرضى أو على سفر) الآية وكما تقدمت النصوص الدالة على أن المسافر يصلي ركعتين ، ولم ينقل قط أحد عن النبي ﷺ أنه خص سفرا من سفر مع علمه بان السفر يكون حراما ومباحا ولو كان هذا مما يختص بنوع من السفر لكان بيان هذا من الواجبات ولو بين ذلك لنقلته الامة وما علمت عن الصحابة في ذلك شيئا. وقد علق الله ورسوله أحكاما بالسفر كقوله تعالى في التيمم (وان كنتم مرضى أو على سفر) وقوله في الصوم (فمن كان مريضا أو على سفر) وقوله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقول النبي ﷺ «يمسح المسافر ثلاثة أيام ولياليهن» وقوله «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع زوج أو ذي محرم» وقوله «ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة» ولم يذكر قط في شيء من نصوص الكتاب والسنة تقييد السفر بنوع دون نوع ، فكيف يجوز أن يكون الحكم معلقا باحد نوعي السفر ولا يبين الله ورسوله ذلك ؟ بل يكون بيان الله ورسوله متناولا للنوعين ، وهكذا في تقسيم السفر إلى طويل وقصير وتقسيم الطلاق بعد الدخول إلي بائن ورجعي ، وتقسيم الايمان إلى يمين مكفرة

وغير مكفرة وأمثال ذلك مما علق الله ورسوله الحكم فيه بالجنس المشترك العام لجعله بعض الناس نوعين نوعا يتعلق به ذلك الحكم ونوعا لا يتعلق من غير دلالة على ذلك من كتاب ولا سنة لا نصاً ولا استنباطاً

والذين قالوا لا يثبت ذلك في السفر المحرم عمدتهم قوله تعالى في الميتة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقد ذهب طائفة من المفسرين إلى أن الباغي هو الباغي على الامام الذي يجوز قتاله والعادي هو العادي على المسلمين وهم المحاربون قطاع الطريق ، قالوا فاذا ثبت أن الميتة لا تحل لهم فسائر الرخص أولى ، وقالوا إذا اضطر العاصي بسفره أمرناه أن يتوب ويأكل ولا نبيح له اتلاف نفسه ، وهذا القول معروف عن أصحاب الشافعي وأحمد ، وأما أحمد ومالك فجوزا له أكل الميتة دون القصر والفطر ، قالوا ولان السفر المحرم معصية والرخص للمسافر إعانة على ذلك فلا تجوز الاعانة على المعصية

وهذه حجج ضعيفة أما الآية فأكثر المفسرين قالوا المراد بالباغي الذي يبغي المحرم من الطعام مع قدرته على الحلال والعادي الذي يتعدى القدر الذي يحتاج اليه ، وهذا التفسير هو الصواب دون الأول ، لأن الله أنزل هذا في السور المكية الانعام والنحل وفي المدنية ، ليبين مايحل وما يحرم من الأكل والضرورة لاتختص بسفر ، ولو كانت في سفر فليس السفر المحرم مختصا بقطع الطريق ، والخروج على الامام ، ولم يكن على عهد النبي ﷺ امام يخرج عليه ولا من شرط الخارج أن يكون مسافراً والبغاة الذين أمر الله بقتالهم في القرآن لايشترط فيهم أن يكونوا مسافرين ، ولا كان الذين نزلت الآية فيهم أولا مسافرين بل كانوا من أهل العوالي

مقيمين واقتتلوا بالنعال والجريد فكيف يجوز أن يفسر الآية بما لا تختص بالسفر وليس فيها كل سفر محرم فالمذكور في الآية لو كان كما قيل لم يكن مطابقا للسفر المحرم فانه قد يكون بلا سفر وقد يكون السفر المحرم بدونه ، وأيضا فقوله (غير باغ) حال من (اضطر) فيجب أن يكون حال اضطراره وأكله الذي يأكل فيه غير باغ ولا عاد فانه قال (فلا اثم عليه) ومعلوم أن الاثم انما ينفى عن الأكل الذي هو الفعل لا عن نفس الحاجة اليه فمعنى الآية فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد ، وهذا يبين أن المقصود أنه لا يبغي في أكله ولا يتعدى ، والله تعالى يقرن بين البغي والعدوان فالبغي ماجنسه ظلم والعدوان مجاوزة القدر المباح كما قرن بين الاثم والعدوان في قوله (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) فالاثم جنس الشر والعدوان مجاوزة القدر المباح، فالبغي من جنس الاثم ، قال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه) فالاثم جنس لظلم الورثة إذا كان مع العمد، وأما الجنف فهو الجنف عليهم بعمد وبغير عمد لكن قال كثير من المفسرين الجنف الخطأ والاثم العمد لانه لما خص الاثم بالذكر وهو العمد بقي الداخل في الجنف الخطأ ، ولفظ العدوان من باب تعدي الحدود كما قال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) ونحو ذلك ، ومما يشبه هذا قوله (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا) والاسراف مجاوزة الحد في المباح ، وأما الذنوب فما كان جنسه شر وإثم وأما قولهم ان هذا اعانة على المعصية فغلط لان المسافر مأمور بأن يصلي

ركعتين كما هو مأمور أن يصلي بالتيمم وإذا عدم الماء في السفر المحرم كان عليه أن يتيمم ويصلي وما زاد على الركعتين ليست طاعة ولا مأمورا بها أحد من المسافرين وإذا فعلها المسافر كان قد فعل منهيا عنه فصار صلاة الركعتين مثل أن يصلي المسافر الجمعة خلف مستوطن فهل يصليها الا ركعتين وان كان عاصيا بسفره وان كان إذا صلى وحده صلى أربعا؟ وكذلك صومه في السفر ليس براً ولا مأمورا به فان النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال «ليس من البر الصيام في السفر» وصومه اذا كان مقيما أحب الى الله من صيامه في سفر محرم ولو أراد أن يتطوع على الراحلة في السفر المحرم لم يمنع من ذلك، واذا اشتبهت عليه القبلة أما كان يتحرى ويصلي؟ ولو أخذت ثيابه أما كان يصلي عريانا؟ فان قيل هذا لا يمكنه الا هذا قيل والمسافر لم يؤمر الا بركعتين والمشروع في حقه أن لا يصوم، وقد اختلف الناس لو صام هل يسقط الفرض عنه؟ واتفقوا على أنه اذا صام بعد رمضان أجزأه، وهذه المسئلة ليس فيها احتياط، فان طائفة يقولون من صلى أربعا أو صام رمضان في السفر المحرم لم يجزئه ذلك كما لو فعل ذلك في السفر المباح عندهم

وطائفة يقولون لا يجزيه الا صلاة أربع وصوم رمضان، وكذلك أكل الميتة واجب على المضطر سواء كان في السفر أو الحضر وسواء كانت ضرورية بسبب مباح أو محرم فلو ألقى ماله في البحر واضطر الى أكل الميتة كان عليه أن يأكلها، ولو سافر سفرا محرما فأتعبه حتى عجز عن القيام صلى قاعدا، ولو قاتل قتالا محرما حتى أعجزته الجراح عن القيام صلى قاعدا، فان قيل فلو قاتل قتالا محرما هل يصلي صلاة الخوف؟

قيل يجب عليه أن يصلي ولا يقاتل فان كان لا يدع القتال المحرم فلا نبيح له ترك الصلاة بل اذا صلى صلاة خائف كان خيرا من ترك الصلاة بالكلية، ثم هل يعيد ؟ هذا فيه نزاع، ثم ان أمكن فعلها بدون هذه الافعال المبطلة في الوقت وجب ذلك عليه لانه مأمور بها، وأما ان خرج الوقت ولم يفعل ذلك، ففي صحتها وقبولها بعد ذلك نزاع . (للكلام بقية)

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقا(*)

(٢)

ولكن هذا العمل من الجهة التي اشتمل عليها لايمنع من ملاحظتنا على بعض جمل من ملاخظة لاتمس جوهر الموضوع الذي خرج لماعا لمعان الشمس برزت تختال بعد احتجابها أياما فوق سحب كثيفة انهملت أمطارا وسيولا أنطقت شاعر البداوة أن يقول

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا

جاء في صفحة ١٣ نقلا عن ابن خلدون « واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة الخ » نقول ونحن لانشك ولا نرتاب أبداً في نزاهة الصحابة وحسن نيتهم وسلامة طويتهم كما هومعلوم من ضروريات الدين كما نعلم وجوب محبتهم على المسلمين لقوله ﷺ « فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم »

(*) لصاحب الامضاء الرمزي

ولكن لا بأس أن يلاحظ المسلم الباحث الغيور أنهم رضي الله عنهم كانوا مخطئين في السكوت كما أخطأ سيدنا عثمان في استسلامه للثوار وكف جماعة من الصحابة عن نصرته والدفاع عنه ، لأن حق الخلافة وفائدتها غير مقصورة على الخليفة وحده ، بل الدفاع عنه ونصرته وحفظه حفظ الاسلام والمسلمين (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)

وقد فسدت أمور المسلمين فعلا باستسلامه وعدم الدفاع عنه ونشأت عن ذلك فتن لا تزال آثارها ماثلة للعيان فكان مقتضى الشريعة أن يقوم رضي الله عنه لحماية الخلافة التي هي حماية الاسلام والمسلمين ويقابل الثوار ويستنصر عليهم بكل ما يمكن إن كانوا محاربين كما هو الواقع الذي أيدته الاخبار الصحيحة ، أو يعتزل الخلافة إن كانت معهم شبهة حق أو عجز عن حماية بيضة الاسلام فهو راع الأمة يجب أن ينظر لها بما فيه صلاحها ، فقد أخرج البخاري في كتاب الاحكام من صحيحه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته » الحديث

فأنت ترى استسلامه رضي الله عنه كيف جرَّ على المسلمين رزايا متسلسلة إلى الآن لا زلنا نرزح من شدة ثقلها

وقد دافع الامام أبو بكر بن العربي المعافري في كتابه العواصم والقواصم عن استسلام سيدنا عثمان دفاعاً مجيداً بقلمه السيال وبلاغته النادرة مستنداً في دفاعه هو وغيره على ما جاء في الحديث الصحيح في البخاري وغيره بأن النبي ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وهي الشهادة الخ ونقول أنه ﷺ لم يأمره بالاستسلام بل غاية الأمر أنه بشره بالشهادة ولو دافع عن نفسه وقاتل الثوار المحاربين واستشهد في قتالهم لحصلت النتيجة لأنها غير متوقفة على الاستسلام فهو رضي الله عنه وأجزل مثوبته مجتهد « مخطىء » في استسلامه

وأما سكوت الصحابة رضي الله عنهم فهم مخطئون فيه أيضاً لأن الله جلت عظمته بين لنا ما نفعل في مثل هذه الازمة في قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين

اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ثم أكد ذلك بقوله (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وفي صحيح مسلم عن عرفجة عنه عليه الصلاة والسلام قال « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه »

فكان الواجب كما هو صريح الآية والحديث أن يدافعوا عنه بقوة السيف أو بحكمة السياسة والموعظة الحسنة ، ولا يساعدوه في الاستسلام لأن الدفاع عنه كما قلنا دفاع عن الاسلام والمسلمين ، فظهر بذلك أنهم مخطئون في سكوتهم والله أعلم بغيبه

واننا نحمد الله على أن المسلمين ابتدأوا يفهمون سر هذه الآية ويعملون بها ، فمن ذلك ما حصل من اجتماع قادة الاحزاب المؤتلفة في مصر السعديون والوطنيون والدستوريون فلو لم يوفقوا لذلك الاتفاق المحبوب ويسقطوا الاتحاديين أو الاحتلاليين لكانت حركة مصر الناهضة ذاهبة إلى الشلل والانحلال أدام الله وفاقهم وتوفيقهم . ومن ذلك ما قيل ولا نظنه إلا صادقاً من اتفاق السلطان عبدالعزيز بن السعود والامام يحيى صاحب اليمن فقد انشرحت الصدور لهذا الاتفاق المتين الذي سيكون بمثابة سياج لجزيرة العرب حقق الله الآمال . ومن ذلك ماشاع من تأسيس عصبة أسيوية في بلاد آسيا تضاهي عصبة الامم الغربية في جنيف لربط أواصر الشرقيين واحياء الحضارة الاسيوية من الوجهتين العقلية والمادية الخ .

وفي صفحة ١٥ نقلا عن ابن خلدون أيضاً « وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك ونسيان عوائده حذراً من التباسها بالباطل ، فلما استحضر رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر على الصلاة إذ هي أهم أمور الدين ، وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكافة على أحكام الشريعة ، ولم يجر للملك ذكر الخ »

(نقول) ان قوله ولم يجر للملك ذكر الخ إن كان المراد به الملك الطبيعي الذي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة فقد كان يذكره دائما بالذم والتنفير منه . ومحاربته للملك الطبيعي المبني على القسوة معروفة في غير ما حديث ، ومن ذلك مكاتبته لقيصر وكسرى وغيرهما يدعوهم (إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد

إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) الخ ، وإن كان المراد به الملك السياسي المندرج في الخلافة فقد جرى ذكره في أحاديث كثيرة لو امتثل المسلمون ماجاء فيها لما أصيبوا بشيء مما أصيبوا به ، فقد أخرج البخاري في باب الامراء من قريش عن معاوية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الامر (أمر الخلافة) في قريش لايعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وأخرج في باب الاستخلاف عن عائشة عن النبي ﷺ قال من حديث جاء في آخره « لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون » قال القسطلاني قوله فأعهد أو أوصي بالخلافة لأبي بكر كراهة أن يقول القائلون الخلافة لفلان أو لفلان ، أو يتمنى المتمنون الخلافة، فأعينه قطعا للنزاع. وقد أراد الله أن لا يعهد ليؤجر المسلمون على الاجتهاد

وجاءت أحاديث كثيرة في هذا الباب فأنت تراه كما اعتنى بالخلافة جداً واهتم بها في حال صحته وفي مرضه وأوصى بالخليفة ممن يكون، وأوجب طاعته وشرط فيها وفي ولايته إقامة الدين وهو قوله « ما أقاموا الدين » أوصى بذلك وكرر الوصاية بالخلافة في مناسبات كثيرة ، وفي أحاديث شهيرة ، بلغت بمجموعها حد التواتر

(من مراكش) (مسلم غيور)

(المنار) الظاهر ان عثمان (رض) كان يحسن الظن بالذين ثاروا عليه كما أحسن الظن بعترته من بني معيط المفتونين بحب الرياسة والملك ، ولذلك كان يرى ان اقناع الثائرين بما يجب اتباعه ممكن ، وكان جمهور الصحابة مخالفين له في ظنه ورأيه فوقعوا في الحيرة : لايمكنهم القتال بدون أمره لما فيه من سن الخروج والافتيات على ولي الامر وهي أم المفاسد ، ولا يسهل عليهم خلعه اجابة لمطالب الثوار لأنهم مفسدون ، ولان بني أمية يقاتلون دونه ، كما فعلوا في القتال بعده ان هو دونه . ومافعله المصريون ألجأتهم اليه الضرورة ، وليس من العمل بالآية . وأما الامامان يحيى وعبد العزيز فيحبان الاتفاق دينا وسياسة ، ولكن المفسدين من الاجانب والروافض ومفسدي الهنود يغرون الاول بقتال الثاني وعسى الله ان يسلمه من وسواسهم وخناسهم

محاضرة مستر كراين (*)

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

لأسباب عديدة قمت في هذا الشتاء برحلة في البحر الاحمر وقد سبق لي أن زرت قبل هذه المرة (جدة) وأعجبت كثيراً بمناظر البحر ، واني طفت معظم بحار العالم فلم أر له مثيلا بينها ، فبينما ترى فيه الزرقة القاتمة تراها تخضر ثم تحمر وتميل إلى لون الذهب ، وترى شاطئاً رملياً أصفر ومن ورائه سلاسل طويلة من الجبال الوردية القفراء .

إن طراز الحياة في موانى البحر الاحمر الصغيرة لايزال كما كان عليه منذ قرون عديدة ، ففي عرض هذا البحر تمخر السفن العظيمة بين السويس وعدن دون أن تحدث أثراً في هذه الموانى القديمة التي مازالت تحتفظ بعاداتها الاولى لعلاقاتها بالحج والحجاج .

اني مولع برؤية الحياة الاسلامية القديمة التي شاهدتها في مصر والشام

(*) مستر تشارلس كراين من اكارم رجال الامة الاميركية وتولى مناصب عالية في دولتها نعرف منها انه كان سفيراً للولايات المتحدة في الصين، وعهدت اليه رياسة اللجنة الاميركية التي أرسلت لاستفتاء أهل سورية وغيرهم في مصير بلادهم بعد الحرب بناء على مباديء صديقه مستر ولسن الذي كان رئيس جمهورية حكومته وكان صاحب الكلمة العليا لدى دول الحلف البريطاني اللاتيني لانه هو الذي أنقذ هذه الدول من بطشة المانية الكبرى . ومستر كراين قد طاف اقطار الشرق واختبر المسلمين فأحبهم وعرف فضل دينهم وعرف به كما يعلم من محاضرته هذه وقد آلمت بعض من سمعها من متعصبي أبناء جلدته واخوان ملتهم وقد حضرها في نادي جمعية الرابطة الشرقية جمهور منهم ومن المصريين والسوريين وغيرهم وكان يترجم كلامه بالعربية جعفر ولي باشا المشهور جملة جملة . وما ننشره هنا هو ترجمة ما كان كتبه لالقائه ، ولكنه زاد في اثناء الالقاء مسائل وايضاحات اخرى فنشير الى بعضها في الحواشي

والقسطنطينية عند ما أتيت هذه البلاد منذ خمسين عاما ، ولكن هذه البلاد الآن أضاعت رونقها القديم ، وتغير فيها طراز الحياة تغيراً محسوساً ، ويقال إن (بخارى) أيضاً أضاعت سابق أسواقها الجميلة القديمة ، ولذلك سررت كثيراً منذ أربعة أعوام لما رأيت أن جدة لاتزال محتفظة ببهائها الاسلامي القديم ، وبحجاجها الحرمين ، وبوسائط نقليتها القديمة ألا وهي الجمل والفرس والأتان ، وأن أسواقها المعوجة الصغيرة لاتزال ملأى بالتجار الشرقيين يروحون ويغدون فيها ، وتنحصر تجارتهم في بعض الاشياء الضرورية وبعض المصنوعات اليدوية

إن شبه جزيرة العرب هي مهد الانبياء ، ومهبط الوحي ، ولما كنت أهتم كثيراً بهذه الشؤون شئت أن أتقرب بقدر الامكان إلى حياة هذه الجزيرة التي كانت تنجب الانبياء آونة بعد أخرى ، ومن البديهي أن البلاد المتمدنة لاتنجب أنبياء

ومن أهم الاشياء في الجزيرة الآن الحركة الوهابية التي ترمي إلى الرجوع لحياة التقشف كما كانت عليه الحال أيام النبي محمد . نحن في الغرب نقول إن التاريخ لا يعيد نفسه ، ولكن لهذه القاعدة شواذ في الصحراء ، فالحياة فيها دائما تعيد نفسها .

يقال ان الدين في العالم منشؤه بعض الشخصيات البارزة التي تضيء كالانوار مثل بوذا (١) والمسيح ومحمد ، وهذه الشخصيات لها حياة خاصة وتعاليم خاصة وأتباع خاصة ، ولكنها عند ماتختفي يقوم بعدها بعض الاتباع الذين كانوا مقربين اليها كثيراً ويفسرون أعمالها وينشرون أخبارها ، وهم المعروفون بالتلاميذ أو الصحابة ، ولكن النور الاصلي يضعف عند ما ينتقل اليهم ، ومن بعدهم تقوم الهيئات الدينية وتنشر أعمال تلك الشخصيات حسب ما يتراءى لها ، وبذلك يزداد ضعف النور ، ولا شك أن بوذا لو بعث حياً الآن لا يوافق على أن الصينيين واليابانيين يتبعون حياته وتعاليمه وخصوصاً متى شاهد البون الشاسع بين تعاليمه الصحيحة وبين تعاليم كهنوت اللاميين (٢) وأنه لا يمكن للمسيح أن يعترف بأن أوربا

---

١) هو زعيم الدين الذي ينتمي اليه مئات الملايين في الهند والشرق الاقصى ، والظاهر انه كان من الانبياء الذين ضاعت كتبهم فتمكنت الوثنية من أتباعهم

(٢) هم أهل التبت نسبة الى اللام وهو لقب رئيسهم الديني

الحديثة المعروفة بمسيحيتها والتي يقال انها تتبع حياته وتعاليمه هي حقيقة مسيحية[١]

لقد أدرك محمد شيئا من أمر هذا التحريف الذي لعب دوراً مهماً في تاريخ الديانات القديمة على ممر الايام ولذلك حدد أقواله بحديثه وأظهر بصورة واضحة علاقة المسلم مع خالقه ، ولم يترك ميدانا واسعاً لتدخل الهيئات الدينية من بعده ومع هذا كله رأينا أن الدين الاسلامي عند ما ابتعد عن مركزه الاصلي في الصحراء وأخذ يتزاحم مع غيره من الديانات والمدنيات في العجم والصين مثلا خرج عن الصراط المستقيم ، وأضاع شيئا كثيراً من بساطته وبهائه .

ولما كانت الحياة في نجد بعيدة عن مثل هـذا الضغط وبعيدة عن المدنيـة الحاضرة فلا شك أن هـذه البلاد هي المكان الوحيد المعـد لحفظ علاقة المسلم الحقيقية بخالقه بصفة لاتشوبها شائبة ، وقد ظهر الآن أشياء عديدة تثبت جميعها أن القاعدة الاساسية في الدين الاسلامي والمسيحي واليهودي هي علاقة الانسان بخالقه وأصبح الاعتراف بهذه الحقيقـة أمراً لازماً لأن البولشفيك ينظمون دعاية ضد جميع الديانات وقد وجهوا سهامهم إلى قلب هذه الحقيقة الظاهرة ألا وهي وجود الخالق وتدبيره لهذا الكون ، وقد أدرك العالم المسيحي هذا الخطر وأصبح ميالا إلى ترك الجزئيات ، والتمسك بالكليات ، ويوجد في الغرب أناس كثيرون يعتقدون أن في الامكان التأليف بين العالم المسيحي وغيره من البشر ممن يعتقدون بوجود الخالق ويسعون لطاعته . ولا شك أن العالم لم يشهد منذ أول التاريخ إلى عهدنا هذا ثورة شديدة على الدين كالثورة التي يديرها البولشفيك .

يوجد بين المسيحيين طائفة صغيرة تقول بالتوحيد وتشابه عقائد هذه الطائفة من وجوه عديدة العقائد الاسلاميـة القديمة ، وقد ظهر بين أفرادها كثير من

---

(١) قد خص بالذكر سوء حال اوربة بعد الحرب الكبرى اذ صار البعد بينها وبين تعاليم المسيح اشد مما كان قبلها كما انه صرح بأنه رأى في هذا العهد ان الاسلام قد ضعف وضؤل نوره في مصر والشام والآستانة عما كان عهـده من عشرات السنين في هذه الامصار . وقوله هذا يؤيده قوله تعالى في المسلمين (ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

العظماء الذين أفادوا العالم فائدة تذكر فتشكر ، ففي النمسا مثلا ظهر بعض أفراد منها للعالم ، وشغلوا وظائف سامية ، وكانوا موضع اعجاب جميع من عرفهم ، وفي أمريكا ظهر أيضاً بعض أتباع هذا المذهب المحترم وكان في مقدمتهم الرئيس (ايليوت) الذي بقي مدة أربعين سنة رئيساً لأعظم جامعة أميريكية ألا وهي جامعة (هارفرد) وقد توفي في السنة الماضية عن عمر جاوز اثنين وتسعين عاما ولا شك أنه كان أحد رجال أمريكا العظام[1] وقد كان يهتم كثيراً برحلاتي إلى البلاد الاسلامية ، وشعر أنه من الواجب أن يحصل تعارف بين الموحدين المسيحيين وبين المسلمين ، وكنت دائما عند عودتي أزوره وأطلعه على جميع اختباراتي الحديثة . إنه بقي محافظاً على قواه العقلية إلى آخر دقيقة من حياته ، وكان لصوته أعظم وقع على الاميركيين كما أنه كان الخادم الامين لحفظ الضمير الاميركي الحي ، وعند ماكان يتكلم في موضوع سياسي أو تهذيبي أو اجتماعي كان يتكلم دون خجل أو وجل .

وقبلما أنشبت المنون أظفارها فيه شعر بدنو أجله فقلت له اسمع هذه الصلاة الاسلامية الجميلة وقرأت له (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد أعجب بهذه الصلاة الوجيزة كثيراً وكانت هي آخر العهد بيننا ، وكان صديقي هذا دائما يتمنى الحج إلى شواطيء البحر الاحمر والتقرب من الحركة الوهابية لأنه هو نفسه كان يعيش عيشة بسيطة ويعتقد بعظم فائدة الصلاة وتأثيرها في العالم . ولكنه كان بعيداً عن الظواهر الدينية الميكانيكيه[2] وسأرسل اليكم عند ما أعود إلى أمريكا جميع ماقاله عظماء الاميركيين بشأن هذا الرجل الجليل عند وفاته .

إن بوذا والمسيح عاشا عيشة روحية ولم يكونا يوما من الايام إداريين ولا

« ١ » زاد في الالقاء هنا : ورؤساء المدارس عندنا أجل من رؤساء الجمهورية لأنهم الذين يربون رؤساء الجمهوريات وسائر الرجال العظام « ٢ » يعني بهذا تقاليد الكنيسة النصرانية ، وكل من عرف دين الفطرة بعد عن دين الصنعة

فكرا أن ينظم الحياة الدينية ، وأما محمد فكان نبياً واداريا عظيما ، وقد مدّ الله في أجله إلى أن تمكن من تنظيم الحياة الاجتماعية على أسس دينية ، وهاهوذا ابن سعود ينسج اليوم على منواله ، ويتبع سننه في كل خطوة بحزم وعزم ، وهو يسعى لان يوفق بين الحياة الاجتماعية وبين الشريعة الغراء . ولست مغالياً اذا قلت لكم انه لاجنايات في مملكة ابن سعود ، وأن البدو الذين مازالوا منذ الازل يضربون في بلاد الله الواسعة ويغزو بعضهم بعضاً أخذوا في عهده يبنون البيوت الثابتة ، ويشتغلون بالاشغال النافعة . ولا شك أن الامن في الطرقات أصبح مستتباً ، والتجارة في البلاد محمية ، ومال الحاج مضمونا ، وأسعار الحاجيات محددة .

فليحي ابن سعود

إن الحماسة التي تدعم حركة كحركة ابن سعود الوهابية والتي ترمي إلى ارجاع الدين الحنيف كما كان عليه قديماً تتعارض في بعض الاحيان مع العادات الاسلامية الحاضرة ، وليس بالعجيب أن نرى (الاخوان) في حماستهم قد هدموا أشياء كثيرة ذات قيمة تاريخية ومعنى ديني للحجاج الذين يحجون إلى هذه البلاد المقدسة وقد قتلوا أثناء حماستهم بضعة آلاف حاج من حجاج اليمن بينما كانوا قادمين الى مكة بقصد الحج ، واعتذروا عن عملهم بأن نيتهم كانت سيئة نحو الاخوان (١) ومع ذلك لاشك أن الاحوال الآن أحسن من ذي قبل ، واذا مدّ الله في عمر ابن سعود فالحالة تزداد تقدما ، والروح الاجتماعية تنتشر أكثر فأكثر بين العرب مستمدة نشاطها من بعد ابن سعود من روحه .

نزلت بجدة في دار السيد محمد نصيف وهي كأنها مجمع علمي يحتوي على مكتبة عامرة يؤمه جميع أقطاب جدة وأشرافها والسيد محمد نصيف عالم محقق

(١) السبب الصحيح لهذه الحادثة ان الملك حسينا كان قد أثار فتنة في العسير لانتزاعها من ابن السعود والادريسي وفي أثناء القتال بين ثواره وبين الاخوان وصل حجاج اليمن فظن الاخوان أنهم مدد من الملك حسين لابن عايض الذي أثاره لحربهم فأصلوهم نارا حامية ، ثم حزنوا لما علموا انهم من اليمن واعتذر ابن السعود للامام يحيى ورد اليه جميع ما كان قد أخذه الاخوان من جماعته

ورجل شريف يزوره جميع من يمر بجدة من العلماء والنبلاء قبل ذهابهم إلى مكة ، وقد اجتمعت عنده بأناس كثيرين وتكلمت معهم بصراحة زائدة ، وكانوا جميعهم عنوان اللطف بي والعطف علي ، وأفهموني حقيقة سير الحياة بالحجاز في هذه الايام ، وبعد وصولي الى جدة جاء سمو الامير فيصل من مكة ورحب بي وتأكد بنفسه أن راحتي مضمونة وقال لي : إن كل شيء في جدة تحت أمري

في الليل كنت أدعو الكثيرين ليسمعوني الأناشيد الوطنية والغناء العربي القديم والحديث . وكان بين هؤلاء المنشدين شيخان ضريران يترددان دائما على دار السيد محمد نصيف ، وقد أسمعاني مراراً ترتيل القرآن، والحق يقال أن ترتيلهما كان في غاية الابداع . لايسمح الوهابيون لاحد أن يغني غناء عاديا ولا أن يستعمل معازف موسيقية، وقد منعوا الحجاج المصريين من جلب المحمل التي كانت العادة أن يجلبوه مع موسيقي الحج[1] ولكنهم لايتعرضون لترتيل القرآن، وقد تسامحوا معي في بعض الشؤون ولم يمنعوني من دعوة بعض البدو الى داري وسماع أناشيدهم ، وقد اسمعني أحد اصحاب القوافل بعض الاناشيد التي ينشدها الحداة من رجال القافلة أثناء سيرهم في البادية

كان ابن سعود يوم زرت جدة في طرف البادية [2] ولم أتمكن من مقابلته ، ولكنه تلطف وارسل لي عدة برقيات تنم جميعها عن عطفه علي ، وقبل سفري ببضعة ساعات أخذت وأنا على ظهر الباخرة برقية منه أعرب لي فيها كثرة أشغاله ، وأفصح عن اسفه الشديد لعدم تمكنه من مقابلتي ، وتمنى لي

---

(١) الصواب أنهم منعوا حرس المحمل من استصحاب معازف الموسيقى العسكرية فتركوها في جدة وأعادوها معهم إلى مصر عند عودة المحمل (٢) الصواب انه كان في المدينة المنورة

سفراً سعيداً[1]. والحق يقال ان ابن السعود كالامام يحيى لا يوجد حوله رجال عاملون يساعدونه في إدارة دقة الحكم فهو يعتمد على نفسه في كل شيء . وقد مضى عليه ثلاث سنوات ولم يزر في خلالها أرض نجد ، ولذلك ذهب هذه السنة ليزورها ، ولينظر في شؤون الاخوان وتنظيم أعمالهم

السيد احمد السنوسي

كان من جملة الاسباب التى حملتني على القيام برحلتي هذه رغبتي في مقابلة صديقي القديم السيد احمد السنوسي الطائر الصيت الذي تعرفت اليه في بورصة في

«١» جاء في البلاغ ٣١٠ من بلاغات مكتب الاستعلامات السورى الذى صدر في ٢٠ يناير سنة ١٩٢٧ نص البرقيتين اللتين تبودلتا بين مستر كراين وملك الحجاز ابن السعود في رسالته للمكتب من جدة مؤرخة في ١٠ يناير وهذا نصها :

برقية المستر كراين

اسمح لي ياصاحب الجلالة قبل ان ابرح بلادكم ان اقدم لجلالتكم عظيم الامتنان لما لاقيته من الحفاوة من قبل نجلكم الكريم ومن قبل رجال حكومتكم الموقرة ولا سيما السيد محمد نصيف واني اضرع اليه تعالى ان يوفقكم لتوحيد صفوف شعبكم خاصة والمسلمين عامة م؟

وعساكم تعطفون على جميع الذين يعملون على اطاعة الله ويراقبون اعمالكم الجيدة باهتمام زائد والذين يعرفون ان لشعبكم الكريم المعتصم من مفاسد العالم بصحرائه الشاسعة خدمات جليلة مقدسة في هذه الدنيا ألا وهي حفظ كيان الدين الصحيح ونشره بين العالم خاليا من كل شائبة وتفضلوا في الختام بقبول فائق الاحترام م؟

جواب جلالة الملك على برقية المستر كراين

أشكركم على حسن ظنكم بنا وأحيي فيكم هذه العاطفة الشريفة نحو أمتنا ورغبتكم في نجاحها وهذا أكبر دليل على طيب سريرتكم وسمو مبادئكم فالله أسأل أن يعلي الحق ويؤيده : واني آسف ان الظروف لم تمكننا من مقابلتكم فأتمنى لكم سفراً سعيداً م؟

صيف سنة ١٩١٩ وكانت تلك الرحلة التى تعرفت اليه في خلالها من أهم الرحلات التى قمت بها في هذا العالم

قلت اني قمت برحلات عديدة في هذه الارض وكنت دائما ادرس نفسية البشر في اطرافها ، وقد أعجبت مراراً ببعض العقول التى لم تبلغها أيدي التهذيب وقابلت كثيراً من أصحاب هذه العقول ولا غروان مقابلتهم ساعة عملهم كانت نهاية الابداع وهذه العقول لا تنمو الا بين اصحاب الفيافي والقفار وكل ذرة لا بل كل خلية من خلايا دماغ هؤلاء الاشخاص هي حية في ذاتها ،وحساسة لكل عارض يعرض لها ،وسريعة في تنفيذ احكامها ؛وحكيمة في استنتاجاتها . واحمد السنوسي هو احد اصحاب هذه العقول النيرة ، ودليلي على ذلك انه تمكن في برهة وجيزة من ايجاد مملكة تحيط بها القفار من كل الاطراف. منع الحلفاء عامة والتليان خاصة هذا الزعيم الكبير من العودة الى بلاده وأهله بعد الحرب العظمى فاضطر أن يذهب من تركية الى سورية فالصحراء ولا يزال الى يومنا هذا هائما على وجهه من بلاد الى بلاد بعيداً عن أهله وعائلته (١) ومع الاسف الشديد لم يهتم به أحدوهو اليوم في العسير وقد أرسل احد عماله الى جدة ليفاوض ابن سعود فرأيت أن اراه لأطلع منه على أخبار السنوسي لاني قلت سابقاً ان من جملة الأسباب التي حملتني على هذه الرحلة هي مقابلة هذا الرجل العظيم ولكن لم يؤذن لي أن أقابل ذلك الرسول . وياحبذا لو اهتمت بعض الحكومات الاسلامية بشأن هذا الرجل العظيم مادام شعبه قد حرم من زعامته وحرم هو من بلاده

﴿للمحاضرة بقية﴾

«١» « المنار » كان قد ألقى رحله بمكة المكرمة فأكرم الملك عبد العزيز مثواه ثم سافر الى عسير حيث آل الادريسي من ذوي القربى وهو الذي وضع أساس معاهدة مكة المكرمة التي جعلت بلاد عسير وامرائها تحت حماية ابن السعود

مشروع بريطاني جديد لتنصير جزيرة العرب

(هذه ترجمة المنشور الذي أذاعته جمعية لندن كما نشروها في فلسطين وغيرها)

يسوع المسيح لبلاد العرب الآن

« ها أناذا صانع أمراً جديداً ، الآن ينبت . الا تعرفونه ، أجعل في البرية طريقا في القفر أنهاراً » (أشعيا ٤٣ — ١٩)

﴿ صلوا من أجل العرب ﴾

بلاد العرب تبلغ مساحتها مليون ميل مربع ، لم يدخلها التنصير بعد ، وفيها من السكان من أربعة ملايين الى اثنى عشر مليونا (١) ، يموتون ميتة وثنية لم تبلغهم دعوة الانجيل بعد ، بلاد العرب هي مهد الاسلام ومنبعهم ، وفيها مكة التي هي القبلة زهاء (٢) مائتين وعشرين مليونا من المسلمين يتوجهون نحوها [باغراء الشيطان ليصلوا صلاة كاذبة كل يوم] . صلوا من أجل العرب كي ينجيهم الله . [هم مخدوعون من الشيطان الذي اخترع لهم كتابا مزيفا هو القرآن الذي] حل محل (كلمة الله الحية) الكلمة القادرة على تخليص نفوسهم . فمن يحمل كلمة الدعوة إلى العرب ؟ فمن يخرج ويبكي ويزرع زرعا جيداً يعود فرحا ويقطف ثمار زرعه جنيا . ويسوع المسيح يأمر بما يلي .

١ — وها أنا أرسل اليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الاعالي . (لوقا ٢٤ — ٤٩) .

٢ — وقال لهم اذهبوا الى العالم اجمع وا كرزوا بالانجيل للخليقة كلها [مرقص ١٦ — ١٥] .

---

(١) المنار نبشر هؤلاء المبشرين بأنهم يزيدون على ضعف هذا العدد فليضاعفوا مبشريهم ونفقاتهم (٢) في الاصل حوالي . وأصل هذه الشهادة انفراد

٣ — فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس [متى ٢٨ — ١٩ — ٢٠] وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا ذا معكم كل الايام لانقضاء الدهر .

[قدرتنا على طاعة أمره] : فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع الي كل سلطان في السماء وعلى الارض وأنا معكم لانقضاء الدهر [متى ٢٨ — ١٨] .

[استعدادنا لذلك] : وها أنا معكم كل الايام لانقضاء الدهر [متى ٢٨ — ٢٠] .

أن كلمة [و] وكلمات [الى انقضاء الدهر] تبين أن كلمات المسيح موجهة الى كل تلاميذه خلال كل العصور وهي تعنينا ايانا ، المسيح مات فدية عن الجميع ثم قام من الموت ، هو مات عنكم وعني وعن العرب . فمن يطيع أمر المسيح فيذهب الى العرب بهذه الرسالة .

ان حجاجا لايحصيهم عد يقطعون فلوات الجزيرة ليحجوا الى مكة ، [وفيها ولد النبي] . . . [1] وليزوروا المدينة ، وفيها قبره . فمن يذهب الى هناك أيضا من حجاج المسيح ويهدي أولئك الحجاج الذين لايحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده[2] فاذا نحن شاركنا المسيح في تحمل العذاب فاننا سنشاركه أيضا في الملكوت . وقال الله للابن عرشك باق الى الابد . ياحجاج المسيح هبوا . فلنذهب ولنأت بالملك .

(١) ههنا كلمة أثيمة وصفت بها هذه الجمعية البذيئة خاتم الانبياء وإمام المرسلين بضد أظهر صفاته ولا عجب فهم الذين يكذبون على الله بقولهم أنه اتخذ ولدا (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) كذبتم أيها السفهاء بل هو اصدق الخلق الذي برأ الله على لسانه مريم ام المسيح من تهمة الزنا وبرأ المسيح نفسه من الكذب على الله فمن كذبه فقد صدق اليهود في الطعن فيهما

(٢) المسلمون يحجون لله وحده لا لمحمد ولا للمسيح فهم الموحدون وهذا المسيحي الكذاب يريد ان يجعلهم وثنيين يحجون للمخلوق ابن الانسان

(٣) لا يؤمن بربوبية الخاروف إلا الخرافيون ولله در المعري حيث يقوله

أعباد المسيح يخاف صحبي * ونحن عبيد من خلق المسيحا

هؤلاء سيحاربون الخاروف(؟) والخاروف يغلبهم لانه رب الارباب[٣] وملك الملوك ، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون [رؤيا ١٧ — ١٤] .

واله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم ، نعمة ربنا يسوع المسيح معكم [روميا ١٦ — ٢٠]

قل الى ابناء اسرائيل [١] أن يتقدموا الى الامام — الى بلاد العرب — الى كل العالم. لانه ... لأن أمر الملك كان معجلا [صموئيل الاول ٢١ — ٨] .

مع المسيح صليت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيى في . فما أحياه الآن في الجسد فانما احياه في الايمان ايمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لاجلي وأحرقوا المدينة بالنار . [يشوع ٦ — ٤] .

ان الحاجة شديدة الا ن الى مائة مبشر : يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملة التي لم تبلغها الدعوة بعد . هناك نحو مائة قبيلة في بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم يسكنون بلاداً غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند ، وهم يعيشون في الخيام كما كان يعيش ابراهيم من قبل[٢] . احدى هذه القبائل هي (الصليبية) المنتيمة الى أهل الصليب حصل لها زيارة مرتين وهي تريد أن تزار أكثر من ذلك . إن رجال هذه القبيلة هم من نسل الصليبيين القدماء الذين أسرهم العرب، وهم لايزالون الى اليوم يستعملون بضع كلمات انكليزية مثل (غو) أي اذهب. ان العاملين قلال العدد . أيجوز ترك هذه القبائل فتفنى؟ الايليق بكنيسة الله التي اشتراها بدمه أن تلبي نداء الله ؟ فمن أرسل (اشعيا ٦ — ٨) فماذا يكون جوابك أيها القاريء . أتريد أن تسقط في الخجل وتحتقر احتقاراً مؤبداً؟ أو تبادر الى أن تعمل

«١» ان ابناء اسرائيل هم اعدى اعداء المسيح عليه السلام ومكذبيه والطاعنين في عرضه ورسالته وانتم ايها الانجليز عبيد لهم استخدموكم بل اشتروكم . بأموالهم، فبعتم دينكم بدنياكم لاعادة ملكهم ، والعرب وسائر المسلمين عبيد الله واصدقاء المسيح عليه السلام وأصدق المؤمنين به

(٢) نعم وهم الذين حفظوا من دونكم ما كان عليه ابراهيم من توحيد الله تعالى وعبادته وحده

عملا مجيداً يرضي الذي أحبنا وفدى نفسه عنا وهو غسلنا بدمه من خطايانا .

أنريد أن يقال عنك وعن الآخرين من الآن الى الابد انك أنت واخوانك قد غسلتم من خطايا كم بأثمن دماء المسيح ، وقد اطلعتم على أوامره ، وقد عرفتم الحاجة ، وقد سمعتم نداء الله . وقد اتخذتم من المسيح قوة وكفاية ، وبعد كل هذا لاتذهبون .

أرجو منك أن تصلي من أجل العرب . اذهب أنت نفسك الى بلاد العرب . ارسل غيرك أيضا الى بلاد العرب . احمل الكتاب المقدس الى العرب ، لا تقطع صلاتك لاجل بلاد العرب والعرب . ادع بلاد العرب والعرب الي المسيح ، ادع الـ ٢٢٠ مليونا من المسلمين ليتدينوا بديانة المسيح ، صل من أجل مائة مبشر ، الحاجة شديدة اليهم ليذهبوا الى بلاد العرب وليسدوا ما العرب بحاجة اليه . صل لكي يصل الكتاب المقدس الى بلاد العرب وصل أن يبارك الله المائة مبشر يقول المسيح سآتي بسرعة آمين .

(عنوان الجمعية ناشرة هذه الدعاية)

الجمعية العالمية الصليبية للتنصير في العالم و بلاد العرب

١٩ — هيلندرود — أبر نورود لندن ١٩

الرئيس	المراقب
مستر استد	القس باركلين

(المنار) قد بذلت هذه الجمعية وأمثالها مئات الملايين من الدنانير الذهبية لتنصير المسلمين فما استطاعوا أن يُنصّروا شعبا من شعوبهم ولا مدينة من مدنهم ، ولا قرية من قراهم ، وانما لجأ اليهم في بعض البلاد افراد من تحوت الفقراء الجياع الذين لا يعرفون من الاسلام إلا بعض مايسمعونه ويرونه في الطرقات من التقاليد التي مزج فيها بعض تعاليم الاسلام بنزغات الخرافات النصرانية التي يتبرأ منهما المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقد دخل في الاسلام من كرام الشعب الانكليزي أضعاف من تنصر من هؤلاء التحوت الجائعين ، وأرى أن من حماقة هذه الجمعية أنها تريد أن تبدأ عملها بالدعوة الى النصرانية في الحرمين الشريفين

المحميين بجند الله النجديين الموحدين ، أليس من الحكمة والاناة الانكليزية أن يصبروا ليروا ما يفعل دعاتهم في عرب العراق وفلسطين بحماية صنيعي دولتهم الملك فيصل والامير عبد الله نجلي الملك حسين بن علي ؟ إن المعاهدة البريطانية العراقية قد ضمنت لدعاة النصرانية الحرية المطلقة ، وان يمضي لهم الامام عبد العزيز بن السعود ملك الحجاز ونجد معاهدة مثلها كما أمضى الملك فيصل ابن حسين ، بل لا يأذن لمبشر واحد أن يدخل بلاده . فكان من العقل أن لا يعجلوا بتنبيهه وتنبيه أهل القطرين الخاضعين له الى سوء نيتهم

هذا واننا نعلم أن هذا العمل عمل سياسي وتجاري لاديني ، ونعلم أن تعاليم الاسلام تنشر في بلاد الانكليز وأبناء عمهم الاميركان نفسها بطبيعة البحث الحر الذي ينتهي بأصحابه إما الى عقيدة القرآن ، وكما ترى في محاضرة مستر كراين في هذا الجزء — واما الى الكفر وانكار الوحي كما يعلم من المقال الآتي

تحول الكنيسة الانكليزية

﴿ عن التقاليد النصرانية ﴾

جاء في جريدة الديلي اكسبريس التى صدرت في لندن بتاريخ ٢١ نوفبر سنة ١٩٢٥ تحت هذا العنوان ماترجمته

القسيس انج ينكر المعجزات

﴿ قنبلة مصوبة إلى قلب الكنيسة ﴾

« اتركوا التضليل »

« اعتقاد التلاميذ (الحواريين) : أن المسيح نزل في جوف الارض ثم قام من قبره في اليوم الثالث وصعد إلى السما بجسده »

قال القسيس انج :

أليس من اللائق بالكنيسة أن تفكر في هذه المشكلة التي ظلت نحواً من ٤٠٠ سنة وهي ترغم الناس على الاعتقاد بها

من الراجح أن ماأحدثه أكبر مناقشة دينية منذ أيام (بوسي) و(ينومان) هو كتاب جديد اسمه (العلم والدين والحقيقة) يصوب بهصاحبه القس(انج)قنبلة تصيب شظاياها جميع الكنائس المسيحية

ويطالب هذا القس الكنيسة بأن تدع التضليل جانباً ، وأن تنبذ كثيراً من تعاليمها التقليدية القديمة كما يطالب بترك فكرة وجود سماوات بالمعنى الذي اصطلح عليه الجغرافيون . ويبني على ذلك عدم الاعتقاد بصعود جسم المسيح كما يرى أن هذه المسألة مرتبطة ارتباطا تاما بمسألة البعث نفسها وهو يوافق العلماء (نسبة إلى قسم علمي) في رفضهم للمعجزات كأنها إيقاف لقانون دنيء بقانون أرقى منه ، ومع أنه يتجنب البحث في مسألة مولد المسيح فان قراء كتابه قد يصلون إلى أن القس يرفض الاعتراف بهذا الامر كما ينكر الصعود أيضاً . وهو فوق ذلك يقترح الابتعاد التام عن نسبة صفات البشر الى الله .

وكتابه هذا (الذي تقوم بنشره مطبعة شلدون) يتكون من ثماني مقالات بقلم أساتذة مشهورين في موضوعات وأبحاث علمية ودينية وله مقدمة بقلم اللورد بلفور ، ويتلو ذلك ملخص مؤلف من ٤٠ صفحة شائقة بقلمه هو .

ويقول اللورد بلفور بأنه ليس بين القراء من يعتقد أن الكتاب المقدس ليس إلا كتابا تاريخياً ومرجعاً للعلوم الكونية لايمتاز عن غيره إلا بأنه موحى به وبذلك يكون منزهاً عن الخطأ ، ويضيف إلى ذلك أن القس انج يسلم بأنه موحى به . وأما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة

ويعلن القس انج في صراحة تامة وبلا أدنى خوف أن هناك معركة اشتد وطيسها بين العلم والدين ، وأن أصل هذه المعركة يرجع في الحقيقة إلى اكتشاف أن الارض تدور حول الشمس ، وفي الاربعة القرون التالية لذلك الاكتشاف وصفت الكنيسة البحث في المشاكل الدينية التي أثارها هذا الاكتشاف جانباً ، فلم يبذل أي مجهود لتخفيف العبء عن كاهل العالم المسيحي الذي أثقل عقله وضميره

وحقيقة مايقصده(انج) أن بعض العقائد المسيحية أصبحت لايمكن التصديق

بها علمياً، فلا يمكن التصديق بها دينياً ، وهو يقول:

إن هؤلاء القساوسة الذين يصرون على أنه ليس ثمة تناقض بين العلم والدين إما أن يكونوا ذوي عقول ضيقة أو متعامين عن الحقيقة . والحق الواقع أن هناك صراعا عنيفاً بين العلم والدين لا يرجع تاريخه إلى أيام داروين ، ولكنه يرجع إلى عهد كوبرنيكوس وغاليليو

﴿ الخريطة المسيحية ﴾

ويقول : إن التوصل إلى معرفة أن الارض ماهي إلا كوكب يدور حول الشمس التي هي نفسها واحدة من ملايين الاجرام السماوية . ذلك الاكتشاف قد مزق النظرية المسيحية التي تقول بأن الارض هي مركز العالم وأنها كطبق يحدده غطاؤه

وإلى ذلك الوقت كان الناس سواء منهم العالم والجاهل يصورون العالم كبناء ذي ثلاث طبقات أعلاها السماء مسكن الآله والملائكة والارواح الطاهرة ، ويتلو هذه الطبقة الارض التي نسكنها والطبقة السفلى مسكن الشيطان وأتباعه ، وحيث تتعذب الارواح الشريرة في سجنها . وكان للجنة والنار في عرفهم حقيقة جغرافية

وتؤكد العقائد الدينية مسألة نزول المسيح إلى الجحيم ثم صعوده إلى السماء ومن الواضح الجلي أن مسألة بعث المسيح بجسده مرتبطة تماما بمسألة صعوده بجسده أيضاً ، وعلى ذلك فقد مست العلوم الكونية بالعقائد الدينية مساساً عظيما

ويزيد على ذلك أن الكنيسة انما بشرت بهذه التعاليم لأنها نقلتها حرفياً عن نصوص الانجيل ، ويستدل على ذلك بالنص الانجيلي القائل (ان المسيح قد صعد إلى السماء حيث هو الآن بلحمه وعظامه وكافة الاشياء المتعلقة بالكيان الانساني البشري الطبيعي

ونظرية أن للمسيح ناسوتا ولاهوتا ، والتي تقول بأن جسد المسيح في السماء ينكرها تناقضها مع القانون القائل باستحالة وجود الجسم الطبيعي في أكثر من مكان واحد في وقت واحد

كما أن نظرية كوبرنيك الفلكية وكافة معلوماتنا عن السماء التي بنيت على هذه النظرية لا تدع مجالا للقول بوجود سماء جغرافية

وهو يقول : يخيل إليَّ أن الفراغ السماوي لانهائي ، ولا يمكنني أن أتصور أنه قد وقع الاختيار على أحد هذه النجوم والسدم والكواكب المنتثرة بلا نظام في رقعة السماء لتكون مقراً للخالق ، ومكانًا لأورشليم السماوية

ويضيف إلى ذلك قوله « أما القول بوجود مكان سفلي مخصص للتعذيب فقد اندثر وانمحى بدون أن يكلف العلم مشقة الاجهاز عليه »

وهنالك مشكلات أخرى في مسألة الزمن ، ولكن الذين يقولون بحيوية هذه المسألة قليلون ، وإن المسيحي الذي رفض الاعتقاد بنظرية الوحي اللفظي لا يجد صعوبة في تصديق نظرية النشوء والارتقاء

على أن النظرية القديمة لا تزال مضطربة فقد قرأت منذ زمن يسير كتابا يعتبر من أهم كتابنا اللاهوتيين فوجدت فيه هذه الجملة « إن المسيحيين لم يعودوا يعتقدون بوجود سماء محلية فوق رءوسنا » وقد رحبت بهذا الاعتراض على وجود سماء جغرافية لصدوره من رجل يعتبر من أئمة الارثوذكسية ودعائمها

ولشد ما عجبت عند ما علمت أن الكاتب قد ادعى أني ألحقت به وبسمعته ضرراً عظيما لحذفي بعض كلماته ، ولكني لا أنكر أنه قال بأنه يعتقد بوجود سماء محلية «ولكنها ليست فوق رءوسنا» (ولكن غاب عنه أن الارض تدور)

وقد قال امام آخر في الامور اللاهوتية في معرض حديثه عن صعود المسيح (إن كلمة — إلى السماء — قد يمكن أن تحمل على المجاز ، ولكن يلزم أن نعتقد أن جسد المسيح الطبيعي قد رفع إلى مسافة شاسعة البعد عنا)

واني لأتساءل بكل جد واخلاص : هل من الممكن احتمال مثل هذا التحكك بالالفاظ بعد ؟

أو ليس من الضروري أن تواجه الكنيسة هذه المسألة التي ظلت حوالي ٤٠٠ سنة وهي تجبر الناس على التسليم بها وتقهرهم على التصديق بها ؟؟

هل للمسيحي أن يعتقد بتلك النظريات والتعديلات التي أدخلها رجال

الكنيسة على الاساطير الدينية وفرضوا عليه الايمان بها ؟ أم عليه أن يصدق تلك النظريات الفلكية المبنية على أسس مدعمة ثابتة ؟ ألا أن التحكك بالالفاظ لم يعد يرضي أحداً

واستطرد القس انج فقال انه ليس أمام المسيحيين إلا احدى ثلاث طرق

(١) أن يحكموا على العلوم الفلكية بالتحريف والزيغ والكفر

(٢) أن نعتبر أن هذه الاساطير الدينية لاتتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن حقائق أزلية

(٣) أن نعترف أن كل التعاليم اللاهوتية المؤسسة على النظرية التي تقول بأن الارض هي مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع النتائج العلمية الصحيحة

وأضاف الى ذلك قوله

ولا إخالني جاهلا مافي هذه الخطوة من الخطورة ولا غافلا عما يعترض الاخذ بها من المصاعب ، ولكني أعتقد أن القيام بأي عمل كائنة ماكانت العقبات التي تقف في سبيل تنفيذه خير من محاولة ستر قرحة تنغص علينا حلاوة الاعتقاد والايمان

على أننا اذا أخذنا بالوجه الثالث فاننا نكون مساقين الى عدم تشبيه الاله بالانسان واسناد خصائص الانسان له ، كما نفكر في السماء بأنها أقرب الى الروحية منها الى المادية أي انها حالة لا مكان. حالة أعمق في معنى الخلود من أن تحدد بتعاقب الايام وكر السنين

ويظهر أنه ليس للمعجزات نصيب في فلسفة إنج لانه يقول :

اذا كان كل شيء في العالم قد وضع لغرض فانني لاأستطيع أن أفهم أو أن أنتظر نشوء نتائج خاصة من حالات معينة

إن قوانين الطبيعة الموافقة لهذه النظرية هي كغيرها قوانين صحيحة ذات غرض معين وهي قائمة بوظيفتها تماما . واذا كانت من صنع الله قدير عالم فانا لاننتظر منها الا أن تؤدي وظيفتها بنجاح وانتظام على وتيرة واحدة

ان الآلة التي تحتاج الى اصلاحها لهي آلة فاسدة وأما تلك التي لم تصنعها يد

حكيمة فمن الصعب أن نطلق عليها اسم آلة على الاطلاق. على أن كل ماعمله العلم ليثبت أن للعالم نظاما مطردا واحداً يدل أصدق دلالة على أن هنالك قوة خالقة واحدة .

واما فيما يتعلق بنظرية تعدد الآلهة ، أو وجود قوتين قوة للخير وقوة للشر تتنازعان الغلبة باسلحة متساوية ، فانه يقول :

ان الرجال العلميين وأولئك الذين لا يستطيعون أن يلقبوا أنفسهم بهذا اللقب انما يحتجون على ذلك الصراع بين إلـه الخير وإلـه الشر وعلى نظرية تعدد الآلهة عند ما يرفضون الاعتراف بالمعجزات كأنها ايقاف لقانون دني، بقانون أرقى منه لانهم لايجدون دليلا صحيحاً على هذا الايقاف ولكنهم في الوقت نفسه يعتقدون أن تقسيم الاشياء والحوادث الى طبيعية وغير طبيعية يبعد النظام الطبيعي عن دائرة النفوذ الالهية المباشرة اه

(المنار) لامخرج للقسيس انج وغيره من الذين تطالبهم فطرتهم وعقولهم بدين يتآخى فيه العقل والقلب ،ويؤيده المنطق والعلم ، الا باتباع دين القرآن ، المبني على أساس الحجة والبرهان ، وياليته يطلع على ما كتبناه من وجوه إعجازه ، وإذاً لا يرى بدأ من أن يكون من دعاته

آثار المساجد في اصلاح الامة

الخطبة المنبرية

(خطبة منبرية ألقاها صديقنا الاستاذ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي في افتتاح معالي وزير الاوقاف لجامع الخازنداره بشبرا بمصر في يوم الجمعة ٨ شعبان سنه ١٣٤٥ هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٧ م ويعد ذلك الجامع من أهم جوامع القاهرة نظاما وموقعا واتساعا)

الحمد لله يجزي كل امرىء مما عمل فمن عمل صالحا فله جزاءً الحسنى ، ومن عمل سيئا فله سوء العقبى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

أشهد أن لا إله الا الله يعلم نفوسا طيبة طاهرة مخلصة صادقة أنفقت مالها في سبيل دينه واظهار شعائره وإعلاء كلمته (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) ويعلم نفوسا أخرى غرتها زخارف الدنيا حتى ألهتها عن الاخرى ، فأنفقت مالها في سبيل المظاهر الكاذبة والدعاية الباطلة (أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أسوتنا في مكارم الاخلاق ، قدوتنا في صالح الاعمال ، سباقنا الى الخيرات . فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين رووا من علمه ، واستنوا به في عمله (جزاهم الله أحسن ما كانوا يعملون)

﴿أما بعد﴾ فان من أبر الاعمال وأعظمها منزلة عند الله بناء المساجد وتعمير بيوت (أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار * ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) . كيف لاتكون المساجد خير مايبنى وفيها تقام الصلاة التي هي عماد الدين ؟ من أقامها أقامه ومن هدمها هدمه ، الصلاة التي حسب

الجاهلون أنها حركات رياضية لاصلة لها بالاخلاق وسياسة الكون، وما دروا أن بالصلاة توثيق العلاقات بين أهل السماء وأهل الارض، وتوثيق العلاقات بين المخلوقين وأحكم الحاكمين، إن مصر تدعى جهدها في توثيق العلاقات بينها وبين الدول الاجنبية لتأمن شرها وتستجلب خيرها، فهل تلكم الدول أعظم خطراً وأعز جنداً من دولة السماء التي على رأسها رب العالمين، وأعدل الحاكمين، الذي له جنود السموات والارض، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي اذا أراد أمراً فانما يقول له كن فيكون ؟ فاذا كنا ننفق الكثير من أموالنا في سبيل توثيق العلاقات واقامة المؤتمرات، فهلا ننفق القليل من وقتنا في القيام بصلوات نوثق بها الروابط بيننا وبين ربنا وخالقنا فيمدنا بجنده الذي لا يغلب وجيشه الذي لا يقهر (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

ان الرسول ﷺ لما أن آذاه قومه في سبيل الدعوة، ولم ير في مكة جواً صالحا لتتم له الكلمة هاجر منها الى المدينة حيث الانصار الذين (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فلما أن وصل الى قباء أول ضاحية من ضواحي المدينة مكانتها من المدينة مكانة شبرا من القاهرة كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء الذي يقول الله فيه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وكان ﷺ يعمل فيه بنفسه ولما أتمه تحول الى المدينة فتلقاه أهلها فرحين مستبشرين وخرجت ذوات الخدور يتلون

أشرق البدر علينا واختفت منه البدور

مثل حسنك ما رأينا قط ياوجه السرور

وكان أول ماعمله ان شرع في اقامة مسجده المعروف وكان مكانه لغلامين يتيمين فاشتراه منهما بخمسة جنيهات ثم أخذ يبني فيه مع أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الطوب والحجارة ويقول: « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة * فاغفر للانصار والمهاجرة » فأنتم ترون أن أول أعمال الرسول

صلى الله عليه وسلم في المدينة اقامة مسجدين فلم يبدأ بفتح المدارس أو اقامة المستشفيات ، استغفر الله بل فتح المساجد وأقام المدارس وبنى المستشفيات. هل المساجد الامدارس تكون فيها الاخلاق وتهذب الارواح وتلقى فيها الدروس العلمية والعملية ؟ ألست في المساجد تسمع آيات لله تتلى ، وتسمع الحكم العالية ، والنصائح الغالية من كلام خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وان ذلك شفاء لما في الصدور ؟ وهل مداواة الاجسام خير أم مداواة الارواح . إن المساجد بحق بيوت للعبادة ، مدارس للتعليم الصحيح ، مستشفيات لأمراض النفوس

ان المدارس الاولية التي تسعى الحكومة في نشرها جهد الطاقة أنما تعلم الصبيان ، وإن المساجد يعلم فيها الصبيان والشباب والشيوخ ، بل يعلم فيها النساء والرجال ، وإن أنواع المدارس الاخرى انما تعلم بالاجر ، والمساجد فتحت أبوابها لكم لاتتقاضى منكم على التعليم أجرا ولا ثمنا

فالمساجد في الامة تؤدي خدمة عظيمة لاتماثلها خدمة أخرى لو أن القائمين فيها ممن عرفوا الدين حق معرفته ، ودرسوا أصليه كتاب الله والسنة ، لو أنهم ممن خبروا الحياة وعرفوا شؤونها ، وكان لهم بجانب ذلك أرواح طاهرة وعقول نيرة وحكمة بالغة ، وعسى أن يكون ذلك قريبا (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا)

روى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة»

قانون الاحوال الشخصية في مصر

والتنازع بين جمود الفقهاء المقلدين ، والحاد زنادقة المتفرنجين

(١)

لقد بينا في مقالات كثيرة من مجلدات المنار منذ سنته الاولى الى الآن ما كان من تقصير علماء المسلمين فيما يجب عليهم للاسلام وأهله، واشتراكهم مع الحكام والمتصوفة في أسباب اضعافه واضاعة ملكه ، وبينا في مقالات أخرى مفاسد ملاحدة المتفرنجين من المسلمين، وإضاعتهم بقايا تراث الاسلام في شعوبهم من أدب وفضيلة وملك ودين ، وكنا نبين في أثناء بعض هذه المقالات وفي مقالات مستقلة شدة حاجة المسلمين الى حزب إصلاحي معتدل يعرف أهله حقيقة الاسلام الصحيح الخالي من الخرافات والبدع ، الداعي الى الصلاح والاصلاح والسعادة والسيادة والملك، ويعرفون مايتوقف عليه الجمع بين هذين الامرين في هذا العصر من علوم وفنون ونظام ، ليكونوا هم أهل الحل والعقد في شعوب الاسلام ، ثم فصلنا القول في هذه الاحزاب الثلاثة في كتاب (الخلافة أو الامامة العظمى) الذي كتبناه ونشرناه عند شروع الترك في هدم خلافة آل عثمان الصورية ، لبيان ما يجب على المسلمين في هذه الحال

كان الفقهاء المقلدون أعوان الملوك والسلاطين المستبدين والحكام المفسدين، وكان هؤلاء انصارهم ورافعي شأنهم، وكان الغبن في ذلك على الشعوب الاسلامية التي ابتليت برياسة الفريقين ثم اشترك مع الفقهاء في هذه المكانة من الامراء والملوك وأعوانهم شيوخ طرق الصوفية بعد أن صارت رياسة للعوام ، في الاحتفالات البدعية ومآدب الطعام، ليس فيها شيء من التصوف ولا من هداية الاسلام ، فلولا الملوك الجاهلون وأوقافهم لماتفرق المسلمون شيعا وأحزابا باسم المذاهب ، بل كانوا يستقيمون على هدي السلف الصالح ، أمة واحدة متحدة في دينها ودنياها ، تستفيد من علم كل نابغ مجتهد فيها ، من غير تعصب ولا تحزب لأفراد من العلماء، يرجح كل حزب منهم ظن امامه على نصوص الشارع، بل جعلوا

أقوال شيوخهم المتأخرين ، من مقلدي مقلدي المقلدين ، كنصوص القرآن فيما يشبه التعبد بألفاظها ، وعدم الخروج عن معانيها ، وان خالفت نصوص الكتاب والسنة، ونافت جميع مصالح الامة ،حتى ضاق من الحكام بهم كل ذرع ، واضطروا الى مخالفة ماتعارفوا على أنه هو الشرع ، الى أن انقلب ذلك الوضع ، وصار الحكام على هؤلاء الجامدين ضداً ، بعد ان كانوا ردءا لهم ورفدا

فأما الترك فقد تركوا الشرع كله، ونبذوا فرعه واصله، وألغوا محاكمه ومدارسه الشرعية ،واستبدلوا به تشريع الغرب وقوانينه الوضعية

وأما مصر فقد سبقت الترك الى أخذ القوانين المدنية والجزائية عن الافرنج، ثم جهر ملاحدتها في أثناء وضع القانون الاساسي للحكومة الدستورية وفي أثناء وضع مشروع قانون الاحوال الشخصية الاول بأنهم يطلبون حكومة لادينية ، وقانونا مدنيا للاحوال الشخصية ، يكون عاما نافذاً على جميع المصريين ، من ملاحدة ودينيين، مسلمين وغير مسلمين ، ثم نشرت جريدتهم (السياسة) مقالات كثيرة إلحادية بقلم محرريها وبأقلام أنصارها من غيرهم ، ونصروا كتاب الشيخ علي عبد الرزاق - وهو من أركان حزبهم - نصراً مؤزراً لجحده التشريع الاسلامي وزعمه ان الاسلام ليس له دولة ولا حكومة ولا تشريع لانه دين روحاني محض ، ومن ذلك الحين طفق كتاب جريدة السياسة يطعنون في جميع علماء الدين ويحقرونهم ، وكان الدكتور طه حسين أول طاعن في الاسلام والمسلمين من أركان محرري السياسة، ومنهم محمود افندي عزمي أول من كتب في الجرائد مقترحا أن تكون الحكومة المصرية لادينية والاحكام الشخصية فيها مدنية، وهو الآن إمام هذه الدعاية من محرري السياسة

ثم نجم قرن الالحاد في مجلس البرلمان في دورته السابقة ثم في دورته الحاضرة من أفراد من الاعضاء لم يجدوا لهم مفنداً، بل وجدوا مؤيداً: طلب بعض المسلمين منهم في الدورة الماضية فرصة لصلاة المغرب وتخصيص مكان يصلون فيه كما كانت تفعل الدولة العثمانية فقال بعض الاعضاء اننا لانريد صلاة أو ماهذا معناه فنفذ قوله .

وفي الدورة الحاضرة طرحت مسألة تكذيب الدكتور طه حسين للقرآن وطعنه في الاسلام في مجلس النواب الحاضر فألقى بعض الاعضاء باللائمة على الحكومة لتركها إياه

معلما لأولاد الامة في أعلى مدارسها (الجامعة المصرية) وعدم عقابه على الطعن في دينها الرسمي فتصدى للرد عليهم صاحب الدولة رئيس الوزارة عدلي باشا يكن ولكن شايعهم في إدارة نظام المفاوضات صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس المجلس حتى كاد يلجئ رئيس الوزارة إلى الاستقالة فتلافى ذلك بعض النواب وأجلوا البحث إلى ان اجتمع الرئيسان واتفقا على ترك هذه المسألة للقضاء، ثم لم يفعل القضاء شيئا. وبقي الدكتور طه حسين يلقن نابتة الامة التشكيك في الدين ويجرئهم على الالحاد فيه

وصاح عضو من أعضاء مجلس النواب في إحدى جلساته بأنه يجب القضاء على الدين الذي يبيح تعدد الزوجات - يعني دين الاسلام - وقال آخر ان مصطفى كمال باشا لم يفعل إلا إزالة تكايا أهل الطريق الخرافيين فلم ينكر عليهما المسلمون منهم ومعناهما واحد ولكن قال قائل في هذا المجلس «إني بصفتي مسلما» أقول كذا - في مسألة اسلامية خاصة بالمسلمين فصاح بعضهم في وجهه : لاتقل انني مسلم ليس ههنا إلا مصري يمثل جميع المصريين - أو ماهذا معناه، فلم ينكر هذا أحد على قائله بأن تمثيل النائب لجميع المصريين يحرم على المسلم أن يصرح بدينه. فههنا مسألة غفل عنها هؤلاء المتفرنجون وهي أن هذا المجلس يضع قوانين شرعية اسلامية خاصة بالمسلمين وهي موضوع مقالنا هذا فيجب أن يعلم المسلمون بأي صفة أو بأي حق يشترعونها

ثم إن المعاهد الدينية الأزهرية كانت قد نالت من الحكومة المصرية مطالب كانت تعدها ثمرة لاشتراكها في الاعمال الوطنية التي قامت بها الامة منذ ثورة سنة ١٩١٩ فسلبتها إياها الحكومة الائتلافية الدستورية الحاضرة فثار طلاب الازهر وملحقاته باغراء بعض المدرسين ثورة شؤمى سددوا فيها سهامهم الى الدستور والبرلمان المصري والحكومة باغراء بعض أهل الأهواء السياسية المناوئة للدستور، على مايعتقد الجمهور، فنصح لهم العقلاء من أساتذتهم بترك هذا التهور والاعراض عن أغراضهم به، نفرتهم كثرتهم وشقشقة ألسنتهم فلم تغنيا عنهم شيئاً، كبحت الحكومة كل ماكان لهم من جماح، وقصصت كل ما كان لهم من جناح، فأصبحوا في معاهدهم جاثمين، وانطلقت ألسنة الجرائد في أعراضهم، وطفقت النيابة العامة تبحث عن موجبات العقاب القانوني من أقوالهم، وتدعو الى دور القضاء المتهمين

من طلابهم وأساتذتهم ، ثم حكمت على بعضهم،فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، ولم يكونوا في ثورتهم ولا في سكونهم بمهتدين

ثم نقب بعض النواب عما أخذ الاستاذ الا كبر شيخ الجامع الازهر من وزارة الاوقاف من المال الذي انفق في سبيل مؤتمر الخلافة الذي تولى مع هيئة كبار العلماء الدعوة اليه، فجاءهم وزير الاوقاف ببيانه وقدره ٢٥٠٠ جنيه فهاجت الاحزاب الائتلافية الساخطة على شيخ الازهر وعلى العلماء العاملين في مؤتمر الخلافة،وأنشأت جرائدها تشايع من بالغ من النواب في إنكار هذا العمل وكان لذلك سببان سياسي وإلحادي:

(السبب الاول) ان الاحزاب البرلمانية المؤتلفة التي تمثلها الحكومة الحاضرة تعد شيخ الجامع الازهر وكبار علمائه من أنصار حزب الاتحاد الذي كان يؤيد الوزارة التى تولت أمر الحكومة في عهد تعطيل الدستور بقوة الاحتلال القاهرة، إذ كان يعد نفسه ويعدونه هم حزب (السراي) العامرة، وكان حسن نشأت باشا وكيل وزارة الاوقاف ورئيس الديوان الملكي بالنيابة ، هو المرجع لشيخ الازهر والسكرتير العام للمعاهد الدينية في أمر الدعوة الى تأليف مؤتمر الخلافة، ولذلك كان حزب الاتحاد وحده هو المؤيد لهذا المؤتمر وهو الذي لا يزال يدافع عنه وعن أهله في جريدته الى اليوم كما بلغنا . وكانت الجرائد الوفدية والدستورية تطعن فيه ، وهى التي أثارت مسألة نفقاته من بعد ، وألبسوها ثوبا من التدليس أو التزوير ، تولى كبره بزعمهم الاستاذ الا كبر ؛ وشاركه في وزره كل من أصابه شيء من المال للمساعدة على هذا العمل، ذلك بأنه وجد في الوثائق الرسمية ان الشيخ طلب من وزير الاوقاف مبلغا من أموال الاوقاف الخيرية لينفق على بعض «الاعمال السائرة» في المعاهد الدينية وهو «لا يدخل في ميزانيتها» فأعطاه وزير الاوقاف خمسمائة جنيه من فضل وقف يسمى وقف أم حسين عملا برأي لجنة الاوقاف الاستشارية ، ثم طلب مبلغا بعد مبلغ فكان جملة ما أخذه ٢٥٠٠ جنيها أنفقها في هذه السبيل، وهو زهاء

(السبب الثاني) أن حزب الملاحدة افترص هذه الحملة وما ألبسته من ثوبي زور للانتقام من رجال الدين وتحقيرهم ، وابطال ثقة العامة بدينهم وعلمهم؛ فطفق كتابه يحبرون المقالات في إثر المقالات ، ويوالون الصيحات والهيعات: أيها

المسلمون ، انظروا مافعل علماؤكم الدينيون ، أكلوا أموال الفقراء والمساكين ، واستحلوا ماحرم رب العالمين ، فأثبتوا لكم أنه لاذمة لهم ولا دين ، واننا نحن الذين ينبزوننا بألقاب الالحاد والزندقة، والاباحة المطلقة، نغار على دينكم وأوقافكم ، ونضرب على أصابعهم أن تستدر أخلافكم ،الاوقاف الاوقاف،ذهبت الاوقاف ، هلك مستحقو الاوقاف ، فعاقبوا شيخ الازهر ، على مادلس وزوّر ، . . .

هل يصدق احد من علماء الدين ، أو رجل مستقل الفكر ولو من غير المسلمين، أن أحداً من هؤلاء الصائحين النائحين ، يغار على الاقاف أو يدافع عن الفقراء والمساكين ، وهم يعلمون ان عشرات الالوف من الجنيهات تصرف منها كل عام في غير مصارفها الشرعية، ولا يرون جريدة تقول كلمة فى ذلك؟ أم يعتقد عاقل أن شيخ الأزهر خدع وزير الاوقاف العالم القانوني وغشه بايهامه إياه أن ماطلبه من المال لبعض الاعمال السائرة في المعاهد الدينية كان يريد انفاقه على العلم والتعليم بشرط أن لايدخل ميزانيـة المعاهد ؟ أيجهل أحد من رجال الحكومة وأصحاب الصحف ومحرريها أو من الواقفين على الشؤون العامة من أعضاء البرلمان وغيرهم أن وزير الاوقاف ووكيـل وزارته ولجنة الشورى فيه كانوا يعلمون أن شيخ الازهر قد طلب المال لأجل النفقة على مؤتمر الخلافة الذي شرع في دعوة العالم الاسلامي اليه ؟ كلا انهم يعلمون ذلك ولكنهم يغشون من لا يعلم من النواب والعوام .فان كان في الطلب تزوير فالمسئول الاول عنه وزير الاوقاف لاشيخ الجامع الازهر

والحق أن شيخ الازهر طلب مايعتقد أنه حق مشروع وأنفقه في سبيله ، وإن أساءت السكرتارية في تفصيله، فان مسألة الخلافة من أهم المسائل الاسلامية التي يجوز الانفاق في سبيلها من أموال الاوقاف الخيرية العامة وأما الشكل الذي أبرز الطلب فيه وبني الدفع عليه فالظاهر أنه أمر شكلي وضعته لجنة الاستشارة فى الاوقاف

كان مجموع ماأجملناه من حوادث مصادمة الدين وتحقير رجاله موسعاً لمسافة الخلف وسوء الظن بين رجال الدين وبين دعاة الالحاد الذين صرحوا في مقالات عديدة نشرت في جريدة السياسة بأن ثقافة التفرنج الجديدة التي ترفع أركانها مدرسة الجامعة المصرية ستقضي على الثقافة الاسلامية التي كان ينبوعها الجامع الازهر

في أثناء هذا التنازع والتصارع بين الاسلام والالحاد قامت الحكومة بمشروع قانون الاحكام الشخصية الذي نص فيه على منع عقد المسلم التزوج على زوج ثانية إلا بشروط فوض الامر فيها إلى القاضي وعلى أحكام أخرى مخالفة للمذاهب الاربعة التي تدرس في الازهر وأمثاله من مدارس أهل السنة . فأوجس جمهور علماء الازهر وغيرهم خيفة منه؛ وعدوه خطوة أو خطوات في الطريق التي سبقت اليها الحكومة التركية من تحديد سن الزواج في كل من الزوجين الذي تبعتها فيه الحكومة المصرية ومن وضع (قانون العائلة) الذي هي بصدد أتباعها فيه ، وأخوف ما يخيفهم منه هو جعل هذه الاحكام قانونا ، وجعل الشارع له البرلمان المصري المؤلف من المسلمين وغير المسلمين ، وبناء تنفيذه على هذا لا على كون الشارع له هو الله ورسوله

ومن سوء حظ الازهر أن الجامدين على التعصب لكتب معينة في فقه المذاهب الاربعة ليسوا أصحاب حجة ولا برهان ، ولا يقدرون على الدفاع عن الدين بالسلاح العلمي القاطع في هذا الزمان، بل يريدون أن يكونوا على ما عهدوا في الزمن الماضي من التسليم لهم بما يقولون انه حكم الله ، وهم يفتون في مسائل حادثة لم تكن في عصر التنزيل، ولا في عصور الاجتهاد المطلق أو المقيد أو التخريج أو التصحيح واجتهاد المجتهد ظن له لا حكم لله، والتخريج عليه أبعد منه عن ذلك، والتصحيح لأحد قولين مخرجين على نصوص المجتهد أو قواعده ، لا يرتقي صاحبه إلى درجة المخرج له ، ودون هذه الطبقة طبقة ناقلي التصحيح ، ومنهم أفقه فقهاء هذا العصر على حسب عرف هؤلاء المقلدين . فهم في الدرجة الخامسة عند طائفة والسادسة عند أخرى ، وبينهم وبين معرفة حكم الله تعالى خمسة حجب أو ستة باعترافهم

ألا إن العالم يحتاج الى اصلاح ،ولن يستطيع شعب اسلامي أن يتحمل أثقال تقليد هؤلاء المقلدين لمذهب واحد ، ولا أن يجعلوا مصالحهم الزوجية والمنزلية والمالية منوطة بفهمهم لكتب مذهب واحد في عسره ويسره؛ وقد آن للمستقلين في فهم الدين، أن يبينوا يسر الشرع الالهي للمسلمين،فقد زالت دولة هؤلاء الجامدين المشددين ، ويخشى أن يدال منها للملاحدة المتفرنجين ، وفي الازهر وغيره من المعاهد الدينية أنصار لهذا الاصلاح سيجدون أعوانا لهم من جميع الطبقات (للموضوع تتمة)

أنباء العالم الإسلامي

﴿ دعاة الشقاق للحرب بين الامامين يحيى وعبد العزيز ﴾

لاتزال اشاعات الشر عن استعداد الامام يحيي لايقاد نار الحرب تطوف الاقطار فتشغل الصحف وقراءها، ويتردد في بعض المجالس الخاصة ماهو شر مما تنشر الصحف منها . ومن هذا النوع ماورد في مكتوبات خاصة من عدن وغيرها من أن محاضيء الفتنة من روافض الاعاجم وأنصارهم من الهنود السياسيين قد أرسلوا الى الامام يحيى وفداً يعرض عليه امداده بألف ألف جنيه مساعدة له على قتال الملك ابن السعود لاخراجه من الحجاز ، ويقال إن مع العضو الايراني من هذا الوفد عضواً أفغانيا فياليت شعري هل هو عضو ملفق في الهند أم استطاع شاه إيران استمالة أمير الافغان السني المصلح المدني ليساعده على هدم السنة ومعاداة أنصارها ؟ الراجح عندنا أن الوفد كله ملفق باغواء أعداء الاسلام والعرب راجا محمود آباد وأعوانه الساعين في منع الحج ولهؤلاء حزب في بعض بلاد الشرق

وفي سورابايا (جاوه) جريدة عربية لهذا الحزب ، تجهر بالدعوة إلى هذه الحرب ، وهي التي كان قد أسسها بعض غلاة الرفض من علوية الحضارم لدعايته في تلك البلاد التي ينتمي جميع أهلها إلى مذهب الامام الشافعي من أئمة السنة فأحدثوا بينهم من الشقاق مااشتهر أمره ، وكان سببا لتأليف عدة جمعيات تطعن في العلويين أقبح الطعن بعد ما كان من الاجماع على تعظيمهم وتكريمهم ، وفاء لأسلافهم الذين نشروا الاسلام ومذهب الشافعي هنالك

تعظم هذه الجريدة أمر الامام يحيى حميد الدين وتكبر قوته وتغلو في استعداده الحربي وتحبذ ماعقده من الاتفاق مع الدولة الايطالية ، وتطعن في الامام عبدالعزيز ابن السعود وتهون أمره وتحقر قوته ، ولا عجب فقد سمع بعض علماء مصر وفضلائها من زعيم من أشهر رجال هذا الحزب أنه يفضل استيلاء دولة أوربية على الحجاز ويراه أضعف ضرراً من استيلاء ابن سعود عليه ، ولكن الامام يحيى أعلم من هؤلاء المتهورين بحقيقة قوته وقوة ملك الحجاز ونجد ، وأعلم منهم بمصلحته

ومصلحة بلاده ، وسيرى العالم منتهى شوطهم في اغرائه وتوريطه

وأما نحن فاننا نرى أن السياسة المثلى التي يجب أن يتبعها الامامان في الجزيرة العربية هي سياسة التآلف والتحالف والتعاون على حفظ استقلال مهد الاسلام أن تمتد اليه يد الاستعمار ونفوذ الاجانب، ونرى أن من يوقد نار الحرب منهما على الآخر هو أكبر المجرمين ولا يقبل له عذر من الاعذار ، ونرى مع هذا أن الخطر على اليمن أقوى وأقرب من الخطر على الحجاز ونجد، ولعل الامام يحيي قد شعر بزلته في الاتفاق مع إيطالية، وإذ ألا يختار لنفسه الدخول في مأزق يضطره الى تمكينها من قياده، ورسوخ قدمها في بلاده

الحج في هذا العام

نحمد الله تعالى أن أرى حزب الجريدة (الحضرموتية) بوادر خذلانه في الدعوة إلى هدم ركن الاسلام الركين (الحج) في البلاد التي ينفث سمومه الرفضية فيها وهي جزائر جاوه وما جاورها ، فان المسلمين قد لبوا دعوة الله تعالى على لسان رسوله وخليله ابراهيم ولسان رسوله وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهما إلى حج بيته الحرام الوفا وراء ألوف وداسوا بأرجلهم دعوة هذا الحزب الذي كان يرفض السنة فانتهى إلى رفض الفرض ، كما خذل أمثالهم في الهند الانكليزية أيضاً بالرغم من أنف المتجرين بالدين في سوق السياسة شوكت علي ومحمد علي، والمرجو أن لا يقل حجاج هذا العام من البحر عن مائة وخمسين ألف ،

وقد بلغنا أن حكومة العراق لم تمنع الحج رسمياً ، ولكن بعض الزعماء من أعداء السنة ومن أصدقاء الملك هم الذين يصدون عنه صدوداً ، فانحصر المنع الرسمي لاداء هذه الفريضة في الدولة الايرانية ، فأين علماء الشيعة في بلادها وفي الهند والعراق وجبل عامل ؟ كيف يسكتون عنها في هذا العام، بعد أن ثبت بالتواتر بطلان ما بنت عليه المنع في العام الماضي من عدم الثقه بالأمن ، ودعوى إلزام الناس أن يؤدوا المناسك على مذهب الحاكم دون مذاهبهم ؟ ونحن نطلب من علماء النجف وكربلاء وجبل عامل إصدار بيان ينشر في الصحف بأركان الحج وشروط وجوبه لنعلم هل لحكومة إيران عذر في المذهب الجعفري أو الاثنى عشري في منع المسلمين من إقامة هذا الركن من أركان الدين ، بنص قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين)



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ شوال سنة ١٣٤٥هـ ١١ برج الثور سنة ١٣٠٦هـ ش ٢ مايو سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

حكم بناء فنادق المسافرين ، واجارتها لغير المسلمين

(س ٥) جاءنا من عمر بك الداعوق أحد أعضاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية العاملين في بيروت كتابا يتضمن الاستفتاء في بناء فندق للجمعية كفنادق مصر الكبرى وتأجيره . . . فأجبناه بالجواب الآتي المتضمن للسؤال :

من محمد رشيد رضا إلى حضرة الوطني العمراني العامل عمر بك الداعوق .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد كتبت إليّ بأن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت قد طلب منها إنشاء فندق على الطراز الحديث كفنادق القطر المصري الكبرى لاستثماره بالاجارة ، وصرف أجرته السنوية في تعليم أولاد فقراء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة

وسألتني هل في تأجير الفندق محذور شرعي يحرمه ؟ ولم تذكر لي ماعرض لك من الشبهة على تحريمه فكانت سبب السؤال ، وما تأجير الفندق إلا كتأجير دور السكنى للأفراد وأهل بيوتهم وحوانيت التجارة ومخازنها ، وأنا أعلم أن

للجمعية شيئاً من ذلك تؤجره كما أن لبعض أعضائها مثل ذلك ، فما بالكم تؤجرون هذه المباني ولا تستفتون في تأجيرها لان الاجارة من العقود المعلوم حلها من الدين بالضرورة ، وخصصتم إجارة الفندق بالاستفتاء والحال ان المراد صرف أجرته في أشرف الاعمال وأفضلها ويتسامح في المصالح العامة ما لا يتسامح في المنافع الخاصة ؟

فاذا كانت الشبهة على هذا ان بعض المسافرين الذين ينزلون في هذه الفنادق قد يشربون الخمر فيها ، والمستأجر يعدها لهم ويبيعهم اياها ، فكان البيوت والدور وغيرها وتجار الحوانيت منهم من يشربون الخمر ويفعلون غير ذلك من المعاصي كالبيوع الباطلة أو الفاسدة والغش ، ولا نعلم ان أحداً من أئمة الفقه اشترط في صحة اجارة الدار أن يكون المستأجر مسلما من الصالحين المتقين لئلا يرتكب فيها محرما . فالتأجير لغير المسلم وللمسلم الفاسق جائز بالاجماع ، واننا نرى وزارة الأوقاف بمصر ونظار الاوقاف الخاصة في هذه البلاد وغيرها من بلاد الاسلام يؤجرون الدور الموقوفة للمسلمين وغير المسلمين ولا يبحثون عن عقائدهم ولا عن أعمالهم . وأوقاف المساجد والاعمال الخيرية في ذلك سواء . والفنادق الكبرى في مصر يستأجرها ويدير نظامها أناس ليسوا من المسلمين ولا من دار لاسلام . وقد نص الفقهاء على ان غير المسلم لا يكلف مراعاة الشريعة الاسلامية في الحلال والحرام كالعبادات ، كما أن المسلم نفسه لا يكلف مراعاة الاحكام الشرعية الاسلامية المدنية في غير دار الاسلام ، كشروط البيع والاجارة والشركات ، وكذلك يكون فندق جمعيتكم في بيروت غالبا وان كان فيها فنادق أخرى صغيرة محلية يتولى ادارتها بعض المسلمين .

وأنتم تعلمون ان بيروت وسائر سورية الآن ليست دار اسلام أي ان الاحكام المدنيه فيها ليست على الشريعة الاسلامية . والسلطة فيها ليست في أيدي المسلمين ، هذا وان أكثر أحكام المعاملات المدنية في الشريعة الاسلامية اجتهادية مبنية على ضبط المعاملات التي تدور على حفظ المصالح ودرء المفاسد ، وقد أفتى الفقهاء بحل جميع أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها ،

فما كان برضاهم أو عقودهم فهو حلال لنا منها يكن أصله حتى الربا الصريح ، ويجري على هذا مسلمو بعض الأقطار كالصين وكذا بعض بلاد الهند فيما بلغنا . ومن أفظع الجهل بأحكام شريعتنا وحكمها أن نجعلها وهي الحنيفية السمحة التي غايتها سعادة الدارين سببا لشقاء المسلمين وفقرهم واستيلاء غيرهم على ثروتهم في دارهم وغير دارهم ، وهم يعلمون ان جميع الاحكام المالية حتى الدينية منها كالزكاة لم تشرع الا بعد ان صار للمسلمين دار تنفذ فيها احكامها بعد الهجرة النبوية

فان قلت : هل يحل للمسلم ان يبني معبداً ليؤجره لأهل ملة يعبدون فيه غير الله تعالى او حانة للخمر او ماخوراً للفسق يؤجرهما لغير المسلمين لينتفع بمالهم ؟ قلت لايحل له ذلك لانه يبني لاجل الشرك بالله ونشر الفسق الذي حرمه الله ابتداء وقصداً لذلك . والفندق ليس كذلك اذ لا يبنى لأجل الشرك ولا لأجل الفسق ولا يؤجر لأجلها مباشرة وقصداً ، بل القصد منه ايواء المسافرين فهو كالدور التي يسكنها الافراد والاسر ، والمستشفيات التي تعد لمداواة المرضى ، وفي كل من الدور والمستشفيات قد يقع بعض المحرمات من شرب الخمر وغيره من المكلفين بفروع الشريعة وغيرهم ، ولكن الدار لم تبن ولم تؤجر لاجل هذه المحرمات التي قلما يخلو منها مكان في هذا العصر ، وكذلك المستشفى

وههنا مدرك آخر للنازلة المسؤل عنها وهي مراعاة حال العصر التي يعبر عنها الفقهاء بعموم البلوى فمن المعلوم انمدينة بيروت أكثر أهلها من غير المسلمين وان المسلمين فيها قد فشت فيهم ضروب من الفسق كشرب الخمر والزنا من الكبائر ، والظهور على عورات النساء المحارم وغير المحارم من الصغائر التي هي ذرائع الكبائر ، والكثير من دورها وحوانيتها أو أكثرها للمسلمين ، فاذا لم يبح لهم اجارة دورهم وحوانيتهم إلا لمسلم صالح تقي يرجح المستأجر انه لا يرتكب فيها محرما ـ فان أكثرها يصير معطلا خاليا لا ينتفع به بل يسرع اليه الخراب، كما يسرع الى أهله الفقر والفناء، لان المسلم الصالح التقي المأمون فسقه قليل وربما يكون مالكا لبيت يسكنه

وهذا حجة الاسلام الغزالي من اكبر فقهاء الشافعية وصوفية المسلمين الورعين قد أفتى بأن المال اذا حرم كله في بلد أو قطر حل كله . وقال هو وغيره ان البلاد

التي يغلب أو يعم فيها المال الحرام بالمعاملات الباطلة والفاسدة لا يؤخذ فيه بقول من قال انه يتعدى بل يكفي المسلم الورع فيه ان يأخذ المال من طريق حلال وان كان أصله حراما

فاذا راعينا مع هذا قاعدة امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى في كون العبادات يؤخذ فيها بظواهر النصوص من الكتاب والسنة وكون مدار أحكام المعاملات على المصلحة وان النصوص ترد اليها ، وتذكرنا مع هذا انه ليس لدينا نص من الكتاب ولا من السنة في تحريم بناء الفنادق ولا تحريم اجارتها يعارض أصل الاباحة أو يعارض المصلحة المعلومة بالقطع لم يبق لديك احتياج الى دليل آخر على الحل الذي لاتشوبه شبهة

وفوق هذا كله خطر تحريم مالم يحرمه الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله بنص قطعي لا شبهة فيه . هذا الخطر أكبر وأشد وأعظم من خطر اتقاء شبهة في عمل حلال في الاصل كالشبهة التي فرضناها في نازلتنا

يقول علماء الاصول ان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، فأين هذا الخطاب في مسألتنا ؟ قد أنزل الله تعالى في أم الخبائث وأضر الرذائل قوله لرسوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) وما كان ضرره أكبر من نفعه والمفسدة فيه أكبر من المصلحة بتجارب الناس فهو محرم عند جميع فقهائنا ، ولكن رسول الله ﷺ لم يحرم الخمر والقمار على جميع المسلمين بهذه الآية التي أخبر فيها رب العالمين المحيط بكل شيء علما بان اثمهما أكبر من نفعهما ، فعلم منه أن هذا لا يقتضي ترك جميع الناس لهما اقتضاء قطعيا جازما ، اذ بقي فيه مجال لاجتهاد الافراد في الموازنة بين النفع والضرر ولذلك ترك الخمر والميسر بعض الصحابة لأنهم فهموا منها التحريم، وظل بعضهم يشرب الخمر ويأكل مال الميسر ، وظل عمر بن الخطاب (ض) يقول : اللهم بين لنا في الخمر بيانا — حتى اذا مانزلت آيات سورة المائدة آمرة باجتنابها أمراً صريحاً قطعيا لايحتمل التأويل مؤكدة له ببيان علته وبقوله تعالى (فهل أنتم

منتهون)؟ قال جميع المسلمين قد انتهينا ياربنا . وصار كل من عنده خمر يهرقها حتى سالت بها شوارع المدينة كأودية السيل

إن التحريم الديني على العباد حق الله وحده وقد قال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال في بيان أصول الكفر والمعاصي الكلية (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) قال بعض المحققين إن هذه المحرمات قد ذكرت على طريقة الترقي في الغلظة والشدة كل نوع أغلظ مما قبله، وذلك أن كلا من المعاصي والشرك والكفر قسمان قاصر على فاعله ، ومتعد إلى غيره ، فمعصية البغي على الناس أشد من الفاحشة والاثم القاصر على فاعله ، والشرك بالقول على الله تعالى بغير علم أغلظ من الشرك القاصر على فاعله . وقد صرح الكتاب العزيز بأن القول في الشرع بغير وحي من الله تعالى شرك به في قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسرها النبي ﷺ نفسه في حديث عدي بن حاتم بانهم كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم ، فهذا معنى اتخاذهم أربابا . ويراجع النص في التفسير المأثور من شاء

أكتفي بهذا في بيان دحض شبهة تحريم بناء الفندق وتحريم إجارته (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ النوع الثاني ﴾ من موارد النزاع ان عثمان كان لا يرى مسافرا الا من حمل الزاد والمزاد دون من كان نازلا فكان لا يحتاج فيه الى ذلك كالتاجر والتاني (١) والجابي الذين يكونون في موضع لا يحتاجون فيه إلى ذلك ولم يقدر عثمان للسفر قدرا بل هذا الجنس عنده ليس بمسافر وكذلك قيل إنه لم ير نفسه والذين معه مسافرين بمنى لما صارت منى معمورة. وذكر ابن أبي شيبة عن ابن سيرين أنه قال كانوا يقولون السفر الذي تقصر فيه الصلاة الذي يحمل فيه الزاد والمزاد ومأخذ هذا القول والله أعلم أن القصر انما كان في السفر لا في المقام والرجل اذا كان مقيما في مكان يجد فيه الطعام والشراب لم يكن مسافرا بل مقيما بخلاف المسافر الذي يحتاج أن يحمل الطعام والشراب فان هذا يلحقه من المشقة ما يلحق المسافر من مشقة السفر وصاحب هذا القول كأنه رأى الرخصة انما تكون للمشقة والمشقة انما تكون لمن يحتاج الى حمل الطعام والشراب ، وقد نقل عن غيره كلام يفرق فيه بين جنس وجنس روى ابن ابى شيبة عن علي بن مسهر عن ابى اسحاق الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال لا يغرنكم سوادكم هذا من صلاتكم فانه من

«١» كذا بالأصل

مصركم فقوله من مصركم يدل على انه جعل السواد بمنزلة المصر لما كان تابعا له وروى عبدالرزاق عن معمر عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنت مع حذيفة بالمدائن فاستأذنته أن آتي اهلي بالكوفة فأذن لي وشرط عليّ ان لا افطر ولا اصلي ركعتين حتى ارجع اليه وبينهما نيف وستون ميلا وعن حذيفة ان لا يقصر الى السواد وبين الكوفة والسواد تسعون ميلا وعن معاذ بن جبل وعقبة بن عامر لا يطأ احدكم بماشية احداب الجبال أو بطون الاودية وتزعمون انكم سفر لاولا كرامة انما التقصير في السفر من البآءآت(١) من الافق إلى الافق

(قلت) هؤلاء لم يذكروا مسافة محدودة للقصر لا بالزمان ولا بالمكان لكن جعلوا هذا الجنس من السير ليس سفرا كما جعل عثمان السفر ما كان فيه حمل زاد ومزاد فان كانوا قصدوا ماقصده عثمان من ان هذا لا يزال يسير في مكان يحمل فيه الزاد والمزاد فهو كالمقيم فقد وافقوا عثمان لكن ابن مسعود خالف عثمان في اتمامه بمنى ، وان كان قصدهم ان اعمال البلد تبع له كالسواد مع الكوفة وانما المسافر من خرج من عمل الى عمل كما في حديث معاذ من افق الى افق فهذا هو الظاهر ولهذا قال ابن مسعود عن السواد فانه من مصركم وهذا كما ان ماحول المصر من البساتين والمزارع تابعة له فهم يجعلون ذلك كذلك وان طال ولا يجدون فيه مسافة وهذا كما ان المخاليف وهي الامكنة التي يستخلف فيها من هو خليفة عن الامير العام بالمصر الكبير . وفي حديث معاذ من خرج من مخلاف الى مخلاف يدل على ذلك مارواه محمد بن بشار

«١» كذا بالأصل

حدثنا ابو عامر العقدي حدثنا شعبة سمعت قيس بن عمران بن عمير يحدث عن ابيه عن جده انه خرج مع عبدالله ابن مسعود وهو رديفه على بغلة له مسيرة اربعة فراسخ فصلى الظهر ركعتين، قال شعبة اخبرني بهذا قيس بن عمران وابوه عمران بن عمير شاهد وعمير مولى ابن مسعود ، فهذا يدل على ان ابن مسعود لم يحد السفر بمسافة طويلة ولكن اعتبر امراً آخر كالاعمال وهذا أمر لا يحد بمسافة ولا زمان لكن بعموم الولايات وخصوصها مثل من كان بدمشق فاذا سافر الى ماهو خارج عن اعمالها كان مسافراً . واصحاب هذه الاقوال كأنهم رأوا ما رخص فيه للمسافر إنما رخص فيه للمشقة التى تلحقه في السفر ، واحتياجه إلى الرخصة ، وعلموا أن المنتقل في المصر الواحد من مكان إلى مكان ليس بمسافر ، وكذلك الخارج إلى ما حول المصر كما كان النبي ﷺ يخرج إلى قبا كل سبت راكبا وماشيا ، ولم يكن يقصر وكذلك المسلمون كانوا ينتابون الجمعة من العوالي ولم يكونوا يقصرون فكان المنتقل في العمل الواحد بهذه المثابة عندهم

وهؤلاء يحتج عليهم بقصر أهل مكة مع النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة ومنى ، مع ان هذه تابعة لمكة ومضافة إليها وهي أكثر تبعا لها من السواد للكوفة وأقرب اليها منها فان بين باب بني شيبة وموقف الامام بعرفة عند الصخرات التى في أسفل جبل الرحمة بريد بهذه المسافة وهذا السير وهم مسافرون واذا قيل المكان الذي يسافرون اليه ليس بموضع مقام قيل بل كان هناك قرية نمرة والنبي ﷺ لم ينزل بها وكان بها أسواق وقريب منها عرنة التى تصل واديها بعرفة ولانه لافرق بين السفر الى بلد تقام فيه وبلد لا تقام فيه اذا لم يقصد الاقامة فان النبي ﷺ و المسلمين سافروا الى مكة وهي بلد يمكن

الاقامة فيه وما زالوا مسافرين في غزوهم وحجهم وعمرهم وقد قصر النبي ﷺ الصلاة في جوف مكة عام الفتح وقال «يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر» وكذلك عمر بعده فعل ذلك، رواه مالك باسناد صحيح ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر بمنى[1] ومن نقل ذلك عنهم فقد غلط وهذا بخلاف خروج النبي ﷺ الى قبا كل سبت راكبا وماشيا وخروجه الى الصلاة على الشهداء فانه قبل أن يموت بقليل صلى عليهم وبخلاف ذهابه الى البقيع وبخلاف قصد أهل العوالي المدينة ليجمّعوا[2] بها فان هذا كله ليس بسفر فان اسم المدينة متناول لهذا كله وانما الناس قسمان الاعراب وأهل المدينة ولان الواحد منهم يذهب ويرجع الي أهله في يومه من غير أن يتاهب لذلك اهبة السفر فلا يحمل زاد ولا مزادا لا في طريقه ولا في المنزل الذي يصل اليه ولهذا لا يسمى من ذهب الي ربض مدينته مسافرا ولهذا تجب الجمعة على من حول المصر عند أكثر العلماء وهو يقدر بسماع النداء وبفرسخ ولو كان ذلك سفرا لم تجب الجمعة على من ينشيء لها سفرا فان الجمعة لا تجب على مسافر فكيف يجب أن يسافر لها

وعلى هـذا فالمسافر لم يكن مسافرا لقطعه مسافة محـدودة ولا لقطعه أياما محدودة بل كان مسافرا لجنس العمل الذي هو سفر وقد يكون مسافرا من مسافة قريبة ولا يكون مسافرا من أبعد منها مثل أن يركب فرسا سابقا ويسير مسافة بريد ثم يرجع من ساعة الى بلده فهذا ليس مسافرا وان قطع هذه المسافة في يوم وليلة ويحتاج في ذلك الى حمل

(١) اي لم يأمروا اهل مكة بالاتمام لانهم يعدون في منى مسافرين

(٢) اي ليصلوا الجمعة

زاد ومزاد فكان مسافرا كما كان سفر أهل مكة الي عرفة ولو ركب رجل فرسا سابقا الى عرفة ثم رجع من يومه الي مكة لم يكن مسافرا يدل على ذلك أن النبي ﷺ لما قال « يمسح المسافر ثلاثة أيام ولياليهن والمقيم يوما وليلة » فلو قطع بريدا في ثلاثة أيام كان مسافرا ثلاثة أيام ولياليهن فيجب أن يمسح مسح سفر ولو قطع البريد في نصف يوم لم يكن مسافرا فالنبي ﷺ انما اعتبر أن يسافر ثلاثة أيام سواء كان سفره حثيثا أو بطيئا سواء كانت الايام طوالا أو قصارا ومن قدره ثلاثة أيام أو يومين جعلوا ذلك بسير الابل والاقدام وجعلوا المسافة الواحدة حدا يشترك فيه جميع الناس حتى لو قطعها في يوم جعلوه مسافرا ولو قطع ما دونها في عشرة أيام لم يجعلوه مسافرا وهذا مخالف لكلام النبي ﷺ

وايضا فالنبي ﷺ في ذهابه الى قبا والعوالي واحد ومجيء اصحابه من تلك المواضع الى المدينة انما كانوا يسيرون في عمران بين الابنية والحوائط التي هي النخيل وتلك مواضع الاقامة لا مواضع السفر ، والمسافر لابد ان يسفر اي يخرج الى الصحراء فان لفظ السفر يدل على ذلك يقال سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته فاذا لم يبرز الى الصحراء التي ينكشف فيها من بين المساكن لا يكون مسافرا قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق) وقال تعالى (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) فجعل الناس قسمين اهل المدينة والاعراب . والاعراب هم اهل العمود واهل المدينة هم اهل المدر فجميع من كان ساكنا في مدر كان من اهل المدينة ولم

يكن للمدينة سور يتميز به داخلها من خارجها بل كانت محال، محال، وتسمى المحلة دارا، والمحلة القرية الصغيرة فيها المساكن وحولها النخل والمقابر ليست ابنية متصلة، فبنو مالك بن النجار في قريتهم حوالي دورهم اموالهم ونخيلهم، وبنو عدي بن النجار دارهم كذلك، وبنو مازن بن النجار كذلك، وبنو سالم كذلك وبنو ساعدة كذلك، وبنو الحارث بن الخزرج كذلك، وبنو عمرو بن عوف كذلك وبنو عبد الاشهل كذلك، وسائر بطون الانصار كذلك، كما قال النبي ﷺ «خير دور الانصار دار بني النجار ثم دار بني عبد الاشهل ثم دار بني الحارث ثم دار بني ساعدة وفي كل دور الانصار خير» وكان النبي ﷺ قد نزل في بني مالك بن النجار وهناك بنى مسجده وكان حائطا لبعض بني النجار فيه نخل وخرب وقبور فأمر بالنخل فقطعت وبالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبنى مسجده هناك وكانت سائر دور الانصار حول ذلك قال ابن حزم ولم يكن هناك مصر قال وهذا امر لا يجهله احد بل هو نقل الكوافي عن الكوافي وذلك كله مدينة واحدة كما جعل الله الناس نوعين اهل المدينة ومن حولهم من الاعراب، فمن ليس من الاعراب فهو من اهل المدينة، لم يجعل للمدينة داخلا وخارجا وسورا وربضا كما يقال مثل ذلك في المدائن المسورة، وقد جعل النبي ﷺ حرم المدينة بريدا في بريد والمدينة بين لابتين، واللابة الارض التي ترابها حجارة سود وقال «ما بين لابتيها حرم» فما بين لابتيها كله من المدينة وهو حرم فهذا بريد لا يكون الضارب فيه مسافرا. وان كان المكي اذا خرج الى عرفات مسافرا فعرفة ومزدلفة ومنى صحاري خارجة عن مكة ليست كالعوالي من المدينة وهذا ايضا

مما يبين انه لا اعتبار بمسافة محدودة فان المسافر في المصر الكبير لو سافر يومين او ثلاثة لم يكن مسافرا والمسافر عن القرية الصغيرة اذا سافر مثل ذلك كان مسافرا فعلم انه لا بد ان يقصد بقعة يسافر من مكان الى مكان فاذا كان ما بين المكانين صحراء لا مساكن فيها يحمل فيها الزاد والمزاد فهو مسافر وان وجد الزاد والمزاد بالمكان الذى يقصده ،

وكان عثمان جعل حكم المكان الذي يقصده حكم طريقه فلا بد ان يعدم فيه الزاد والمزاد وخالفه اكثر علماء الصحابة وقولهم ارجح فان النبي ﷺ قصر بمكة عام فتح مكة وفيها الزاد والمزاد واذا كانت منى قرية فيها زاد ومزاد فبينها وبين مكة صحراء يكون مسافرا من يقطعها كما كان بين مكة وغيرها ولكن عثمان قد تأول في قصر النبي ﷺ بمكة انه كان خائفا لانه لما فتح مكة والكفار كثيرون وكان قد بلغه ان هوازن جمعت له وعثمان يجوز القصر لمن كان بحضرة عدو وهذا كما يحكى عن عثمان انه يعني النبي ﷺ انما امرهم بالمتعة لانهم كانوا خائفين وخالفه علي وعمران بن حصين وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة وقولهم هو الراجح فان النبي ﷺ في حجة الوادع كان آمنا لا يخاف الا الله وقد أمر اصحابه بفسخ الحج الى العمرة والقصر وقصر العدد انما هو معلق بالسفر ولكن اذا اجتمع الخوف والسفر ابيح قصر العدد وقصر الركعات وقد قال النبي ﷺ هو وعمر بعده لما صليا بمكة « يا اهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » بين أن الواجب لصلاتهم ركعتين مجرد كونهم سفرا فلهذا الحكم تعلق بالسفر ولم يعلقه بالخوف

فعلم ان قصر العدد لا يشترط فيه خوف بحال وكلام الصحابة او

اكثرهم من هذا الباب يدل على انهم لم يجعلوا السفر قطع مسافة محدودة او زمان محدود يشترط فيه جميع الناس بل كانوا يجيبون بحسب حال السائل فمن رأوه مسافراً اثبتوا له حكم السفر والا فلا

ولهذا اختلف كلامهم في مقدار الزمان والمكان فروى وكيع عن الثوري عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس قال اذا سافرت يوما الى العشاء فان زدت فقصر ورواه الحجاج بن منهال ثنا ابو عوانة عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس قال لا يقصر المسافر في مسيرة يوم إلى العتمة الا في اكثر من ذلك وروى وكيع عن شعبة عن شبيل عن أبي جمرة الضبعى قال قلت لابن عباس اقصر الى الايلة ؟ قال تذهب وتجيء في يوم ؟ قلت نعم قال لا الا يوم متاح . فهنا قد نهى ان يقصر اذا رجع الى اهله في يوم هـذه مسيرة بريد واذن في يوم وفي الاول نهاه ان يقصر الا في اكثر من يوم وقد روي نحو الاول عن عكرمة مولاه قال اذا خرجت من عند اهلك فاقصر فاذا أتيت أهلك فأتمم وعن الاوزاعى لا تصر الا في يوم تام وروى وكيع عن هشام بن ربيعة بن الغاز الجرشي عن عطاء بن ابى رباح قلت لابن عباس اقصر الى عرفة؟ قال لا ولكن الى الطائف وعسفان فذلك ثمانية واربعون ميلا، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء قلت لابن عباس اقصر الى منى او عرفة ؟ قال لا ولكن الى الطائف او جدة او عسفان فاذا وردت على ماشية لك أو اهل فأتم الصلاة وهذا الاثر قد اعتمده احمد والشافعى. قال ابن حزم من عسفان الى مكة بسير الخلفاء الراشدين اثنان وثلاثون ميلا قال واخبرنا الثقاة ان من جدة الى مكة اربعين ميلا (قلت) نهيه عن

القصر الى منى وعرفة قد يكون لمن يقصد ذلك لحاجة ويرجع من يومه الى مكة حتى يوافق ذلك ماتقدم من الروايات عنه ويؤيد ذلك ان ابن عباس لا يخفى عليه ان اهل مكة كانوا يقصرون خلف النبي ﷺ وابي بكر وعمر في الحج اذا خرجوا الى عرفة ومردلفة ومنى وابن عباس من اعلم الناس بالسنة فلا يخفى عليه مثل ذلك واصحابه المكيون كانوا يقصرون في الحج الى عرفة ومزدلفة كطاوس وغيره وابن عيينة نفسه الذي روى هذا الاثر عن ابن عباس كان يقصر الى عرفة في الحج وكان اصحاب ابن عباس كطاوس يقول احدهم أترى الناس يعني أهل مكة صلوا في الموسم خلاف صلاة رسول الله ﷺ وهذه حجة قاطعة فانه من المعلوم ان اهل مكة لما حجوا معه كانوا خلقا كثيرا وقد خرجوا معه الى منى يصلون خلفه وانما صلى بمنى ايام منى قصرا والناس كلهم يصلون خلفه اهل مكة وسائر المسلمين لم يأمر احدا منهم ان يتم صلاته ولم ينقل ذلك احد لا باسناد صحيح ولا ضعيف ثم ابو بكر وعمر بعده كانا يصليان في الموسم باهل مكة وغيرهم كذلك ولا يأمران احدا باتمام مع انه قد صح عن عمر بن الخطاب انه لما صلى بمكة قال ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر وهذا ايضا مروي عن النبي ﷺ في اهل مكة عام الفتح لا في حجة الوادع فانه في حجة الوادع لم يكن يصلي بمكة بل كان يصلي بمنزله وقد رواه ابو داود وغيره وني اسناده مقال

والمقصود ان من تدبر صلاة النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة ومنى باهل مكة وغيرهم وانه لم ينقل مسلم قط عنه أنه امرهم باتمام علم قطعا انهم كانوا يقصرون خلفه وهذا من العلم العام الذي لايخفى على ابن عباس ولا غيره

ولهذا لم يعلم احد من الصحابة امر اهل مكة ان يتموا خلف الامام اذا صلى ركعتين فدل هذا على ان ابن عباس انما اجاب به من سأله اذا سافر الى منى او عرفة سفرا لا ينزل فيه بمنى وعرفة بل يرجع من يومه فهذا لا يقصر عنده لانه قد بين ان من ذهب ورجع من يومه لا يقصر وانما يقصر من سافر يوما ولم يقل مسيرة يوم بل اعتبر أن يكون السفر يوما وقد استفاض عنه جواز القصر الى عسفان وقد ذكر ابن حزم أنها اثنان وثلاثون ميلا وغيره يقول اربعة برد ثمانية واربعون ميلا والذين حدوها ثمانية واربعين ميلا عمدتهم قول ابن عباس وابن عمر. وأكثر الروايات عنهم تخالف ذلك فلو لم يكن الا قولهما لم يجز ان ياخذ ببعض اقوالهما دون بعض بل اما ان يجمع بينهما واما ان يطلب دليل آخر فكيف والآثار عن الصحابة أنواع اخر ولهذا كان المحددون بستة عشر فرسخا من اصحاب مالك والشافعي واحمد انما لهم طريقان بعضهم يقول لم اجد احدا قال باقل من القصر فيما دون هذا فيكون هذا اجماعا وهذه طريقة الشافعي وهذا ايضا منقول عن الليث بن سعد فهذان الامامان بينا عذرهما انهما لم يعلما من قال بأقل من ذلك وغيرهما قد علم من قال بأقل من ذلك

(للكلام بقية)

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

﴿ نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً (*)

(٣)

وفي صفحة ١٦ وكان أبو موسى الاشعري يتجافى عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ الخ ، نقول وكذلك كان ﷺ يتجافى عن أكل المباح الذي لم يتعوده كما في قصة الضب الخ . ففي الموطأ عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة زوج النبي ﷺ فأتي بضب محنوذ فأهوى اليه رسول الله ﷺ بيده ، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل منه ، فقيل هو ضب يارسول الله فرفع يده ؛ فقلت أحرام هو يارسول الله ؟ فقال « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » قال خالد : فاجترزته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر اه فانظر إلى هذه الوطنية (١) الصادقة حيث يقول ﷺ « لم يكن بأرض قومي » وإلى امتناع أبي موسى الاشعري عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب الخ

ومن الغريب أن يتجافى الرسول وأصحابه عن أكل طعام مباح لعدم اعتياده فقط بينما نرى كثيراً من المسلمين وبعض فقهائهم وزعمائهم يتساقطون على قصاع الخنزير ومأكولات الافرنج ، ويتغالون في شراء علب المربيات والسمك والضفادع والحشرات رغماً عما يرد يوميا في الكتب والمجلات الطبية من النهي عن أكلها والتحذير من قربانها لتعفنها من جهة ولغشها بخلطها بمواد أخرى الله أعلم من أين يؤتى بها .

وفي صفحة ١٦ فانظر تجد أن النكبة انما جاءت على المسلمين من مخالفتهم ماتقتضيه الخلافة الخ ، نقول وعليه فيجب على جميع العلماء في العالم الاسلامي

(*) لصاحب الامضاء الرمزي «١» عيافة النفس طبيعية لا وطنية

السعي العظيم لارجاع الخلافة وبذل أعظم المجهودات لجمع مؤتمر الخلافة ثانيا وتنظيمه لانتخاب الخليفة ومحاربة الملك الطبيعي أين وجد

وفي صفحة ٤٨ « وحكم مثل هذا الاجماع أن يكون المجمع عليه عقيدة ويكون منكره كافراً [١] الخ ، نقول إن ذلك صار عقيدة راسخة عند المسلمين اهتم العلماء بها وبحثوها في مؤلفاتهم الدينية في الحديث والاصول والكلام وأودعوها حتى في التآليف التعليمية والاراجيز الابتدائية التي تؤلف المبتدئين قديماً وحديثا لتنشئتهم على العلم بأنها من المعتقدات الدينية قال في الجوهرة :

وواجب نصب امام عدل بالشرع فاعلم لا بحكم العقل

فالى متى يعتذر عن هذا الاصم المتخرج من الازهر الذي يحارب الدين بالبهتان والسفسطة (إن شر الدواب عند الله الصم البكم)

وفي صفحة ٦٥ « وإن لم يكن إلا ما كان في القرآن من سياسة وإلا ما في كتب الفقه من سياسة وتقسيمه الاحكام الى مغلظة وغير مغلظة الخ » نزيد على ذلك أن كتب الحديث الستة والموطأ قد استقصت أكثر الاحكام السياسية الشرعية المدنية والجنائية ، ففي صحيح البخاري ما يناهز ٤٠٠٠ ترجمة بعضها في العبادات الايمان والتوحيد والطهارة — والصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثرها في الاحكام السياسية الشرعية المدنية والجنائية

ففي كتاب العلم نحو ٥٥ ترجمة ، وفي كتاب الزكاة نحو ٨٠ ترجمة ، وفي كتاب البيوع وما شاكلها كالصرف والمرابحة والسلم والشفعة والاجارة وأجور العملة ، والسماسرة ، وأهل الحرف اليدوية وشبهها ، والكراء ، والجعل والحوالات نحو ١٧٠ ترجمة

وفي المعاملات وما ألحق بها كالوكالة والشركة والمزارعة والمساقاة ، والقرض والقراض ، وأداء الديون ، والحجر ، والتفليس ، والخصومات ، والصلح ، والاصلاح ، والرهن ، والضمان ، والاقرار ، والاستلحاق ، والوديعة ، والعارية والغصب ، والاستحقاق ، والمظالم ، والكتابة ، والعتق ، والهبة ، والشهادات ، والشروط أي التوثيق نحو ٣٩٠ ترجمة ، وفي كتاب الوصايا والاوقاف نحو ٤٠

(١) هذا الاطلاق ممنوع وفي المسألة تفصيل

ترجمة ، وفي كتاب النكاح والطلاق والنفقات نحو ١٩٥ ترجمة ، وفي كتاب الاطعمة والاشربة والذبائح والصيد نحو ١٣٠ ترجمة ، وفي كتاب المرضى والطب نحو ٨٠ ترجمة ، وفي كتاب اللباس نحو ١٠٠ ترجمة ، وفي كتاب الآداب العامة كصلة الرحم والاستئذان ، وآداب الزيارة والضيافة ، والصحبة والمعاشرة ، وحفظ السر وافشاء السلام ، والتوادد و لايثار على النفس ، والتواصي بالصبر والمرحمة نحو ١٨٠ ترجمة ، وفي كتاب الجهاد وأحكامه نحو ٢٤٠ ترجمة ، وفي كتاب النكاح الخ وفي كتاب الحدود والديات والعفو عنها نحو ٩٥ ترجمة ، وفي كتاب الحيل والخداع في البيوع والمعاملات نحو ١٥ ترجمة ، وفي كتاب الاحكام والخلافة والاستخلاف نحو ٥٥ ترجمة

﴿ هذه نبذة مما اشتمل عليه صحيح البخاري رحمه الله ﴾

وقد اشتمل كتاب الموطأ على أزيد من ٦٠٠ ترجمة

وصحيح مسلم على أزيد من ١٠٠٠ ترجمة

وسنن الترمذي على مايناهز ٢٠٠٠ ترجمة

وسنن أبي داود على مايناهز ٢٠٠ ترجمة

وسنن النسائي على ماينهاز ١٠٠٠ ترجمة

وسنن ابن ماجه على زهاء ٢٠٠ ترجمة

هذه أمهات كتب الحديث الصحيحة المعترف بها المسلمة عند جميع أهل السنة ، أما غيرها من كتب الحديث فلا تحصى ، وكذلك كتب الاصول ومدونات الفقه لاحصر لها ، فهل مع هذا يتمادى الملحدون وأذنابهم على اصرارهم وقولهم إن حظ العلوم السياسية عند المسلمين كان سيئا ، وإن وجودها بينهم كان أضعف وجوداً ، وإنهم لم يجدوا للمسلمين مؤلفا في السياسة ، ولا يعرفون لهم بحثا في شيء من أنظمة الحكم فماذا بعد الحق إلا الضلال

واذا لم يتفق للماجور علي عبد الرازق هو وأربابه الملحدون أن يطالعوا

مؤلفات الاسلام وأمهات الدين ، أفلم يقف على كتاب كشف الظنون وفهارس دار الكتب السلطانية وخزائن الازهر وغيره ، والخزانتين التيمورية والزكية ، واذا كان لم ير شيئا من ذلك فكيف ساغ له أن يهاجم حصون الاسلام المنيعة وهو خاوي الوفاض من كل شيء إلا سلاح الالحاد والقحة (ألا ساء ما يحكمون)

وفي صفحة ١٠٠ « والذي دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد انما هو مراعاة المصلحة الخ » تقول هذا الرأي هو الرأي السديد الذي أنتجته قرائح المفكرين من جهابذة العلماء فيتحتم قبوله واعتقاده[١] ، وأما ما في بعض كتب التاريخ والادب من أن معاوية أغرى بعض قادة الامة ورؤساءها بأن يسألوه في المجلس العمومي أن يوصي بولاية العهد إلى ابنه يزيد كما يقع اليوم بين رؤساء الوزارات وبين أقطاب الاحزاب في أوربا وأميركا في المسائل الهامة كالانتخابات وابرام المعاهدات أو نقضها فذلك كله من الروايات المدخولة ، وآت فقط من خصوم معاوية غير النزيهين ومن أعداء الامويين كذلك فلا يوثق بها أصلا

فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من الفراسة بمكان لا يلحق ، وكان يعلم من حال معاوية أكثر مما يعرفه غيره ، فلو كان يظن به المهوادة في أدنى شيء لما ولاه أعظم قطر وهو الشام بعد موت أخيه يزيد وقد تركه في منصبه بقية حياته أي حياة عمر التي تزيد على أربع سنين

وناهيك بشدة عمر على عماله وما كان يعاملهم به من المراقبة الشديدة ومحاسبتهم على النقير والقطمير وكثرة عزلهم من وظائفهم لأقل سبب، وقد ولى معاوية مع وجود أساطين الصحابة السابقين للاسلام والمهاجرين من أجله أفلا يكون ذلك منه أعظم تزكية لمعاوية وأعظم شهادة له على حسن سيرته[٢] وفي الاستيعاب عن عبدالله بن عمر قال: ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية ، فقيل له: فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقال: كانوا والله خيراً من معاوية وكان معاوية أسود منهم

(١) لا يتحتم على احد اعتقاد ما انتجت قريحة غيره

(٢) حقق الحافظ بن حجر في شرحه للبخاري ان عمر كان يختار للولاية القادرين عليها ويقدمهم على من هم افضل منهم علماً ودينا وضرب المثل لذلك بتقديم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة على علماء المهاجرين وصلحائهم

وفي صفحة ١١٤ « وأن عصر النبي لم يخل أصلا من مخايل الملك الخ » نقول إن المخايل التي عناها الشيخ بخيت وسطرها لم يخل منها عصر النبوة نعم إنه خلا من المخايل التي يريدها أهل الغطرسة من بناء القصور الشامخة واشتمالها على الفرش الوثيرة ، والرياش الثمين ، والاواني الفضية المزخرفة التي يظنها صغار الاحلام هي عنوان الملك.

وقد خلا عصر النبوة أيضا من كثرة الخدم والحجاب ، والاعوان الظلمة بالباب، وحيلولتهم بين الراعي والرعية ، ومنعهم للمتظلمين من رفع ظلاماتهم للملك وخلا أيضا من اشتغالهم بسفاسف الامور ومصاريف دار الملك التي تأخذ أكبر قسط من الميزانية على عاتق الرعية ، ومن اشتغالهم بغصب أرزاق الناس من اللحوم والفواكه وأطايب الاطعمة بلا ود ولا حساب

خلا أيضا من الشرطة حملة الرماح والسيوف والبنادق أمام الملك لارهاب الرعية وتعويدها على الذلة والمسكنة أمام الولاة الجائرين مما لم يعهد في عصره ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين فذلك وما أشبهه من المخايل الكسروية التي جاء عليه السلام لمحاربتها والقضاء عليها قد خلا منه عصر النبي ﷺ وطهره الله من أرجاسه وهناته وقد صدق الشيخ علي عبد الرازق في هذه فقط وقد يصدق الكذوب

الملاحدة بين امرين :

فظهر مما تقدم أن الملاحدة واقعون بين أمرين

(أحدهما) أن يكونوا عارفين حقيقة الاسلام وما أتى به من المنافع الدنيوية والاخروية وأنه صالح لكل زمان ومكان وأنه دين الفطرة الذي تنشده الانسانية وتصبو اليه

إلا أن ماجاء به من بعض التكاليف الخفيفة التي تربي الناس على الثبات والشجاعة وما أوجبه من ترك المنكرات التي تخدش وجه الهيئة الاجتماعية قد ثقل حمله على عاتقهم وجبنوا عن معاناته فحملهم ذلك على الانسلاخ منه والانحلال ، والفرار من اداء الواجبات القليلة في مقابلة مامنحهم من الحقوق العامة ، والحرية الطاهرة النظيفة

فالتكاليف الخفيفة مثل الطهارة التي لا يغيب عن أحدما لها من المزايا العظيمة وأهمها المحافظة على الصحة التي هي رأس مال الحياة

(٢) ومثل الصلاة التي أخبر سبحانه أنها شاقة على الملاحدة المبعدين فقال (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) الآية ، ولو لم يكن فيها إلا تعويد الناس على الثبات وضبط الوقت واطراح الكسل الذي هو علة الفشل لكفى

(٣) ومثل الصوم الذي فيه تعويد الناس على الصبر وتذكيرهم بما يكابده الفقراء من آلام الجوع عند اشتداد الازمات خصوصا عند انحباس الامطار وفي أوقات البرد الشديد التي يحتاج الناس فيها للأكل أكثر من أيام الحر فجوع الصائم يحمله على رحمة الضعفاء واعانتهم على مكاره الحياة ويفتح قلبه لولوج نسمات الرحمة والرأفة بالمحتاجين

(٤) أما الزكاة فقد حسدنا عليها عقلاء الاوروباويين وفلاسفتهم حتى قال لي أحدهم لو كانت مشروعة عندهم لما سمعت بالاشتراكية والشيوعية أبداً ولما وقعوا في مصائب الاعتصابات المتوالية

ولو أخرجت لما هي عليه لم يبق الفقر المدقع معروفا عند المسلمين ولا نعدم الحقد والحسد أو خفت وطأتهما على الاقل

(٥) وأما الحج ففوائده بارزة تكاد تلمس باليد فالاسفار عند الافرنجيين لاتنقطع صيفاً وشتاء وهي التي اكسبتهم ماهم فيه من الرخاء — وبسطة العيش زيادة على مايكتسبه المسافر من الارباح ان كان تاجراً والعلوم ان كان مفكراً وباحثا وزيادة على ما ينعم به من الصحة التامة والنزهة البهجة

هذه بعض فوائد التكاليف الاسلامية التي عمي الملحدون عن ادراكها وعجزوا عن احتمالها لضعفهم وجبنهم وقد عد الغزالي كثيرا من أسرارها في كتابه الاحياء

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

(٢)

مدينة سواكن

زرت بعض الموانئ الواقعة على الشاطئ الغربي من البحر الاحمر وكان القصد من هذه الزيارة مشاهدة مدينة (سواكن) القديمة التي اعتاد الحجاج أن يأتوا اليها من قلب افريقية ليبحروا منها الى مكة وكانت قديماً بلدة تجارية عظيمة ولكنها اليوم خالية خاوية . ولا تمر بعض السنين عليها حتى تنعق فيها البوم والغربان ، وذلك بسبب مزاحمة بور سودان ومصوع لها ، ويوجد في ضاحيتها قريتان من القش واصل سكانهما من الحجاج الذين انقطعوا في الطريق ولم يصلوا لا الى مكة ولا الى بلادهم ، وكانت علامات الفقر الشديد بادية عليهم فلا زراعة ولا صناعة لهم ولاهم يتقنون كاهل الساحل صيد الاسماك .

﴿ الكلام على اليمن ﴾

من الحديدة إلى صنعاء

ذهبت من مصوع الى الحديدة ميناء صنعاء وقد أعد لي الامام جميع أسباب الراحة واستقبلني حاكم الحديدة أحسن استقبال . وهذه البلاد اليمانية الاسلامية العجيبة منزوية عن العالم أكثر من القطب الشمالي ولايزال طراز الحياة فيها كما كان عليه قبل مئات السنين ولكنه يختلف كثيراً عنه في نجد .

لوجود جبال عالية بين صنعاء والحديدة ركبنا في رحلتنا البغال لان البغال تسلك حيث لا تسلك الخيل ولا الجمال . وبعد ما انقضى على سفرنا من الحديدة يومان إبتدأنا نشاهد هندسة البناء في اليمن تختلف اختلافا كليا عن هندسة البناء

في الحجاز وقد شاهدنا في طريقنا حقول شجر البن في بطون الجبال والوديان . إن هندسة البناء في جدة ومكة والمدينة متقنة وجميلة ، وتدل نوافذها الكثيرة الواسعة وأبوابها الكبيرة التي تفتح وتغلق بسهولة على حب القوم للضيافة ، وعلى عراقتهم في المدنية وميلهم إلى ضبط الامن ، بعكس اليمن التي تدل عزلة قراها وانفرادها في الاماكن العالية الوعرة التي لا يصل الانسان اليها إلا بصعوبة على خوف اليمانيين من غزو بعضهم بعضا وعلى عدم استتباب الامن [1] وتشبه أبنية هذه القرى القلاع الحصينة والدور الأول منها يخصص للحيوانات والدور الثاني للحبوب والذخيرة ولا يوجد في هذين الدورين منافذ للنور ولا الهواء وأما الادوار الباقية وهي عادة اثنان فما فوق فتخصص للسكن ونوافذها صغيرة جداً لا يكاد يدخل منها الهواء ولا النور وجميع هذه الاعمال تدل أن تلك الابنية بنيت على هذا الشكل قصد الدفاع عن النفس .

ومن المعلوم أن القطرين اليمن والحجاز يختلف بعضهما عن بعض اختلافا عظيما ففي الحجاز سهول واسعة وصحار مقفرة وأما اليمن ففيه الجبال المرتفعة والوديان المنخفضة [2] وتختلف الحياة الاجتماعية فيهما اختلافا عظيما فالحجاز المقدس بنظر المسلمين تأتيه الحجاج من جميع أطراف المعمورة سنويا لقضاء مناسك الحج ولذلك ترى أهل الحجاز مضطرين بحكم الضرورة الى ضمان راحة الملايين من المسلمين بعكس البلاد اليمانية التي كانت ومازالت مغلقة في وجه جميع سكان الارض وقلما يأتيها الزوار أو السياح وأهلها يخشى بعضهم من بعض ويخشون الدسائس التي يدسها لهم جيرانهم فلذلك تراهم معتادين شظف العيش ومعتصمين بالقلاع في رؤس الجبال .

على أن الامام أعد لي جميع وسائل السفر وكنت أينما حللت بالمساء أجد غرفة معدة لنزولي بها ولكنني اضطررت أحيانا الى النزول في بعض الخانات القديمة الواقعة على طريق القوافل بين عدن والقدس . ولهذه الخانات أبواب ولكن

---

(١) المنار: إنما كان أكثر خوف أهل اليمن من الترك الذين ظلوا يغزونهم أربع قرون

(٢) في الحجاز من الجبال والوديان مثل ما في اليمن وإنما الفرق بين القطرين ان اليمن قطر كثير النبات والشجر خلاف الحجاز

لانوافذ لها وفيها ممر طويل وغرفة واسعة خصص قسم منها بالحيوانات والقسم الآخر بالعائلة صاحبة الخان وبديهي أن كثيراً من الاولاد يولدن في هذه الخانات وقد خطر لي عند مارأيتها أن المسيح ولد في مزود خان كهذه الخانات .

إن المناظر الطبيعية بين الحديدة وصنعاء جميلة للغاية وقد مررنا بطرقات تعلو تسعة آلاف قدم عن سطح البحر ونزلنا في وديان عميقة حارة وقد وصلنا الى صنعاء في الليل على حين غرة ولما كانت الشوارع لا تضاء بالأنوار وصلنا الى الدار المعدة لسكنانا بصعوبة شديدة على ماكان من معونة أنوار الجند لنا . وأما الدار التي نزلنا بها فهي مؤلفة من دورين مبنيين بناء حديثا جيداً وفيها حديقة تبلغ مساحتها أكثر من فدان أرض وقيل لنا إن هذه الدار بيعت منذ بضعة أشهر بمبلغ (١٥٠) ريال أميركي أي ثلاثين جنيها مصريا . وقد أخبرنا بعض الجنود الذين رافقونا في الطريق أن الجندي منهم يتناول راتبا يبلغ ريالين ونصف أميركيين في الشهر ويتناول ثلاثة أرغفة من الخبز لايبلغ وزنها تسعمائة غرام ولا يأكل الجند تقريبا غير الخبز ولكن بعضهم يشتركون مع بعض أحيانا ويبتاعون شيئا من اللحم ويطبخونه لانفسهم مرة أو مرتين في الاسبوع ومن العجب العجاب أن يرى الانسان هذه الجنود رغم تناولها المقادير القليلة من الغذاء تحمل البنادق الثقيلة وتتمنطق بالعتاد الكثير وتركض على أرجلها مسافات شاسعة غير مبالية بالتعب أو شاعرة بالجوع .

زارنا ذات يوم أحد أمناء سر الامام المدعو محمد راغب بك وهو تركي الاصل ولد في القسطنطينية وترعرع في ضواحي البوسفور قرب المدارس الاميركية التي لي بها علاقات منذ زمن بعيد وقد حدثني عنها حديثا طويلا ومما قاله إن بعض أقربائه درسوا فيها وهذا كان لحسن حظي إذ أدخلني الى حالة الوئام مع حضرة الامام وكان باستطاعته أن يتوسط بيننا بطريق حكيمة .

وفي اليوم الثاني قابلنا الامام على انفراد في غاية الحفاوة والاكرام فقال لي إنه يؤذن لي أن أذهب حيث شئت بتمام الحرية وأن آخذ رسم ماأريد أيا كان ماعدا رسم شخصه . وأنه لم يسمح لأحد غيري قدر ما سمح لي من الحرية في صنعاء .

إن الامام في أوائل العقد الخامس من عمره قوي البنية نشيط الحركة ولما كانت ولاية حكمه ضيقة الرقعة كان شديد الرغبة في أن يتولى ادارة شؤونها كلها بيده من جليلها الى حقيرها . فهو يجلس كل صباح في مجلس يقصده فيه من يشاء ليسأل ما يشاء ويعرض مالديه من أنواع الشكاوي والدعاوي . وعلاوة على ذلك فانه يذهب يوميا الى أحد الاماكن العامة دون حارس ولا تابع من الجند فيصرف فيه نحو ساعة وقد يكون منفرداً تحت أشعة الشمس ولا يرافقه إلا رجل بمظلة الشمسية حيث يستمع الدعاوي وينظر في المعروضات المرفوعة اليه فهو بذلك جامع في شخصه بين مقامي السلطان والخليفة معا مستمداً قوة نفوذه من أنه سلالة الامام علي الصحيح الخلافة .

وأما ساعة ذهابه الى المسجد يوم الجمعة فتلك ساعة خطيرة الشأن جلالا وبهاء يشترك في اقامة معالمها الناس أجمعون ، لانه يوم المهرجان كل أسبوع . وعندما يمر راكبا في العربة عائداً من الصلاة فلأقل إشارة يبديها أحد الشعب يقف المركبة ليتقبل أي معروض أو يعني بأي أمر يرى الناس فيه على أتم استعداد لقبوله والخضوع له .

وفي المملكة اليمانية جيش نظامي وجند من المتطوعة وكثيراً ما يشتركان بالانشاد العسكري يضجان فيه بأصوات خشنة وهو يتضمن أبياتا يرمون بها بما أعطوا من قوة وحماسة ويقال انها أنشودة قديمة العهد :

ثم إن الامام وإن أبدى لي حين مقابلته مزيد المجاملة وأباح لي الحديث على غاية الاخلاص — لم ير من الحكمة أن يظهر فرط العناية بي أمام الجمهور ، إذ كان من الضروري له أن يحتفظ بمقام الاستقلال العظيم بل بشيء من الاستخفاف بالاجانب مراعاة القبائل الحربية المتعصبين في الحدود الشرقية من البلاد . فان سلطانه وأحكامه نافذة في مملكته نظير ابن السعود لجيشها عن طريق الدين وعليها مسحة من الشدة فيه كأنه يتخذ في السلطة نوع الحكم المتحد المزدوج . لانه مع كونه زيدي المذهب شخصيا ومدار أحكامه على هذه القاعدة ، فان ثلث

شعبه [1] على جانب البحر الاحمر من أهل السنة ومنهم عدد ممن يشغل بعض المقامات الصغرى في حكومته .

الضرائب

أهل اليمن من ذوي الفقر والبؤس الشديد ، ولكنهم لانزوائهم في بقعتهم وانحباسهم عن العالم الخارجي لايشعرون بهذه الحال . وإن المرء ليأخذه العجب كيف يستطاع في هذه الفاقة أن تفرض الضرائب على اليمنيين وتجبى الى الحدّ المؤذن بإقامة حكومة ولا سيما في تجهيز جيش في تلك المملكة كبير . ذلك لاريب عائد الى حذق من الامام فريد . والظاهر أن معظم واردات الحكومة هو من ضريبة العشر المفروضة على الحاصلات في عامة أنواعها ، على أن الناس باحوا لي أن العشر قد يترقى بعصرهم والتضييق عليهم الى الربع ! وانهم لذلك متألمون ناقمون

المباني

قل أن ترى في مباني اليمن مايقل عن ست من الطباق (أو الادوار) وأما البناء فعلى درجة عظيمة من مخالفات الجمال ولم أر إلا القليل مما يدل على حسن الذوق سواء أكان في هيئة البناء أو مواده أم في ملابس الناس وغنائهم . وإنما يستثنى من ذلك بناء الجوامع . فان منها عدداً يبدو فيه شيء من الجمال النسبي على ما فيه من بساطة الهندسة والرسم خلافا لبناء المنازل . وبعض تلك الجوامع يرجع تاريخ تشييدها الى عدة قرون وقد ظننت لاول الامر أن البنائين أتوا من القسطنطينية لهندستها وبنائها، ولكنهم أكدوا لي أن كلا الامرين من صنع أهل البلاد أنفسهم

تعرفي الى الناس

لم يكد يستقر بي المقام في صنعاء حتى بادر الى زيارتي الجم الغفير من أهلها . وكلما أردت أن ادرس وجهاً من وجوه حياة اليمن كان أمري ينتشر بين الطبقات فكان يوافيني واحد أو جماعة من أهل ذلك الشأن : فقابلت الرؤساء للبنائين

(١) المنار : كذا في نسخة الترجمة التي اخذناها من الرابطة الشرقية والصواب الاكثرية الساحقة من سكان تلك السواحل شافعيون ويندر وجود الزيدية فيها

والتجار ورجال العسكرية ولا سيما العلماء وفيهم القاضي الكبير الذي يحمل سمة المسلم التاريخي القديم وبلغ بيننا التعارف مبلغه حتى أقبل لزيارتي المرار العديدة . ولقب (القاضي) في اليمن له معنى خاص فانه يطلق عادة على طائفة ممتازة من جميع طلاب العلم كما أن كلمة (شيخ) تستعمل كذلك في الشمال

سبأ وسد مأرب

كنت شديد الرغبة في الرحلة الى سبأ وعلى الخصوص لمشاهدة السد القديم الذي كان مصدر خصبها وزهوها . ان مؤسس هذه المدينة هو (عبد شمس) الذي ابتدع عبادة البعل أو الشمس ثم أضاف اليها القمر وخمسة كواكب سيارة أخرى فتم بذلك عددها أي السيارات السبع فكان هذا العدد أصل تلك المدينة (سبأ) وقد بنى أيضاً سداً عظيما بين جبلين بحيث ينشأ بهخزان من الماء يحيي المدينة وماحولها من الارجاء ويهب لها الخصب والنماء

ثم بعد ١٥٠٠ عام تصدعت جوانب السد فطغى الماء على المدينة وماجاورها من البلاد ودمر كثيراً من القرى و لعل هذه الكارثة كانت أصل حديث (الطوفان)

وأما الامام فمع أنه شديد الحرص على إعطائي كل ما أطلب الا انه قال لي في شأن هذه الامنية إن هذه الرحلة من المستحيلات ومع أن سبأ لاتبعد عن صنعاء اكثر من ٧٥ ميلا فهو لم يتمكن من الذهاب اليها الا بعد أن اتخذ اشد الاحتياط لما أن قبائل تلك الناحية على أعظم جانب من التعصب «الذميم» يعدون ذواتهم حراس الكنز العظيم المقدس الباقي من آثار تلك العاصمة القديمة فلا يأذنون لاجنبي أن تطأها قدمه أو يقترب منها ومما قال لي الامام إن بعثة ألمانية ذهبت للبحث في تلك الناحية قبل الحرب العالمية فلم يبق البدو على أحد من رجالها

حفلة استقبال لرجوع ابن الامام من سفره

لم ينقض على نزولي صنعاء عدة أيام حتى ورد نبأ بمجيء ابن الامام ولي عهد امامته بعد يوم واحد . وكان غائبا عنها ثلاث سنين على رأس فرقة من الجند في القسم الشمالي من البلاد أي (صعدة) حيث يتشعب الطريق شعبتين إحداهما تتجه الى مكة والاخرى الى نجد ، فكانت عودته بالطبع حادثة ذات شأن . فخرجت

الى بعد خمسة أميال من المدينة مع اكثر الاهالي ولاسيما الجيش ووقفنا لاستقبال القادم الكريم على احسن مايقال في الاجلال والاحتفال مما يدل على سمو مكانة ذلك الشاب عند عامة الشعب ذلك أن الامام انما يرتقي سدة الامامة والحكم بانتخاب العظماء من شيوخ البلاد في اجتماع خاص . ولما كان ولي عهده في الحكم احد بنيه الاحياء حق له هذا الاحتفاء والاكرام

وبعد قدوم ذلك الامير الخطير بايام زرته فتوسمت فيه مخايل الحزم والعزم ودلائل الجد في الأعمال على شخصية جذابة ولكنها على صورة أضعف من شخصية والده العظيم (للكلام بقية)

نساء العرب السياسيات

مقتبس من كتاب سيرة السيدة (خديجة أم المؤمنين)(*)

للشهيد الشهير السيد عبد الحميد الزهراوي (رحمه الله تعالى)

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والامور العمومية وناهيك أن الحرب التي ظلت مستعرة نحواً من اربعين سنة بين بني ذبيان وبني عبس لم يتفكر فى اطفاء نارها الا امرأة ولم تتمكن من اطفائها الا بما لها من المكانة وحسن الرأي وذلك ان بيهسة بنت أوس ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابو هامن الحارث بن عوف المري وأراد ان يدخل عليها قالت اتتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا؟ـ تعني بني عبس وبني ذبيان ـ فقال لها ماذا تقولين؟ قالت «اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع اليّ» فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فمشيا بالصلح ودفعا الديات من أموالهم

(*) هذه السيرة خير ما كتب فقيدنا الشهيد انشاء وابتكاراً وبياناً لفضائل العرب بالتبع لفضائل فضلى نسائهم بل نساء العالمين مع ابنتها سليلة الرسول ومريم البتول ـ وهي تطبع للمرة الثانية

وحسبك من اشتهرن من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية، وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وام سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية،وعكرشة بنت الاطرش بن رواحة،ودارمية الحجونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سراقة البارقي . واروى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة على معاوية بعد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر ؟ قالت بخير يا امير المؤمنين . قال لها : آنت القائلة لأخيك ؟

شمّر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد (١) ... علمُ الهدى ومنارة الايمان
فقُد الجيوش وسر أمام لوائه ... قدما بأبيض صارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس ، وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ماقد نسي » فقال «هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى» قالت «صدقت والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وبالله اسألك يا امير المؤمنين اعفائي مما استعفيته » قال قد فعلت فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد ، ولأمورهم

(١) اخوة الدين

مقلد، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك، ويبسط بسلطانك، فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسألنا الجليلة، هذا ابن ارطاة قدم بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولو لا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإما عزلته فشكرناك، وإما لا فعرفناك» فقال معاوية «اياي تهددين بقومك؟ والله لقد هممت ان أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك» فسكتت ثم قالت:

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى: قال ماأرى عليك منه أثراً قالت: بلى أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه مابين الغث والسمين فوجدته قائما فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال «اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك» ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ) اذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام» قال معاوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت «ألي خاصة أم لقومي عامة؟ فقال ما انت وغيرك؟ قالت: هي والله الفحشاء واللؤم، ان كان عدلا شاملا وإلا

يسعني مايسع قومي . قال اكتبوا لها بحاجتها

.ووفدت بكارة الهلالية أيضا على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه وكان بحضرته عمرو بن العاص ومروان وسعيد بن العاص فجعلوا يذكرونه بأقوالها التي قالتها في مشايعة علي ومعاداة معاوية فقالت أنا والله قائلة ماقالوا وما خفي عنك مني أكثر :فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك

وكتب معاوية الى عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال مرحبا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ؟ فقالت بخير ياأمير المؤمنين ثم قال لها ألست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك؟ قالت ياأمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، ولا يعود ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر .قال لها أتحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت لا والله لا احفظه قال لكني أحفظه وتلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه قالت احسن الله بشارتك وأدام سلامتك ؟ فمثلك يبشر بخير ويسر جليسه ، قال أو يسرك ذلك ؟ قالت نعم والله ، فقال والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم له في حياته ، اذكري حاجتك فقالت ياأمير المؤمنين آليت على نفسي ان لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا . ومثلك من أعطى من غير مسألة ،وجاد عن غير طلبة. قال صدقت وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز

ووفدت عليه أيضا أم سنان بنت جشمة وعكرشة بنت الاطرش ،

ولما حج سأل عن دارمية الحجونية فجيء بها اليه فقال لها بعثت اليك لاسألك علام أحببت عليا وابغضتني ، وواليته وعاديتني ؟ فاستعفته فلم يفعل فقالت له احببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ،وطلبتك ماليس لك بالحق، وواليت عليا على حبه المساكين،وإعظامه لاهل الدين،وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء،وحكمك بالهوى. ثم قال لها: ياهذه هل رأيت عليا؟ قالت إي والله قال فكيف رأيته؟ قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك. قال فهل سمعت كلامه؟ قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست. قال صدقت فهل لك من حاجة ؟ قالت نعم تعطيني مائة ناقة حمراء، قال ماذا تصنعين بها ؟ قالت أغذو بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم،وأصلح بها بين العشائر ، قال فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟ قالت سبحان الله أو دونه ، فقال أما والله لو كان علي حيا ما أعطاك منها شيئا قالت لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما معه حديث من مثل ماتقدم

فهكذا كان مقام المرأة العربية ،من أخوات سيدتنا القرشية، وهكذا كان حظهن من الفصاحة والحصافة ، ومبلغهن من المشاركة في الامور العمومية والاخذ بالاسباب ، والمشايعة لبعض الاحزاب ، وما أتينا الا باليسير توطئة لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها

خطبة الأستاذ اسعاف افندي النشاشيبي

مفتش معارف فلسطين وعضو المجمع العلمي العربي في الشام
القيت في دار الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة

العربية وشاعرها الاكبر أحمد شوقي بك

ليست دار العربية رمال الدهناء أو هضبات نجد أو الحجاز أو اقليم الشام أو أرض العراق بل دارها كل مكان ينطق بالضاد أهله ، ويتلو فيه كتاب محمد (صلوات الله عليه) قراؤه . وأقوى القوم عربية بل العرب العرباء أعرفهم بأدب العربية . فأهل مصر إذاً هم القبيل المقدم في العربية وهم سادات العرب

وليست اللغة العربية يا أيها الراجع من لندن أو من برلين أو من باريس وقد لبث في تلك المدائن حينا ففتنته مدنية المغاربة السحرة ليست اللغة العربية بلغة بدوية ، بلغة صحراوية ، حتى تعرض عنها إعراضك هذا وحتى تؤثر عليها غيرها حين جهلتها ، ولكنها لغة سامية سامية (ان كان ثمة سام) قد نشأت من قبل في جنات النعيم عند دجلة ولم تنبت في القفر فتظمأ وتضحى ، وقد جاورت كل ذات مدنية « وإن العلا تعدي » كما قال أبو تمام ، وقد سطر أيوب الصابر بها في ذلك الزمان سفره أو قصيدته (كما قال فولتير في المعجم الفلسفي) وسفر أيوب أجمل سفر في التوراة ، وأيوب العربي كهوميرهو من أكبر شعراء العالم

ثم جاءت هذه اللغة مواطن الحجاز (وكم في الهجرات من خيرات) فنشأها الدهر هنا أفضل تنشئة وهذبها خير تهذيب . وإن البيئة التي أخرجت في الدنيا عظيمها هي التي جاءت لغته ولن تكون لغة ذلك العظيم لغة محمد إلا عظيمة . على أن قد تخبث البيئة بعد طيبها وصلاحها فلا تقذف إلا خبثا « والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » كما قال الله

ليست العربية بلغة بدوية صحراوية (كما قالوا لك) بل هي اللغة الحضرية كل الحضرية بل هي (إن استكثرت هذا النعت) لغة الانسانية الكاملة الأولى سوف يخلفون هذا الانسان بعد ازمان كما خلف هو قدما الذين هم أدنى منه من جماعة الربابيح المحاكية

ولقد دعا العربية من قبل قرآنها(وهو القرآن هو القرآن)لتكتب معجزاته فما رهنت ولا عجزت ولا ضاقت بل اتسعت وهذا الكتاب وهذه آياته وهذه ألفاظ في المصاحف تتكلم وهذه معاني الكتاب، الكتاب العبقري، كتاب الدهر، قد تجسدت وتجسمت وعهدنا بالمعاني معنوية لاتتجسم . فلن تعجز لغة كتب بها الله(١) كتابه عن أن يكتب بها البشر

ولقد دعا العربية في الزمان الاول كل علم وكل فن — ولا كتاب علم واحداً عند القوم في ذاك الوقت — فلباهما منها خير ندب وخير ظهير ، وشهد الاقوام في برهة من الدهر أكداسا من الكتب مكدسة بل اجبالا . قال غستاف لوبون في فاتحة كتابه مدنية العرب : (إذا بحث الباحث عن آثار العرب في العلم وعما ابتدعوه علم أن ليس هناك أمة ضارعتهم فجاءت في الزمن القصير بمثل صنعهم الكبير)

فلو لم يك عند العربية تساكر من الثروة في اللفظ والاسلوب ما أنفقت هذا الانفاق على علوم أصحابها وعلوم سواهم والفقير المسكين في الدنيا (ياصاحب) لايقدر أن يعول نفسه بله أن يمون الناس

وقد أغرق التتر طوائف من تلكم الكتب في النهر وحرق الاسبان نفائس منها بالنار لكن الباقي (والحمد لله) كثير . وجلت العرب عن أن تجرم إجرام ذينك الجيلين . وكذاب أي كذاب من قال اناحرقنا دار كتب في الاسكندرية. وكيف يقرفنا القارفون بهذا ظلماً وماندب الناس إلى العلم كمثل كتابكم كتاب ؛ ولا دعا إلى التفكير وحب الدنيا كزعيمكم محمد زعيم

وآوى إلى هذه العربية في آونة كثيرات كل أديب وكل عالم وكل شاعر وكل كاتب فبوأت معانيهم في أكرم مبوأ وألبستها أفتن ثوب وقرتها (وهي المضيافة وهي الكريمة بنت الكرام) خير قرى فاجتلى الناس من تلكم المعاني السماويات، في هذى الحلل العدنيات، حوراً عينا رضوانيات

فاذا لاقيتم في عصور المولدين أو في عصور المتأخرين قبحا في القول يمض الأذن أن تسمعه وتقتحمه العين إما أبصرته

(١) في الاصل إله

وإذا ألفيتم كلاما بهرجا قد وهت أعضاده وتشوه تركيبه وفقد ذاك الرونق
وإذا وجدتم شعراً سخيفا قد عمّيت معانيه ، وقد استعجم على تاليه
وإذا سمعتم سجعا غير طبيعي مرتجا زحافا متدحرجا قد لعنته العربية
إذا وجدتم ذلك فلا تلومن العربية ولا تنتقصنها، ولوموا أمة ضعفت فضعف قولها، وذلت فذل شعرها، وحارت في دنياها فاستحار كلامها

لا تلوموا العربية ولوموا أمة ركضت إلى الدعة (قبح الله الدعة) ثم قعدت

ليس المروءة أن تبيت منعما وتظل معتكفا على الاقداح
ما للرجال وللتنعم إنما خلقوا ليوم عظيمة وكفاح

« والحركة (كما قالوا) ولود والسكون عاقر » وقد قال أبيقور : أي معنى للكون بالسلم لفقدان الحركة ولام هذا الحكيم (المظلوم والله بتلك التهمة) هومير حين سأل الآلهة أن تصطلح كي تزول الحروب

اذ المرء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

وفريد ريك نتشه ، يرى أن عمل الرجال إنما هو القتال وعمل النساء هو تمريض الجرحى ولا عمل لهما غير هذا .

وليس القصد يابني أن تغلب أو أن تغلب بل القصد أن تكون حرب ، أن تكون حركة

ألا أيها الباغي البراز تقربن أساقك بالموت الذعاف المقشبا
فما في تساقي الموت في الحرب سبة على شاربيه فاسقني منه واشربا

لا تلوموا العربية ولوموا أمة تعبدها حاكمها وتفرعن عليها و « استجار كيدها وعدا مصالحها » كما قال ذاك الشيخ فلم تغضب ولم تمش اليه بالسيف . وقد علم أوائلها التلميذ الثاني لشائد الوحدة العربية طريقة تقويم الملوك

لا تلوموا العربيــة ولوموا أمة صغرت هممها وتضاءلت عزائمها وتهزعت (تكسرت) أخلاقها (يا أسفى على صوادق الاخلاق يا أسفى على الاخلاق الجيدة) وكان ابن الخطاب يقول لها : « ولا تصغرن هممكم فاني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم » وكان معاوية كاتب وحي النبي يقول . « ياقوم إن الله قد اختاركم من النـاس وصفاكم من الامم كما تصفى الفضـة البيضاء من خبثها فصونوا

أخلاقكم ولا تدنسوا أعراضكم فان الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبيح منكم أقبح لبعدكم عنه »

لا تلوموا العربيـة ولوموا أمة اجتزأت بالقليل وقنعت من دهرها بالدون وأنامها (قتلها) هذا القول الخبيث الافيوني الـكوكيني « القناعة كنز لا يفني » وكانت ماترضى قبل من شيء الـكثير ، وكانت ماتقبل حالا وسطا ، لاشيء أو كل شيء، كما يريد نتشه

ونحن أناس لاتوسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

***

وقالوا : عليك وسيط الامور فقلت لهم أكره الأوسطا

وكان دستورها في دنياها « القناعة من طباع البهائم » و « عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة » أي بجسام الامور .وصاحب هذا القول الـكريم هو ابن مصر صاحب رسول الله سيدنا عمرو بن العاص (سلام الله عليه ورضوانه)

وقد راع تقهقر هذه الأمة وتدهورها حين تقهقرت، وتدهورت شاعريها الا كبرين في عهد انحطاطها فأنكرا الحال واستفظعاها وراح ابن الحسين يقول :

أحق عاف بدمعـك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم
وإنمـا النـاس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عنـدهم ولاحسب ولا عهود لهـم ولا ذمم
في كل أرض وطئتها أمم ترعى بعبـد كأنها غنم

وقعد رهين المحبسين في كسر بيته :

يكفيك حزنا ذهاب الصالحين معاً وأننا بعدهم في الارض قطان
ان العراق وإن الشام مذ زمن صفران مابهما (للعدل) سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة في كل قطر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم إن بات يشرب خمراً وهو مبطان
متى يقوم (زعيم) يستقيد لنا فتعرف العدل أجبال وغيطان

صلوا بحيث أردتم فالبلاد أذى كأنما كلها للابل أعطان

فليست اللغة العربية (والحالة في تلكم العصور كما سمعتم عنها) بمستأهلة أن تلام أو أن تعاب فانهـا لابست ضعفاء فلبست كساء ضعف ، وعاشرت وضعاء فارتدت شعار ضعة ، وما الضعف وماالضعة (والله) من خلائقها

ولو استمرت تلك القوة ولو استمرت تلك المدنية ولولم يكن ما كتب في الاوح أن يكون لملأت بدائع العربية الدنيا، فانها معدن البدائع، ومنجم كل عبقري رائع

على أن لغة العلم في العربية (وللعلم لغة وللأدب لغة) لم تضم ضيم أختها . وما المقاصد والمواقف وشرحاهما وأقوال ابن الخطيب ومقـدمة ابن خلدون (على مغربيتها) وكلها في العصور المتأخرة بالتي تذم (في أسلوب اللغة العلمي) جملتها

ويخيل الي أن نفوس الحكماء العلماء تكون في أحايين الضعف أقوى من نفوس الادباء ، فلا تهن وهنها، ولا تهون هوانها ، أو كأن العلماء في الدنيا ، وليسوا في الدنيا ومن الناس وليسوا من النـاس . وقد يلاقي هؤلاء القوم المسا كين ربهم ولا أثر لحوادث دهرهم فيهم ، وقد يقتحمون ميادين الحياة فيتأخرون ولا يتقدمون وكل منهم ينشد متحسراً :

وأخرني دهري وقدم معشراً على أنهم لايعلمون وأعـلم

يئست من اكتساب الخير لما رأيت الخـير وفر للاشرار

وربما لبسوا التبان للمصارعة فيصرعون .وقد نازل أمس صاحبنا (ولسن) ذينك العفريتين لويد جورج وكامنصو فعقلاه عقلة في السياسة شغزبية[1] فصرعاه سريعا (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) كما قال الله . وأضحى عند جميع الناس ضحكة ثم قضى كمداً

أين الامم المحررة ياولسن ؟

ليست العربية ياسادة بالمقصرة ولا العـاجزة وليس الضعف وليس العجز وليس القبح من طبائعها

(١) الشغزبية بالراء وبالزاي اعتقال المصارع رجله برجل خصمه وصرعه إياه بذلك

وقد كانت تنشد في هذا الدهر الاطول في ارجاء الارض كافة هما بعيدات، ونفوساسريات أبيات، وارتقاء في أمة عربية وعلاء ، كما تتجلى في الدنيا تجليها ، وكي تضيء كعادتها إضاءتها ، فلما الفت في أرض مصر مرغبها ، لما وجدت (محمداً ومحموداً) ظهرت بل ائتلقت بل قد تحاقر عند ضياها نور الشمس فكان (يوم التجلي) كما يقول اخواننا النصارى وكان عيده . وأصبحت الدنيا وقد علت كلمة العربية وأعلن الدهر سلطانها

وغدا محمود سامي يحمل علم الشعر ويبشر الحال برسول في القريض يأتي من بعد محمود اسمه (أحمد) ولا تسأل يا هذا قوة سامي الشعرية أن تعطيك أكثر مما أعطتك فبحسبك ما أخذت وحسب الرجل ماجاء منه

ولاتجود يد إلا بما تجد

وغدا الشيخ محمد عبده يحمل علم النثر ويد جمال الدين عند محمد وعند العربية وعند مصر وعند المشرق لاتكفر

فاذكر في الكتاب جمال الدين

وأثن عليه بالذي هو أهله ولاتكفرنه لا فلاح لكافر

إن جمال الدين لم يك شخصا فذاً ، إن جمال الدين كان أمة . وانه لم يتنبه من أمم الشرق في ذاك الوقت الا أمتان لاثالثة معهما الاولى هي الامة اليابانية والامة الثانية هي جمال الدين . فجمال الدين أمة وحده

وقد أراد ابن الحريري في البدء أن يقتل الامام فنجاه كتاب الله وحديث رسول الله منه . فارجع يا فتى إلى أسلوب القرون الثلاثة الاولى — إلى الاسلوب الطبيعي العربي ـ الى الأسلوب الباريسي — إلى أسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين ، وانبذ انبذ مقامات الحريري ومقامات الهمذاني وما شاكلها ، ولا تتصفحنها إما ابتغيت تعرفها ، إلا خائفا ، وحذار يك أن يستعبدك متقدم في الزمان أو متأخر ، وإياك وأن تقلد في القول أحداً ، فالمقلد عبد ولا يرضى بالعبودية حر ، والعاقل لا يهب كينونته لسواه ، وإن ساواه أوعلاه ، وبعضهم لا يهبها لله (عزوجل) والتقليد عدم ، والاستقلال كون ، فلا يؤثر على الثاني الاول الا أحمق

وقد دارت حول الاستاذ الإمام « العبارات الفقهية والقوانين العلمية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة » كما يقول ابن خلدون فما استطاعت لبلاغته إضراراً « ولا خدشت المكته وجها »

ولا يضر الفقهاء وأهل العلوم تقصيرهم في هـذا النمط من البلاغة فللعلم (كما ذكرت آنفاً) لغة وللادب لغة . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة الفاظ القوم مع علمي بأن العربية لاتجيزها » وقال أيضاً : « استهجنا تبديل الفاظهم وتغيير عبارتهم فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم ومن دخل ظفار حمر » (١)

وقد كتب الاستاذ في العلم بلغة الادب (كدأب هنري بركسن فيلسوف فرنسة وكفلامريون العالم في الفلك) فراحت رسالته في التوحيد في هذا العصر معجزة .

ظهر محمد وظهر محمد فتقوت العربية بعد أن تضعفها الخصوم وتعززت بعد إذلال فغدا الدهر عند ذلك يعبد لنابغة يطلع على الدنيا طريقه

ومن سنن الله ومن دساتير الطبيعة ألا يفاجيء نابغة أو عظيم فيما قدر له أن ينبغ أو يعظم فيه قومه مفاجأة دون ان يستعدوا له إذ النابغة في شيء ما إنما هو جوهر أمته ولا يلخص خير الا من خير وما حدث كون عن عدم . وقد أشار الى مثل هذا واضع علم الاجتماع ابن خلدون حين ذكر أمر البعثة المقدسة

غدا الدهر يعبد لنابغة في القريض يطلع على الدنيا طريقة ، وغدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يسمى شعر النبوغ قد عدموه منذ عصور ولم يجيء من بعد القرون الثلاثة الاولى ومن بعد الذي يقول :

وما تسمح الأيام علي بأمرها وما تحسن الايام تكتب ماأملي

الا مقصدات معدودات والا مقطعات قليلات وأبيات نوادر

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يشع مثل الماس إشعاعا ويزهر كالدراري المتوهجة زهوراً بل يضيء كما تضيء الشمس وقد جمل بل قد تجسم من الجمال وقد نوره القرآن فبان بيانا

(١) حمر بتشديد الميم تكلم بالحميرية وظفار بلد باليمن

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً هو فوق الشعر وكلاما هو فوق الكلام كان ابن نباتة السعدي وقد سمع مثله من شعر احمد بن الحسين فقال: «نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول» شعراً متنبياً غوتيا شكسبيريا يعلق به الخلود اذا قيل وينشده الدهر الناقد إذ سمعه

انتظرت الامم العربية برهة هذا الشعر النابغ وخروج هذا الشاعر والاقوام كلهم أجمعون متطاولون والاعناق مشرئبة والوجوه الناضرة كما قال الله: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» والعيون ناظرة شاخصة والقلوب في الصدور راقصة والدهر الذي قد ضن امس وجاد اليوم يبتسم فتبلج (وقد تفتحت أبواب السماء بالدعاء) نور

أحمد

يملأ الدنيا وطلع على اهلها «شوقي»

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتنّ فيك الناظرون فأصبع يوما اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تكفر

وظهرت معه أمه اللغة العربية آخذة بيمينه وقد انحدرت من مقلتيها دمعتان «ومن السرور بكاء» كما قال المتنبي

جاء (أحمد شوقي) وقد أضاء عصر الكهرباء وخرج هؤلاء العفاريت من الافرنج يسحرون الناس بالذي يأتونه . وإن أعمالهم (والله) لساحرة ،وان مبتدعاتهم (كظلمهم العبقري) عبقرية باهرة ، وأقبلت هذه المدنية الغربية ناسخة المدنيات ، وصاحبة المعجزات المجننات

وماهو الا أن تراها (بدارها) فتبهت لا عرف لديك ولا نكر

مدنية عجيبة مدهشة قد حار في أمرها القائلون فما يقولون ، وقد اعجزت شعراءها فما عادوا يبدعون وقل أو ضمحل فيهم في الشعر النابغون ، فلم يعزز شكسبير وغوتي في الغرب بثالث

جاء ذلك وجاء أحمد شوقي فما فر من أمام ما شهد فرار الجبان، ولا أفحم إفحام العاجز، بل مشى مشية الليث (كمشي ذلك الحماسي) ونادى لغته العربية فاجابته، وأهاب بقوته الشعرية فلبته

هما عتادى الكافياني فقد ما أعددته فلينأ عني من نأى

فجاء في الشعر بهذا السحر الذي رأيتموه، وقال ذلك القول الذي سمعتموه،

وقذف بالشطر بنصف البيت قد اجتافه تاريخ أمة(1)

وسير البيت يعرض فيه للناظرين السامعين دولة

وابتدأ القصيدة في شأن فهاج قبيلا، أو اهدأ قبيلا أو نشط لما يعلي أو ثبط عما يدني فذهبت تلك القصيدة في الناس دستوراً

وغاص وحلق «فاتي (كما قال ابن الاثير في حق حبيب) بكل معنى مبتكر، لم يمش فيه على أثر»

وعرف الشرق وعرف الغرب وعرف العصر (وقد جهل غيره عصره) واكتنه سر التأخر والتقدم فاعطي الحقيقة في الشعر، وهدى بالكلم الطيب ذي الحكمة الى الطريق الاقوم

فكن كشوقي ياشاعراً في هذا العصر فشيع المجاز بالحقيقه (على أن ليست حقيقة هذا الكون — والله — الامجازا) واعلم أن علم الاقدمين دينهم، ودين المعاصرين خاصتهم علمهم، و(لكل أجل كتاب) كما قال الله، وان الدهر دهر حقائق بل لا تثبت الحقيقة فيه الا في دار الاختبار بالشهود العدول، وان الحال كما قال ذاك الشيخ ذاك الشاك

فقلنا للهزبر أأنت ليث فشك وقال عليّ أو كأني

فحلق حين التحليق في طيارة، وغص عند الغوص في غواصة، وناج حبيبك بالمسرة اللاسلكية (2) أو (بالرادي) فانهما اسرع من خاطرك

1) إجتافه دخل في جوفه (2) المسرة بكسر الميم وتشديد الراء آلة المسارة والمراد بها التلفون وقد قلت في آخر قصيدتي الشرقية التي نظمتها وأنا تلميذ بطرابلس الشام منذ ثلث قرن .

تتلى فيطرب من بالضاد ينطق من أرجاء فاس إلى القطر العماني
كأنما أنا أشدو بالمسرة أو أملي على وب سلك كهربائي

ورب معان يهيم بها الزمان مبهمة ولا يفصح ، وتختلج في الصدور ولا تبدو ويجهلها العالم وهي منه مقتربة ، وتغيب عن الالمعي وهي لم تبعد عنه ، قد اجتذبتها قوة شوقي الشعرية وبينتها أي التبيين للعالمين، فعجب الناس بل ما كادوا يقضون العجب

وقد حالف قصيد ابي علي[1] الفن محالفة صدق فاتضح اتضاحا وتآخت أبياته تآخيا ، فهي بنو اعيان لا بنو علات ولا اخياف ولا ابناء عم ، وتعانقت معانيه عناق العاشقين وتجلب بمقاصده وصرحت صراحة الوطني ذي الاخلاص

وقد جماله وقواه وخلده ، عربيته ، متانته ، لغته ، ديباجته ، وان لهذا كما للمعنى لقدراً ، وان له لبهجة وان له في النفوس لاثراً . وانما المعنى واللفظ شيء واحد فهما كالجسم والنفس ، والنفس والجسم ، كائن فرد لا كائنان متباينان

واللفظ والمعنى كمادة الكون وقوته فليس هنك مادة قد انفرقت عن القوة ، وليس هناك قوة قد زايلت المادة ، كما يقول (كنت) وغير (كنت) من المثنويين أو الاثنيين (les dualistes)

عمدتم لرأي اثنوية بعد ما جرت لذة التوحيد في اللهوات

ليس ثمة مفترقان ، ان هناك الا اتصال ، ان هناك الا الوحدة ، كما يقول محيي الدين وسبنوزة وارنست هيكل

اذا تبدى حبيبي بأي عين أراه
بعينه أم بعيني[2] فما يراه سواه

بل ليس هذان المعدودان اثنين (أي اللفظ والمعنى) الا صاحبهما يتجلى فيهما ومن أجل ذلك يضعف قول أو يقوى ، ويقبح أو يجمل ، ويصغر أو يكبر ، ويلتبس أو يتضح . واتل أقوال الامم العربية في كل عصر تنبئك بأحوالها فاحوالها المتغيرة ذات الضعف وذات القوة هي في اقوالها فاعرف أقوالها تعرف احوالها

وإذا لم يتجل ذو القول في قوله فليس بذي كينونة وانه لسواء والعدم وما قوله قولا . وإذا تشاكس ذات مرة لفظ قول ومعناه فما هو الا مخلوق شائن نعوذ بالله من مرآه .

---

(١) المنار : هو احمد شوقي نفسه (٢) الرواية التي نحفظها « : لا بعيني »وهي التي تطابق * فما يراه سواه * وان كانت العين واحدة على مذهب الوحدة

وإني أقسم بالقرآن وبلاغته وإعجازه وعبقريته وعجائبه التي لن تحصى أن لولم يكرم لفظ شوقي في الشعر كما كرم معناه ولو لم تشرق هذه الديباجة الشوقية المليحة ذات الحفاظ ذلك الاشراق ما كان احمد شوقي شاعر العربية الاكبر وما كان ملك الشعر وما كنتم اظفرتموه بهذا اليوم. ولكنه عاقل حكيم عرف كيف يقول وكيف يبني قصيده ويشيد أهرامه ليخلدفيها ، وقد قلت قدما. «ما يقي المعاني من الدثور الامتانة ألفاظها، وما يخدمها الدهور الاتحقيق كلامها» والدهر أثبت ما كنت قد قلته

وما التجدد ياقوم بصاد صاحبه عن الاحتفال في اللغة الادبية بديباجة القول وإحكامه وصيانته من كل خلل ، وتجليه أنيقا ذا نضارة تبيعياء عربياء. بل التجدد يحدو على ذلك لان التجدد اخو التقدم وخصيم التأخر

ومن التجدد أن تهيم بالفن وهذا فن

ومن التجدد أن تقول القول الجيد المضبوط ليفهم الناس ما تقول

ومن التجدد أن تختار خير طريق في الانشاء والقريض فتسير فيهما مستقلا لتبلغ وتبلغ قومك من الارتقاء ما يجب بلوغه

ومن التجدد أن تشيد الامة المتنبهة بنيانها على الاساس القوي لئلا ينهار

ومن التجدد أن تتقن ياهذا ماتعمل وترصن ماتعلم وأن تعد لكل أمر عدته والكتابة والشعر عدد ، فقل لي هل أعددتها ؟

ومن التجدد أن يعلم أنه لايجيء من الضعف والانحطاط الا الضعف والانحطاط ولايجيء من القوة والتقدم الا القوة والتقدم ، والمتجدد الاريب انما يريد أن يزداد قوة وتقدما

ومن التجدد أن يعرف من يروم تغييراً كيف يغير فلا يدع الحسن المجمع على حسنه . الى قبيح لاريب في قبحه

ولقد أبهج كل أديب عربي أن عرف المجددون في مصر كيف يجددون وأي دين في التجدد يتبعون

* * *

ان لم تكن القاهرة حاضرة الامم العربية السياسية و (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان القاهرة حاضرة الامم العربية اللغوية ، ملك الشعر فيها

« شوقي » والاقاليم العربية في المشرق والمغرب قاطبة من اعمالها ، وادباؤها عماله ، واهلها رعية إحسانه . وان لهذا الملك علينا السمع ، وان لنا عليه الاجادة في القول ، وقد (والله) أجاد ، وقد سمعنا واطعنا ، وجئت احتفى به (يوم تكريمه) في المحتفين وأعترف بقدرته المتعالية في القريض مع المعترفين

***

جاء محمد[1] وجا خليفته[2] وجاء محمود[3] وخرج نابغة الشعر العربي « احمد شوقي » وكان المقتطف[4] وجاءت هذه الدولة الادبية العربية المصرية ومن رجالها الكاتب الاكبر ، والشاعر الاكبر ، والمفكر الاكبر ، والاديب الاكبر ، والخطيب الاكبر والنقاد الاكبر ، والباحث الاكبر ، والفقيه الاكبر ، والمتفنن الاكبر ، والعالم الاكبر ، وكل كبير في علمه ، وفنه فصات في أرجاء الكون هذا الصوت

الا إن محمدا [5]
وذكر محمد
وقرآن محمد
ولغة محمد
وعربية محمد
وأدب محمد
كل ذلك لن يزول ، كل ذلك لن يبيد وفي الدنيا — مصر

(اسعاف النشاشيبي)

---

(١) يعني الاستاذ الامام (٢) عندما قال الخطيب هذا أشار بيده الى صاحب المنار وكان في الصف الأول جهة موقفه اليمنى (٣) يعني محمود سامي البارودي (٤) أي ووجد المقتطف. كل هؤلاء مصريون بيئة واستيطانا قديماً أو حديثاً وليس فيهم أحد قبطي النسب قطعاً فالنهضة المصرية الحاضرة ليست قبطية ولا فرعونية بل عربية وللقبط أنفسهم حظ عربي منها لا ينكر (٥) لعل المراد من كلمة (محمداً) الاولى هذه الاسم لأن خبرها مع ما عطفت عليه قوله بعدها — « كل ذلك لن يزول » وهذا يمنع ارادة المسمى وقوله بعدها وذكر محمد يراد به ذكر مناقبه وشمائله وسننه

علاوة باب الفتاوى

البيت الحرام وسدنته بنو شيبة وحقوقهم والهدايا له ولهم

(س ٧ — ١٠) جاءتنا الاسئلة الآتية من صاحب الفضيلة الشيخ عبدالقادر الشيبي رئيس سدنة البيت الحرام بمكة المكرمة فرأينا وقد تم باب الفتوى من هذا الجزء أن ننشرها هنا مع الاجوبة عنها هنا ليطلع عليها حجاج هذا العام

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

صاحب السماحة مولانا العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا دام فضله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) إن ماتتناوله من الصلة والاكرام من زوار بيت الله الحرام بطلب وبغير طلب بدون جبر هل يجوز لنا نحن سدنة بيت الله أخذه أم لا أفتونا مأجورين ولكم الثواب من رب العباد

(ج) يحل مايعطى عن طيب نفس بغير طلب اجماعا ، وأما الطلب وسؤال ماليس بحق للسائل فهو مذموم لغير المضطر . وسنفصل القول في ذلك فيما نجيب به عن السؤال الرابع وهو فتاوى بعض مفتي مكة المكرمة في المسألة

(٢) هل من يتناولنا بالتشنيع والتنقيد في وظيفتنا لتقديم ناس وتأخير ناس آخرين في دخول البيت المشرف كما تقتضيه الحالة وفيما يصلنا من الزوار — هل على ولاة الامر منع المتعرضين والمنتقدين لما رواه يونس عن الزهري عن بلال وعثمان ابن طلحة عن النبي ﷺ قال « إن لله بيتا فاحترموه واحترموا سدنته » أفتونا مأجورين ولكم الثواب

(ج) التشنيع والانتقاد على سبيل الاهانة من الغيبة المحرمة بالاجماع فلا حاجة إلى الاستدلال عليها بمثل هذا الحديث الذي ليس من الاحاديث التي تقوم بها الحجة في الرواية وإن كان معناه صحيحاً بل لم أره في شيء من كتب السنة وصيغة الاحترام لم ترد فيها ولا في القرآن وقد استعملها الفقهاء وأراها مولدة ويجب على ولاة الامور منع من يعتدي عليهم ويؤذيهم عند الامكان

(٣) ماقولكم دام فضلكم فيمن يصل إلى بيوت السدنة لبيت الله الحرام ويطلب منهم ورقة تتضمن الفسح (الاذن) لدخول البيت المعظم وتبين الوقت الذي يفتح فيه وعند دخوله تؤخذ منه الورقة التي أعطيت له هل يجوز ذلك أم لا أفتونا لازلتم مأجورين

(ج) إن هذا العمل يقصد به النظام وعدم الازدحام المخل به فيما يظهر فهو بهذا القصد حسن لا بأس به في كل حال وقد يكون ضروريًا في حال الازدحام

(٤) ولانا أقدم إلى مقامكم طي هذه صورة فتاوى من أسلافكم مفاتي مكة المكرمة وعلمائها الاعلام وهي من قديم الاعوام ونحن متمسكون بما احتوت عليه من الاحكام والنصوص الشرعية في سدانتنا وفي أعمالنا واجراء وظيفتنا نسترحم اطلاعكم عليها والتصديق على مااحتوت عليه من الحق والصواب الذي نرجوكم أن ترشدونا اليه ليكون عملنا عليه . ولكم الثواب

(وهذا نصها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

صورة سؤال قدم لمفاتي مكة المكرمة

ماقول العلماء الاعلام في ولاية الكعبة المعظمة وخدمتها وما يوجد فيها ، وما يهدى لها وما تكسى به خارجها وداخلها ، وفتحها واغلاقها ، وما يأخذونه من النذور وزوارها والهدايا ونحو ذلك هل يجوز لبني شيبة أخذه ولا يشاركهم أحد في خدمتها أم لا أفتونا مأجورين

فأجاب حضرة العلامة السيد عبدالله المرغني مفتي مكة المكرمة بقوله

الحمد لله رب العالمين ، رب زدني علمًا ، اللهم يامن لاهادي لنا سواك ، أنطقنا بما فيه رضاك ، فليعلم السائل أرشدنا الله وإياه للصواب ، ووفقنا لما جاءت به السنة ونطق به الكتاب ، أنه يختص بما ذكر بنو شيبة الموجودون الآن وإلى يوم القيامة لما أرشد اليه الكتاب من الخطاب وأورده من السنة أجلاء الاصحاب والفقهاء الاعلام ، ومفاتي بلد الله الحرام ، فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر

المنازعة فيه ، ولا معارضة من قام منهم بما عليه بما يؤذيه ، فمن فعل شيئاً من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم ، بصريح قول المصطفى ﷺ ، ويجب على ولاة الامر تأييدهم وردع من يتصدى لذلك اقتداء به ﷺ لينالوا بركة اتباعه ويكونوا ممن أحبهم الله لقوله تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد ذكر العلامة أبو السعود في تفسيره كغيره من المفسرين عند قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) بعد أن ذكر أنه خطاب يعم المكلفين قاطبة مانصه ورد في شأن عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذكر القصة إلى آخرها والله سبحانه وتعالى أعلم كتبه المفتقر عبدالله بن محمد المرغني

مفتي مكة المكرمة كان الله لها حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً

وأفتى في عين هذا السؤال حضرة العلامة الشيخ جمال الحنفي مفتي مكة المكرمة بقوله : سدانة البيت الشريف خدمته وتولي أمره وفتح بابه وغلقه ، فسدنتها هم خدمتها ، ومن يتولى أمرها الشيبيون العبدريون الثابت نسبهم مابقي الزمان ، وتوالى الملوان ،المتصل نسبهم إلى ابن أبي طلحة وأبو طلحة اسمه عبدالله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري الثابتة لهم هذه المباشرة الشريفة جاهلية واسلاما كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة ، وقد صح أن النبي ﷺ حين أخذ المفتاح من عثمان يوم فتح مكة حتى ظن عثمان أن النبي ﷺ لا يدفعه اليه . وقال العباس بن عبدالمطلب : بأبي أنت وأمي يارسول الله أعطنا المفتاح مع السقاية فأنزل الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) قال عمر رضي الله عنه : فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن أبي طلحة ودفع اليه المفتاح وقال « غيبوه » ثم قال «خذوها خالدة تالدة يابني أبي طلحة بأمانة الله واعملوا فيها بالمعروف ، فلا ينزعها منكم إلا ظالم » وروى الفاكهي عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما ناول المفتاح إلى عثمان قال « غيبوه » قال الزهري فلذلك يغيب المفتاح ، وانما استوردت هذه الاحاديث ليستنبط منها أحكام الشيبيين وما به جرت عادتهم القديمة منها هذه ،

الولاية لهم من الله ورسوله جاهلية واسلاما فيالها من مزية ، لاتضاهيها قضية

ومنها ان لهم تغييب المفتاح وعلى ولاة الامر الحلم عليهم والصفح عن زلاتهم اقتداء به عليه الصلاة والسلام ، وأخذا من قوله ﷺ « كلوا بالمعروف » ان مايهدى اليهم من الصلات والاحسان على وجه التبرع يحل لهم أخذه وهو من الاكل بالمعروف كما وضحه في البحر العميق [1] وكذا مارث من كل ما أبدل وعمر فيها كما جرت به العادة القديمة لهم بالاخذ . ومما يؤيد ذلك ويدل عليه ما ذكره الفاكهي أنه لما حج الناصر محمد بن قلاون في سنة سبعمائة وثلاث وثلاثين أمر بقلع باب البيت المعظم فاخذه الحجبة . ثم قال الفاكهي يؤخذ من هذا ان ما أزيل من البيت الشريف من المؤن وعمل بدله يكون لبني شيبة لايشاركهم فيه غيرهم قد شاهدناهم على مثل هذا ، وانهم يصرحون بأن هذا حقنا بالقواعد القديمة.

وقد أجاب خاتمة المفتين ببلدالله الامين حضرة السيد عبدالله المرغني في عين هذا السؤال وقد رفع اليه في ضمن كلام طويل بما لفظه : فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر المنازعة فيه، ولا معارضة من قام منهم بما عليه بما يؤذيه، فمن فعل شيئا من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم والله أعلم ،

أمر برقمه راجي لطف ربه الخفي جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي

مفتي مكة المكرمة كان الله لها حامداً مصليا مسلما

وافتى في عين هذه المسألة حضرة الشيخ عبد الله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة بقوله: الحمد لله على نعمة الايجاد والامداد ، والصلاة والسلام على من حث على حفظ امانة العباد . بنو شيبة الصحابي هم سدنة الكعبة المعظمة الى يومنا والى يوم القيامة لما صرحت به السنة وليس لأحد مشاركتهم في فتحها واغلاقها وخدمتها لقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وذكر أكثر المفسرين والامام احمد في تفسيره الكبير عند قوله تعالى (ان

(١) المنار : (البحر العميق . في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق) لأبي البقاء المكي العمري الحنفي من فقهاء القرن التاسع

الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) أنها نزلت في عثمان بن أبي طلحة الحجبي سادن الكعبة المعظمة وروى جبير بن مطعم قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ «مادام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في أولاد عثمان ابن أبي طلحة الى يوم القيامة» وروى بشر بن السري في المناسك عن نافع الحجبي وعن أبيه عبد الرحمن أن اباه حدثه ان الامام ابا حنيفة لما حج ودخل البيت الشريف وصلى فيه واعطا له[1] الف دينار وقال بنو شيبة هم سدنة البيت الى يوم القيامة لايشاركهم أحد في خدمتها. وأعظم الامام مالك أن لا يشرك[2] مع الحجبة أحد في الخزانة لانها ولاية من النبي ﷺ اذ دفع المفتاح لعثمان. قال القاضي عياض الخزانة أمانة البيت وما ينذر مايأخذونه من الزوار فلهم أخذه لانه من الأكل بالمعروف كما اوضحه في البحر العميق. واما مارث من كسوتها وجدد فيها فهولهم وقول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ ما بال بابه مرتفعا قال «فعل ذلك قومك ليمنعوا من شاؤا» وقولها يارسول الله كل زوجاتك دخل الكعبة غيري فقال «إذهبي لقرابتك شيبة يدخلك» فذهبت له فاتى الى النبي ﷺ وقال يارسول الله إنها لم تفتح ليلا في جاهلية ولا في اسلام فان امرتني فتحتها فاخذها وأمرها أن تصلي في الحجر رواه البخارى في صحيحه، واما تغييب مفتاح الكعبه فلهم تغييبه كما رواه الفاكهي عن جبير بن مطعم ان رسول الله ﷺ لما ناول المفتاح الى عثمان قال «غيبوه» قال الزهري فلذلك يغيب المفتاح. ولا يجوز عزل صاحب المفتاح ولو كان غير مرضي الحال كما صرح به مفتي مكة المشرفة لانها وظيفة من الله ورسوله فيالها من مزية لاتقاس بوظيفة او قضية والله أعلم

قال بفمه وأمر برقه خادم الشريعة والمناهج عبدالله سراج الحنفي

وافتى بما يؤيد ذلك ابنه العلامة الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة المكرمة بقوله قد اطلعت على ما أجاب به والدي عبدالله سراج الحنفي وما أجاب به شيخي الشيخ جمال بن عبدالله مفتي الاحناف بمكة والعلامة السيد عبدالله المرغني فوجدته هو الحق والصواب ولا يعول على سواه وجوابي كما أجابوا والله سبحانه وتعالى أعلم

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب «أعطاه» (٢) كذا في الأصل المرسل الينا

كتبه خادم الشريعة والمنهاج عبدالرحمن بن عبدالله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة كان الله لهما حامدا مصليا مسلماً

﴿ دلاوة لهذه الفتوى من مرسلها فيما يظهر ﴾

اخرج الترمذي عن أبي أيوب الانصاري قال قال رسول الله ﷺ الانصار ومزينة وجهينة وغفار واشجع ومن كان من بني عبد الدار موالي ليس لهم مولى دون الله والله ورسوله مولاهم » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وما أشار اليه العلامة الشيخ عبدالله سراج في فتواه السابقة الى قول المحقق مفتي مكة المكرمة في القرن العاشر العلامة ابن ظهيرة في فتواه ما نصه بلفظه اذا اختلف حجبة البيت بما جرت به العادة هل يقضى لهم بتقديم اكبرهم وربما كان غير مرضي الحال ؟ يقضي للاكبر وان كان غير مرضي الحال وانما الجعل معهم مشرفا منهم واقضاء بما جرت به العادة تشهد له بمسائل كثيرة لاتقاس بوظيفة تما القوله ﷺ « اني لم أدفعها لكم ولكن الله دفعها لكم » صح وقوله ﷺ « كل مأثرة تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت » ولما رواه يونس عن الزهري عن سالم عن أبيه قال أخبرني بلال وعثمان بن طلحة أن النبي ﷺ قال « ان لله بيتا فاحترموه واحترموا السدنة » وأيضا أخرج الحافظ ابن حجر في شرح البخارى عند دخول النبي ﷺ من اعلا مكة : روى ابن عابد من طريق بن جريج أن عليا قال للنبي ﷺ اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يابني شيبة خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم » وفي طريق علي بن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال « يابني شيبة كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » قال الامام فخر الرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٢٣٨) قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الى أن قال الامام بعد أن ذكر القصة يوم الفتح وطلب ﷺ المفتاح واخذه من عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار وطلب العباس له ورده الى عثمان وقال « ياعثمان خذ المفتاح على أن للعباس نصيبا معك » فانزل الله هذه الآية فقال النبي ﷺ لعثمان (خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم) اه

(تعليق المنار على ماتقدم)

إن في بعض عبارات هذه الفتاوي ما يؤخذ على أصحابه كاطلاق بعضهم فيمن ينازع بني شيبة أو يعارضهم بما يؤذيهم في عملهم قوله «فمن فعل شيئاً من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم » فهذا غلو وجرأة في أمر لايمكن أن يعلم إلا بنص عن الله ورسوله ، وما كل من ظلم أحداً بقول أو فعل يطرده الله من رحمته ويبعده كطرد ابليس وأبعده ، أو يخزيه وينكل به ، كما يفعل بالمشركين به، فان من الظلم ماهو من الصغائر ومنها ماهو من الكبائر كما هو معلوم وقد شرح في المنار من قبل (وفيها) تساهل في ايراد بعض الروايات بعدم بيان مخرجيها من أهلها وعدم بيان المسند المرفوع من غيره ، والصحيح من غيره، كما هي عادة المفتين منذ القرون الوسطى ينقلون من كل كتاب يقع في أيديهم من غير تمحيص (وفيها) ابهام لبعض المسائل كتغيب مفتاح البيت المعظم ومسألة تعليل رفع بابه من عهد الجاهلية ، هذه المسائل باختصار فنقول :

(أما السدانة) فهي حق بني شيبة بلا نزاع وقد ثبت ذلك بالعمل المتواتر ، وقد شذ في بعض القرون بعض أمراء مكة بأخذ مفتاح البيت الحرام من الشيخ الشيبي فكان ذلك في نظر الناس أمراً إمراً ، وشيئاً نكراً ، ولم يطل الامد على ذلك حتى ردت الامانة إلى أهلها . وقد فصلت هذه المسألة في الرحلة الحجازية الأولى وذكرت بعض الاحاديث الواردة فيها معزوة إلى مخرجيها وهي في (ص١٥٢ و١٥٣ و١٥٤ من المجلد العشرين من المنار) وفيها أن لأهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها لهم الله ورسوله الخ ، أي ليس في الناس أهل بيت لهم مثل المزية ومثل هذه الوظيفة الثابتة حكماً وفعلا وقد حفظ بها نسبهم مع كرامة حسبهم ، وقد فاتني أن أسأل كبيرهم الشيخ محمد صالح رحمه الله في ايام رحلتي الاولى والشيخ عبد القادر صاحب الاستفتاء في الرحلة الثانية عن نسبهم وعددهم ، فانا لانعلم شيئا عن حفظ نسبهم الذي ضطرهم اليه هذه الوظيفة ، فان كانوا قد كثروا كما كثر العلويون على ممر القرون

فكيف ضبطوا أنسابهم ليعلم أكبرهم سنا فيكون صاحب المفتاح ورئيس الحجاب لبيت الله تعالى وأين يقيمون ؟ وإن كانوا قليلين فما سبب ذلك ؟ اننا نرجع إلى كبيرهم في طلب البيان ولعله يجيبنا على ذلك كتابة بالاختصار

﴿ وأما هدايا الكعبة والنذور لها ﴾ فهي تختلف باختلاف ما يهدى وتنذر له وبالعرف وأطلق بعضهم القول بأنها خاصة بها تحفظ لينفق منها على عمارتها عند الحاجة وصرحوا بأنه لا يجوز انفاق شيء منها على الفقراء ولا في المصالح . وروى البخاري واللفظ له وأبو داود وابن ماجه عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر (رض) فقال : لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته . قلت ان صاحبيك لم يفعلا . قال : هما المرآن اقتدى بهما . وفي بعض الروايات عن شيبة أنه قال لعمر : ما أنت بفاعل . قال ولم ذاك ؟ قلت لأن رسول الله ﷺ قد رأى مكانه وأبو بكر وهما احوج إلى المال منك فلم يحركاه

والمراد بهذا الكنز الذي كان فيها مما يهدى إليها وكان في صندوق في البيت . وروى مسلم من حديث عائشة (رض) عنها في بناء الكعبة « لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله » فظاهر هذا التعليل أن الامتناع من انفاق الكنز كالامتناع من نقض بناء الكعبة وإقامتها على أساس ابراهيم ﷺ وإلصاق بابها بالارض وفتح باب آخر في مقابله فقد علل ذلك ﷺ في كلامه مع عائشة بحداثة عهد قومها بالكفر والجاهلية وخوف انكار قلوبهم ذلك ، وفي رواية خشية انكسار قلوبهم والروايات عنها في هذا ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، وهذا التعليل قد زال بتمكن الاسلام وهو يدل على عدم امتناع انفاق كنزها في سبيل الله لذاته فما بال الفقهاء حرموا ذلك ؟ وقد يقال إن ذلك الكنز كان من أموال المشركين في الجاهلية وما ذكروه من الهدايا والنذور في عهد الاسلام يخالفه في حكمه فيجب صرفه فيما وقف أو نذر له وهو مصالح البيت وحدها . وقد روى الازرقي في تاريخ مكة أن النبي ﷺ وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت فقال له علي (رض) يارسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك افلم يحركه

وفي هذه المسألة فروع ذكروا فيها أن لحجبة البيت (وهم آل شيبة) أن يتصرفوا ببعض النذور التي جرى بها العرف ننقل الفروع الثلاثة الآتية منها عن كتاب (الجامع اللطيف، في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) للشيخ جمال الدين محمد جاد الله القريشي المخزومي الحنفي من علماء مكة في القرن العاشر قال: فروع

(الاول) تختص الكعبة الشريفة بما يهدى اليها وما ينذر لها من الاموال وامتناع صرف شيء منها إلى الفقراء والمصالح إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه وإلا فلا يغير شيء عن وجهه نبه عليه الزركشي من الشافعية

(الثاني) اذا نذر شمعاً يشعله فيها أو زيتاً ونحوه وضعه في مصابيحها وإن كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها صرح به الماوردي

(الثالث) نقل الجد في منسكه مسألة تعم بها البلوى فقال شخص نذر أن يوقد شمعاً على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلا فجاء الحجبة فأخذوه ومنعوا استمرار وقوده وقالوا هذه عادتنا مع كل أحد وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد إيقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه أو ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال

(الجواب) الناذر خاص عن عهدة المنذور لبلوغه محله وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه، وإن كان على الحجبة ابقاؤه موقوداً إلى نفاده ولا خفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك، ومحل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هنالك أو غيره وإلا فان كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة ومقتضى كلام النووي عدم الصحة وصرح به الاذرعي وتبعه الزركشي انتهى

(أقول) مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع إلى المحل، بل ولا بوقوده قليلا مالم يوقد ثلثاه فأكثر، وأما الحجبة فلهم أخذه بغير اذن المرسل إذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه نص عليه في القنية من كتب المذهب انتهى بحروفه

﴿تنبيه﴾ ان الشمع الذي يوقد الآن على باب الكعبة لا ينتفع به أحد لان الحرم

كله يضاء بقناديل الكهرباء وقناديل أخرى غازية ، وبرضعه على عتبة الباب يستقبله المصلون واستقبال النار في الصلاة محظور لما فيه من شبه المجوس كما صرحوا به . ولعلهم تساهلوا فيه لان المراد به تعظيم الكعبة مع كون شبه المجوس نسي فلا يخطر بالبال

﴿وأما كسوة الكعبة المعظمة﴾ فالاصل فيها أن أمرها إلى الامام الاعظم ولذلك كان عمر (رض) يقسمها على الحجاج كما يأتي ، ثم ترك الائمة والامراء أمرها إلى بني شيبة حجبة الكعبة. قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح حديث عمر في كنز الكعبة الذي تقدم آنفا نقلا عن ابن المنير : والذي يظهر جواز قسمة الكسوة العتيقة إذ في بقائها تعريض لاتلافها ولا جمال في كسوة عتيقة مطوية (قال) ويؤخذ من رأي عمر أن صرف المال في المصالح آكد من صرفه في كسوة الكعبة لكن الكسوة في هذه الازمنة أهم (قال) واستدلال ابن بطال بالترك (أي ترك عمر الكنز الكعبة اتباعا) على إيجاب بقاء الاحباس (أي الاوقاف) لا يتم إلا إن كان القصد بمال الكعبة اقامتها وحفظ أصولها اذا احتيج إلى ذلك . ويحتمل أن يكون القصد منه منفعة أهل الكعبة وسدنتها ، أو ارصاده لمصالح الحرم أو لأعم من ذلك ، وعلى كل تقدير فهو تحبيس (أي وقف) لا نظير له فلا يقاس عليه انتهى

(ثم قال الحافظ) تعقب نقل هذا : ولم أر في شيء من طريق حديث شيبة (أي مع عمر) هذا ما يتعلق بالكسوة إلا أن الفاكهي روى في كتاب مكة من طريق علقمة ابن أبي علقمة عن أمه عن عائشة (رض) قالت : دخل عليّ شيبة الحجبي فقال ياأم المؤمنين إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فننزعها ونحفر بئاراً فنعمقها وندفنها لكي لاتلبسها الحائض والجنب . قالت بئسما صنعت ، ولكن بعها فاجعل ثمنها في سبيل الله وفي المساكين فانها اذا نزعت عنها لم يضر من لبسها من حائض أو جنب . فكان شيبة يبعث بها إلى اليمن فتباع فيضعها حيث أمرته . وأخرجه البيهقي من هذا الوجه لكن في اسناده راو ضعيف وأسناد الفاكهي سالم منه .وأخرج الفاكهي أيضاً من طريق ابن خيثم حدثني رجل من بني شيبة قال :رأيت شيبة ابن عثمان يقسم ماسقط من كسوة الكعبة على المساكين . وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه أن عمر كان ينزع كسوة الكعبة كل سنة فيقسمها على الحاج اه

وقد نقل القسطلاني في شرحه لهذا الحديث أقوالا للشافعية في الكسوة ختمها بنقله عن (المهمات) للاسنوي التفصيل الآتي :

واعلم أن للمسألة أحوالا (أحدها) أن توقف على الكعبة وحكمها مامر ، وخطأه غيره بأن الذي مر محله اذا كساها الامام من بيت المال ، أما اذا وقفت فلا يتعقل عالم جواز صرفها في مصالح غير الكعبة (ثانيها) أن يملكها مالكها للكعبة فلقيّمها أن يفعل فيها مايراه من تعليقها عليها أو بيعها وصرف ثمنها إلى مصالحها (ثالثها) أن يوقف شيء على أن يؤخذ ريعه وتكسى به الكعبة كما في عصرنا فان الامام قد وقف على ذلك بلاداً

(قال) وقد تلخص لي في هذه المسألة أنه إن شرط الواقف شيئاً من بيع واعطاء لأحد أو غير ذلك فلا كلام ، وإن لم يشترط شيئاً إن لم يقف الناظر تلك فله بيعها وصرف ثمنها في كسوة أخرى وإن وقفها فيأتي فيه مامرّ من الخلاف في البيع . نعم بقي قسم آخر وهو الواقع اليوم في هذا الوقف وهو أن الواقف لم يشرط شيئاً من ذلك ، وشرط تجديدها كل سنة مع علمه بأن بني شيبة كانوا يأخذونها كل سنة لما كانت تستكسى من بيت المال — فهل يجوز لهم أخذها الآن أو تباع ويصرف ثمنها إلى كسوة أخرى ؟ فيه نظر والمتجه الاول أه

أقول ذكرت هذا التفصيل لان المطلعين على كتب الفقه يرون فيها أقوالا مختلفة في المسألة سببها اختلاف التاريخ والاحوال والحالة الاخيرة التي ذكرها القسطلاني هنا هي الثابتة إلى الآن ، وهي أن الملك الصالح اسماعيل بن الناصر ابن قلاوون صاحب مصر وقف قرية بيسوس (ويقال الآن بسوس) من نواحي القاهرة على كسوة الكعبة سنة ٧٤٣ ومن ذلك العهد تصنع الكسوة في مصر في كل عام ، وهل العبارة في القسطلاني له وهو قد توفي في سنة ٩٢٣ أم للاسنوي وهو قد توفي سنة ٧٧٢ ؟ الاظهر الاول ، والحالة واحدة

وفي الجامع اللطيف : نقل الفاسي رحمه الله أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها أو ستة آلاف درهم كاملية عوضا عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مقاس لما ولي

أمر مكة سنة ٧٨٨ وتبعه أمراء مكة في الغالب . ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديها لمن يريد من الملوك وغيرهم انتهى (أي كلام الفاسي) وقد استمر الامر كذلك من أمراء مكة إلى يومنا هذا (أي سنة ٩٥٠) اه

وأقول ان أمراء مكة صاروا يأخذون الكسوة العتيقة كل سنة ويتصرفون فيها إلى عهد الملك حسين بن علي ثم ردها الملك عبد العزيز بن السعود إلى الشيبي

ثم أورد صاحب الجامع اللطيف فروعا في المسألة أولها في مسألتنا وهو :

« يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا اذا استغنت عنه ، وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ويجوز الشراء من بني شيبة لأن الامر مفوض اليهم من قبل الامام نص عليه الطرسوسي من أصحابنا في شرح منظومته ، ووافقه السبكي من الشافعية ثم قال وعليه عمل الناس ، والمنقول عن ابن الصلاح أن الامر فيها إلى الامام يصرفها في بعض مصارف بيت المال بيعا واعطاء ، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي قواعد صلاح الدين خليل بن كايكلندي أنه لا يتردد في جواز ذلك الآن لأجل وقف الامام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها في كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها ، واستحسن النووي الجواز أيضاً . قال الجد رحمه الله : هذا في الستور الظاهرة ، وأما الستور الداخلة فلا تزال ، بل تبقى على ماهي عليه لأن الكلام انما هو في الستور التي جرت العادة أن تغير في كل عام ، فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك في الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة انتهى

﴿ وأما مسألة ارتفاع باب الكعبة ﴾ فقد كان من استبداد قريش وترفعهم وأثرتهم على الناس ، وانما ذكره النبي ﷺ لعائشة منكراً له لا مجيزاً ولم يذكر في السؤال ولا في الفتاوى المسئول عنها نص الحديث كله في ذلك وهو في الصحيحين ولفظه في البخاري عنها سألت النبي ﷺ عن الجدر (هو بالفتح الجدار بالكسر والمراد به الحجر ، وقد ورد الحديث في غيرهما بهذين اللفظين) أمن البيت هو ؟ قال « نعم » قلت

فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال « إن قومك قصرت بهم النفقة [1] قلت فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال « فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق بابه بالارض » زاد مسلم « لنظرت أن أدخل » أي أن أفعل ذلك ، كما زاد عند قوله ويمنعوا من شاؤا « فكان الرجل اذا أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى اذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط »

وفي حديث آخر للبخاري أنه ﷺ قال لها « ياعائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالارض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس ابراهيم »(قال)فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه الخ

وأقول ان عبدالله بن الزبير فعل كل ما كان النبي ﷺ يحب أن يفعله فأعاده إلى أساس ابراهيم ورأى ذلك الاساس المتين ورآه الناس وجعل له بابين،ولكن الحجاج هدم مابناه وأعاده كما كان . ونقلوا ان عبدالملك بن مروان ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعنه ، وكان اتهم ابن الزبير بالكذب على عائشة فأخبره الحارث ابن عبدالله بن أبي ربيعة انه سمع ذلك منها فندم ، وأراد بعض خلفاء بني عباس أن يعيدها إلى بناء ابن الزبير فناشده الامام مالك أن لا يفعل لئلا تصير ملعبة للملوك فلهذا بقيت على وضعها إلى الآن

﴿ وأما تغييب المفتاح ﴾ فلا أذكر أن أحداً بحث في سببه أو حكمته فأراجع قوله وكان الذي يسبق الى فهمي كلما قرأت ذلك ان سببه مطالبة كل من العباس وعلي (رض) له بجعله لبني هاشم فحسب ﷺ أنه ربما يراه أحد من بني هاشم مع طلحة فينتزعه منه لعدم علمه بتخصيصه به هو وآله من بعده فتكون فتنة وقد زال هذا السبب منذ العصر الاول ولم يبق لتغييب المفتاح معنى الا ابقاء الباب مقفلا في معظم الاوقات وفتحه في أقلها وهو خلاف ماكان يريده ﷺ من فتح بابين لها

(1) قال الحافظ في الفتح أي الطيبة التي أخرجوها لذلك وذكر أنهم لم يدخلوا في النفقة على بنائها شيئا من كسب بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس

مساويين للارض ليدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، والظاهر ان أئمة الحكم وأئمة العلم رأوا ان المصلحة العامة التي منعت النبي ﷺ ثم الخلفاء الراشدين من تنفيذ ذلك وبقاء الحال على ما كانت عليه من علو الباب ووحدته لاتزال تقتضي ذلك في كل زمان وان اختلفت العلة ، فلو جعل الباب الآن مفتوحاً في كل وقت لامتهن البيت وقل احترامه وحدثت فيه بدع ومنازعات عند الازدحام ففتحه في بعض الاوقات وتخصيص بعض الناس بدخوله دون بعض يقي من ذلك كله مع مراعاة الشيبيين للحكمة ومداراة الناس في ذلك

وجملة القول ان السدانة ثابتة لبني شيبة بالتواتر والله أعلم

﴿ دعوة مفسدي الرافضة يحيى الى قتال ابن السعود ﴾

(وأهل الحجاز الى الثورة)

ننشر هذه الابيات الآتية من قصيدة نشرتها جريدة حضرموت بامضاء ابن زمزم ليعلم حزبها اننا نعلم انه لاقيمة له ولا تأثير لفتنته عند الامام يحيى ولا عند غيره بالأولى، فلم يبق لهم ملجأ بمدخذلان أبي الاشبال لهم الا أن يتضرعوا لاخوانهم في ايران فيقيموا لهم ملكا كالملك الذي أقاموه لأئمة آل البيت من قبلهم!! قال الناظم الاحمق :

يانفس ذوبي ، وياقلب اتقد ألما — وامطري الدم ياعيني منسجما
وياقضاء إلهي لاتذر أبداً — في القوم من ناطق بعد الذي دهما
دهى الجزيرة خطب لاحدود له — أعيا النهى وأثار الشر والنقما
خطب يعيد بلاد العرب أندلسا — أخرى ويرمي على طول المدى حمما
فلست مستصرخا بالمسلمين وهم — رون مافاض في بيت الهدى وطمى
وما أصيب به دين النبي ضحى — والامر لله يجريه بما حكما
لكنني[1] سوف أدعو من اذا كشفت — عن ساقها الحرب كان الصارم الخذما
ومن تحدر من بيت محانده . — ان أجدب الناس كانوا فيهمو ديما
ومن أتى جده الهادي وعترته — من بعده مابقوا بين الورى نعما

(١) مفهوم هذا الاستدراك أن الامام الذي يدعوه وجماعته ليسوا من المسلمين !!

نفسي الفداء لأهل البيت لا بقيت نفس اذا لم تسر في حبهم قدما
ياملجئي وأمير المؤمنين ومن نلقي عليه من الآمال ماعظما
ياراعي اليمن الخضراء ءالؤها تقى وعدلا وإيمانا بها اعتصما
ياتاج يعرب والاسلام قاطبة يامن يجير الحمى والدين والذمما
وياشديد العرى في كل نائبة أدعوك مولاي للأمر الذي قصما
« ياابن النبي وأنت اليوم وارثه » حتام يهدم في الاسلام من هدما
حتام يعبث في قلب الجزيرة ؟. لا خوف من الله لاصدق ولا شمما
سكت للمعتدي يستن مندفعا كيما يكون هو البادي الذي ظلما

ثم قال يحث أهل الحجاز على الثورة تمهيداً للزحف الموهوم

فلن يحل لكم در الحجاز — وقد قنعتموا بالردى لاعزم لاهمما
بالله موتوا فقد ماتت شمائلكم ولا حياة لجسم يفقد الشيما
أولا فأحيوا زماناً كنتمو شهبا فيه وثوروا سراعا واحملوا العلما
كأنكم بأبي الاشبال سيدنا يحيي الامام يقود البحر ملتطما
كأنكم بحميد الدين يهتف في أكناف مكة: زال البؤس منتقما
من خلفه ضيغم الفتيان احمد قد خاض العجاج ففر الخصم وانهزما
وخلص البيت مما قد أحاط به ورد للعرب والاسلام ماعدما

﴿ حجاج الشيعة الايرانيين ومصر ﴾

تعددت الاخبار من سورية بأن كثيراً من حجاج الشيعة الايرانيين قد وفدوا عليها في طريقهم إلى الحجاز عصيانا لحكومتهم في طاعة الله تعالى. وذلك ان هؤلاء الحجاج قد رأوا ان الاراجيف التي نشرت في العام الماضي لمنع الشيعة من الحج كانت كاذبة خاطئة ، فالوهابيون لم يسألوا احداً من الحجاج عن مذهبه ولا عن حجه ولا كلفوا احداً اتباع مذهبهم والبلاد كلها آمنة مطمئنة فلاعذر لمسلم فى ترك الفريضة مع القدرة اتباعا لهوى حكومته وقد روى الشيخان وأبو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه مرفوعا الى النبي (ص) «لاطاعة لأحد فى معصية الله انما الطاعة في المعروف» ولكن بعض الملاحدة في مصر يدسون الدسائس لاقناع حكومة مصر باتباع حكومة ايران في منع الحج وتحبيذ عملها ، والمسلمون لا يثقون بأقوالهم في امر الدين لانهم خصومه

لا بد من

قتل صاحب المنار

بلغنا أن الكاتب المغرور، محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير جريدة السياسة الغرور، لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة قد قرر لمرؤسيه محرري جريدة السياسة لا بد من قتل صاحب المنار فوافقوه ، وهم يعنون بهذا القتل ما يكون بأسنة أقلامهم الطعانة. فالمتبادر أنهم يعنون القتل المعنوي أو ما يسمونه الأدبي ، وإن كانوا لا يدخرون وسعاً اذا قدروا على إيذائه بغير ذلك كما فعلت السياسة حين اتهمته من قبل بأنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمي (الخديوي السابق) ولولا أن كذبت الحكومة هذه التهمة تكذيباً رسمياً عقب إذاعة جريدة السياسة لها لانتزع صاحب المنار من بين أهله وولده ووضع في غيابة السجن رهن التحقيق فكان ذلك أطرب لرئيس تحرير السياسة من الصبوح والغبوق ، وبلوغ العيوق

كان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة يومئذ إنكاره على علامتها المحقق الشيخ علي عبد الرازق كتابه الذي أنكر فيه التشريع الاسلامي من أساسه ...

وقد تضاعفت ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالمرصاد لجميع أنواع الدعاية الالحادية التي تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة العصرية التي تزعم أن مصر بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاسلام التي مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها ، ويتبعها في ذلك سائر العرب بزعمها

يظن محررو السياسة أن الذي يطلق لسانه وقلمه من كل قيد من قيود الحق والصدق والأدب يستطيع اذا كان ذا خلابة أن يجعل الحق باطلا والنور ظلاما والشرف خسة والفضيلة رذيلة، ويظنون أنهم فعلوا بخلابتهم بسعد ووفده ما لم يفعله جيش الاحتلال ، وفعلوا لحزبهم ما لا يسمح لنا ببيانه المجال ... هذا وان سعداً قد بلغ من ارتفاع المكانة في مصر ما لم يبلغه أحد يعرفه التاريخ فماذا يكون رشيد رضا الغريب السوري الضعيف ؟ يقولون إنا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه في مسألة مؤتمر الخلافة، كما قتلنا الازهر نفسه، فهو الآن مثخن جراحا وسنقضي عليه ببضع مقالات أخرى

غرور كبير ما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم ، وسنقضي بحول الله وقوته على اباطيلهم ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ولكم الويل مما تصفون ﴾



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ ١١ برج الجوزاء سنة ١٣٠٦ هـ ش ٣١ مايو سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

استفتاء في فتوى وطلب اقرارها وتصحيحها

(س ٦) من صاحب الامضاء في (أمرتسر — الهند)

ماقولكم سادة العلماء الكرام (كثر الله سوادكم) في رجل فسر آية الاستواء وغيرها من آيات الصفات على طريق المتكلمين هل هو من أهل السنة أو أهل الكفر أو أهل البدع ؟ بينوا الحق والصواب تؤجروا من الله الوهاب يوم الحساب

﴿ أقول الجواب طالبا من الله توفيق الصواب ﴾

إن مسئلة الصفات الالهية عقدة تعجز عن حلها بنان العقول ، وحقيقة تحير في إدراكها أذهان الفحول ، قال الامام الرازي

نهاية اقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وكان يقول أعلم خلق الله بالله ﷺ في دعائه « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فلأجل إشكال الامر وصعوبة الخطب سلك علماء السنة وأئمة الامة مسلكين التفويض والتأويل ، لا يكفر صاحب أحدهما الآخر ولا يبدعه اذ مطمح نظر كلا الفريقين تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة المحدثات ، وعن أن يكون ذاتا مجردة عن الصفات ، وكلا المسلكين منقول عن جماعة من

الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الأئمة المتبوعين، كما قال القاضي الشوكاني :

«واذا عرفت معنى الظاهر [1] فاعلم أن النص ينقسم إلى قسمين (أحدهما) يقبل التأويل وهو قسم من النص مرادف للظاهر ، والقسم(الثاني)لا يقبله وهو النص الصريح . ثم أخذ بعد ذلك في تفصيل ما يقبل التأويل فقال .

(الفصل الثاني) فيما يدخله التأويل وهو قسمان (أحدهما) أغلب الفروع ولا خلاف في ذلك (والثاني) الاصول كالعقائد وأصول الديانات وصفات الباري عز وجل وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب (الاول) أنه لادخل للتأويل فيها ، بل يجرى على ظاهرها ولا يؤول شيء منها . وهذا قول المشبهة (والثاني) أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) قال ابن برهان وهذا قول السلف، ثم قال بعد ذلك (والمذهب الثالث) أنها مؤولة قال ابن برهان والاول من هذه المذاهب باطل والآخران منقولان عن الصحابة ونقل هذا المذهب الثالث عن علي وابن مسعود وابن عباس وام سلمة (ارشاد الفحول صفحة ١٦٤)

ثم قال رحمه الله وقال ابن دقيق العيد : والذي نقوله في الالفاظ المشكلة إنها حق وصدق على الوجه الذي أراده الله، ومن أول شيئا منها فان كان تاويله قريبا على مايقتضيه لسان العرب تفهمه في مخاطباتهم لم ننكر عليه ولم نبدعه، وان كان تأويله بعيداً توقفنا عليه واستبعدناه ورجعنا إلى القاعدة في الايمان بمعناه مع التنزيه وقد تقدمه الى مثل هذا ابن عبد السلام كما حكاه عنهما الزركشي في البحر (صفحة ١٦٥ ارشاد)

ثم ذكر الشوكاني شروط التأويل ليبين المقبول من التأويل مما هو مردود فقال (الفصل الثالث) في شروط التأويل (الاول) أن يكون موافقا لوضع اللغة أو عرف الاستعمال أو عادة صاحب الشرع وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح ، ثم قال : والتأويل في نفسه ينقسم الى ثلاثة أقسام ، قد يكون قريبا فيترجح بادنى مرجح ، وقد يكون بعيداً فلا يترجح الا بمرجح قوي ولا يترجح

«١» المنار : يعني معنى كلمة الظاهر في مصطلح اصول الفقه

بما ليس بقوي وقد يكون متعذراً لا يحتمله اللفظ فيكون مردودا لامقبولا (ارشاد صفحة ١٦٥) وقال خاتمة الحفاظ في الفتح

«قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم اذا كان تأويله سائغا في لسان العرب وكان له وجه في العلم (جزء ٢٨[1] باب ماجاء في المتأولين) وقال مولانا حكيم الامة واستاذ الهند في الحجة[2] : وقال الحافظ ابن حجر لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك يعني المتشابهات ولا المنع من ذكره الخ (جلد أول صفحة ٦٢) وذكر حكيم الامة قبل ذلك كلاما رصينا جامعاً يحل معضلات الباب ومشكلات الخطاب في آيات الصفات مانصه :

واعلم أن الحق تعالى أجل من أن يقاس بمعقول أو محسوس أو يحل فيه صفات كحلول الاعراض في محالها، أو تعالجه العقول العامية ، أو تتناوله الالفاظ العرفية ، ولا بد من تعريفه الى الناس ليكملوا كمالهم الممكن لهم ، فوجب أن تستعمل الصفات بمعنى وجود غاياتها لا بمعنى وجود مباديها ، فمعنى الرحمة افاضة النعم لا انعطاف القلب والرقة. وأن تستعار ألفاظ تدل على تسخير الملك لمدينة لتسخيره لجميع الموجودات اذ لا عبارة في هذا المعنى أفصح من هذه، وأن تستعمل تشبيهات بشرط أن لا يقصد الى أنفسها بل الى معان مناسبة لها في العرف فيراد ببسط اليد الجود مثلا وبشرط أن لا يوهم المخاطبين إيهاما صريحا أنه في ألواث البهيمية (حجة الله باب الايمان بصفات الله تعالى صفحة ٦٢)

أيها الناظر ان كان لك مسكة من علم الكلام أو ملكة في بلوغ المرام فتدبر عبارة حكيم الأمة كيف سلك مسلك التأويل وأيد مذهب المتكلمين في فهم المراد من الالفاظ الدالة على صفات الله عز وجل — فلله دره حيث أفاد وأجاد .

فظهر بفضل الله مما ذكر ظهوراً بينا أن علماء السنة لا ينكرون التأويل مطلقا بل هم (أنار الله براهينهم) يميزون الصحيح من الفاسد ، والرائج من الكاسد ، كيف ولم يزل العلماء بعد الصحابة يؤولون بعض آيات الصفات والاحاديث الى يومنا هذا

«١» يعني ٢٨ من أجزاء الطبعة الهندية لفتح الباري «٢» يعني كتاب حجة الله البالغة للشيخ ولي الله الدهلوي وهو الذي يلقبه بحكيم الامة بحق

كما تشهد به النقول الآتية والله ولي الهداية، وقد أطنب الامام الحافظ أبو محمد بن حزم الظاهري وكفى به قدوة في كتاب الفصل له والمحدث الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له ونحن نلتقط لك نبذاً من كلامهما وشيئاً يسيراً من كلام غيرهما.

(١) قوله عز وجل (فاينما تولوا فثم وجه الله) انما معناه فثم الله بعلمه وقبوله لمن توجه اليه [كتاب الفصل ص ١٦٦ جلد ٢] وقال البيهقي: وأما قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) فقد حكى المزني عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية يعني والله أعلم فثم وجه الله الذي وجهكم الله اليه [كتاب الاسماء والصفات ص ٢٢٧] وقال البيهقي عن مجاهد في قوله عز وجل (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله) يعني ما ضيعت من أمر الله [ص ٢٦١]

(٢) وقال ابن حزم (رض) في حديث النزول: وصح عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن الله ينزل كل ليلة إذا بقي ثلث الليل الى السماء الدنيا (قال أبو محمد) وهذا إنما هو فعل يفعله الله في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وإن تلك الساعة من مظان القبول والاجابة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين الخ [ص ١٧٢ ج ٢] ثم ذكر أدلة صحة هذا التأويل واستشهد بالعقل والنقل ثم قال. فهذا كله على ما بينا من أن المجيء والاتيان يوم القيامة فعل يفعله الله تعالى في ذلك اليوم يسمى ذلك الفعل مجيئاً وإتيانا، وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال (وجاء ربك) إنما معناه وجاء أمر ربك [ص ١٧٣ ج ٢] وقال البيهقي وأما الاقتراب والاتيان المذكوران في الخبر فانما يعني بهما إخباراً عن سرعة الاجابة والمغفرة كما رويناه عن قتادة [ص ٢١٢] وقال الشهيد الدهلوي في العبقات [عبقة ٢٤] من التجليات المثالية الشهودية تجلي ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا وهو ظهور التجلي الخ (ذكر الاشارة في التجليات ص ٨٨)

(٣) وقال الامام أبو محمد بن حزم في القول في المكان والاستواء (قال أبو محمد) ذهبت المعتزلة الى أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان واحتجوا بقول الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وقوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) - [قال

أبو محمد] وقد تأول المسلمون في هذه الآية آية الاستواء أربعا (والقول الرابع) في معنى الاستواء هو أن معنى قوله تعالى (على العرش استوى) أنه فعل فعله في العرش وهو انتهاء خلقه اليه فليس بعد العرش شيء ويبين ذلك أن رسول الله ﷺ ذكر الجنات وقال «فاسألوا الله الفردوس الاعلى فانه وسط الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن »فصح أنه ليس وراء العرش خلق وأنه نهاية جرم المخلوقات الذي ليس خلفه خلاء ولا ملاء ومن أنكر أن يكون العالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق بقول الدهرية وفارق الاسلام، والاستواء في اللغة يقع على الانتهاء قال الله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما) (القصص) أي فلما انتهى الى القوة والخير وقال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) أي إن خلقه وفعله انتهى الى السماء بعد أن رتب الارض على ماهي عليه وبالله التوفيق وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه (ص ١٢٥ ج ٢)

وقد أطنب وأطال الحافظ المحدث أبو بكر البيهقي في مسألة الاستواء وسرد أقوال السلف ثم قال ، والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله عنه واليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي وذهب ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري الى أن الله تعالى جل ثناؤه فعل في العرش فعلا سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا أو نعمة أو غيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله (ثم استوى على العرش) وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة (ص ٢٩٢ كتاب الاسماء] ثم قال الامام البيهقي بعد ذلك بأسطر ما نصه : وفيما كتب الي الاستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيراً من متأخري أصحابنا ذهبوا الى أن الاستواء هو القهر والغلبة ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره وفائدته الاخبار عن قهره مملوكاته وأنها لم تقهره وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المملوكات فنبه بالاعلى على الادنى قال والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع في اللغة كما يقال استوى

فلان على الناحية إذا غلب أهلها وقال الشاعر في بشر بن مروان

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

يريد انه غلب أهله من غير محاربة قال وليس ذلك في الآية بمعنى الاستيلاء لان الاستيلاء غلبة مع توقع ضعف قال ومما يؤيد ما قلناه قوله عز وجل [ثم استوى الى السماء وهي دخان] والاستواء الى السماء هو القصد الى خلق السماء فلما جاز أن يكون القصد الى السماء استواء جاز أن تكون القدرة على العرش استواء [ص ٢٩٣ كتاب الاسماء والصفات]

وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية الحراني رحمه الله في المنهاج مانصه - ثم إن جمهور أهل السنة يقولون إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن اسحاق ابن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته[1] إلى أبي مدر وهم متفقون على أن الله ليس كمثله شيء وأنه لا يعلم كيف ينزل ولا تمثل صفاته بصفات خلقه ، وقد تنازعوا في النزول هل هو فعل منفصل عن الرب في المخلوق أو فعل يقوم به على قولين معروفين لاهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أهل الحديث والتصوف، وكذلك تنازعهم في الاستواء على العرش هل هو بفعل منفصل عنه يفعله بالعرش كتقريبه اليه أو فعل يقوم بذاته على قولين (والاول) قول ابن كلاب والاشعري والقاضي أبي يعلى وأبي الحسن التميمي وأهل بيته وأبي سليمان الخطابي وأبي بكر البيهقي وابن الزاغوني وابن عقيل وغيرهم ممن يقول إنه لا يقوم بذاته مايتعلق بمشيئته وقدرته (والثاني) قول أئمة أهل الحديث وجمهورهم كابن المبارك وحماد بن زيد والاوزاعي والبخاري وحرب الكرماني وابن خزيمة ويحيى ابن عمار السجستاني وعثمان بن سعيد الدارمي وابن حامد وأبي بكر عبد العزيز وأبي عبدالله بن منده وأبي اسماعيل الانصاري وغيرهم [ص ٢٦٢ ج ٢]

(تنبيه) لعلك تفطنت مما نقلنا ان منشأ الاختلاف في مسئلة الاستواء أن الاستواء على العرش هل هو من جنس صفة الذات أو من صفة الفعل

فالمفوضون حسبوه من صفة الذات فوكلوا الكيفية الى علم الله مثل قولهم

(١) قال مصحح النسخة المصرية قوله أبي مدر كذا في الاصل وليحرر ١٢ منه

في سائر صفات الذات، والذين أولوا وعينوا المراد به جعلوه من صفة الفعل وحجتهم أن العرش عند الفريقين مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن فالاستواء عليه لا يكون من صفات الذات، وهذا لا يحتاج الى البيان وأن الله ذكر الاستواء بحرف ثمّ وهي للتراخي والتراخي إنما يكون في الافعال فالاستواء من صفات الفعل.

وهذا الطريق قد جعله شيخ الاسلام طريق بعض أئمة أهل السنة كما ترى في عبارته وإن كان مختاره طريق التفويض فكيف تظن بالذين جعلوه من صفة الفعل فاولوه انهم أهل البدع ؟ والحال أن منهم الامام أبا سليمان الخطابي والإمام أبا بكر البيهقي وهما محدثان كبيران وإمامان جليلان لا يسأل عن مثلهما ولا ينكر سعة علمهما ولا صحة فهمهما وسلامة عقيدتهما ورعايتهما للسنة واجتنابهما عن البدعة،

وكفاك في جواز مسلك التأويل الصحيح أن علماء أهل السنة قد اجتمعوا أو كادوا أن يجتمعوا على أن المراد من المعية في آيات المعية إنما هو العلم والقدرة والعون والنصرة قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ثم قال تعالى مخبراً عن احاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضا مع ذلك يكتبون ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب) وقال تعالى (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ولهذا حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك، ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالي مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء (جلد ٩ صفحة ٤١٢) وقال الامام البغوي في تفسير الآية الا هو رابعهم بالعلم وقال في سورة الواقعة (ونحن أقرب اليه منكم) بالعلم والقدرة والرؤية - وقال في سورة ق (ونحن أقرب اليه) أعلم به - والبغوي وابن كثير محدثان معظمان من أصحاب العلم والفهم، وأنت خبير بان التأويل لو كان فاسداً مطلقاً ماأول أئمة السنة آيات المعية

بالعلم والقدرة والاحاطة ، والجزئي لابد أن يكون مندرجا تحت كلي يشمله وغيره ذهنا أو خارجا مفهوما أو عينا كيفما كان

وقال حامل لواء التوحيد في الهند الشهيد الدهلوي : نعم له نحو آخر من القرب وهو القرب بالتجليات فيوصف بحسب ذلك بانه على العرش وبانه يحول بين المرء ونفسه وبانه بين المصلي وقبلته (عبقات صفحة ٣٦ عبقة ٢٥)

فلاح لك واتضح مثل ضحوة النهار مما نقلنا أن التأويل الصحيح مسلك سلكها أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم فهل يجتريء أحد أن يكفر أو يبدع مثل هؤلاء الاعلام ؟ فوالله الذي تقوم السماء باذنه لا ، فلا يكفر أو يبدع أحد بمجرد التأويل ، والمتكلمون اختاروا مسلك التأويل لصيانة الدين من الطعن لا لفساد العقيدة كما توهم . قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله : الاصل الثامن العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله بالاستواء وليس ذلك إلا بالقهر والغلبة كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

(احياء العلوم جلد أول ص ٧٩ هندي) وقال الشيخ ابن الهمام : أما كون المراد به أي استوائه استيلاءه على العرش كما جرى عليه بعض الخلف وقد اقتصر حجة الاسلام (الغزالي) في هذا الاصل فأمر جائز الارادة (المسايرة صفحة ٣٢) قال المفسر البيضاوي استوى أمره أو استولى (سورة اعراف) قال الشيخ عمر النسفي صاحب التفسير (المدارك) استوى استولى (اعراف) قال سليمان الجمل طريقة الخلف التأويل فيؤولون الاستواء بالاستيلاء أي التمكن والتصرف بطريق الاختيار حاشية على الجلالين (سورة اعراف) وقال الامام الرازي قال القفال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه أي انتقض ملكه واذا استقام ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى عرشه واستوى على سريره هذا ماقاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب (تفسير الرازي منقول في الخازن (الاعراف) وقال صاحب السراج المنير : استواء يليق به تعالى لم تعهدوا مثله وهو أنه تعالى أخذ في تدبير ماحوله بنفسه لاشريك

له ولا نائب فيه ولا وزير (الم سجدة) وقال العارف الشعراني بعد ذكر آيات الاستواء المعنى في هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أي استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيئا (اليواقيت والجواهر جلد أول صفحة ٩٢)

فالقول الفصل أن الرجل المسئول عنه مؤمن من أهل السنة لا يصير بمجرد التأويل من أهل الكفر ولا من أهل البدعة فمن كفره أو بدعه فقد أخطأ عفا الله عنا وعنه وعن سائر المسلمين ووفقنا لنصح المؤمنين والله ولي الهداية ومنه البداية واليه النهاية وصلى الله على حبيبه محمد وآله وأصحابه أجمعين غدوة وعشية.

شهر رجب سنة ١٣٤٥ هـ المجيب

أنا العبد الاثيم محمد ابراهيم مير السيالكوتي الهندي

حضرة الاستاذ ! السلام عليكم المرجو من حضرتكم تصحيح هذه الفتوى منكم ومن أصحابكم بالعجلة . إن الله يحب المحسنين .

عنوان الارسال : — عطاء الله رضاء الله من بلدة أمرت سر (هند)
كثره بهائي سنت سنكه

(تعليق المنار على هذه الفتوى)

الحق أن من فسر آيات الاستواء وغيرها من آيات الصفات على طريقة المتكلمين لا يعد من أهل الكفر، وأما كونه يعد من أهل السنة أولا ففيه نظر فمن يقول ان أهل السنة هم الذين يستمسكون بظواهر نصوص الكتاب والسنة في مسائل العقائد ويتبعون السلف الصالح من علماء الصحابة والتابعين وأئمة الامصار في الحديث والفقه كالفقهاء الاربعة المتبعين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وأقرانهم كالاوزاعي والثوري والبخاري ومسلم الخ في الامساك عن الخوض في صفات الله تعالى بالرأي والتأويل المخرج للنصوص عن المتبادر من معانيها اللغوية حقيقتها ومجازها — من يقول أن هؤلاء هم أهل السنة — لا يعدون من يتأول جميع آيات الصفات على طريقة المتكلمين من أهل السنة ، وأما من

يتأول بعضها دون بعض كآيات الاستواء على العرش وحدها دون ما هو في معناها من الآيات والاحاديث الصحيحة في علو الله على خلقه وغير ذلك - فلا يأبى أن يعده من أهل السنة اذا كان يتبع جمهور السلف في سائر صفات الله تعالى أو أكثرها ولا سيما صفات الذات ، وهو الذى يوافق مانقله أخونا الاستاذ محمد ابراهيم مير السيالكوتي الهندي من تأويل بعض علماء السلف لبعض الصفات دون أكثرها ، على أن بعض تلك التأويلات التي كثر القائلون بها من الخلف الناصرين للسنة المحاربين للبدع ظاهرة البطلان ، كتأويلهم للرحمة الالهية بما اتخذوا منه قاعدة لتأويل أمثالها وهو قولهم إن الصفات التي تدل على انفعالات في المبدأ وافعال في الغاية تفسر بغاياتها لا بمبدئها كتفسير الرحمة بالاحسان ، فهذا تحكم في صفات الله تعالى . وبعض ماذكره من النقول لا قيمة له ولا لقائليه

وسبب هذا التحكم الملجيء لهم الى التأويل هو أنهم أرادوا التفصي من تشبيه الله تعالى بخلقه ، وظنوا أنه يلزمهم هذا في مثل صفات الرحمة والغضب والمحبة والبغض ففسروها بحسب غاياتها فصارت معانيها معطلة أومتداخلة فالرأفة والرحمة والمحبة والرضاء والفرح ومافي معناها لامدلول لها عندهم إلا الاحسان والاثابة مثلا - كما ظنوا أنه لايلزمهم في صفات العلم والقدرة والارادة ، والحق أن معاني هذه في أصل اللغة محدث تجل عنه صفات الله تعالى فان لم تكن انفعالات فينا فهي على مقربة منها ، بل العلم البشري إنما يحصل بانطباع صور المعلومات في ذهن الانسان فهو نوع من الانفعال

وانما الطريقة المثلى في الجمع بين العقل والنقل في الصفات أن يقال إنه قد ثبت بهما أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، وثبت عقلا أن خالق العالم لابد أن يكون متصفاً بصفات الكمال ، وثبت نقلا عن الوحي الذي جاء به الرسل وصفه تعالى بالعلم والقدرة والرحمة والمحبة والعلو فوق الخلق كله والاستواء على العرش وتدبير أمر العالم كله - فنحن نتخذ قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) قاعدة ومرآة لفهم جميع ماوصف به تعالى نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ وهو أنه ليس كمثله شيء وأنه سميع بسمع ليس كمثل اسماع المخلوقين ، وبصير ببصر

ليس كبصرهم ، وعليم بعلم ليس كعلمهم ، ورحيم برحمة ليست كرحمتهم ، ويحب بمحبة ليست كمحبتهم ، ومستو على عرشه استواء ليس كاستواء ملوكهم على عروشهم ، ويدبر أمورهم تدبيراً ليس كتدبير ملوكهم ورؤسائهم ودهمائهم لما يدبرونه الخ

هذا مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان عليه أهل الصدر الاول وهو لاينافي كون بعض النصوص في الصفات ولا سيما صفات الافعال ورد بطريق المجاز كتأويل الامام أحمد لآيات المعية ، فمن قال بذلك في بعضها مع التزامه هذه القاعدة في جملتها لأنه رأى أسلوب اللغة يقتضي ذلك لم يكن به خارجا عن مذهب السنة وهدي السلف ، وإن اخطأ في ذلك فهو مغفور له إن شاء الله تعالى

وكيف يكون من يلتزم طريقة المتكلمين في تأويل جميع الصفات كما هو ظاهر عبارة السؤال « آية الاستواء وغيرها » من أهل السنة والكلام في جملته بدعة وقد قال أبو حامد الغزالي من أكبر نظار المتكلمين أنه ليس من الدين وانما اضطر اليه لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة لحماية العقيدة فهو كحرس الحاج عند وجود قطاع الطريق ليس من أركان الحج ولا من واجباته بل تلجيء اليه الضرورة من الخارج . ولكن المتوغلين في علم الكلام كانوا وما زالوا يفتنون بها ولكن فحولهم رجعوا في أواخر أعمارهم إلى طريقة السلف وهي السنة الصحيحة كما ثبت عن أبي الحسن الاشعري وأبي المعالي امام الحرمين وأبي حامد الغزالي والفخر الرازي وغيرهم رحمهم الله تعالى

وهنالك اصطلاح آخر وهو أن أهل السنة فريقان : سلف وخلف ، فالسلف من يتبعون في آيات الصفات التفويض ، والخلف من يتبعون التأويل ، ولكن مع حصر الخلف الداخل في مذهب أهل السنة في بعض المتكلمين وهم الاشاعرة والماتريدية دون المعتزلة والخوارج والشيعة . فعلى هذا الاصطلاح قد يعد المسؤل عنه من أهل السنة إذا كان يستثنى من التأويل صفات المعاني التي لايتأولها هؤلاء مثلا — وهو الذي جرى عليه المفتي السيالكوتي ولا مشاحة في الاصطلاح

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ والطريقة الثانية ﴾ أن يقولوا هذا قول ابن عمر وابن عباس ولا مخالف لهما من الصحابة فصار إجماعاً . وهذا باطل فانه نقل عنهما هذا وغيره وقد ثبت عن غيرهما من الصحابة مايخالف ذلك ،

وثم طريقة ثالثة سلكها بعض أصحاب الشافعي واحمد وهي أن هذا التحديد مأثور عن النبي ﷺ كما رواه ابن خزيمة في مختصر المختصر عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال « ياأهل مكة لاتقصروا في أقل من أربعة برد من مكة الى عسفان » وهذا مايعلم أهل المعرفة بالحديث انه كذب على النبي ﷺ ولكن هو من كلام ابن عباس، أفترى رسول الله ﷺ انما حد مسافة القصر لأهل مكة دون أهل المدينة التي هي دار السنة والهجرة والنصرة ودون سائر المسلمين ؟ وكيف يقول هذا وقد تواتر عنه أن أهل مكة صلوا خلفه بعرفة ومزدلفة ومنى؟ ولم يحد النبي ﷺ قط السفر لا بمسافة لا بريد ولا غير بريد ولا حدها بزمان. ومالك قد نُقل عنه أربعة برد كقول الليث والشافعي وأحمد وهو المشهور عنه . قال فان كانت أرض لاأميال فيها فلا يقصرون في أقل من يوم وليلة للثقل قال وهذا أحب ماتقصر فيه الصلاة الي . وقد ذكر عنه لاقصر إلا في خمسة وأربعين ميلا فصاعدا وروي عنه لاقصر إلا في اثنين وأربعين ميلا فصاعدا

وروي عنه لا قصر إلا في أربعين ميلا فصاعدا وروى عنه إسماعيل بن أبي أويس لا قصر إلا في ستة وأربعين ميلا قصدا . ذكر هذه الروايات القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه المبسوط ورأى لأهل مكة خاصة أن يقصروا الصلاة في الحج خاصة الى مني فما فوقها وهي أربعة أميال وروى عنه ابن القاسم انه قال فيمن خرج ثلاثة أميال كالرعاء وغيرهم فتأول فأفطر في رمضان : لا شيء عليه إلا القضاء فقط ، وروي عن الشافعي انه لا قصر في أقل من ستة وأربعين ميلا بالهاشمي

والآثار عن ابن عمر أنواع فروى محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سفيان الثوري سمعت جبلة بن سحيم يقول سمعت ابن عمر يقول لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة . وروى ابن أبي شيبة حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن محارب بن زياد سمعت ابن عمر يقول اني لأسافر الساعة من النهار فأقصر يعني الصلاة . محارب قاضي الكوفة من خيار التابعين أحد الأئمة ومسعر أحد الأئمة . وروي ابن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي إسحاق الشيباني عن محمد بن زيد بن خليدة عن ابن عمر قال تقصر الصلاة في مسيرة ثلاثة أميال . قال ابن حزم : محمد بن زيد هو طائي ولاه محمد بن أبي طالب القضاء بالكوفة مشهور من كبار التابعين. وروى مالك عن نافع عن ابن عمر انه قصر الى ذات النصب قال وكنت أسافر مع ابن عمر البريد فلا يقصر قال عبد الرزاق ذات النصب من المدينة على ثمانية عشر ميلا فهذا نافع يخبر عنه أنه قصر في ستة فراسخ وانه كان يسافر بريداً وهو أربعة فراسخ فلا يقصر وكذلك روى عنه ماذكره غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص

بن عاصم بن عمر بن الخطاب قال خرجت مع عبد الله بن عمر بن الخطاب الى ذات النصب وهي من المدينة على ثمانية عشر ميلا فما أتاها قصر الصلاة ، وروى معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر انه كان يقصر الصلاة في مسيرة أربعة برد

وماتقدم من الروايات يدل على انه كان يقصر في هذا وفي ماهو أقل منه وروي وكيع عن سعيد بن عبيد الطائي عن علي بن ربيعة الوالبي الاسدي قال سألت ابن عمر عن تقصير الصلاة قال حاج أو معتمر أو غاز ؟ فقلت لا ولكن أحدنا يكون له الضيعة في السواد ؛ فقال تعرف السويداء ؟ فقلت سمعت بها ولم أرها قال فانها ثلاث وليلتان وليلة للمسرع اذا خرجنا اليها قصرنا قال ابن حزم من المدينة الى السويداء اثنان وسبعون ميلا أربعة وعشرون فرسخا

(قلت) فهذا مع ماتقدم يبين أن ابن عمر لم يذكر ذلك تحديداً لكن بين بهذا جواز القصر في مثل هذا لأنه كان قد بلغه أن أهل الكوفة لا يقصرون في السواد فأجابه ابن عمر بجواز القصر

وأما ماروي[1] من طريق ابن جريج أخبرني نافع أن ابن عمر كان أدنى مايقصر الصلاة اليه مال له بخيبر وهي مسيرة ثلاث قواصد لم يقصر فيمادونه ، وكذلك مارواه حماد بن سلمة عن أيوب بن حميد كلاهما عن نافع عن ابن عمر انه كان يقصر الصلاة فيما بين المدينة وخيبر وهي بقدر الاهواز من البصرة لا يقصر فيما دون ذلك — قال ابن حزم بين المدينة وخيبر كما بين البصرة والاهواز وهي مائة ميل غير أربعة أميال قال

«١» ينظر أين جواب أما ؟

وهذا مما اختلف فيه على ابن عمر ثم على نافع أيضا عن ابن عمر

(قلت) هذا النفي وهو انه لم يقصر فيما دون ذلك غلط قطعاً ليس هذا حكاية عن قوله حتى يقال انه اختلف اجتهاده بل نفي لقصره فيما دون ذلك وقد ثبت عنه بالرواية الصحيحة من طريق نافع وغيره انه قصر فيما دون ذلك فهذا قد يكون غلطا فمن روى عن أيوب ان قدر أن نافعا روى هذا فيكون حين حدث بهذا قد نسي أن ابن عمر قصر فيما دون ذلك فانه قد ثبت عن نافع عنه انه قصر فيما دون ذلك

وروى حماد بن زيد حدثنا أنس بن سيرين قال خرجت مع أنس بن مالك الى أرضه وهي على رأس خمسة فراسخ فصلى بنا العصر في سفينة وهي تجري بنا في دجلة قاعداً على بساط ركعتين ثم سلم ثم صلى بنا ركعتين ثم سلم . وهذا فيه انه انما خرج الى أرضه المذكورة ولم يكن سفره الى غيرها حتى يقال كانت من طريقه فقصر في خمسة فراسخ وهي بريد وربع وفي صحيح مسلم حدثنا ابن أبي شيبة وابن بشار كلاهما عن غندر عن شعبة عن يحي يزيد الهنائي سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال كان رسول الله ﷺ اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ ـ شعبة شك ـ صلى ركعتين ولم ير أنس أن يقطع من المسافة الطويلة هـذا لأن السائل سأله عن قصر الصلاة وهو سؤال عما يقصر فيه ليس سؤالا عن أول صلاة يقصرها ثم انه لم يقل أحد إن أول صلاة لا يقصرها الا في ثلاثة أميال أو أكثر من ذلك فليس في هذا جواب لو كان المراد ذلك ولم يقل ذلك أحد فدل على أن أنساً أراد انه من سافر هذه المسافة قصر ، ثم ما أخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل

من النبي ﷺ لم يبين هل كان ذلك الخروج هو السفر أو كان ذلك هو الذي قطعه من السفر فان كان اراد به ان ذلك كان سفره فهو نص ، وان كان ذلك الذى قطعه من السفر فانس بن مالك استدل بذلك على انه يقصر اليه اذا كان هو السفر يقول انه لا يقصر الا في السفر فلولا ان قطع هذه المسافة سفر لما قصر

وهذا يوافق قول من يقول لا يقصر حتى يقطع مسافة تكون سفراً لا يكتفي مجرد قصده المسافة التي هي سفر وهذا قول ابن حزم وداود وأصحابه ؛ وابن حزم يحد مسافة القصر بميل لكن داود وأصحابه يقولون لا يقصر إلا في حج أو عمرة أو غزو ، وابن حزم يقول إنه يقصر في كل سفر ، وابن حزم عنده انه لا يفطر الا في هذه المسافة وأصحابه يقولون إنه يفطر في كل سفر بخلاف القصر لان القصر ليس عندهم فيه نص عام عن الشارع وانما فيه فعله انه قصر في السفر ولم يجدوا أحداً قصر فيما دون ميل ، ووجدوا الميل منقولا عن ابن عمر . وابن حزم يقول السفر هو البروز عن محلة الاقامة ، لكن قد علم أن النبي ﷺ خرج الى البقيع لدفن الموتى وخرج الى الفضاء للغائط والناس معه فلم يقصروا ولم يفطروا فخرج هذا عن أن يكون سفراً ولم يجدوا أقل من ميل يسمى سفراً فان ابن عمر قال لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة فلما ثبت أن هذه المسافة جعلها سفراً ولم نجد أعلا منها يسمى سفراً جعلنا هذا هو الحد ، قال وما دون الميل من آخر بيوت قريته له حكم الحضر فلا يقصر فيه ولا يفطر ، واذا بلغ الميل فحينئذ صار له سفر يقصر فيه الصلاة ويفطر فيه فمن حينئذ يقصر ويفطر وكذلك اذا رجع

فكان على أقل من ميل فانه يتم ليس في سفر يقصر فيه

(قلت) جعل هؤلاء السفر محدوداً في اللغة قالوا : وأقل ماسمعنا أنه يسمى سفراً هو الميل وأولئك جعلوه محدوداً بالشرع وكلا القولين ضعيف ، أما الشارع فلم يحده ، وكذلك أهل اللغة لم ينقل أحدعنهم أنهم قالوا : الفرق بين مايسمى سفراً وما لا يسمى سفراً هو مسافة محدودة ، بل نفس تحديد السفر بالمسافة باطل في الشرع واللغة ، ثم لو كان محدوداً بمسافة ميل ، فان أريد أن الميل يكون من حدود القرية المختصة به فقد كان النبي ﷺ يخرج أكثر من ميل من محله في الحجاز ولا يقصر ولا يفطر ، وإن أراد من المكان المجتمع الذي يشمله اسم مدينة ميلا قيل له فلا حجة لك في خروجه إلى المقابر والغائط لان تلك لم تكن خارجاعن آخر حد المدينة . ففي الجملة كان يخرج إلى العوالي وإلى أحد كما كان يخرج إلى المقابر والغائط وفي ذلك ماهو أبعد من ميل ، وكان النبي صلى الله عليه سلم وأصحابه يخرجون من المدينة إلى أكثر من ميل ويأتون اليها أبعد من ميل ولا يقصرون كخروجهم إلى قبا والعوالي وأحد ، ودخولهم للجمعة وغيرها من هذه الاماكن

وكان كثير من مساكن المدينة عن مسجده أبعد من ميل فان حرم المدينة بريد في بريد حتى كان الرجلان من أصحابه لبعد المكان يتناوبان الدخول يدخل هذا يوما وهذا يوما كما كان عمر بن الخطاب وصاحبه الانصاري يدخل هذا يوما وهذا يوما ، وقول ابن عمر لو خرجت ميلا قصرت الصلاة هو كقوله اني لاسافر الساعة من النهار فأقصر ، وهذا إما أن يريد به مايقطعه من المسافة التي يقصدها فيكون قصده اني لا أؤخر

القصر إلى أن أقطع مسافة طويلة وهذا قول جماهير العلماء إلا من يقول اذا سافر نهاراً لم يقصر إلى الليل

وقد احتج العلماء على هؤلاء بأن النبي صلى الله عليه صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ، وقد يحمل حديث أنس على هذا لكن فعله يدل على المعنى الاول ، أو يكون مراد ابن عمر من سافر قصر ، ولو كان قصده هذه المسافة اذا كان في صحراء بحيث يكون مسافراً لا يكون متنقلا بين المساكن فان هذا ليس بمسافر باتفاق الناس ، واذا قدر أن هذا مسافر فلو قدر أنه مسافر أقل من الميل بعشرة أذرع فهو أيضاً مسافر ، فالتحديد بالمسافة لاأصل له في شرع ولا لغة ، ولا عرف ولا عقل ، ولا يعرف عموم الناس مساحة الارض فلا يجعل مايحتاج اليه عموم المسلمين معلقا بشيء لايعرفونه ، ولم يمسح أحد الارض على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا قدر النبي صلى الله عليه وسلم الارض لا بأميال ولا فراسخ والرجل قد يخرج من القرية إلى صحراء لحطب يأتي به فيغيب اليومين والثلاثة فيكون مسافراً وإن كانت المسافة أقل من ميل ، بخلاف من يذهب ويرجع من يومه فانه لا يكون في ذلك مسافراً فان الاول يأخذ الزاد والمزاد بخلاف الثاني فالمسافة القريبة في المدة الطويلة تكون سفراً ، والمسافة البعيدة في المدة القليلة لا تكون سفراً فالسفر يكون بالعمل الذي سمي سفراً لاجله . والعمل لا يكون إلا في زمان فاذا طال العمل وزمانه فاحتاج إلى مايحتاج اليه المسافر من الزاد والمزاد سمي مسافراً وإن لم تكن المسافة بعيدة ، واذا قصر العمل والزمان بحيث لايحتاج إلى زاد ومزاد لم يسم سفراً ، وإن بعدت المسافة فالاصل هو

العمل الذي يسمى سفراً ، ولا يكون العمل إلا في زمان فيعتبر العمل الذي هو سفر ولا يكون ذلك إلا في مكان يسفر عن الاماكن وهذا مما يعرفه الناس بعاداتهم ليس له حد في الشرع ولا اللغة ، بل ماسموه سفراً فهو سفر

فصل

وأما الاقامة فهي خلاف السفر فالناس رجلان مقيم ومسافر ، ولهذا كانت أحكام الناس في الكتاب والسنة أحد هذين الحكمين إما حكم مقيم وإما حكم مسافر ، وقد قال تعالى (يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) فجعل للناس يوم ظعن ويوم اقامة ، والله تعالى أوجب الصوم وقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فمن ليس مريضاً ولا على سفر فهو الصحيح المقيم ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة » فمن لم يوضع عنه الصوم وشطر الصلاة فهو المقيم

وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم في حجته بمكة أربعة أيام ثم ستة أيام بمنى ومزدلفة وعرفة يقصر الصلاة هو وأصحابه فدل على أنهم كانوا مسافرين ، وأقام في غزوة الفتح تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ، وأقام بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة ، ومعلوم بالعادة أن ماكان يفعل بمكة وتبوك لم يكن ينقضي في ثلاثة أيام ولا أربعة حتى يقال إنه كان يقول اليوم أسافر غداً أسافر ، بل فتح مكة وأهلها وما حولها كفار محاربون له وهي أعظم مدينة فتحها وبفتحها ذلت الاعداء ، وأسلمت العرب ، وسرّى السرايا إلى النواحي ينتظر قدومهم ، ومثل هذه الامور مما يعلم أنها

لاتنقضي في أربعة أيام ، فعلم أنه أقام لامور يعلم أنها لاتنقضي في أربعة وكذلك في تبوك

وأيضاً فمن جعل للمقام حداً من الايام إما ثلاثة وإما أربعة ، واما عشرة ، واما اثنى عشر ، واما خمسة عشر ، فانه قال قولا لادليل عليه من جهة الشرع وهي تقديرات متقابلة . فقد تضمنت هذه الاقوال تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام : إلى مسافر والى مقيم مستوطن وهو الذي ينوي المقام في المكان ، وهذا هو الذي تنعقد به الجمعة وتجب عليه ، وهذا يجب عليه اتمام الصلاة بلا نزاع فانه المقيم المقابل للمسافر (والثالث) مقيم غير مستوطن أوجبوا عليه اتمام الصلاة والصيام ، وأوجبوا عليه الجمعة وقالوا لاتنعقد به الجمعة ، وقالوا انما تنعقد الجمعة بمستوطن

وهذا التقسيم وهو تقسيم المقيم الى مستوطن وغير مستوطن تقسيم لادليل عليه من جهة الشرع ؛ ولا دليل على أنها تجب على من لاتنعقد به ؛ بل من وجبت عليه انعقدت به ، وهذا انما قالوه لما أثبتوا مقيماً يجب عليه الاتمام والصيام ووجدوه غير مستوطن فلم يمكن أن يقولوا تنعقد به الجمعة فان الجمعة إنما تنعقد بالمستوطن ؛ لكن ايجاب الجمعة على هذا ؛ وايجاب الصيام والاتمام على هذا هو الذي يقال إنه لادليل عليه ؛ بل هو مخالف للشرع ، فان هذه حال النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في غزوة الفتح وفي حجة الوداع وحاله بتبوك ، بل وهذه حال جميع الحجيج الذين يقدمون مكة ليقضوا مناسكهم ثم يرجعوا ، وقد يقدم الرجل بمكة رابع ذي الحجة وقد يقدم قبل ذلك بيوم أو أيام ، وقد يقدم بعد ذلك ، وهم كلهم مسافرون لا تجب عليهم جمعة ولا اتمام ، والنبي ﷺ قدم صبح رابعة من ذي الحجة

وكان يصلي ركعتين لكن من اين لهم انه لو قدم صبح ثالثة وثانية كان يتم ويامر اصحابه بالاتمام ؟ ليس في قوله وعمله ما يدل على ذلك ولو كان هذا حدا فاصلا بين المقيم والمسافر لبينه للمسلمين كما قال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) والتمييز بين المقيم والمسافر بنية ايام معدودة يقيمها ليس هو امراً معلوما لا بشرع ولا لغة ولا عرف وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم للمهاجر ان يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا والقصر في هذا جائز عند الجماعة وقد سماه اقامة ورخص للمهاجر ان يقيمها فلو اراد المهاجر ان يقيم اكثر من ذلك بعد قضاء النسك لم يكن له ذلك وليس في هذا ما يدل على ان هذه المدة فرق بين المسافر والمقيم بل المهاجر ممنوع ان يقيم بمكة اكثر من ثلاث بعد قضاء المناسك ان الثلاث مقدار يرخص فيه فيما كان محظور الجنس قال صلى الله عليه وسلم «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج» وقال «لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث» وجعل ما تحرم المرأة بعده من الطلاق ثلاثا فاذا طلقها ثلاث مرات حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره لان الطلاق في الاصل مكروه فابيح منه للحاجة ما تدعو اليه الحاجة وحرمت عليه بعد ذلك الى الغاية المذكورة ، ثم المهاجر لو قدم مكة قبل الموسم بشهر اقام الى الموسم فان كان لم يبح له الا فيما يكون سفراً كانت اقامته الى الموسم سفراً فتقصر فيه الصلاة وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قدموا صبح رابعة من ذي الحجة فلو اقاموا بمكة بعد قضاء النسك ثلاثا كان لهم ذلك ولو اقاموا اكثر من ثلاث لم يجز لهم

ذلك وجاز لغيرهم ان يقيم اكثر من ذلك ، وقد اقام المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح قريبا من عشرين يوما بمكة ولم يكونوا بذلك مقيمين اقامة خرجوا بها عن السفر ولا كانوا ممنوعين لانهم كانوا مقيمين لاجل تمام الجهاد وخرجوا منها الى غزوة حنين وهذا بخلاف من لا يقدم الا للنسك فانه لا يحتاج الى اكثر من ثلاث

فعلم ان هذا التحديد لا يتعلق بالقصر ولا بتحديد السفر. والذين حدوا ذلك باربعة منهم من احتج باقامة المهاجر وجعل يوم الدخول والخروج غير محسوب ومنهم من بنى ذلك على ان الاصل في كل من قدم المصر ان يكون مقيما يتم الصلاة لكن ثبتت الاربعة باقامة النبي ﷺ في حجته فانه اقامها وقصر وقالوا في غزوة الفتح وتبوك انه لم يكن عزم على اقامة مدة لانه كان يريد عام الفتح غزو حنين وهذا الدليل مبني على انه من قدم المصر فقد خرج عن حد السفر وهو ممنوع بل هو مخالف للنص والاجماع والعرف ، فان التاجر الذى يقدم ليشترى سلعة او يبيعها ويذهب هو مسافر عند الناس وقد يشترى السلعة ويبيعها في عدة ايام ولا يحد الناس في ذلك حدا

والذين قالوا يقصر الى خمسة عشر قالوا هذا غاية ما قيل وما زاد على ذلك فهو مقيم بالاجماع ، وليس الامر كما قالوه واحمد امر بالاتمام فيما زاد على الاربعة احتياطا واختلفت الرواية عنه اذا نوى اقامة احدى وعشرين هل يتم او يقصر لتردد الاجتهاد في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الرابع فان كان صلى الفجر بمبيته وهو دوطوى فانما صلى بمكة عشرين صلاة وان كان صلى الصبح بمكة فقد صلى بها احدى

وعشرين صلاة والصحيح انه انما صلى الصبح يومئذ بذي طوى ودخل مكة ضحى كذلك جاء مصرحا به في احاديث ، قال احمد في رواية الاثرم اذا عزم على ان يقيم اكثر من ذلك اتم واحتج بان النبي ﷺ قدم لصبح رابعة قال فاقام اليوم الرابع والخامس والسادس والسابع وصلى الفجر بالابطح يوم الثامن وكان يقصر الصلاة في هذه الايام وقد اجمع على اقامتها فاذا أجمع ان يقيم كما اقام النبي صلى الله عليه وسلم قصر فاذا اجمع على اكثر من ذلك اتم. قال الاثرم قلت له فلم لم يقصر على ما زاد من ذلك؟ قال لانهم اختلفوا فيأخذ بالاحوط فيتم. قال قيل لابي عبدالله يقول أخرج اليوم أخرج غداً ايقصر؟ فقال هذا شيء آخر هذا لم يعزم. فاحمد لم يذكر دليلا على وجوب الاتمام انما اخذ بالاحتياط وهذا لا يقتضي الوجوب وايضا فانه معارض بقول من يوجب القصر ويجعله عزيمة في الزيادة ، وقد روى الاثرم حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا مسعر عن حبيب ابن ابي ثابت عن عبد الرحمن ابن المسور قال اقمنا مع سعد بعمّان او بعمان شهرين فكان يصلي ركعتين ونصلي اربعا فذكرنا ذلك له فقال نحن اعلم قال الاثرم حدثنا سليمان ان ابن حرب حدثنا حماد عن ايوب عن نافع ان ابن عمر أقام باذربيجان ستة اشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول قال بعضهم والثلج الذى يتفق في هذه المدة يعلم انه لا يذوب في اربعة ايام فقد اجمع اقامة اكثر من اربع قال الاثرم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام حدثنا يحي عن حفص بن عبيد الله ان انس ابن مالك اقام بالشام سنتين يقصر الصلاة. قال الاثرم حدثنا الفضل بن دكين حدثنا هشام حدثنا ابن شهاب عن سالم قال كان ابن عمر اذا اقام بمكة قصر الصلاة الا ان يصلي مع الامام

وان اقام شهرين الا ان يجمع الاقامة وابن عمر كان يقدم قبل الموسم بمدة طويلة حتى انه كان احيانا يحرم بالحج من هلال ذي الحجة وهو كان من المهاجرين فما كان يحل له المقام بعد قضاء نسكه أكثر من ثلاث ولهذا اوصى لما مات ان يدفن بسرف لكونها من الحل حتى لا يدفن في الارض التي هاجر منها ، وقال الاثرم حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ايوب عن نافع قال ما كان ابن عمر يصلي بمكة الا ركعتين الا ان يرفع المقام ولهذا اقام مرة ثنتي عشر يصلي ركعتين وهو يريد الخروج وهذا يبين انه كان يصلي قبل الموسم ركعتين مع انه نوى الاقامة الى الموسم وكان ابن عمر كثير الحج وكان كثيراً ما ياتي مكة قبل الموسم بمدة طويلة قال الاثرم حدثنا بن الطباع حدثنا القاسم بن موسى الفقير عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن ابن محيريز ان ابا ايوب الانصاري وابا صرمة الانصاري وعقبة بن عامر شتوا بارض الروم فصاموا رمضان وقاموه واتموا الصلاة ، قال الاثرم حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن منصور عن ابي وائل قال خرج مسروق الى السلسلة فقصر الصلاة فاقام سنين يقصر حتى رجع وهو يقصر قيل يا ابا عائشة ما يحملك على هذا ؟ قال اتباع السنة

للكلام بقية

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

﴿ نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

(٤)

أقل الشيء الذي لم يطيقوه وعجزوا عن معاناته عجزاً تاما فهو مافي الاسلام من محاربة الاستبداد والاحتكار والغش والقمار والربا والبغاء والخمر أمهات الرذائل والجرائم الاجتماعية التي أنَّت منها الانسانية.

فهم يريدون الانحلال من هذه التكاليف للمسارعة خفافا وثقالا إلى الانهماك في الآثام والشرور، وملازمة الحانات والمواخير، وليعيشوا عيشة البهائم والكلاب يسكرون ويتسافدون على قارعة الطريق، ويرابون ويقامرون جهاراً كما يقامر الماليون ويرابون في البنوك والبورصة ويحتكرون الارزاق والاقوات ويستبدون بها وبأسعارها إلى ما لا يحصى من الموبقات والمحاكم الاباحية تؤيدهم بحرابها وجنودها

وثانيهما ان يكونوا جاهلين حقيقة الاسلام ومزاياه إلا مايعرفونه مما كتبه عنه الاستعماريون المعطلون والرهبان المتنطعون الحاقدون فاذا كانوا كذلك وهو ماتدل عليه كتاباتهم المشوشة وخطبهم المعقدة فينبغي تعليمهم من جديد ان كانوا حسني النية وارشادهم الى الكتب النافعة وجدالهم بالتي هي أحسن حتى يرجعوا الى طريق الهدى فان الحق يعلو ولا يعلى عليه (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

لذلك استنسبنا ان نختم هذه الملاحظات على كتاب حقيقة الاسلام بلاحقة أو نداء عام للأزهريين وسنتابع ملاحظتنا على الكتاب حتى تمامه متى ساعدتنا الفرصة

لاحقة

أو نداء عام لعلماء الازهر والمعاهد الدينية

ليسمح لنا مشايخ الازهر وقرهم الله وأبد حرمتهم ان ننبههم لبعض الواجبات المتعين عليهم القيام بها عملا بالحديث الذي أخرجه مسلم عن تميم الداري ان النبي (ص) قال« الدين النصيحة » قلنا لمن ؟ قال« لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» فنقترح على ساداتنا الازهريين اقتراحين :

(أحدهما) إحداث جمعيات من علماء الازهر والمعاهد الدينية في القطر المصري كله تكون وظائفها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة

يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وذلك بانشاء جرائد ومجلات ومنشورات دورية توزعها بأرخص ثمن والبعض مجانا وباذاعة ذلك على لسان التلاميذ في المعاهد والمدارس وبتبليغ التلاميذ لآبائهم وأقاربهم وجيرانهم وجلسائهم وبالقاء الخطب والمسامرات في المساجد والمدارس والمنتديات والاحتفالات

وأول وظائفها حض الحكومة على ازالة المنكرات والمحرمات وإرشاد مشايخ الطرق لتبديل تعاليمهم لتابعيهم بأن يعلموهم قواعد الاسلام الخمس ومحاسن الاخلاق وأن يحضوهم على التعلم والتعليم ومزاولة الصنائع النافعة فذلك خير من الشطح والرقص وتضييع الوقت بتلاوة أوراد ما أنزل الله بها من سلطان أكثرها لا يفهم ولا معنى له

وقد أحسن المصلح الكبير السلطان عبد العزيز بن السعود أعانه الله في سبقه العالم الاسلامي إلى هذه المنقبة الجليلة فأصدر أمره بتأسيس جماعات للقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿وثانيهما﴾ إحداث جمعيات تشتغل بالسياسة العامة لتظهر للعالم أجمع ان الاسلام دين ودولة وذلك باحضار المعدات اللازمة لذلك من كل وجه وأهمها إصدار الجرائد والمجلات على نفقة الجمعيات يومية وأسبوعية وشهرية ودخول معترك الحياة السياسية بسلاح متين واذا قلنا السياسة فرادنا بها السياسة الشرعية المنزهة عن التدجيل والتضليل وقلب الحقائق والكذب والبهتان وقول الانسان ما يعتقد بطلانه أو تكذيب وإبطال ما يعتقده حقا وصوابا فهذه السياسة سياسة الختل والمراوغة لا يعرفها الاسلام

وأول ما يتحتم عليهم دخول الحياة النيابية فان أعظم وظائف مجلس النواب هو التشريع ومراقبة الحكومة وذلك معنى «الاسلام دين ودولة» فاذا لم تكن قوانين المجلس مرتكزة على آراء علماء الدين فتكون قوانين مبتورة ومجحفة معاً

وإذا تقاعستم يا شموس الازهر أو جبنتم فانكم تضيعون نفوسكم ومكانتكم ووجودكم زيادة عن ضياع الدين الذي أنتم حراسه وحماته

فلو أنكم كنتم دخلتم هذا المعترك في أيام سعيد واسماعيل لكان مرجع التشريع اليوم كله أو جله اليكم ولكنكم فرطتم تفريطا أضاع عليكم أكبر وظيفة كان من أول واجباتكم فيجب أن تتداركوا ذلك ما أمكن مادام رجل الاسلام وأبو المصريين سعد باشا معكم ومادام هو روح مصر وشمسها المنيرة مساعداً ومظاهراً لما يعتقد أنه الواجب

بقي أن يقال أين المال اللازم لتأسيس هذه الاعمال فنقول ان في علماء مصر أغنياء كثيرين بحمد الله فيجب أن يتنازلوا عن بعض أموالهم لذلك اقتداءاً بكرام الصحابة رضي الله عنهم فأبو بكر تنازل عن أمواله كلها لمصلحة الاسلام وكان

من أغنياء قريش وعمر تنازل عن أكثر أمواله وعثمان تنازل عن أموال كثيرة جداً وجهز جيش العسرة وكان كل واحد من الصحابة يتنازل عن المال اختياراً رغبة لارهبة فاذا لم يتنازل أغنياء العلماء فيكونون مقصرين ويسوغ للوطني الغيور أن يظنهم أو يعدهم جبناء خائنين

إذا تنازل بعض أغنياء العلماء في مصر فان الامور تسهل جداً فانكم ستجدون من بقية العلماء ومن جمهور المصريين أناساً صدقوا ماعاهدوا الله عليه يناصرون مشروعكم ويؤيدونكم ان صبرتم وأحسنتم النية فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

أمامكم وأمام أنصاركم ومريديكم عقبات لاتزال الا بتضحيات ، والمشاريع النافعة العامة لاتقام إلا على تضحيات في أول الامر وقد قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)

لايهولنكم الامر فانه سهل مع الثبات والصبر فان الشاب الكامل مصطفى كامل رحمه الله أسس الحزب الوطني وجرائده في القطر المصري من شبان أكثرهم ليسوا بأغنياء ثم دارت الايام دورتها حتى صار الحزب الوطني في أيامه وأيام المرحوم محمد فريد بك هو قلب مصر النابض، وقبض على زمام الرأي العام يأتمر بأمره وينتهي بنهيه

لا فائدة في المال إذا لم يثمر مجداً خالداً أو عزاً أبديا فهذا جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده قد أنفقا مالهما وروحهما لاحياء مجد الاسلام وماتا ولم يخلفا درهما وإنما خلفا من ميراث رسول الله (ص) العلم والهدى والارشاد ولو توجها للمال لخلفا الملايين

وهذا أسد الاسلام السيد رشيد رضا صاحب المنار لايملك داراً للسكنى التي يقول الفقهاء فيها انها أول مايشترى وآخر ما يباع وقد أنفق ماله وراحته وحياته أطالها الله في الدفاع عن الاسلام ونشره وتأييده ولو توجه للمال لكان من أصحاب الاملاك والاطيان والاموال الكثيرة

فالبدار البدار ياعلماء الازهر قبل الفوت واستعدوا كما أمركم الله بقوله (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) الخ (وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا)

وأول مايلزمكم في الحال أن تطهروا أنفسكم من تعاطي مايخل بالمروءة مهما كان فيه من وفور المال فقد اضحكني وأبكاني مانشره فكري أباظه في رده على الشيخ أبو العيون الذى امتثل ماأمره الله به ورفع لائحة للحكومة يأمرها بالغاء البغاء الرسمي. جاء في آخر الرد تشنيع على العلماء بأن بعضهم يتعامل بالربا وبعضهم يأكل اموال المحاجير واليتامى الخ فهؤلاء إذا ثبت عليهم ذلك يجب التشهير بهم والتشنيع عليهم بخصوصهم ومحاسبتهم بما أكلوه

ونقول لفكري اباظه ان ذلك لا يكون لك حجة في إبقاء البغاء وإذا كان بعض العلماء يتعاطى بعض المحرمات فانهم بشر وليسوا بمعصومين ولا مثالهم وغيرهم من الحكام الجائرين شرعت الحسبة والمراقبة وأسست مجالس الشورى والنواب فلا يكون تلطخهم بتلك الهنات مسوغا لاهمال النزيهين للامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل انهم اذا أخلوا بذلك يكونون آثمين وتكون رواتبهم التي يتقاضونها من الاوقاف ومن الامة سحتاً

وعجيب من فكري أباظه كيف ينعي على الشيخ ابى العيون قيامه بواجب النهي عن منكر البغاء الذي نهت عنه جميع الشرائع مع انه يتمدح تؤدة الشعب الانكليزي وتعقله لدى اصدار القوانين التشريعية ومراعاة حكومته لاميال المتدينين منهم فقد عُلم انه لما اكتشف تلقيح الجدري سنت حكومة الانكليز قانوناً للعمل به على وجه الالزام فقاومها الذين رأوا تحريمه ديناً ولم يسكن الاضطراب حتى اضيف للقانون مادة خاصة باعفاء من يعتقدون حرمته من الزامهم به ولا يزال هذا الاعفاء مستمراً الى الآن

فما يقوله فكري أباظه لو قام أبو العيون أو غيره وقاوم تلقيح الجدري الذي كاد الاطباء يتفقون على فائدته العظمى ونفعه العام إذاً لطبق السموات والارضين بالعويل والصريخ هو وزملاؤه ورموا الدين الاسلامي بأعظم المفتريات والمفتي بالبله والجنون.

ثم نقول لفكري اباظه أخيراً يظهر ان جنابكم من جماعة الاحتلاليين لان حكومة الاحتلال هى التي سنت هذه السنة السيئة المشئومة فالمؤيد لأعمالها محبذ للاحتلال وأذنابه وبالتالي يكون خائناً لدينه ووطنه

وفي الختام أرجو بالحاح من مشايخ الازهر الكرام ان يسارعوا إلى إعداد المعدات ويتداركوا ما فاتهم وليتشبهوا بالرسل أولي العزم ويتدبروا قوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) وليستعينوا بالله فهو نعم المولى ونعم النصير

مسلم غيور

(المنار) أنه ليحزننا أن نضطر إلى اخبار أخينا المصلح المراكشي أن علماء الأزهر أضعف منة وإرادة من أن يقوموا بمثل مادعاهم اليه وأن سعد باشا ليس معهم وليسوا معه وان الحزب الوطني لم يكن كما تصور في نفسه فصور بقلمه، وان الخديو هو الذي كان يستخدم المرحوم مصطفى كامل بماله ونفوذه ونخبره أيضاً بأن فكري بك أباظه ليس احتلالياً كما ظن ولا يتسع هذا التعليق لبيان الحقيقة فيما أنكره عليه . وسيرى في المنار ما يجب على المسلمين لحفظ الاسلام في هذا العهد

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

(٣)

يهود اليمن

ان قسما يذكر من أهالي صنعاء يهود وهم يسكنون في حي خاص بهم ويقولون انهم لقرنين مضيا كان يؤذن لهم بالسكن فيها حيث أرادوا . ولكن الحاكم في ذلك الحين أمر بذلك الفصل . وانهم مع السماح لهم بالطواف أين شاؤا لقضاء الاعمال لم يكن يؤذن لهم بركوب غير الحمير من الدواب

وقد زرت حي اليهود هناك مراراً عديدة وقابلت ربانيهم ومعابدهم فرأيتهم كسائر مواطنيهم من أهل الفاقة ولكنهم بفضل ما أوتوا من الحذق والقبض على أزمة الحرف تراهم أرقى شيئاً من اخوانهم مما ينيلهم شيئا من عطف الحكام مع ما بينهم وبين المسلمين من بلوى التفرقة المذهبية . وقد تعسر عليك التفرقة بين اليهودي والمسلم العربي لولا فارق من الشعر يتحتم عليه اتخاذه شعاراً له

ثم ان هناك مسألة تاريخية تتعلق باليهود ولاسيا أول ظهورهم في اليمن . قال لي الامام والشيوخ ان اليهود كانوا في اليمن منذ فجر التاريخ ويروى ان (يارم) يعرب الملك الذي ملك قبل المسيح بألفي سنة فصل العبرية عن العربية على ان الربانيين يقولون ان اليهود أتوا إلى اليمن من أورشليم سنة ٢٠٠ قبل المسيح تقريباً

وكنت حيث أذهب في اليمن نحو الجنوب أجد يهوداً حتى في أحقر القرى وأفقرها وقد كان من بواعث دهشتي اني لقيت في قرية غاية في الفقر مبنية من القش يهوديا مر عليه فيها ثلاث سنين في حالة لا بأس بها يشتغل فيها صائغاً فلم يكن ينجلي لي كيف يمكن وجود سوق للصياغة في مثل تلك القرية من بلاد الدنيا ولكني فطنت للامر لما علمت ان اليمنيين مولعون بزينة واحدة تستهوي أفئدتهم وهي الخناجر المنحنية ذات المقابض والاغماد المزينة أو المموهة بصنع الصياغ

أعمال الامام العمرانية

لقد وضح ان همّ الامام الاعظمَ هو جيشه العزيز . ومع ذلك فهو يقول انه كثير العناية والاهتمام بأمر التعليم — والحق ان ذلك على قياس ضئيل محدود — وباصلاح الطرق ايضاً . فقال لي انه أصدر الاوامر لكل حاكم مدينة أن يقوم بشغل معين كل سنة يتعلق باصلاح الطرق التي في نطاق حكمه ويظهر أن بعض الحكام اتوا شيئاً من هذا الاصلاح مع بناء الجسور (الكباري) وكنا في طريقنا إلى عدن نسلك في الاحايين آثاراً من طرق قديمة لا بد أن تكون قد بنيت بحذق وحسن نظر قبل الاسلام بنحو ألفي سنة على ماقيل . وفي سفرنا نحو الجنوب وعلى إحدى طرق القوافل المستغرقة في القدم الآتية من عدن إلى أورشليم كان من بواعث دهشتنا كثرة ماوجدنا من آثار التجارة فكثيراً ما كنا نمر وسط قافلة صغيرة من الجمال أو الحمير او البغال وهي تسير بغاية المشقة بسبب رداءة الطرق فكان مشيها شديد الايلام والتعسر وهي تتسلق المسالك العالية الوعرة . والظاهر أن من اسباب تلك التعسيرات في الطرق هو ان يجعلوها صعبة السلوك على الاجانب الذين يقصدن تلك الجهات

من كلامي في وداع الامام

في حديثي الاخير مع الامام قبل الوداع تكلمنا في كثير من الشؤون المتعلقة بلاده عسى ان اجد شيئاً أستطيع فيه خدمة مّا له . فذكر انه يوجد في اليمن قدر وافر من المعادن الثمينة وانه يرغب في الحصول على اهل العلم الواسع في التعدينات ليقوموا بدرس الموجود فيها

انه يعسر جداً على هؤلاء الفقراء أن يزيدوا كثيراً على ماعندهم من أدوات الزينة . وكل ما يأتونه من الجهود العقيمة فى هذا السبيل يؤسف له ويرثى . فان الجندي هناك شديد الولوع بأن يشكل فى وعاء رأسه عذقا صغيراً أخضر اللون ، وأما الرجال والنساء فلرغبتهم في زيادة التجمل كثيراً ما يلجأون إلى النيلة وما نجديهم إلا قليلا

ان حاكم (صعدة) السابق المؤتلف الآن مع الامام أنبأنا ان في (صعدة) وحولها اعتاد الناس من قرون ان يرقصوا نوعين من الرقص يشترك فيها الرجال والنساء يشبهان نوعين آخرين من رقص أهل الغرب

يوجد في اليمن جنسان آخران من الشعوب أو القبائل غير اليهود (احدهما) يزعم انه من سلالة قحطان او (يقطن) وهو من أخاص الاجناس البشرية ، حسن البنية والشكل، وقوي البأس، عادم اللحية ، ربعة القوام عريض الجبهة ، يميل جلده إلى اللون النحاسي على اختلاف في المقدار . وآحاد هذه القبيلة يقلون من الملابس بحكم البيئة حتى ان شيوخهم ومقدميهم الذين يذهبون إلى عدن يضطرون اضطراراً إلى زيادة شيء من الملابس المصنوعة لهذا الغرض . وأما الجنس الثاني فانسانه أطول قامة وعليه مسحة من الجمال وتراه على الغالب كامل اللحية كثير الملابس . ولما كانت درجة الحرارة الجوية واحدة في كل من البقعتين نرى ان مذهب الفيلسوف هربرت سنبسر تنجلى حقيقته في حال هذا الشعب « وهو ان الزينة تسبق الاكتساء » وأما أصل هذا الجنس الثاني فيقال انه من ذرية اسماعيل وانه أتى من الشمال وان دمه ودم اليهود مشتركان

همة اليمني في العمل

ان اليمني بما يتيسر له من عدة العمل الحاضرة يمكنه زيادة انتاجه بكده وكدحه في العمل الذي يمتد من شروق الشمس إلى غروبها حالة كون الاميركي بما له من تفوق العدة والادوات تقدر قوته قوة أربعين حصانا أو ما يعادل ٢٥٠ من قوة اليمني وتكون نتاج عمله على هذه النسبة . وان من اعتاد حياة الغرب ليحار في هذا السؤال وهو : كيف يتأتى لشعب كأهل اليمن أن يعيشوا في بيئة كبيئته حيث أحوال الحياة تكاد تكون واحدة للانسان والحيوان ، وكيف يستطيعون تحمل مشاقها وشظفها ؟ لكنا بالرغم من ذلك كله نراهم عائشين مع قلة وسائل المعيشة والراحة ونصب العمل دون ان تبدو منهم أمارات الشكوى المؤلمة . ولقد انقضى على سكان اليمن القرون وهم في هذه الحالة من بؤس العيش وخلوهم من مادة البقاء لا يدرون شيئاً من حالة غيرهم في أمور المعيشة ومع ذلك نراهم على الجملة قانعين راضين يحمون أرضهم وحكومتهم التي منها وعن يدها تنتج لهم هذه الاحوال. أما بلاد الغرب فهي مع وجود اسباب الراحة والهناء حتى لا أقول معدات اللذات والمسرات نرى الناس لا ينقطعون عن التشكي والتبرم من أحوالهم وهم أبداً على قدم الانفجار والقيام بايقاد نيران الثورات كلما أتاحت لهم الفرصة وأباحت لهم الاقدار ذلك

ان سكان الجبال في جميع الارض معروفون بحب الاستقلال وإيثاره على كل ما سواه من أمور الحياة مشهورون بقوة البدن وشدة البأس على نسبة بيئتهم وشظف حياتها

ومما يحسن ذكره ووقعه على الخواطر اني لقيت رجلين يمنيين أحدهما يهودي والآخر مسلم زارا اميركا وبعد ان أقاما فيها مدة أعوام غلبهما الحنين إلى تلك الجبال اليمنية التي ولدا فيها ورضعا لبانها وغذيا بهوائها ومائها وإذ جد بهما الوجد واستحكم الهيام عادا أخيراً إلى تلك الربوع ليقضيا فيها ما كتب لهما من بقية العمر

ثم ان اليمنيين لم يكونوا يطيقون حكم الاتراك بحال ولا بوجه من الوجوه فلم يحولوا عن الاعتقاد بأن امامهم هو الخليفة الحقيقي وان لا خليفة إلا من تحدر من ذرية النبي . على ان هناك من ذراريه قوما يدعون بالاسياد « على ما تعلمون »

الطب والعلاج في اليمن

ليس في اليمن شيء يسمى دواء وطباً حتى أن أحقر عشبة من أعشاب الارض التي يتداوى بها احياناً غير معروفة . فاذا أصيب أحدهم بألم لم يجد مفراً من تحمله . وإذا غلبته عادية الداء قضى نحبه بحكم الطبع بلا علاج ولا دواء . على أن هناك عشبة يغلب استعمالها عندهم هي (القات) — فقد أتي بها من بلاد الحبشة أيام أتي بشجرة القهوة أيضاً . وعلى مقربة من ساحل البحر مدينة اشتهر فيها شجرتان غرستا فيها في بادىء الأمر وهما شجرة «القات» وشجرة «القهوة» . وقد تمكنت في اليمنيين عادة كعادة الانكليز وهي أنهم في نحو الساعة الرابعة من ظهر كل يوم يجلسون جماعات لتناول «القات» إذ يعدونه ممضوغاً منهاً ويزيدونه بهجة ولذة بتعاطي أقداح الحديث كما يتعاطى الندامى كؤوس المدام . ومع ما في هذا النبات من أذى اضعاف الأعصاب فان كل يمني حتى الجندي العادي على أجره الذى لا يستحق الذكر يجهد في اقتصاد شيء ما في سبيل تناول «القات» . وكأن ذلك يذكرنا بعادة الكوكايين عند أهل الغرب .

عند ولادة الاولاد

ان طريقة ولادة الام في اليمن شديدة القسوه . فالأمر الوحيد المساعد لها حينئذ هو الاتيان عن ترقص على بطن المتألمة البائسة مدة المخاض ومع كثرة النسل فان متوسط الوفيات منهم وافر جداً . وقد قال لي أحد حكام المدن الكبيرة إنه قد فقد ٢٢ صبياً وهو عدد يستحق الذكر ويستلفت الانظار حتى في أسرة عادية أمريكية . ومع ذلك فقد أبقت له العناية ثمانية أولاد على حالة حسنة من الصحة ؛

السعي لمنع الحج ومفاسد البدع

ان استيلاء امام السنة في هـذا العصر عبد العزيز السعود على الحجاز وشروعه في تطهير الحرمين الشريفين من بدع الضلالة وقيامه بتجديد السنة قد كشف لاهل البصيرة من المسلمين ان ما كان من تساهل القرون الوسطى في مقاومة أهل البدع قد جر على الاسلام وأهله من الارزاء والفساد ما هو شر من تلك البدع نفسها حتى أن طوائف من المسلمين الخرافيين صاروا يفضلون بعض تلك البدع على أركان الاسلام ويحاولون تعليق أداء فريضة الحج وهو ركن الاسلام الجامع لشعوبه على بعض تلك البدع بحيث تترك الفريضة ويهدم الركن الاسلامي إذا لم يسمح ملك الحجاز باقامة تلك البدع

بدأ هذا الامام منذ تم له السلطان على الحجاز بابطال بدع القبور والمباني التي افتتن عامة المسلمين بصبغها بصبغة الاسلام التعبدية الذي كان بعمل سلاطين الاعاجم وأمرائهم فقامت عليه قيامة الشيعة أو أعاجمهم وبعض زعماء الأهواء السياسية في الهند والخرافيين عبدة القبور وطلاب الحياة من الموتى فمنعت حكومة إيران رعاياها من أداء فريضـة الحج وبثت الدعاية في الهند لذلك وتولى الانفاق على الدعاية غني من أكبر أغنياء الشيعة هو محمد علي راجا محمود آباد ونصره في عمله في هذا العام السياسيان الزعيمان شوكت علي ومحمد علي ورئيس جمعية خدام الحرمين وبعض أعضائها الخرافيين المأجورين - وقد بلغ من طغيان هذه الفئة أن طلبت باسم زعيمها من الحـكومة الانكليزية التدخل في أمر الحجاز بالقوة لازالة الحـكومة السعودية منه — وهم يعلمون أن هـذا لايتم إلا بمحاربة هذه الدولة النصرانية له في حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ ولـكن اتباع الهوى ونصر البدعة أركسهم بما كسبوا فاستحلوا أكبر الكبائر من صد المسلمين عن فريضة الحج إلى دعوة خصوم الاسلام لانتهاك أعظم حرمات الاسلام - واستحلال ذلك كفر بالاجماع - ولـكن الله تعالى خذلهم ونصر دينه وسنة رسوله على عداوتهم لهما وأقبل الالوف من أهل الهند وكذا أهل إيران على بيت الله تعالى لاقامة ركن الاسلام .. واعترفت

الدولة البريطانية بملكية ابن السعود على الحجاز ونجد واستقلاله المطلق رسمياً

بعد هذا كله حدث في مصر مالم يكن ينتظره مسلم ولا عاقل من السعي لمنع أداء فريضة الحج بأراجيف اختلقها حزب الالحاد والزندقة وبحجة الانتصار لبدعة المحمل والاصرار عليها. وكان قد ظهر فضل مصر وسائر البلاد العربية على بلاد الاعاجم كلها بانه لم تظهر فيها معارضة ما لما قام به ملك الحجاز ونجد من إزالة البدع ونصر السنة على كثرة الخرافيين فيها من أهل الطرق وغيرهم بل أيده رؤساء العلماء على حكومتهم فيما طلب منعه من عزف الموسيقى في مشاعر النسك وفي شرب الدخان في مكة أو الحجاز كله.

بدأت بذلك جريدة السياسة المشهورة بدعايتها الالحادية ومحاربتها للازهر وسائر رجال الدين، ونصرها للطاعنين في الاسلام كعلي عبدالرازق وطه حسين، فزعمت أنه جاءها نبأ من «مقيم في جزيرة العرب» بأن رؤساء الوهابيين اجتمعوا في عاصمة نجد «في ٢٠ رجب» بحضرة الملك عبد العزيز بن السعود وأنكروا عليه في وجهه اخلاف وعده لهم باقامة شرع الله في الحجاز وتطهير البلاد ومما قالوه له بزعم الكاتب «ألم ترخص لصنم مصر المسمى بالمحمل بدخول الحجاز مع اولئك العسكر الكفار؟ ألم تدافع عن أولئك الكفار حينما أردنا أن نقوم بالواجب الشرعي من إنكار المنكر؟ الخ واستدلت جريدة السياسة بهذا الحديث على أن الوهابيين أخذوا يفلتون من سلطة الملك ابن السعود ورتبت عليه أنه يجب على الحكومة المصرية أن تأخذ «الضمانات اللازمة» للاطمئنان على أرواح الحجاج المصريين وعلى كرامة مصر من غير ابن السعود قبل أن تأذن بالحج في هذا العام تعني أنه يجب أخذ الضمانات من رؤساء الوهابيين الذين في نجد وهي تعلم أن هذا لاسبيل اليه ـ فالمراد دعوة الحكومة إلى منع الحج

وقد كتب اليها رئيس ديوان جلالة ملك الحجاز ونجد (محمد طيب المزاز) الحجازي كتابا كذب فيه خبر ذلك الاجتماع تكذيبا رسمياً قال فيه انه في التاريخ الذي ذكرت اجتماع رؤساء النجديين فيه كان في خدمة جلالة الملك بنجد

ولو حصل ذلك الاجتماع لكان من أعلم الناس به فهو لم يحصل وأكد فيه أن طاعة رؤساء النجديين ودهمائهم لامامهم الملك على أكلها لانها عقيدة دينية فكتبت جريدة السياسة مقالا آخر أصرت فيه على دعوتها الاولى مرجحة النبأ الذي زعمت أنه جاءها من رجل مقيم في جزيرة العرب على هذا البلاغ الرسمي

ونحن على علمنا بان الذي كتب ذلك النبأ هو رجل مصري مقيم في القاهرة حانق على الحكومة الحجازية وله صديق كان في الكويت يوم أنه هو الذي كتبه ـ قد كتبنا مقالا في الرد على جريدة السياسة نشرناه في جريدة كوكب الشرق تجاهلنا فيه ذلك وتكلمنا بلسان الشرع والعقل والمصلحة الاسلامية وذكرنا في آخره أننا نعلم أن المسلمين لا يبالون بما تنشره جريدة السياسة فلا نخشى أن يؤثر في أنفس مريدي الحج من المصريين فيصرفهم عنه ولكننا ننتظر لنرى تأثير كلامها في الحكومة المصرية ، وكانت جريدة السياسة ذكرت أن الحكومة المصرية عهدت إلى قنصلها في جدة أن يبلغ جلالة ملك الحجاز ونجد ماتشترطه لارسال المحمل ومايتعلق به في هذا العام وتنتظر جوابه

ثم لم تلبث الحكومة أن نشرت البلاغ الرسمي التالي الذي قرره مجلس الوزراء مجتمعاً ووافق عليه جلالة الملك :

بلاغ رسمي

وصل الى علم الحكومة المصرية أن حكومة الحجاز تشترط في حج هذا العام شروطاً معينة فخابرت وزارة الخارجية حضرة قنصل المملكة المصرية في جدة للاستيثاق من مبلغ هذا الخبر من الصحة وكلفته بمفاوضة جلالة الملك ابن السعود في ذلك شخصياً

وقد ورد الى الحكومة نبأ برقي من حضرة القنصل المذكور يفيد أن جلالة ملك الحجاز يشترط لحج هذا العام :

أولا — تجريد الحامية المصرية التي تصحب المحمل عادة من سلاحها تفاديا من حصول مصادمات بينها وبين الوهابيين

ثانياً — منع عرض المحمل بالحرم الشريف وكذلك تسيير المواكب المعتادة واشترط فوق ذلك شروطاً أخرى تغاير التقاليد المتبعة من قديم وتقيد حرية الحجاج .

وترى الحكومة مع هذه الاشتراطات أنه لايمكن الاطمئنان على سلامة ركب المحمل والحجاج

ولما عرضت هذه المسألة على مجلس الوزراء قرر بجلسة ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ (١٢ مايو سنة ١٩٢٧) العدول عن إرسال المحمل في هذا العام وإعلان الحجاج المصريين بأنهم بسفرهم قد يستهدفون لبعض المخاطر وأنهم اذا اذا رأوا مع ذلك السفر في هذه الظروف فان ذلك يكون تحت مسؤوليتهم » اه

وقد استغربنا من هذا البلاغ قول الحكومة إن الحجاج المصريين يستهدفون لبعض الاخطار في الحجاز إذ فيه تثبيط وصد عن اداء الفريضة بالايهام الذي لادليل عليه ، ثم ازداد استغرابنا بما أجاب به رئيس الوزارة عبد الخالق ثروت باشا عن سؤال في مجلس النواب لماذا لم تمنع الحكومة المصريين من الحج وهي تعتقد أنهم يستهدفون فيه للخطر وحمايتهم واجبة عليها — فأجاب بأن سبب عدم المنع اعتبارات دينيه — يعني أن دعوى الحكومة الاستهداف للخطر لم يمكنها من أخذ فتوى شرعية بمنع الحج فلم تستطع حمل تبعة منع المسلمين من اداء فريضتهم!

وبعد ذلك نشرت وكالة المملكة الحجازية النجدية بمصر البلاغ الرسمي التالي

﴿ بلاغ الحكومة الحجازية ﴾

ننشر هذا البلاغ تنويراً للرأي العالم المصري الكريم ودحضاً لاقوال مثيري الضجة بمناسبة عدم سفر المحمل والبعثة الطبية والصدقات المراد ارسالها الى الحجاز فنقول : —

إن الحكومة المصرية كانت طلبت من حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها أن يرافق أمين الحج أورطه كاملة بملحقاتها من طوبجية وسواري وهجانة وغيرها من المعدات . وأن ترافق القوة المذكورة المحمل في كل مكان وان تكون

دورة المحمل بالمراسم المعتادة كالمتبع سنويا بغير أي تعديل فقد كان جواب الحكومة الحجازية النجدية على هذه النقطة ما يأتي : —

ان الحكومة الحجازية تحب أن تتأكد الحكومة المصرية رغبتها لأنها مستعدة لاجراء جميع التسهيلات الممكنة للمحمل وركبه . بل لسائر الحجاج على القواعد التي تحفظ الامن وتصون حرمة الدين الاسلامي المقدس الذي جاء به الكتاب المنزل على لسان النبي المرسل ﷺ وانها أي الحكومة الحجازية النجدية لايخامرها الريب في أنها ستجد في الامة المصرية الكريمة وعلى الاخص في علماء الدين أعظم منشط ومساعد على إقامة شرع الله في أقدس بلاد الله وأنها مستعدة للعمل بما يقره الدين ويقرره علماء المسلمين وان ذلك سيكون مقبولا لديها ومرعيّ الحرمة . وبما أن جلالة الملك قد منع التجول بالسلاح في البلاد المقدسة لكائن من كان من أهل نجد وغيرهم وعلى الاخص أيام الحج ومنع أيضاً إتيان أي عمل لم يأذن الله به من الاعمال المخالفة للشرع والتي ينبغي أن يكون المرد فيها الى كتاب الله وسنة رسوله . فيمكن للمحمل وركبه شهود الحج هذا العام بعد مراعاة أمور ثلاثة دعت اليها العبر من حوادث العام الفائت وهي :

أولا — أن لا يكون مع ركب المحمل سلاح ما أسوة بحجاج سائر بلاد الاسلام

ثانيا — أن لا يعرض المحمل لأن يكون سببا في تبرك الناس به تبركا دينياً لم يأذن الله به ولا جاء في شرع الاسلام

ثالثاً — أن يكون سير المحمل في أيام الحج كسير الناس جميعا حفظاً لراحة سائر الحجاج :

وفيما عدا ذلك فسيلقى المحمل وركبه كل اكرم ورعاية من الحكومة المحلية وان الحكومة الحجازية النجدية تحب أن تتأكد الحكومة المصرية أنها لم تشترط مراعاة هذه الامور إلا صيانة لراحة المصريين وراحة حجاج المسلمين من سائر بلاد الله .

وقد كان جواب الحكومة النجدية الحجازية على طلب الحكومة المصرية فيما يتعلق بالبعثات الطبية للاعتناء بحالة الحجاج الصحية وإسعافهم أثناء تادية الفريضة والزيارة انها ترحب بهم وحبا وكرامة بقدومهم

وكذلك أجابت الحكومة الحجازية طلب الحكومة المصرية بالموافقة على أن تشكل لجنة من مندوبين من قبل الحكومتين المصرية والحجازيه لتوزيع المرتبات المخصصة للفقراء والمحتاجين بدون قيد ولا شرط

وعلاوة على ماسردناه أعلاه فاننا حبا في تطمين آل الحجاج وذويهم من المصريين الكرام وإزالة المساوىء والمخاوف التي علقت بأذهانهم ننشر خلاصة كتاب ورد الينا من جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وهي: وبما أننا نرغب في اجراء التسهيلات اللازمة لجميع وفود بيت الله الحرام وعلى الاخص الحج المصري الذي تربطنا بأهله روابط عديدة فليكن المصريون واثقين بأن حجاجهم سيلقون الحفاوة التامة والرعاية الكاملة. والتهسيلات المطلوبة. نرجو الله أن يحسن العواقب في جميع الامور (فوزان السابق)

(المنار) في أثناء هذه المدة أسرفت جريدة السياسة في الطعن في الوهابيين لتقوية الاوهام في الانفس وإثارة المخاوف في القلوب لمنع الحج، ومن أشد مقالاتها اسرافا في البهتان مانشرته في ٢١ ذي القعدة (٢٣ مايو) من تصوير الوهابيين بصورة الحيوانات المفترسة التي تستحل افتراس كل من ليس بوهابي وأنه «لايمكن أن يردعها عن ذلك أحدمها سما مقامه» – أي وان كان أمامهم الديني وملكهم السياسي – حتى قال الكاتب في مسألة شرب الدخان «فكثيراً مافقئت أعين وكسرت أذرع وهشمت رءوس بأيدي الاخوان على هذا المنكر وإن كان كثير منهم يرتكب هذا المنكر وأشدمنه في الأثم!»

وخاضت جرائد أخرى في ذلك حتى أن جريدة الاهرام نشرت مقالا افتتاحيا زعمت فيه أن الخطر على البشر من البلشفية والوهابية بعد أن أفتت في مقال آخر بأن المحمل المصري أمر مشروع . . .

فوجدت من الواجب بيان حقائق جميع هذه المسائل فكتبت مقالا نشر في جريدتي الاخبار والبلاغ قطع به كل لسان يصد عن حج بيت الله الحرام، وكسر كل قلم يخوض في ذلك بالباطل، فلم يستطع احد أن يرد كلمة حتى أن جريدة السياسة على استباحتها للافك والبهتان لم تستطع أن تقول فيه إلا أنه ضد على الحكومة المصرية والمصريين، وذلك أن مذهبها أن دين المصريين مجموع تقاليد عامتهم وحكومتهم كالمحمل والموالد لامايتدارسونه في الازهر وغيره من المعاهد الدينية – وهذا نصه:

الحج ومسائل الخلاف

بين حكومتي مصر والحجاز

اضطربت آراء الكتاب وأهواؤهم في مسألة الخلاف بين حكومتي مصر والحجاز في أمر المحمل وحرسه وموسيقاه وأمر اداء فريضة الحج وخدمة الحجاج ، وأوقاف الحرمين والصدقات الثابتة في ميزانية المالية المصرية لأهل الحرمين وكسوة الكعبة المعظمة ومذهب النجديين وسيرتهم وسائر مذاهب أهل السنة ـ لم أر أحداً كتب في ذلك عن معرفة صحيحة وبيان للحقيقة الشرعية ولكنني أعتقد أن صاحب جريدة (الاخبار) كتب ما يعتقد أنه الحق بالاخلاص الذي لايمتري فيه أحد يعرفه واعتقد أن بعض الكتاب من علماء المسلمين قال الحق في مسألة المحمل وكونه بدعة ، وأن بعض الكتاب من غير المسلمين خلط مايدري بما لا يدري وغالط فيه بما يحدث الشقاق بين المسلمين أو يقويه ، ولا أتعرض لبيان حال الدعاة الى ترك الحج من أدعياء المسلمين وانما أكتب ما أظن بل أعتقد أن الحق لاينجلي في هذه المسألة وفروعها بدونه من الوجهتين الحقوقية والشرعية ، وما يحتف بهما من اختباراتي الشخصية ، ووقوفي على الوقائع المهمة ملخصاً ذلك في المسائل الآتية :

١ ــ كان الحجاز ومصر تابعين لحكومة عدة من الخلفاء والدول من صدر الاسلام الى عهد الخلافة العثمانية وكانت مصر في بعض القرون الوسطى مستقلة وكان الحجاز تابعا لها ولما كانت مصر تحت سيادة الدوله العثمانية كان جيشها يعد جيشا عثمانيا يحدد عدده السلطان العثماني ، وعلمه علم الجيش العثماني ورتبه عين رتبه

وقد صار الحجاز بعد الحرب العالمية الكبرى دولة ملكية مستقلة استقلالا دوليا تامامطلقا من كل قيد على حين كانت مصر تحت الحماية البريطانية ثم اعترف لها باستقلال مقيد بقيود تجعله اسميا فقط

وقد تودد جلالة ملك الحجاز لجلالة ملك مصر وحكومته بما استطاع من من أنواع التودد ولكن الحكومة المصرية لم تعترف الآن بملكيته وحكومته ويقال

إنها بلغت مستشاره الشيخ حافظ وهبه[1] شفويا أن يبلغه أنها تشترط لاعترافها به شروطًا يعد قبولها منافيا لاستقلاله ويجعله كالتابع لها. وسواء أصح هذا أم لم يصح فملك الحجاز يرى أن استقلاله أتم من استقلال مصر وأن مملكة مصر دولة أجنبية ليس لها حق في أن تدخل في مملكته جيشا مسلحا ولا غير مسلح ، وأن تقاليد حرس المحمل قد بطلت بتغير شكل الحكومتين، وأن لا فرق في هذه التقاليد بين المحمل المصري والمحمل الشامي فلو طلبت حكومة الشام منه الاذن لها بارسال محملها مع حرس شامي كالعادة السابقة وقد كان له المنزلة الاولى في الحجاز لما أذن لها مطلقا .

ولكن جلالة ملك الحجاز شديد الحرص على موادة مصر وموالاتها وارضاء جلالة ملكها وحكومتها وشعبها ، وشديد التقوى والحذر من وقوع أقل شقاق بينه وبينها . ولذلك أذن لها في الموسم الماضي بادخال حرس المحمل بسلاحه وأعلامه وباستعمال حريته في جميع أعماله العسكرية وهتافه به لملكه كما اعترف به أمير الحج شاكراً الا الموسيقى التي استفتت فيها الحكومة المصرية رؤساء الدين ـ شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ـ وعملت بفتواهما فيها وفي مسألة المجاهرة بشرب الدخان (فقبلت ماطلبة ملك الحجاز من منعهما)

حكم المحمل سياسة وشرعا

٢ ـــ المحمل وما أدراكم ما المحمل !! نعني بالمحمل هذا الشيء الذي يوضع على الجمل كالمحفة أو الهودج أو الخيمة المجلل بالنسيج الحريري الموضون بالذهب الذي يتبرك به العوام ويعدونه من شعائر الاسلام ومشاعر الحج الى بيت الله الحرام، الذي يحمل الى مكة المكرمة فمنى فعرفات ثم من عرفات الى المزدلفة فمنى فالحرم الشريف بمكة فيطاف به في معاهد النسك كلها وآخرها الكعبة المشرفة

(١) ويظن المصريون أن لقب مستشار الذي تحلى به الشيخ حافظ هو بمعنى المستشار الامبراطوري الذي كان للامبراطورية الألمانية وأنه هو رئيس الحكومة الحجازية النجدية وليس الأمر كذلك ولا يزيد هذا اللقب في الحكومة السعودية على مايدل عليه معناه اللغوي ، وللامير فيصل رئيس الحكومة الحجازية عدة مستشارين

كأنه أحد الحجاج ثم يوضع قبالتها فيتبرك به العوام الجاهلون بأحكام الاسلام وشرعه كما كانت الجاهلية تتبرك بالاصنام المنصوبة حولها

هذا هو المحمل الذي نعنيه والذى هو محل الخلاف بين الحكومتين في هاتين السنتين دون غيره، هو بهذه الصفة بدعة دينية لانه عمل يشبه المشروع وما هو بمشروع، هو محدثة في مناسك الدين، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله كما كان الرسول الاعظم يقول في خطبه على المنبر ﷺ وانما البدعة التي تكون حسنة أو سيئة ويختلف فيها اجتهاد الناس باختلاف آرائهم في النفع والضر والحسن والقبح فهي البدعة في غير التعبدات التي تتوقف على نص الكتاب والسنة والا لما كان قوله ﷺ «وكل بدعة ضلالة» صحيحاً (راجع الصفحة ٢٠٦ من الفتاوى الحديثية للعلامة ابن حجر) وبناء على هذه القاعدة قال صاحب منهاج الفقه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . فاذا كانت الصلاة لله تعالى على وجه غير مشروع في توقيتها وما يقرأ بدعة قبيحة مذمومة وهي عبادة لله تعالى فكيف يكون حكم البدعة في عبادة غيره سبحانه ؟ وكل عمل يعمل تدينا ويقصد به القربة والثواب أو جلب نفع أو كشف ضر من غير طريق الاسباب فهو عبادة ، وقد حكى الله تعالى عن المشركين انهم كانوا يقولون في أصنامهم وأوثانهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الآية فكل من يتبرك بالمحمل تدينا وبعد ما ذكرنا في شأنه مشروعا فهو مثلهم

هذه مسألة لا يختلف فيها أحد يعرف أحكام الاسلام فيجب على المسلم أن يدع أقوال غير العارفين بها وأقوال غير المسلمين في ذلك بالاولى وأن يفرق بين الامور الدينية والامور الدولية والحكومية فلا يتعصب للمحمل لاجل حكومة مصر فلهذه الحكومة أمور كثيرة مخالفة للشرع لايجوز لمسلم أن يوافقها عليها بل يجب عليه دائماً أن يطالبها بتركها فقد صار متمكنا من ذلك في عهد الدستور

سبب إذن ابن السعود بدخول المحمل

(٣) كان يجب على ملك الحجاز أن يمنع دخول المحمل في بلاد الحجاز البتة كما قال أمين بك الرافعي لانه يعتقد أنه بدعة وضلالة ، ولكنه خشي في

العام الماضي أن تمنع الحكومة المصريين من أداء فريضة الحج وتمنع مال أهل الحجاز من الغلال والاموال المفرقة ويكون ذلك سبباً للتعادي بين الحكومتين والشعبين فاختار ما رآه بحسب القاعدة الشرعية ارتكاب أخف الضررين عند تعارضهما فاذن بدخول المحمل وحاول منع منكراته ، ولكن ترتب على ذلك ما ترتب عليه من إنكار بعض النجديين الذين تربوا على انكار كل منكر في بلادهم عملا بحديث «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الايمان » رواه الامام احمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة ومن إطلاق حرس المحمل الرصاص والرشاشات وقتل كثير من المعتدين على المحمل وغيرهم . وهذه فتنة جديدة نشير إلى حكمها الشرعي بصرف النظر عن كونها فتنة بين حكومتين اسلاميتين يجب اتقاء الوقوع في مثلها

تحريم القتل والقتال وحمل السلاح بمكة

(٤) من المعلوم من دين الاسلام بالضرورة أن حرم مكة المعروف بحدوده والذي تدخل فيه « منى » التي وقعت فيها حادثة المحمل قد حرم الله تعالى فيه القتل والقتال بل حرم فيه الصيد وقتل الحيوانات والحشرات إلا ما استثنى من الفواسق الخمس بنص الحديث وما ألحق بها من الوحوش المفترسة — وكذا قطع الاشجار وقلع النبات إلا الاذخر الذي يضعونه على الموتى عند الدفن وفي سقوف البيوت

والاحاديث في تحريم القتال في حرم مكة مشهورة في الصحيحين والسنن منها قوله ﷺ يوم الفتح في خطبة له « ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا أن يعضد بها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم . وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب » . قال الماوردي في الاحكام السلطانية : من خصائص الحرم ألا يحارب أهله (أي من فيه لان الحرمة له) فان بغوا على أهل العدل (أي على حكومة الامام الاعظم) قال بعض الفقهاء يحرم قتالهم بل يضيق عليهم حتى

يرجعوا إلى الطاعة ويدخلوا في أحكام أهل العدل . وقال جمهور الفقهاء يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغي الا بالقتال . . الخ » فانظر إلى هذا القيد بل قال القفال من فقهاء الشافعية « حتى لو تحصن جماعة من الكفار فيها لم يجز لنا قتالهم فيها » . وغلطه النووي ثم قال : « وأما الجواب عن الاحاديث المذكورة هنا (أي في صحيح مسلم في إطلاق تحريم القتال) فهو ما أجاب به الشافعي في كتابه سير الواقدي ـ ان معناها تحريم نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم كالمنجنيق وغيره اذا أمكن اصلاح الحال بدون ذلك بخلاف ما اذا تحصن الكفار في بلد آخر فانه يجوز قتالهم على كل وجه وبكل شيء والله أعلم اهـ

فانظر إلى هذه القيود في قتال البغاة الخارجين على الخليفة وقتال الكفار في أرض الحرم وكيف منعه بعضهم مطلقا . ولا يخفى أن إطلاق الرشاشات والمدافع هي مما يعم كالمنجنيق لا كالسيف والرمح الذي لا يقتل به الا من قصد قتله بشخصه . ومنه تعلم ان إطلاق الرصاص الذي استعمل في حادثة المحمل من المحرم بالاجماع الذي لا يباح بحال ما ولا عذر ما

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر قال سمعت النبي (ص) يقول « لا يحل لا حدكم أن يحمل بمكة السلاح »

إذا كان هذا حكم الله في حرم مكة في كل حال فكيف يكون تأكيده في الشهر الحرام وفي حال الاحرام واداء المناسك ؟ وكيف يكون حكم حمل السلاح اذا كان يقصد به الاستعداد للقتال دفاعا عن بدعة المحمل ؟

منع النجديين والمصريين من حمل السلاح بمكة وحرمها

(٥) قد رأى جلالة ملك الحجاز الاحتياط لمنع هذه الجريمة العظمى المحرمة باجماع المسلمين لذاتها بصرف النظر عما يتبعها من العداوة بين الممالك الاسلامية ومن تعطيل إقامة ركن الدين العام بمنع حمل السلاح مطلقا : منع النجديين ومنع المصريين جميعا . فهل يرضي مسلما أو منصفا غير عدو للمسلمين والحال على ما علمناه أن يمنع النجديين من ذلك وحدهم ويسمح به للمصريين مع العلم بأن الحكومة المصرية انما تطلب زيادة حرس المحمل وزيادة سلاحه وسير الموسيقى

معه لاجل التنكيل بمن يتعرض له من النجديين

أليس الواجب المحتم أن نتفادى من هذه الشرور والجنايات المحرمة بالاجماع بالاستغناء عن ارسال المحمل وارسال الجيش لاجله ! بلى وان ملك الحجاز كان يرجو أن تفعل الحكومة ذلك من تلقاء نفسها تكريما لها وحرصا على مودتها . وقد دفع في العام الماضي دية جميع قتلى النجديين من ماله ودفع لهم ثمن ما قتل لهم من الاباعر أيضا ولم يطالب الحكومة المصرية بشيء ولا كتب لها بذلك فيما نعلم

فيأيها المسلمون المعتصمون بعروة دينهم المخلصون لربهم افرضوا أن هودج المحمل ليس بدعة محرمة بالمعنى الذي تقدم وأنه من تقاليد الحكومة المباحة أيجوز لنا أن نتعصب لارساله للحجاز بالصفة التي ينتظر أن تثير الفتنة بيننا وبين النجديين وتتحول بها العبادة المفروضة الى جرائم سفك الدماء وانتهاك حرمات الله تعالى واهانة حرمة الدين الذي فرض علينا تعظيمه

هبوا أن النجديين مخطئون في الانكار على المحمل لقلة علمهم ولغلوهم في دينهم وأنه يجب على ملكهم أن يصحح لهم معلوماتهم في ذلك . ألستم تعلمون أن هذا عمل يتعذر في مدة قصيرة لو كان صحيحا وفي وسع الحكومة المصرية السياسية أن تترك هذا المظهر من تقاليدها كما تريد ترك تقليد الائمة الاربعة في بعض أحكام الامور الشخصية . والمصلحة في ترك تقليد ابتدعته امرأة كان حكمها لمصر غير صحيح شرعا أظهر من المصلحة فيما تريد من مخالفة الائمة الاربعة به . دع ما هي مخالفة فيه للكتاب والسنة والاجماع والقياس من إباحة البغاء وأمثاله

ابطال ايهام الخطر على الحجاج المصريين

(٦) أوهم كلام بعض الجرائد الداعية الى منع الحج ان على حجاج المصريين خطراً من تعدي النجديين عليهم أخذاً بثأر من قتل منهم في العام الماضي ومن الاسف أن جاء بلاغ الحكومة الرسمي يؤيد هذا الوهم وهو مدفوع من وجوه :

(أولها) ان أولياء الدم من النجديين طالبوا جلالة الملك بعد انتهاء أعمال الحج الماضي بالقود من قاتليهم فأجابهم بانه قتل خطأ لا قصاص فيه بل تجب فيه الدية فقط فطلبوا منه أن يجمع لهم علماءهم الخمسة الذين كانوا بمكة لاستفتائهم فجمعهم

فأفتوا بوجوب الدية فدفعها جلالته من ماله مع التعويض كما تقدم

(ثانيها) أن مسلمي نجد قد أبطلوا مسألة أخذ الثأر الجاهلية وهم خاضعون في ذلك لاحكام الشريعة وهي لاتبيح عقاب كل مصري بذنب أمير الحج وعسكره

(ثالثها) أنهم لايخرجون عن أمر إمامهم لان علماءهم نشروا في جميع البلاد أن مذهب أهل السنة لايجوز الخروج على الامام وان ظلم إلا اذا أعلن الكفر

(رابعها) أن المصريين اذا كانوا حجاجا غير مسلحين يتعذر التمييز بينهم وبين سائر الحجاج كما قال حضرة امين بك الرافعي في أخباره الاسلامية فكيف يعرفهم الوهابيون فينتقموا منهم؟

(خامسها) ان حرس المحمل لم يكن في العام الماضي حارساً للحجاج ولا كانوا هم ملازمين له وقد ذهب بعد أداء الحج كثير منهم الى المدينة المنورة ولم يذهب المحمل اليها ولم يتعرض أحد من النجديين ولا من غيرهم لهم بسوء

(سادسها) انه قد ثبت بالتواتر لدى شعوب العالم الاسلامي وغيره أنه لم يعرف في تاريخ الحجاز أن أحداً من حكامه السابقين كان أقدر من الملك عبد العزيز السعود على حفظ الامن فيه أو مثله أو على مقربة منه ـ فهو إن عجز في هذا العام عما كان قادرا عليه فيما قبله فلن تستطيع الحكومة المصرية أن تغني غناءه بحرس محملها

(سابعها) أن الحكومة المصرية لم تقم دليلا على الخطر الموهوم الذي ادعته وقد طالبها حضرة أمين بك الرافعي ببيان ذلك فلم تجب مع أن المقرر في أصول الفقه الاسلامي عدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة

(ثامنها) أن الحكومة المصرية قالت في موسم سنة ١٣٤٣ إنه قد ثبت لديها أن طريق الحج غير آمن بسبب الحرب بين الشريف علي وابن السعود وأمكنها بتلك الشبهة أخذ فتوى شرعية رسمية بجواز تاخير الحج ثم ظهر للعالم كله أن طريق رابغ التي أعلن ابن السعود أنه كافل للأمن فيها كانت آمنة لم يصب أحد ممن سلكها إلى مكة المكرمة بسوء في نفسه ولا في ماله .

(تاسعها) جاء في رسالة من مكة المكرمة إلى جريدة المقطم أن جلالة ابن السعود عقد مؤتمراً كبيراً في نجد حضره زهاء ثلاثة آلاف رجل منهم جميع

قواد قواته الحربية وجددوا مبايعته على السمع والطاعة وأنه أمرهم بعدم حمل السلاح في الحجاز وان الاخوان قرروا بعد ذلك عدم الحج في هذا العام توسعة على حجاج البحار الكثيرين على أنه قلما يوجد منهم أحد يجب عليه الحج ولم يحج في هذه السنين التي استولى فيها أمامهم على الحجاز

(عاشرها) أن السواد الاعظم من الراغبين في الحج والمستعدين له لم يبالوا ببلاغ الحكومة ولا بارجاف جريدة السياسة فهم يتهافتون على البواخر التي تحملهم إلى الحجاز كما نطقت بذلك جميع الجرائد بلغهم الله السلامة

مكانة المصريين بالحجاز

(٧) أختم هذه المباحث بالشهادة لله تعالى إنني لم أر جلالة الملك عبدالعزيز ابن السعود أحرص على مودة شعب من الشعوب الاسلامية حرصه على مودة الشعب المصري ولا على مصافاة حكومة كمصافاته للحكومة المصرية ، إن القنصل المصري في جدة لأشد تعاليًا في الحجاز من المندوب السامي البريطاني في مصر ، وإن ناظر التكية المصرية بمكة حاول الاحتفال بالمولد بتزيين الشارع العام أمام الحرم الشريف من جهة التكية وهنالك دار الحكومة الحجازية وهو يعلم أن هذه الاحتفالات المبتدعة بما لها من الصبغة الدينية ممنوعة في الحجاز ولما بلغت الحكومة جلالة الملك ذلك مستأمرة له بمنع الزينة تولى جلالته بنفسه مخاطبة حضرة الناظر بالتليفون يرجوه بأن يترك تزيين الشارع وأبواب الحرم ويفعل في التكية ماشاء فلن يعارضه أحد . أتعلمون بماذا قابل حضرة الناظر هذا التواضع واللطف من الملك ؟ قابله بعدم المبالاة به وعدم الكف عن تزيين الشارع فاضطر جلالته الى أمر ادارة الامن العام بازالة الزينة من الشارع فقط

وانما جرأ ناظر التكية على هذه المخالفة لكل شرع وقانون وأدب أنه رأى الحكومة الحجازية في موسم الحج الماضي تأمر بمنع سير الاتومبيلات في شوارع مكة لنفور الاباعر التى تحمل شقادف الحجاج من صوتها وحركتها ـ وضرر ذلك ظاهر ـ فامتثل جميع الناس الامر وفي مقدمتهم رجال الحكومة وأعضاء المؤتمر الاسلامي إلا أمير الحج المصري ورجاله فانهم ظلوا يغدون ويروحون بأتوموبيلاتهم !!

وأنشئت في الحجاز شركة أوتوموبيلات مصرية بين جدة ومكة بشروط كلها في مصلحة المصريين والغبن على حكومة الحجاز وكان من تعزز الشركة بمصريتها انها لم تقم بالشروط الرسمية المفروضة عليها وأهمها اصلاح الطريق ومنه مواضع ضرورية فانذرتها الحكومة المحلية المرة بعد المرة بالغاء الامتياز إذا لم تفعل فلم تحفل بالانذار ، فألغته الحكومة بعد الانذار الثالث في جريدة أم القرى على ما نتذكر

مع هذا كله نرى جريدة مصرية[1] تتهم الحجاز وحكومة الحجاز وملك الحجاز بحرمان المصريين من الاشتراك في حكومة الحجاز وتفضيل السوريين عليهم ، ولم يخطر في بال حكومة الحجاز أمر التفاضل بين قطرين شقيقين في الجامعات الدينية واللغوية والجوار الا أن أحدهما في بحبوحة الثروة والامان والآخر منكوب تدمر مدائنه وقراه ومزارعه ويشرد خيار رجاله ويموت ضعفاؤه جوعا وعطشا وعرى. على أنني قد أرسلت في هذا العام عدة أساتذة من المصريين إلى مكة المكرمة وأوصيت بهم فمنهم المدرسون في المعهد السعودي الجديد وهو أعلى معاهد التعليم العصري في الحجاز وبعضهم مدرسون في الحرم الشريف

ومما يجب ذكره والتنويه به ان أحدهم يقرأ عقائد الاسلام لبعض النجديين الذين يتهمون بتكفير المصريين كافة عامة ، ومما يجب أن يذكر ان الامام الحنبلي النجدي في الحرم الشريف سافر فوكل هذا الاستاذ المصري بان ينوب عنه بالامامة

المصريون والنجديون

(٨) ان النجديين كانوا يعيشون في عزلة عن العالم كله إلا قليلا من مهاجري التجار في الهند والشام ومصر ، وقد فتح لهم باب آخر للتعارف مع سائر الشعوب الاسلامية باتحاد حكومتهم بحكومة الحجاز في السياسة العامة دون الادارة الخاصة، وصار من الضروري أن يسعى أهل الرأي والبصيرة لازالة ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين هذه الشعوب ولا سيما الشعب المصري

المعلوم عند أهل نجد بالاجمال أن الشعوب الاسلامية التي غلب عليها حكم الافرنج على حكم الاسلام قد فشت فيها حرية الكفر والفسق فكثر فيها التاركون

(١) هي جريدة السياسة التي تحاول نشر الثقافة المصرية اللادينية والالحاد في الحجاز

لأركان الاسلام والمستحلون لمحرماته المعلومة من الدين بالضرورة واستحلالها كفر باجماع المسلمين ، ناهيكم بما كثر فيها من البدع التي لا دخل للافرنج فيها حتى كثر فيها المرتدون والجاهلون بالدين الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح — فبهذا قلت ثقتهم بدين أهل هذه البلاد وصاروا يطعنون فيهم على الاطلاق إلا من ساح منهم في البلاد أو عاشر السائحين

وكان المشهور عن أهل نجد في مصر والشام والعراق والهند وغيرها من الاقطار انهم مبتدعة أصحاب مذهب خامس اخترعه لهم دجال يسمى محمد عبد الوهاب من أصوله تكفير جميع المسلمين الذين لا يتبعون مذهبهم ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، وتحريم جميع العلوم والفنون العمرانية . ومن أهل هذه الامصار من كان يزيد على ذلك بهتانا أنهم يطعنون في الرسول الاعظم وينكرون شفاعته ويحرمون الصلاة والسلام عليه الخ وانما كان يعلم بطلان هذه الدعاوي والمطاعن فيهم المطلعون حق الاطلاع على التاريخ وأعلمهم بذلك المطلعون على كتبهم

قد زال في هاتين السنتين كثير من خطأ الفريقين والواجب السعي للاصلاح والتأليف التام والمصريون أجدر الناس بذلك لأنهم أعلم بوجه الحاجة اليه ، فان الاساس المحكم الذي وضع لاتحاد الشرقيين كافة والمسلمين خاصة إنما وضع بمصر بيد الحكيمين المصلحين الشهيرين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري وهما اللذان اذاعاه في العالم كله بجريدة العروة الوثقى التي نشراها في باريز ، وظلت دعوتها مستمرة في المؤيد فالمنار وغيرهما من الصحف . وقد ألفت في هذه السنين جمعية مصرية لاحياء الرابطة الشرقية — فانبذوا أيها المصريون المصلحون كل دعوة للشقاق وكل طعن في اخوانكم النجديين ، ولا توسعوا الخرق على الراقعين ، فالاتفاق خير لكم ولهم ، والتعادي شر للجميع ومصلحة لخصوم الجميع

قد اتفقت كلمة جميع الكتاب والباحثين على حسن نية جلالة ملك الحجاز ونجد عبد العزيز آل سعود وإخلاصه في خدمة الاسلام والمسلمين وقوة نفوذه في شعبه ، كما دلهم على ذلك مسلكه في أعماله كلها وفي المقاصد التي أعلنها في المؤتمر الاسلامي العام ، فعلينا أن نكل الى حكمته وحزمه وحلمه نشر ما ينقص النجديين

من المعارف العصرية من طريق الدين وقد بدأ بذلك بما أسسه من المعهد السعودي للعلوم والفنون واللغات بمكة المكرمة ولا تهوشوا عليه في سعيه

أيها المسلمون لا يغرنكم كلمة من يقول إن الحجاز للمسلمين عامة فهي كلمة حق يراد بها باطل قد صرح به قائلوه وهو جعل حكومة الحجاز مؤلفة من هيئة اسلامية مؤلفة من جميع الممالك الاسلامية ، وأن يكون كل من ينتسب الى الاسلام حراً في رأيه وعمله وقوله فيه بحيث يصح لمثل الدكتور طه حسين أن يصرح في حرم الله تعالى أمام بيته بانكار ما في كتابه العزيز من إثبات بناء ابراهيم واسماعيل له الخ

ان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ مثابة لجميع المسلمين في أداء مناسك الحج والصلاة وزيارة مهد الاسلام وأفضل مساجده وقبر خاتم رسله ، ومن المستحب لمن وصل الى تلك البقاع زيارة قبور من دفن هنالك من الصحابة وغيرهم من السلف الصالح . ولكن ليس لأحد إحداث بدعة دينية فيه ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله وهدي السلف الصالح ، وليس لحكومة حق الاشتراك في حكم البلاد لأن ذلك مثار فتن لا أسوأ من عاقبتها . وحادثة المحمل في العام الماضي وفي هذا العام أظهر دليل على ذلك

لا خلاف بين المصريين والنجديين في شيء مما ذكر من أعمال الحج ومناسكه اذا كانوا يتبعون ما في كتب مذاهبهم دون البدع التي ينكرها جميع علمائهم اذا سئلوا عنها . وقد صرح الملك مراراً بأنه يخضع لكل ما ثبت عن الأئمة الاربعة ، واذا كابر دعاة الفتنة في المسألتين فاننا نوضحها في مقال آخر ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح الحق على الهوى

كسوة الكعبة المعظمة

بعد أن قررت الحكومة المصرية منع إرسال المحمل إلى الحجاز فأحسنت صنعا ، وما أساءت إلا تعليلا وتأويلا ، قررت منع إرسال كسوة الكعبة فسئل رئيس الوزراء عن ذلك في مجلس النواب فقال ان الحكومة بعد أن قررت إرسالها لتصريح ملك الحجاز بقبولها عادت ففكرت أن الوهابيين ربما يعدونها بدعة فقررت عدم إرسالها ! فأساءت الحكومة بهذا عملا وتعليلا ، فنشرت مقالا طويلا في جريدة البلاغ في ذلك أودعته فصلا للحافظ ابن حجر في تاريخ كسوة الكعبة قبل الاسلام وبعده

قانون الاحوال الشخصية بمصر

والتنازع بين جمود الفقهاء المقلدين ، والحاد زنادقة المتفرنجين

— ٢ —

قد تضمن مقالنا الأول في هذه المسالة أن الذين يتكلمون في الامور الاسلامية العامة باسم الاسلام ثلاث جماعات (١) جماعة الفقهاء المقلدين للمذاهب الاسلامية المدونة التي جرى عليها العمل ولا يزال السواد الاعظم من عوام المسلمين يتبعونهم ويثقون بهم وأما الخواص من جميع الطبقات فهم يعرضون عنهم وينبذونهم عاماً بعد عام ، (٢) جماعة المتفرنجين ويكثر فيها الزنادقة ، ويقل المجاهرون بالالحاد والكفر قلة تتحول بالتدريج إلى كثرة ، وأقل منهم المسلمون الصادقون فيها ، وهذه الجماعة باصنافها الثلاثة الزنادقة المنافقون والملحدون المجاهرون والمسلمون الصادقون — هي الجماعة التي تتغلب على مصالح الحكومة وأعمالها يوماً بعد يوم ، وينتصر فيها الالحاد على الاسلام في مسألة بعد مسألة ، كما ثبت في مسألة الدكتور طه حسين ، فقد امتنعت النيابة العامة من محاكمته مع تصريحها الرسمي بطعنه في الاسلام طعناً صريحاً لا يحتمل التأويل ، وامتنعت وزارة المعارف من عزله من وظيفة التدرس في الجامعة وإفساد عقائد النشء المصري . ونصره أحمد لطفي بك السيد مدير الجامعة نصراً مؤزراً

(٣) جماعة المستقلين في فهم الاسلام من كتابه وسنته وسيرة سلفه الصالح العارفين بمصلحة المسلمين في هذا العصر - وهذه الجماعة هي الوسطى المرجوة للوصل بين عقلاء المسلمين الصادقين من الطرفين الآخرين إلا من كان إلحاده وزندقته لا عن شبهة عارضة أو توهم تعارض بين الاسلام وبين حضارة القوة والعزة والثروة ، فان الملاحدة ثلاثة أصناف : (١) أولو شبهات سببها الجهل بحقيقة الاسلام ورجوع هؤلاء إلى حظيرة الاسلام ولو بنصر آدابه وسياسته مرجوة (٢) مصطنعون لخدمة الأجانب وهم الذين يطعنون في الاسلام بترجمتهم لأقوال أعدائه فيه من المبشرين والسياسيين حتى إنهم لينصرون اليهود الصهيونيين على عرب فلسطين من المسلمين والنصارى - كما يراه المطلعون على جريدة السياسة المصرية فيها - وهم على إلحادهم وتعطيلهم مأجورون (٣) الذين يعلمون انهم بترك الامة للاسلام يكون لهم فيها مقام الزعماء

والرؤساء والحكماء على فسقهم وفجورهم الذي لايمكنهم تركه - وأنهم بتجديد هداية الاسلام يكونون محتقرين لاقيمة لهم

بعد هذا الايضاح لحال الجماعات الثلاث نذكر نص مشروع القانون الجديد ثم نقفي عليه بوجهة نظر كل جماعة منهم — وهذا نصه :

مشروع مرسوم بقانون

خاص ببعض أحكام الاحوال الشخصية

١ ﴿ تعدد الزوجات ﴾

(المادة ١) لايجوز لمتزوج أن يعقد زواجه بأخرى ولا لأحد أن يتولى عقد هذا الزواج أو يسجله إلا باذن من القاضي الشرعي الذي في دائرة اختصاصه مكان الزوج

(المادة ٢) لا يأذن القاضي بزواج متزوج إلا بعد التحري وظهور القدرة على القيام بحسن المعاشرة والانفاق على اكثر ممن في عصمته ومن تجب نفقتهم عليه من أصوله وفروعه

(المادة ٣) لاتسمع عند الانكار أمام القضاء دعوى زوجية حدثت بعد العمل بهذا القانون إلا اذا كانت ثابتة بورقة رسمية

٢ ﴿ الطلاق ﴾

(المادة ٤) لايقع طلاق السكران والمكره

(المادة ٥) لايقع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه

(المادة ٦) الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لايقع إلا واحدة

(المادة ٧) كنايات الطلاق وهي ما تحتمل الطلاق وغيره لايقع بها الطلاق الا بائنا

(المادة ٨) كل طلاق يقع رجعياً الا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وما نص على كونه بائنا في هذا القانون او القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠

٣ ﴿ الفسخ باخلال الزوج بالشروط ﴾

(المادة ٩) اذا اشترطت الزوجة في عقد الزواج شرطا على الزوج فيه منفعة لها ولا ينافي مقاصد العقد كألا يتزوج عليها أو أن يطلق ضرتها أو أن لا ينقلها الى بلدة أخرى صح الشرط ولزم وكان لها حق فسخ الزواج اذا لم يف لها بالشرط ولا يسقط حقها في الفسخ إلا اذا أسقطته أو رضيت بمخالفة الشرط

٤ ﴿ الشقاق بين الزوجين والتطليق للضرر ﴾

(المادة ١٠) اذا ادعت الزوجة اضرار الزوج بما لا يستطاع معه دوار العشرة عادة بين أمثالها وطلبت التفريق طلقها القاضي طلقة بائنة إن ثبت الضرم وعجز عن الاصلاح بينهما وإن لم يثبت الضرر بعث القاضي حكمين وقضى بما يريانه على ماهو مبين بالمواد (١١ و ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦)

(المادة ١١) يشترط في الحكمين أن يكونا رجلين عدلين من أهل الزوجين إن أمكن وإلا فمن غيرهم ممن لهم خبرة بحالها وقدرة على الاصلاح بينهما عالمين بأحكام النشوز ولو بتعليم القاضي .

(المادة ١٢) على الحكمين ان يتعرفا اسباب الشقاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما في الاصلاح فان امكن على طريقة معينة قرراها

(المادة ١٣) اذا عجز الحكمان عن الاصلاح وكانت الاساءة من الزوج او منهما او جهلا الحال قررا التفريق بلا عوض بطلقة بائنة

(المادة ١٤) اذا كانت الاساءة من الزوجة قررا الحكمان ماتعينت فيه المصلحة من بقاء الزوجة في عصمة زوجها وائتمانه عليها او التفريق بينهما بعوض عليها بطلقة بائنة وعند عدم تعيين المصلحة يكون للحكمين الخيار في تقرير التفريق او البقاء ان لم يرد الزوج الطلاق فان اراد الطلاق قرراه بعوض عليها

(المادة ١٥) اذا اختلف الحكمان أمرهما القاضي بمعاودة البحث فان استمر الخلاف بينهما حكم غيرهما

(المادة ١٦) على الحكمين أن يرفعا الى القاضي مايقررانه في جميع الاحوال وعلى القاضي أن يمضيه

(المادة ١٧) اذا غاب الزوج سنة فأكثر كان لزوجته أن تطلب من القاضي أن يطلقها بائنا اذا تضررت من بعده عنها ولو ترك مالا تستطيع الانفاق منه

(المادة ١٨) ان أمكن وصول الرسائل الى الغائب ضرب له القاضي أجلا وأعذر اليه بأنه يطلقها عليه ان لم يحضر للاقامة معها أو ينقلها اليه أو يطلقها فاذا انقضى الأجل ولم يفعل فرق القاضي بينهما بتطليقة بائنة . وان لم يمكن وصول الرسائل الى الغائب طلق القاضي عليه بلا اعذار وضرب أجل

(المادة ١٩) لزوجة المحبوس المحكوم عليه نهائياً بعقوبة مقيدة للحرية مدة

ثلاث سنين فأكثر أن تطلب الى القاضي بعد مضي سنة من حبسه التطليق عليه بائنا للضرر ولو كان له مال تستطيع الانفاق منه

٥ ﴿ دعوى النسب ﴾

(المادة ٢٠) لاتسمع دعوى النسب لولد زوجة ثبت عدم التلاقي بينها وبين زوجها من حين العقد

(المادة ٢١) لاتسمع دعوى النسب لولد زوجة اتت به بعدسنة من غيبة الزوج عنها اذا ثبت عدم التلاقي بينهما في هذه المدة

(المادة ٢٢) لاتسمع دعوى النسب لولد المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا اتت به لاكثر من سنة من وقت الطلاق او الوفاة

٦ ﴿ النفقة ﴾

(المادة ٢٣) تقدر نفقة الزوجة على زوجها بحسب حال الزوج يسراً وعسرا مهما كانت حالة الزوجة .

(المادة ٢٤) لاتسمع الدعوى بنفقة عدة لمدة تزيد عن سنة من تاريخ الطلاق

٧ ﴿ سن الحضانة ﴾

(المادة ٢٥) للقاضي أن يأذن بحضانة النساء للصغير بعد سبع سنين الى تسع وللصغيرة بعد تسع سنين الى إحدى عشرة سنة اذا تبين له ان مصلحتهما في ذلك

(المنار) هذا نص المشروع ونرجيء التعليق عليه إلى الجزء التالي

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

الاحتفال بتكريم أمير الشعراء أحمد شوقي بك

ومشروع مؤتمر أدبي عربي عام

دعا صديقنا صاحب السعادة أحمد شفيق باشا وكيل جمعيتنا (الرابطة الشرقية) رهطاً من أهل العلم والأدب للاجتماع في نادي الرابطة للتشاور في تكريم أحمد شوقي بك لنبوغه في الشعر فلبوا دعوته واستحسنوا اقتراحه وأنشؤا لجنة للسعي لتنفيذه اختاروه رئيساً لها، واختاروا أحمد حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق سكرتيراً عاما لها وقرروا نشر ذلك في الجرائد ، ولم يلبثوا بعد نشره أن أقبل عليهم المحبذون يطلبون الدخول في زمرتهم كالعادة ، حتى زاد عدد اللجنة على

الحسين، وألفت منهم لجنة تنفيذية تولت نشر الدعوة، وقررت جعل هذا الاحتفال ذريعة لمؤتمر عام لترقية الأدب العربي واللغة . وقد أرسل إلى اللجنة كثير من القصائد والخطب في موضوع الاحتفال وخطب وأبحاث علمية أدبية (محاضرات) لأجل المؤتمر. وكان صاحب المنار عضواً في اللجنة التنفيذية ثم في اللجنة العلمية التي نظرت فيما أرسل فجعلته اقساما ثلاثة قسما يتلى في جلسات الاسبوع الذي سمي اسبوع شوقي وقسما ينشر في الكتاب الذي يؤلف في هذا الموضوع وقسما يطرح ويهمل

واشترك في هذا الاحتفال سورية وفلسطين ولبنان بارسال وفودهما، والناديان العربيان اللذان في جزيرة البحرين وثغر بمبي (الهند) بارسال هديتين نفيستين، خيرهما نخلة من الذهب على أرض من حجر الكهرباء حملها خمسة عثاكيل بسرها من اللؤلؤ - وهي من نادي جزيرة البحرين وقد أعجب بها كل من رآها وأثنى على الذوق العربي والجود العربي . وجاءتنا خطبة نفيسة من أحد علماء المغرب الأقصى باسم أهل العلم والأدب في ذلك القطر، وقصائد من أقطار أخرى

وكان بدء الاحتفال يوم الجمعة ٢٧ شوال الموافق ٢٩ إبريل (نيسان) في دار الأوبرة الملكية برعاية جلالة الملك ورياسة الشرف لدولة سعد باشا زغلول فألقى صاحب المعالي محمد فتح الله باشا كلمة لدولته في شأن اشتراكه في الاحتفال واعتذاره بضعف البدن عن الحضور - وكان خطباء الحفلة ٣ رئيسها أحمد شفيق باشا والاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق ووفده الرسمي والآنسة إحسان أحمد حفيدة المرحوم الشيخ علي الليثي الشهير وهي أول فتاة عربية مصرية برزت في محفل أدب للرجال وخطبت فيهم في هذا العصر. وكان شعراؤها شبلي بك ملاط شاعر لبنان ووفده ومحمد حافظ بك ابراهيم شاعر مصر وخليل بك مطران شاعر القطرين، وختمت الحفلة بقصيدة شكر لشوقي نفسه وتلاها حفلات أخرى في الجمعية الجغرافية الملكية وجمعية الاقتصاد السياسي والجامعة المصرية وجمعية الرابطة الشرقية ومسرح التمثيل العربي وكازينو الجزيرة وكرمة ابن هاني (اي دار احمد شوقي بك) وختمت هذه الحفلات بدعوة محمد شوقي بك الخطيب العضو في مجلس النواب لضيوف مصر في هذا الاحتفال واعضاء لجنته الى قصر المرحوم المنشاوي في بلدة القرشية وأعد لهم في جنينة المنشاوي الكبرى موائد الطعام والمثلوجات في ظلال تلك الاشجار، التي تجري من تحتها الانهار، وهنالك ألقيت الخطب والقصائد في الموضوع ، ثم انفض الجمع

مسألة نفقات مؤتمر الخلافة

في مجلس النواب

أسرف بعض النواب في تكبير أمر نفقات مؤتمر الخلافة بتأثير النزعة الالحادية في مصر وبما كان من انتماء بعض كبار شيوخ الازهر الى حزب الاتحاد الممقوت عند الاكثرية الساحقة في المجلس وغيره حتى طلب بعض النواب محاكمة الشيخ الأكبر رئيس الازهر والمعاهد الدينية بما أنفقه في مؤتمر الخلافة وتغريمه إياه . ولما عاد المجلس الى المناقشة في (الاستجواب) المقدم من النائب خليل بك ابراهيم أبو رحاب الى وزير الاوقاف بها أجاب الوزير بما نقله عن جريدة السياسة التي هي أشد خصم في الموضوع لانه حجة عليها - مع عدم ثقتنا بتحريها الأمانة في النقل — وهذا نصه :

وزير الاوقاف — تقدمت في جلسة ماضية ببيان جميع الوقائع المتعلقة بهذا الموضوع من واقع المخاطبات الرسمية التي دارت بين فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ووزارة الاوقاف وليس عندي فيما يتعلق بهـذه الوقائع ماأزيده على بياني السابق .

واذا كان لابد من بيان في هذا الصدد بعـد ماسمعته من حضرة العضو المحترم المستجوب فانه يخيل لي أن من واجبي أن أشرح للمجلس وجهة نظر فضيلة شيخ الجامع الازهر في صرف المبلغ على النحو الذي صرفه به وبينه المجلس . وما كان يدور بخلدي قبل أن أحضر إلى هـذه الجلسة انني سأكون في حاجة أو أنه سيكون هناك أي داع لأن أشرح للمجلس الموقر موقف شيخ الجامع

ولكن بعد ماسمعت من حضرة العضو المحترم وهو يتكلم عن هيئة مهما كان تصرف أحد المنتسبين اليها ومهما كان مركز ذلك الشخص كبيراً كان أوصغيراً فانها هيئة ندين لها جميعاً وأظن أن المجلس الموقر يشاركني في ذلك في وجوب...

فقاطعه الدكتور ماهر — ندين بالا كاذيب

الوزير — فانها مهما قيل هيئة دينية . . .

أصوات — لا لا . مافيش هيئة دينية . دينية ايه

الوزير — هل لايزال المجلس في حاجة إلى وزير الاوقاف

احمد عبد الغفار — أيوه

الوزير — اذن أطلب من المجلس أن يفتح لي صدره: أقول انه ما كان يخطر ببالي قبل أن أتشرف بالوجود بينكم في هذه الجلسة أنني سأكون بحاجة إلى أن أبين وجهة نظر شيخ الجامع الازهر ولكني بعد ما سمعته من حضرة العضو المحترم وهو يتكلم عن شخص ينتسب إلى هيئة أرى من واجبي إن لم ير غيري أننا ندين لها بالاحترام أو نقف ازاءها موقف الاحترام ، أقول اني مضطر لان أسفر عن وجهة نظر شيخ الجامع وللمجلس الموقر حريته التامة في توجيه دفاعه . وليس معنى هذا أني أوافق أو لا أوافق على وجهة النظر هذه ، ولكن من حق المروءة ومن حق الانسانية أنه اذا مسّ شخص أو نوقش شخص في غيبته أن يقوم من يعرض وجهة نظره على الاقل . فان قمت بهذا الواجب فاني مدفوع فيه بعامل الانسانية والمروءة والشعور بأن من واجبي أن أقدم وجهة نظر شخص قوبل بألفاظ قاسية

والذي يؤخذ على فضيلة شيخ الجامع الازهر أنه طلب صرف المبالغ التي طلب صرفها على شؤون المعاهد الدينية في حين أنه تبين من الحساب الذي قدمه للوزارة أنه صرف تلك المبالغ على مؤتمر الخلافة فيؤخذ عليه وقد يكون ذلك (كذا في جريدة السياسة) أنه صرف المبالغ في وجه غير الوجه الذي أثبته في كتابه[1]

أصوات — يبقى معناه إيه ؟

أظن أن لي الحق بصفتي عضواً نائباً على الاقل في هذا المجلس أن ألقي رأيا لاني لم أقصد لهذا الموضوع قبل أن يستوفوا كلامهم ، بل هم الذين طلبوا مني الكلام قبلهم .

يرى فضيلة شيخ الجامع أنه لاتناقض بين تصرفه وبين صيغة طلبه يرى ذلك وقد يكون مخطئاً فيما يراه وقد أكون أول من يخطئه في ذلك لكن هذا لايمنع من أن تعرفوا عقليته (أعضاء يضحكون) قبل أن تحكموا على هذا التصرف حكماً قاسياً:

(١) قد فات الوزير أن الذي كتبه الشيخ لوزارة الاوقاف هو أن المراد صرف المبلغ في بعض الشؤون « السائرة » في المعاهد ، وليس فيه انه يصرف على المعاهد نفسها بل فيه تصريح بعدم دخوله في ميزانيها وهو ظاهر في أنه لا يصرف عليها

إنه يقول ان الخلافة الاسلامية كانت شاغرة وإنه كان يحسن بل يجب ملؤها فكان الواجب أن يتفاهم مع كبار رجال المسلمين في العالم. فهذا اذا كان أنفق مبالغ طلبها للمعاهد الدينية أنفقها للخلافة الاسلامية فانما قام بعمل هو في رأيه من أعمال المعاهد الدينية

فان أنتم دهشتم فاسمحوا لى ان أؤكد لكم انه أيضاً — ولا أدري اذا كان مخطئاً أو مصيباً — قد دهش عند ماسمع انه يتهم بأنه طلب مبالغ اعمل وأنه صرفها في عمل آخر. ولو كنت من شيخ الجامع (كذا في السياسة) اطلبت من وزارة الاوقاف المبلغ بعد أن أخبرها بوضوح وصراحة عن أبواب الصرف حتى لا يقع مثل هذا اللبس الذي نحن فيه الآن. على أن شيخ الجامع لا يكون هو المسئول الاول عن الكتب التي يمضيها وهو شيخ كما تعرفون في سنه وفي مشاغله العديدة وبحكم وظيفته

الدكتور ماهر — ماتطلعوه (المنار: أي أخرجوه من المشيخة)

الوزير — إن كانت صيغة الكتاب جاءت موجزة ايجازاً معيباً أو انها لم تعبر عن أفكار شيخ الجامع فأرجو أن تكتفوا بما شرحته لحضراتكم وأن تكون ماثلة أمام حضراتكم جميع الظروف التي أحاطت بالموضوع

وقبل أن أختم كلامي أصرح أني عند ما كنت عضواً بالوزارة السعدية لم يتصل بعلمي أن ذلك المبلغ كان له علاقة بمؤتمر الخلافة. كما أني أصرح بأني لم أجد في الوزارة مايدل على شيء من هذه العلاقة، ولذلك فان البيانات التى أدليت بها في الجلسة السابقة هي كل البيانات التي أستطيع تقديمها.

بعد ذلك لي كلمة أعتقد من واجبي أن أدلي بها أيضاً وهي خاصة بسؤال حضرة النائب المحترم عما اعتزمته وزارة الاوقاف إزاء شيخ الجامع. يطلب حضرة العضو المحترم مني وأنا وزير الاوقاف أن أحاكم شيخ الجامع على تصرفه، ولكني أنبه حضرته الى أن المعاهد الدينية ليست تابعة لوزارة الاوقاف: ولو سلمت جدلا قبل أي بحث بأن موقف أحد موظفي المعاهد يستوجب مؤاخذته فليس من شأني ولا من اختصاصي ولا في استطاعتى أن أحاكمه تأديبياً لانه ليس من موظفي وزارتي ولانه تابع لسلطة مستقلة. فهذا خارج عن سلطاني واختصاصي وتكليفي به هو تكليفي بالمستحيل.

وأما فيما يختص بالمبلغ وهو الذي لوزارة الاوقاف شأن فيه فقد ثبت لحضراتكم أن وزارة الاوقاف قد تبرعت بهذا المبلغ الى المعاهد الدينية

فوزارة الاوقاف ترى أن صرف المبلغ في مؤتمر الخلافة مخالف لما طلب لأجله وشيخ الجامع يرى انه صرف للغرض الذي طلب من أجله . ولم أتبين وجهاً قانونيا يساعدني على مطالبة شيخ الجامع برد المبلغ مادام له وجهة النظر التي قدمتها .

أعضاء — يضحكون

الوزير — افرضوا ان الوزارة اقتنعت ورفعنا الدعوى وجاء شيخ الجامع وقد ثبت أنه لم يصرف المبلغ في شؤونه الخاصة ولكن في موضوع مادي وجد فعلا هو مؤتمر الخلافة وعلى أي حال فأنا كشخص أعرف شيئا من القانون لا أرى أني في موقف يسمح لي بأن أرفع الدعوى في هذا الموضوع على شيخ الجامع وأن أكون مطمئنا على القضية. اهـ بيان الوزير في المسألة

(المنار) هـذا ماصرح به وزير الاوقاف في مجلس النواب وهو من علماء الحقوق والقوانين فأثبت ان شيخ الازهر رئيس مؤتمر الخلافة لا يؤاخذ قانونا في انفاقه ما أخذه من الاوقاف الخيرية وأنفقه برأيه في شأن مؤتمر الخلافة ، وأن كل مافي الأمر من المؤاخذة خاص بصيغة الطلب وانه يراها لا تخل بغرضه منه، وكل من له إلمام بالمسألة يعلم ان إبهام الطلب وعدم التصريح به هو مما كان من التواطؤ بين وكيل وزارة الاوقاف السابق وبين السكرتير العام للأزهر ولمؤتمر الخلافة ، ولكن بعض النواب لا يعلمون الحقائق وبعضهم لا ينطقون بها . وممن كان يعرفها (الاستاذ الجنيدي) فقال في المجلس ان كتاب شيخ الجامع الأول صدّق عليه في اليوم الذي قدم فيه من وكيل الوزارة - وكان حسن نشأت باشا - فسأل عن وجود المبلغ فأجيب بأنه يوجد فجمع اللجنة الاستشارية فيه وعرض عليها الأمر فوافقت عليه وتقرر صرفه في الحال . . . . وكان هناك نائب حر أشار اليها فقال كلمة حق ننقلها عن جريدة السياسة وان جاءت بها ملخصة فاقدة لبعض قوتها وهي:

الاستاذ فكري أباظه — المسألة خطيرة . والمسألة تستدعي أن تعالج بشيء غير قليل من الصراحة. كلكم تعلمون انه في ذلك الوقت ظنت الحواشي - والحاشية

دائما تصدر منها المصائب ـ ظنت الحاشية ان ارادة سامية كانت تريد الخلافة ، ففي وزارة سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٥ كانت المبالغ تصرف بسرعة وبغير الاجراءات المتبعة في وزارة الاوقاف ، إذن بأي حق وعلى أي أساس من العدل والشريعة نصب جام غضبنا على الشيخ والرءوس باقية لايحاسبها أحد ؟ .

يقول الناس سيعاقبون شيخ الجامع وهم يعلمون أنه كان محركا بقوة لايمكن لمجلس النواب أن يمسها . فماذا فعلتم بالنسبة للوزراء السابقين وقد ارتكبوا من الجرائم ما ارتكبوا ؟ لم تستطيعوا أن تعملوا شيئا لانه لم يكن هناك قانون يسمح بعقابهم

يقول وزير الاوقاف انه بحث الموضوع وهو يرى كشخص يعرف القانون انه لايستطيع مقاضاته فلا تحصروا المسئولية في دائرة ضيقة وضعوا يدكم على المسئول الحقيقي . أنقذوا كرامة المجلس فالناس يعلمون كل التفاصيل إه

(المنار) وكان في الجلسة من عارفي الحقيقة النائب أحمد حافظ عوض بك فارتأى الاكتفاء ببيان معالي وزير الاوقاف ، وكذلك كان . وانتهت هذه الضجة التي كانت مما يحزن المسلمين ويسر الملحدين وأن باؤا بالخيبة وسوء الخاتمة

﴿ صاحب المنار وجريدة السياسة ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما بلغنا من قول رئيس تحرير السياسة انه لا بد من قتل صاحب المنار . ذكرناه تعجباً من غروره وتمهيداً لاثبات سوء نيته فيما سيكتبه ويعده قاتلا ، واذا به قد كتب مقالة في جريدة السياسة اليومية بقلمه ثم استكتب بعض أجرائه مقالا آخر في مرآة السياسة الاسبوعية صورت آدابهما أوضح تصوير وأدقه ، : قذع بأفحش الهجو الشعري وجرأة على البهتان الصريح وقلب الحقائق استغربهما الناس من السياسة بعد أن انتشرت وصارت تقرأ وقد بعد عهدهم بما سبق لها من هذا النحو أيام كانت تحمل أمثال هذه الحملات على الرئيس الجليل سعد باشا زغلول لامتهان الأمة لها ولحزبها الحر الدستوري المشاق له وللوفد المصري حتى إنه قلما كان يوجد من يقرؤها . ولكن حنق رئيس تحريرها وبعض مرءوسيه على صاحب المنار أعاهو في شيء لايمس أرزاقهم ولا رواج جريدتهم فما باله حملهم على قذع وبهتان أشد من كل ما عهد منهم ومن غيرهم من أصحاب الجرائد التي يلقبونها

بالساقطة ، حتى أجمع كل من اطلع عليه من العارفين ولاسيما رجال القانون اننا اذا حاكمنا الكاتبين عليه يحكم عليهما بالعقاب قطعاً لأنه لا يمكن أن يعتذر عنه بأنه خلاف علمي أو سياسي أو غير ذلك من أنواع الخلاف الذي يؤيد فيه كل فريق رأيه

ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبهما وبين الوفد المصري وهو ان المنار داعية الدين الاسلامي والمدافع عنه، والسياسة تقوم بدعاية إلحادية تريد أن تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطتين الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتجديد ، ولكن ليس في شيء من المقالتين تخطئة للمنار في شيء من رأيه في ذلك ولا دفاع عن ثقافتها وتجديدها، وانما كله بهت في مثالب شخصية مختلقة كزعمهما ان صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة ولا مذهب فتارة يكون مسلماً سنياً أو شيعياً أو وهابياً وتارة بوذيا أو برهمياً وتارة ملحداً !! وما أشبه هذا

لعل جريدة السياسة تريد أن تستدرجنا بهذا الى منازلتها في هذا الميدان الذي تعلم علم اليقين أننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المبرزين ينهزمون أمامها فيه ، وقد سبق لنا أن قلنا في تفسير قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) إن الجرائد البذيئة في هذا العصر قد بذت الشعراء الهجائين في العصور الخالية فيجب الاعراض عنها، واذا نحن عاتبنا أو عتبنا على أحد في هذا المقام فانما نعتب على الحزب الحر الدستوري الذي جعل أمثال هؤلاء الكتاب لسان حاله ومحررين لجريدته، فهو المسؤول عن قذعهم وبذاءهم وعن إلحادهم أيضاً فان كنا لا نعرف رأى زعمائه كلهم أو أكثرهم في الأمر الثاني فاننا نجزم بنزاهتهم كلهم عن الأول، ومن يمتري في آداب عدلي باشا وثروت باشا والدكتور حافظ بك عفيفي الخ

ثم إن الأحزاب لابد لها من جرائد تنشر دعوتها وتحمي حماها ولو بالطعن الشخصي فى خصومها كما كانت القبائل تختار لها شاعراً هجاءاً يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم، وكان خصوم القبيلة يهجونها في جملتها دون سفيهها عملا بقول الشاعر:

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل بلاء الناس من رابط الكلب

ونحن لم نكن من خصوم الحزب الدستوري ولا هجونا رجلا من زعمائه ولا من دهمائه وما كان الهجو والثلب من شأننا . ولو كانت السياسة ترد على ماننشره من تفنيد بعض نشرياتها الالحادية عملا بحرية الرأي والنشر الذى تدافع به عن الكتب الالحادية ككتب علي عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هذه الحرية لما شكوناها الى حزبها ولا لامها أحد فان هذا التباين بيننا لا يمكن السكوت عليه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ ١١ برج السرطان سنة ١٣٠٦ هـ ش ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

فصل

والذين لم يكرهوا أن يصلي المسافر أربعا ظنوا أن النبي ﷺ فعل ذلك أو فعله بعض أصحابه على عهده فاقره عليه ، وظنوا أن صلاة المسافر ركعتين وأربعا بمنزلة الصوم والفطر في رمضان. وقد استفاضت الاحاديث الصحيحة بأنهم كانوا يسافرون مع النبي ﷺ فمنهم الصائم ومنهم المفطر وهذا مما اتفق أهل العلم على صحته. وأما ما ذكروه من التربيع فحسبه بعض اهل العلم صحيحا وبذلك استدل الشافعي وبعض اصحاب أحمد قال الشافعي لما ذكر قول النبي ﷺ «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» فدل على ان القصر في السفر بلا خوف صدقة من الله والصدقة رخصة لا حتم من الله ان يقصر. ودل على ان يقصر في السفر بلا خوف ان شاء المسافر أن عائشة قالت كل ذلك فعل رسول الله ﷺ اتم في السفر وقصر (قلت) وهذا الحديث رواه الدارقطني وغيره من حديث ابي عاصم حدثنا عمر بن سعيد عن عطاء بن ابي رباح عن عائشة ان النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم ويفطر ويصوم. قال الدارقطني هذا اسناد صحيح، قال البيهقي ولهذا شاهد من حديث دلهم بن صالح والمغيرة بن زياد وطلحة بن عمرو وكلهم ضعيف

وروي حديث دلهم من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا دلهم بن صالح الكندي عن عطاء عن عائشة قالت كنا نصلي مع النبي ﷺ اذا خرجنا الى مكة اربعا حتى نرجع . وروى حديث المغيرة وهو أشهرها عن عطاء عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم وروي حديث طلحة ابن عمر عن عطاء عن عائشة قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قد اتم وقصر، وصام في السفر وافطر قال البيهقي وقد قال عمر بن ذر ـ كوفي ثقة أخبرنا عطاء بن أبي رباح ان عائشة كانت تصلي في السفر المكتوبة أربعا وروى ذلك باسناده ثم قال وهو كالموافق لرواية دلهم بن صالح وان كان في رواية دلهم زيادة سند (قلت) أما ما رواه الثقة عن عطاء عن عائشة من أنها كانت تصلي اربعا فهذا ثابت عن عائشة معروف عنها من رواية عروة وغيره عن عائشة واذا كان انما اسنده هؤلاء الضعفاء والثقاة وثقوه على عائشة دل ذلك على ضعف المسند ولم يكن ذلك شاهدا للمسند

قال ابن حزم في هذا الحديث: انفرد به المغيرة بن زياد ولم يروه غيره وقد قال فيه احمد بن حنبل ضعيف، كل حديث اسنده منكر (قلت) فقد روي من غير طريقه لكنه ضعيف أيضا وقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه سئل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر . وهو كما قال الامام أحمد ، وان كان طائفة من أصحابه قد احتجوا به موافقة لمن احتج به كالشافعي ولا ريب أن هذا حديث مكذوب على النبي ﷺ مع أن من النـاس من يقول لفظه كان يقصر فى السفر وتتم ، ويفطر وتصوم . يعني انها هي التي كانت تتم وتصوم وهذا أشبه بما روي عنها من غير هذا الوجه من أنه كذب عليها أيضا

قال البيهقي : وله شاهد قوي باسناد صحيح وروي من طريق الدارقطني من طريق محمد بن يوسف حدثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان فأفطر رسول الله ﷺ وصمت وقصر واتممت، فقلت يارسول الله بابي انت وأمي أفطرت وصمت ، وقصرت وأتممت قال «أحسنت ياعائشة» ورواه البيهقي من طريق آخر عن القاسم بن الحكم ثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة لم يذكر اباه قال الدارقطني الاول متصل وهو اسناد حسن وعبد الرحمن قد ادرك عائشة فدخل عليها وهو مراهق . ورواه البيهقي من وجه ثالث من حديث أبي بكر النيسابوري ثنا عباس الدوري ثنا أبو نعيم حدثنا العلاء بن زهير ثنا عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت قالت: يارسول الله بأبي أنت وأمي قصرتَ وأتممت وأفطرت وصمت فقال «أحسنت يا عائشة» وما عاب علي. قال أبو بكر النيسابوري هكذا قال أبو نعيم عن عبد الرحمن عن عائشة، ومن قال عن أبيه في هذا الحديث فقد أخطأ

(قلت) أبو بكر النيسابوري امام في الفقه والحديث ، وكان له عناية بالاحاديث الفقهية وما فيها من اختلاف الالفاظ وهو أقرب الى طريقة أهل الحديث والعلم التي لا تعصب فيها لقول أحد من الفقهاء مثل أئمة الحديث المشهورين ولهذا رجح هذه الطريق وكذلك اهل السنن المشهورة لم يروه احد منهم الا النسائي ولفظه عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت قالت يا رسول الله بأبي انت وأمي

قصرت وأتممت وافطرت وصمت فقال «أحسنت ياعائشة » وما عاب علي وهذا بخلاف من قد يقصد نصر قول شخص معين فتنطق له من الادلة ما لو خلا عن ذلك القصد لم يتكلفه ولحكم ببطلانها

والصواب ماقاله ابو بكر وهو أن هذا الحديث ليس بمتصل وعبد الرحمن انما دخل على عائشة وهو صبي ولم يضبط ماقالته وقال فيه ابو محمد بن حزم هذا الحديث تفرد به العلاء بن زهير الازدي لم يروه غيره وهو مجهول وهذا الحديث خطأ قطعاً فانه قال فيه انها خرجت مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان ومعلوم باتفاق أهل العلم ان رسول الله ﷺ لم يعتمر في رمضان قط ولا خرج من المدينة في عمرة في رمضان بل ولا خرج الى مكة في رمضان قط الا عام الفتح فانه كان حينئذ مسافراً في رمضان وفتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان باتفاق أهل العلم وفي ذلك السفر كان أصحابه منهم الصائم ومنهم المفطر فلم يكن يصلي بهم الا ركعتين ولا نقل احد من أصحابه عنه انه صلى في السفر أربعا والحديث المتقدم خطأ كما سنبينه ان شاء الله تعالى ، وعام فتح مكة لم يعتمر ، بل ثبت بالنقول المستفيضة التي اتفق عليها اهل العلم به انه انما اعتمر بعد الهجرة اربع عمر منها ثلاث في ذي القعدة ، والرابعة مع حجته : عمرة الحديبية لما صده المشركون فحل بالحديبية بالاحصار ولم يدخل مكة ، وكانت في ذي القعدة . ثم اعتمر في العام القابل عمرة القضية ، وكانت في ذي القعدة ايضا ، ثم لما قسم غنائم حنين بالجعرانة اعتمر من الجعرانة ، وكانت عمرته في ذى القعدة أيضا ، والرابعة مع حجته ، ولم يعتمر بعد حجه لا هو ولا احد ممن حج

معه الا عائشة لما كانت قد حاضت وامرها أن تهل بالحج ، ثم اعمرها مع أخيها عبد الرحمن من التنعيم . ولهذا قيل لما بني هناك من المساجد مساجد عائشة فانه لم يعتمر احد من الصحابة على عهد النبي ﷺ لا قبل الفتح ولا بعده عمرة من مكة الا عائشة . فهذا كله مما تواترت به الاحاديث الصحيحة مثل ما في الصحيحين عن انس ان رسول الله ﷺ اعتمر اربع عمر كلهن في ذى القعدة الا التى مع حجه : عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة في ذى القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ مسلم . ولفظ البخارى اعتمر اربعا عمرة الحديبية في ذى القعدة حيث صده المشركون ، وعمرة في العام المقبل في ذى القعدة حيث صالحهم ، وعمرة حنين من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته

وفي الصحيحين عن البرآء بن عازب قال اعتمر رسول الله ﷺ في ذى القعدة قبل ان يحج مرتين . وهذا لفظ البخاري . وأراد بذلك العمرة التى اتمها وهي عمرة القضية والجعرانة . وأما الحديبية فلم يمكن اتمامها بل كان منحصرا لما صده المشركون وفيها أنزل الله آية الحصار باتفاق أهل العلم وقد ثبت في الصحيح عن عائشة لما قيل لها إن ابن عمر قال ان رسول الله ﷺ اعتمر في رجب فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ الا وهو معه وما اعتمر في رجب قط ما اعتمر الا وهو معه وفي رواية عن عائشة قالت لم يعتمر رسول الله ﷺ الا في ذي القعدة وكذلك عن ابن عباس رواهما ابن ماجه وقد روى ابو داود عنها قالت اعتمر رسول الله ﷺ عمرتين عمرة في ذي القعدة

وعمرة في شوال . وهذا ان كان ثابتا عنها فلعله ابتداء سفره كان في شوال ولم تقل قط انه اعتمر في رمضان فعلم أن ذلك خطأ محض

واذا ثبت بالاحاديث الصحيحة أنه لم يعتمر الا في ذي القعدة وثبت أيضا أنه لم يسافر من المدينه الى مكة ودخلها الا ثلاث مرات عمرة القضية ثم غزوة الفتح ثم حجة الوداع وهذا مما لا يتنازع فيه اهل العلم بالحديث والسيرة وأحوال رسول الله ﷺ ولم يسافر في رمضان الى مكة الا غزوة الفتح كان كل من هذين دليلا قاطعا على ان هذا الحديث الذي فيه انها اعتمرت معه في رمضان وقالت أتممت وصمت فقال احسنت خطأ محض. فعلم قطعا أنه باطل لا يجوز لمن علم حاله ان يرويه عن النبي ﷺ لقوله « من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولكن من حدث من العلماء الذين لا يستحلون هذا فلم يعلموا أنه كذب

فان قيل فيكون قوله في رمضان خطأ وسائر الحديث يمكن صدقه قيل بل جميع طرقه تدل على أن ذلك كان في رمضان لانها قالت قلت أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال احسنت يا عائشة وهذا انما يقال في الصوم الواجب . واما السفر في غير رمضان فلا يذكر فيه مثل هذا لانه معلوم أن الفطر فيه جائز . وأيضا فقد روى البيهقي وغيره بالاسناد الثابت عن الشعبي عن عائشة انها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين الا المغرب ففرضت ثلاثا فكان رسول الله ﷺ اذا سافر صلى الصلاة الاولى واذا أقام زاد مع كل ركعتين ركعتين الا المغرب لانها وتر والصبح لانها تطول فيها القراءة . فقد أخبرت عائشة أنه كان اذا سافر صلى الصلاة الاولى ركعتين ركعتين فلو كان تارة يصلي أربعا لاخبرت

بذلك وهذا يناقض تلك الرواية المكذوبة على عائشة . وأيضا فعائشة كانت حديثة السن على عهد النبي ﷺ فان النبي ﷺ مات وعمرها أقل من عشرين سنة فانه لما بنى بها بالمدينة كان لها تسع سنين وانما أقام بالمدينة عشرا فاذا كان قد بنى بها في اول الهجرة كان عمرها قريبا من عشرين ولو قدر أنه بنى بها بعد ذلك لكان عمرها حينئذ أقل . وأيضا فلو كانت كبيرة فهي انما تتعلم الاسلام وشرائعه من النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يتصور أن تصوم وتصلي معه في السفر خلاف ما يفعله هو وسائر المسلمين وسائر ازواجه ولا تخبره بذلك حتى تصل الى مكة؟ هل يظن مثل هذا بعائشة أم المؤمنين؟ وما بالها فعلت هذا في هذه السفرة دون سائر أسفارها معه؟ وكيف تطيب نفسها بخلافه من غير استئذانه وقد ثبت عنها في الصحيحين بالاسانيد الثابتة باتفاق أهل العلم أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة . وهذا من رواية الزهرى عن عروة عن عائشة ورواية اصحابه الثقات ومن رواية صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة يرويه مثل ربيعة ومن رواية الشعبي عن عائشة . وهذا مما اتفق أهل العلم بالحديث على أنه صحيح ثابت عن عائشة فكيف تقدم مع رسول الله ﷺ علي أن تصلي في السفر قبل أن تستأذنه وهى تراه والمسلمين معه لا يصلون الا ركعتين . وأيضا فهي لما أتمت الصلاة بعد موت النبي ﷺ لم يحتج بانها فعلت ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا ذكر ذلك اخبر الناس بها عروة ابن أختها بل اعتذرت بعذر من جهة الاجتهاد كما رواه النيسابورى والبيهقي وغيرهما بالاسانيد الثابتة عن وهب

ابن جرير ثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها كانت تصلي في السفر أربعا فقلت لها لو صليت ركعتين فقالت يا ابن أخي انه لا يشق عليّ .

وأيضا فالحديث الثابت عن صالح بن كيسان أن عروة بن الزبير حدثه عن عائشة أن الصلاة حين فرضت كانت ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر على ركعتين واتمت في الحضر اربعا . قال صالح فاخبر بها عمر بن عبد العزيز فقال : إن عروة أخبرني أن عائشة تصلي أربع ركعات في السفر قال فوجدت عروة يوما عنده فقلت كيف اخبرتني عن عائشة فحدث بما حدثني به . فقال عمر أليس حدثتني أنها كانت تصلي أربعا في السفر قال بلى . وفي الصحيحين عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر واقرت صلاة السفر . قال الزهري . قلت فما شأن عائشة كانت تتم الصلاة؟ قال انها تأولت كما تأول عثمان. فهذا عروة يروي عنها أنها اعتذرت عن اتمامها بانها قالت لا يشق عليّ ، وقال انها تأولت كما تأول عثمان . فدل ذلك على أن اتمامها كان بتأويل من اجتهادها ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حسن لها الاتمام او كان هو قد اتم لكانت قد فعلت ذلك اتباعا لسنة رسول الله ﷺ وكذلك عثمان ولم يكن ذلك مما يتأول بالاجتهاد

ثم ان هذا الحديث اقوى ما اعتمد عليه من الحديث من قال بالاتمام في السفر وقد عرف انه باطل فكيف بما هو ابطل منه وهو كون النبي ﷺ كان يتم في السفر ويقصر ، وهذا خلاف المعلوم بالتواتر من سنته التى اتفق عليها اصحابه نقلا عنه وتبليغا الى امته . لم ينقل عنه قط احد من اصحابه انه صلى في

السفر اربعا بل تواترت الاحاديث عنهم انه كان يصلي في السفر ركعتين هو واصحابه

والحديث الذي يرويه زيد العمي عن انس بن مالك قال: انا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نسافر فمنا الصائم ومنا المفطر، ومنا المتم ومنا المقصر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المتم على المقصر. هو كذب بلا ريب وزيد العمي ممن اتفق العلماء على انه متروك والثابت عن انس انما هو في الصوم. ومما يبين ذلك انهم في السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يصلون فرادى بل كانوا يصلون بصلاته بخلاف الصوم فان الانسان قد يصوم وقد يفطر فهذا الحديث من الكذب، وان كان البيهقي روى هذا فهذا مما انكر عليه ورآه اهل العلم لا يستوفي الآثار التي لمخالفيه كما يستوفي الآثار التي له، وانه يحتج بآثار لو احتج بها مخالفوه لاظهر ضعفها وقدح فيها، وانما اوقعه في هذا مع علمه ودينه ما اوقع امثاله ممن يريد ان يجعل آثار النبي صلى الله عليه وسلم موافقة لقول واحد من العلماء دون آخر فمن سلك هذه السبيل دحضت حججه وظهر عليه نوع من التعصب بغير الحق كما يفعل ذلك من يجمع الآثار ويتأولها في كثير من المواضع بتأويلات يبين فسادها ليوافق القول الذي ينصره كما يفعله صاحب شرح الآثار ابو جعفر مع انه يروي من الآثار اكثر مما يروي البيهقي لكن البيهقي ينقي الآثار ويميز بين صحيحها وسقيمها اكثر من الطحاوي

والحديث الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يقصر ويتم ويفطر ويصوم قد قيل انه مصحف وانما لفظه كان يقصر وتتم هي بالتاء ويفطر وتصوم هي ليكون معنى هذا الحديث معنى الحديث الآخر الذي اسناده

امثل منه فانه معروف عن عبد الرحمن بن الاسود لكنه لم يحفظ عن عائشة. واما نقل هذا الآخر عن عطاء فغلط على عطاء قطعا وانما الثابت عن عطاء ان عائشة كانت تصلي في السفر اربعا كما رواه غيره، ولو كان عند عائشة عن النبي ﷺ في ذلك سنة لكانت تحتج بها، ولو كان ذلك معروفا من فعله لم تكن عائشة اعلم بذلك من اصحابه الرجال الذين كانوا يصلون خلفه دائما في السفر فان هذا ليس مما تكون عائشة اعلم به من غيرها من الرجال كقيامه بالليل واغتساله من الاكسال فضلا عن ان تكون مختصة بعلمه، بل امور السفر اصحابه اعلم بحاله فيها من عائشة لانها لم تكن تخرج معه في كل اسفاره فانه قد ثبت في الصحيح عنها انها قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايهن خرج سهمها خرج بها معه. فانما كان يسافر بها احيانا وكانت تكون مخدرة في خدرها وقد ثبت عنها في الصحيح انها لما سألها شريح بن هاني عن المسح على الخفين قالت سل عليا فانه كان يسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم هذا والمسح على الخفين امر قد يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في منزله في السفر فتراه دون الرجال بخلاف الصلاة المكتوبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليها في الحضر ولا في السفر الا اماما باصحابه، الا ان يكون له عذر من مرض او غيبة لحاجة كما غاب يوم ذهب ليصلح بين أهل قباء وكما غاب في السفر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلي بهم الصبح . ولما حضر النبي ﷺ حسن ذلك وصوبه . واذا كان الاتمام انما كان والرجال يصلون خلفه فهذا مما يعلمه الرجال قطعا وهو مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فان ذلك مخالف لعادته في عامة اسفاره فلو فعله احيانا لتوفرت هممهم ودواعيهم

على نقله كما نقلوا عنه المسح على الخفين لما فعله، وان كان الغالب عليه الوضوء وكما نقلوا عنه الجمع بين الصلاتين احيانا، وان كان الغالب عليه ان يصلي كل صلاة في وقتها الخاص، مع أن مخالفة لسنته اظهر من مخالفة بعض الوقت لبعض فان الناس لا يشعرون بمرور الاوقات كما يشعرون بما يشاهدونه من اختلاف العذر فان هذا امر يرى بالعين لا يحتاج الى تأمل واستدلال بخلاف خروج وقت الظهر وخروج وقت المغرب فانه يحتاج الى تأمل. ولهذا ذهب طائفة من العلماء الى ان جمعه انما كان في غير عرفة ومزدلفة بان يقدم الثانية ويؤخر الاولى الى آخر وقتها، وقد روي أنه كان يجمع كذلك فهذا مما يقع فيه شبهة بخلاف الصلاة اربعا لو فعل ذلك في السفر فان هذا لم يكن يقع فيه شبهة ولا نزاع، بل كان ينقله المسلمون ومن جوز عليه ان يصلي في السفر اربعا — ولا ينقله احد من الصحابة، ولا يعرف قط الا من رواية واحد مضعف عن آخر عن عائشة، والروايات الثابتة عن عائشة لا توافقه بل تخالفه — فانه لو روي له باسناد من هذا الجنس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الفجر مرة اربعا لصدق ذلك، ومثل هذا ينبغي ان يصدق بكل الاخبار التي من هذا الجنس التي ينفرد فيه الواحد، مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ويعلم انه لو كان حقا لكان ينقل ويستفيض. وهذا في الضعف مثل ان ينقل عنه انه قال لاهل مكة بعرفة ومزدلفة ومنى، « اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » وينقل ذلك عن عمر ولا ينقل الا من طريق ضعيف، مع العلم بان ذلك لو كان حقا لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله. وذلك مثل ما روى ابو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي نضرة قال: سأل سائل عمران بن الحصين

عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فقال : ان هذا الفتى يسألني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر، فاحفظوهن عني :ما سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً قط ، الا صلى ركعتين حتي يرجع . وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف فكان يصلى ركعتين ،ثم حججت معه واعتمرت فصلى ركعتين؛ ثم قال « ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » ثم حججت مع ابي بكر واعتمرت فصلى ركعتين ركعتين، ثم قال «ياأهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر »ثم حججت مع عمر واعتمرت فصلى ركعتين وقال: اتموا صلاتكم فانا قوم سفر. ثم حججت مع عثمان واعتمرت ، فصلى ركعتين ركعتين؛ ثم ان عثمان أتم ؛فما ذكره في هذا الحديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في السفر قط الا ركعتين ، هو مما اتفقت عليه سائر الروايات،فان جميع الصحابة انما نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى في السفر ركعتين

واما ما ذكره من قوله « ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر» فهذا مما قاله بمكة عام الفتح ،لم يقله في حجته ،وانما هذا غلط وقع في هذه الرواية. وقد روى هذا الحديث ابراهيم بن حميد بن حماد باسناده، رواه البيهقي من طريقه ولفظه : ماسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً إلا صلى ركعتين، حتي يرجع ويقول «ياأهل مكة قوموا فصلوا ركعتين فانا قوم سفر» وغزا الطائف وحنين،فصلى ركعتين واتى الجعرّانة فاعتمر منها ،وحججت مع ابي بكر واعتمرت، فكان يصلى ركتين،وحججت مع عمر بن الخطاب، فكان يصلي ركتين،فلم يذكر قوله إلا عام الفتح، قبل

غزوة حنين والطائف ، ولم يذكر ذلك عن ابي بكر وعمر ، وقد رواه ابو داود في سننه صريحا من حديث ابن علية : حدثنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن عمران بن حصين قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ،فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة يصلي ركعتين يقول «ياأهل البلد صلوا اربعا فانا قوم سفر» وهذا انما كان في غزوة الفتح في نفس مكة لم يكن بمنى، وكذلك الثابت عن عمر انه صلى باهل مكة في الحج ركعتين ،ثم قال عمر بعد ما سلم : اتموا الصلاة يا أهل مكة فانا قوم سفر:

هذا ومما يبين ذلك ان هذا لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم احد من الصحابة، لا ممن نقل صلاته ،ولا ممن نقل نسكه وحجه مع توفر الهمم والدواعي على نقله ،مع ان ائمة فقهاء الحرمين كانوا يقولون ان المكيين يقصرون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى؛ أفيكون كان معروفا عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك؟ ام كانوا جهالا بمثل هذا الامر الذي يشيع ولا يجهله احد ممن حج مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي الصحيحين عن حارثة بن خزاعة قال : صلينا مع النبي ﷺ بمنى أكثر ما كنا وآمنه ركعتين . حارثة هذا خزاعي وخزاعة منزلها حول مكة

وفي الصحيحين عن عبدالله بن زيد قال، صلى بنا عثمان بمنى اربع ركعات ، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع وقال صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين ،وصليت مع ابي بكر بمنى ركعتين،و صليت مع عمر بمنى ركعتين ؛فليت حظي من اربع ركعات ركعتين متقبلتين ،

واتمام عثمان رضي الله عنه قد قيل انه كان لانه تأهل بمكة،فصار مقيما، وفي المسند عن عبد الرحمن بن ابي ذآب ، ان عثمان صلى بمنى اربع ركعات،فانكر

الناس عليه فقال: ياايها الناس اني تأهلت بمكة منذ قدمت، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من تأهل في بلد فليصل صلاة مقيم» بمكة ثلاثة ايام ويقصر الرابعة» فانه يقصر كما فعل النبي ﷺ وهو لا يمكنه ان يقيم بها اكثر من ذلك؛ فان عثمان كان من المهاجرين، وكان المقام بمكة حراما عليهم

وفي الصحيحين، ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمهاجر أن يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا، وكان عثمان اذا اعتمر يأمر براحلته، فتهيأ له فيركب عليها عقب العمرة؛ لئلا يقيم بمكة فكيف يتصور أنه يعتقد أنه صار مستوطنا بمكة إلا إن يقال أنه جعل التأهل اقامة لا استيطانا، فيقال معلوم أن من اقام بمكة ثلاثة ايام، فانه يقصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يمكنه ان يقيم بها اكثر من ذلك، لكن قد يكون نفس التأهل مانعا من القصر؛ وهذا ايضا بعيد فان اهل مكة كانوا يقصرون خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه بمنى، وايضا فالامراء بعد عثمان من بني أمية كانوا يتمون اقتداء به؛ ولو كان عذره مختصا به لم يفعلوا ذلك؛ وقيل انه خشي أن الاعراب يظنون ان الصلاة اربع وهذا ايضا ضعيف، فان الاعراب كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اجهل منهم في زمن عثمان، ولم يتمم الصلاة وايضا فهم يرون صلاة المسلمين في المقام اربع ركعات، وايضا فظنهم ان السنة في صلاة المسافر اربع خطأ منهم، فلا يسوغ مخالفة السنة ليحصل بالمخالفة ماهو بمثل ذلك، وعروة قد قال ان عائشة تأولت كما تأول عثمان، وعائشة اخبرت ان الاتمام لا يشق عليها. (١)

(١) سبق مثل هذا الكلام أيضا في الصفحة ٤٢ من هذا الكتاب فانظره

ان يكون ذلك كما رآه من رآه لاجل شقة السفر ، ورأوا ان الدنيا لما اتسعت عليهم لم يحصل لهم من المشقة ما كان يحصل على من كان صلى اربعا ، كما قد جاء عن عثمان من نهيه عن المتعة التي هي الفسخ ، ان ذلك كان لاجل حاجتهم ، إذ ذاك الي هذه المتعة فتلك الحاجة قد زالت

﴿ تمت ﴾

جاء في آخر النسخة التي طبعنا عنها هذه الرسالة ما نصه :

هذا آخر ما وجدته من هذه القاعدة الجليلة ، للشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان المنقول عنها يقول كاتبها انه نقلها من نسخة بخط ابن القيم رحمهم الله وقد وقع الفراغ غداة يوم الجمعة ٨ صفر سنة ١٣٤١ في المدرسة الداودية من بغداد المحمية ، وأنا الفقير عبد الكريم بن السيد عباس الازجي والحمد لله رب العالمين



مسألة القبور والمشاهد عند الشيعة

﴿ مناظرة بين عالم شيعي وعالم سني ﴾

من المعلوم في كتب التاريخ أن رفع بناء قبور آل البيت وغيرهم من الصالحين وبناء القباب عليها وإيقاد السرج والقناديل فيها وجعلها مساجد يصلى فيها وشعائر يحج إليها خلافا للأحاديث الصحيحة الزاجرة عن ذلك لعمل الصدر الأول - كل ذلك مما ابتدعه الشيعة الباطنية والظاهرية وقلدهم فيه بعض المنتسبين إلى السنة من الملوك والسلاطين الجاهلين ولا سيما الأعاجم منهم كالجراكسة والترك ومن مشايخ الطرق الصوفية

ويعلم قراء المنار أننا منذ أنشأناه في أواخر سنة ١٣١٥ إلى الآن ونحن ننكر هذه البدع ونشنع على أهلها في مصر وغيرها من غير تعرض لذكر الشيعة لأن هؤلاء أشد الفرق الإسلامية تعصباً وجدلا فتوجيه الكلام إليهم قلما يفيد إلا زيادة الشقاق الذي نسعى لإحالته وفاقا، ولكن نشرنا في المجلد الثاني والمجلد الثالث عشر من المنار رسالتين لسائحين من أهل العلم ﴿ أولاهما ﴾ عن حال العراق تعرض فيها لدعاة الشيعة هنالك وذكر مسألة المتعة ﴿ والثانية ﴾ من البحرين بحث فيها مرسلها في مسألة القبور والمشاهد في مذهب الشيعة فما زلنا نسمع الطعن في المنار من أجل نشرهما قولا وكتابة، وقد ألف بعض علمائهم في سورية كتابا سماه ﴿ الشيعة والمنار ﴾ فعرقل المتعصبون منهم جهادنا في سبيل التأليف بينهم وبين أهل السنة

وجملة القول أن بعض علمائهم المتعصبين جعلوا المنار خصما للشيعة ولو اشتغلنا بالرد والإنكار على الشيعة عشر معشار اشتغالنا بالبدع المنتشرة في البلاد التي يعد أهلها من متبعي السنة لقضينا كل عمرنا في الجدل الذي يبغضه الله تعالى ويبغض أهله

وكنا نود أن نرى كتابة لبعض علمائهم المعاصرين يبين فيه أدلتهم في هذه المسألة ولا نعثر عليها حتى زارنا في هذا الشهر عالم سني كان في العراق وقعت بينه وبين أحد علماء الشيعة مناظرة شفاهية فيها تلتها مناظرة قلمية اطلعنا عليها فاستأذناه في نسخها ونشرها فأذن لنا، وهي مبنية على الرسالة الثانية من الرسالتين اللتين أشرنا إليهما آنفاً . ونبدأ بنشر ما كتبه العالم الشيعي وهو الأستاذ الشهير (سيد مهدي الكاظمي القزويني) ثم نقفي عليها برد العالم السني وهو ﴿ الأستاذ الشيخ محمد ابن عبد القادر الهلالي ﴾ ولكننا نعلق في الحواشي بعض الفوائد قبل الاطلاع على الرد كله ونشره

﴿ المنار ﴾

رسالة العالم الشيعي (*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته الطاهرين؛ وعلى صحبه المنتخبين (١) وعلى التابعين لهم باحسان

ثم تحية وسلام على جناب العالم الفاضل الشيخ محمد بن عبد القادر الهلالي سلمه الله تعالى ووفقه معنا وسائر المؤمنين لما يرضيه

اما بعد فقد تناولنا بكمال الاحترام كتابكم الكريم المؤرخ لاربع خلون من شعبان وسبرنا ما اوعزتم اليه مما نشره المنار عن أحد مكاتبيه في الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر في صفحة ٣١١ وتلقينا سؤالكم عن الحقيقه بتمام السرور والانشراح رغبة بكشف الالتباس ورفعا لسوء التفاهم بين المسلمين ، ولذا تتبعنا كلام المكاتب فقرة فقرة وان استلزم ذلك طولا في البحث لكنكم ستسامحوننا عليه إن شاء الله تعالى

قال المكاتب: والعجب من علمائهم ـ يعني الشيعة ـ انه لا يوجد كتاب من فقههم الا وفيه لا يجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها وبناء المساجد

*) ننشر الرسالة بنصها على غلط ما فيها

(١) من عادة علماء الشيعة أنهم لا يذكرون الصحابة في مثل هذا المقام الا مع وصف يقيدون به الصلاة او السلام او الرضي به ، والمنتخبون هنا هم الذين يعدونهم من شيعة علي (رض) على ان الذين يزعمون انهم ارتدوا منهم والذين يجزمون بأن اسلامهم كان رياء كأبي سفيان ومعاوية لا يدخلون في عموم الصحابة ان صح ذلك عنهم لان شرط صفة الصحابي عند أهل السنة ان يجتمع بالنبي (ص) مؤمنا به ويموت على ذلك وهم اولى بهذا الاشتراط

عليها ثم لا نرى منهم منكر الذلك بل يعدونه من افضل القربات انتهى

نقول كان على المكاتب ان يذكر على الاقل كتابا واحدا من كتب الشيعة في الفقه مصرحا فيه بعدم جواز هذه الامور ليكون شاهدا على صدقه فيما ادعاه، وأنى له بذلك وهذه كتب الشيعة منتشرة في غاية الكثرة لم نجد في واحد منها ما نسبه اليهم

قال المكاتب استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في اواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لا يجوز انتهى

نقول سبحانك اللهم مغفرة وعفوا، وعجبا من مدعي العلم كيف يحرف الكلام عن مواضعه ولم ينقله على وجهه، ان نص عبارة كتاب الجواهر هكذا: وللمفرغ (يعني المحقق الحلي المتوفى سنة ست وسبعين وستمائه مصنف كتاب شرائع الاسلام في الفقه وهو المتن الذي شرحه الشيخ محمد حسن النجفي وسمى شرحه جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام) من الكلام في المسنونات شرع في الكلام في المكروهات فمنها «انه يكره فرش القبر بالساج الا لضرورة» ثم ذكر جملة من المكروهات الى ان قال « ومنها تجصيص القبور » هذا نفس المتن فهل يتوهم احد من هذه العبارة عدم جواز البناء على القبور بعد تصريح المصنف بانه يكره تجصيصها؟ حاشا وكلا

ثم ان صاحب الجواهر بعد ان ذكر المتن المزبور اخذ يستدل على كراهة التجصيص ومن جملة ما استدل به الحديث المروي عن علي بن جعفر (ع) قال سألت ابا الحسن موسى - يعني الكاظم (ع) عن البناء على القبر والجلوس عليه هل يصلح ؟ قال لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه

اما وجه الاستدلال به على كراهة التجصيص فهو ان الجلوس على القبر ليس بمحرم عندنا فتكون سائر الامور المذكورة معه ليست محرمة للزوم تساوي المتعاطفات في الحكم[1] فقوله (ع) لا يصلح انما يريد به الكراهة لا التحريم بقرينه ذكر الجلوس الذى ليس بحرام . ولكن مكاتب المنار لم يذكر من الحديث الا قوله لا يصلح البناء على القبر واسقط منه الباقي ليوهم القارئ أن الحديث دال على التحريم ولا شك ان اسقاط بعض الحديث خيانة في النقل ،على ان لفظ الحديث «لا يصلح» وهو بنفسه لا يدل على التحريم لان نفي الصلاح في شيء لا يستلزم ثبوت الفساد فيه ،فلا تحريم اذن

ثم قال صاحب الجواهر وربما يشعر بكراهة التجصيص قول الصادق (ع) كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت. وهذا الحديث لا دخل له بموضوع المسئلة لان المفهوم منه كراهة ان يهال على الميت من غير تراب القبر فالصادق (ع) كانه قال لا يهال على القبر الا التراب الذى استخرج من نفس القبر عند حفره ولا يؤتى بشيء من غيره فيوضع في القبر[2] الا انه يمكن ان يفهم منه كراهة تجصيصه

(١) المنار : انما يصح هذا الاستدلال اذا كان ما ذكر مرويا عن الامام الكاظم نفسه ، ومذهبهم الذي هم عليه لا يصح أن يكون قيدا لكلامه يحمل عليه لانه لم يكن مدونا في عصره ولم يكن هو مقلدا لهم فيه وهم مخالفون في هذه المسألة نفسها لان قوله بأنه مكروه شرعا على تفسيرهم يقتضي تركه وما هم بتاركيه

(٢) هذا تحريف لكلمة الامام مخالف للمتبادر منها وهو ما كان عليه جميع سلف الامة قبل المذاهب والتفرق اعني تسوية القبور بالارض وعدم البناء عليها مخالفة للكفار ولا معنى لعدم وضع حفنة أو حفنات من التراب غير مااستخرج منه فهذا مما يجل الامام عن النهي عنه اذ لا فائده فيه

« ايضا » لان الجص من غير تراب القبر ولهذا جعل صاحب الجواهر هذا الحديث مشعرا بكراهة التجصيص لا دليلا عليه ومعلوم ان الاشعار نظير الايماء والتلميح ليس من دلالات الالفاظ ومفهوماتها الظاهرة منها (١)

وقال في الجواهر وكذا يشعر بالكراهة حديث الصادق (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور. وسنذكر فيما يأتي معنى هذا الحديث إن شاء الله والمهم هنا بيان ان صاحب الجواهر ذكر هذه الاحاديث استدلالا على كراهة تجصيص القبور حسب ما صرح به الماتن ونحن وضحنا وجه الاستدلال بها

ثم قال الماتن ومنها أي من المكروهات «تجديد القبور بعد اندراسها» وأخذ صاحب الجواهر يستدل على كراهة ذلك بما لا حاجة الى ذكره لان مكاتب المنار لم يتعرض له (٢) ثم انه لا الماتن ولا الشارح تعرض لمسئلة السرج على القبور فيفهم من ذلك انها غير مكروهة عندهما ولهذا اهملا ذكرها (٣) وسائر كتب الشيعة على هذا النسق فليرجع اليها من شاء فكيف قال مكاتب المنار، إنه لا يوجد كتاب من فقههم إلا وفيه لا يجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها ؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم (٤)

«١» هذه دعوى باطلة فان معنى أشعره بالشيء جعله يشعر به من الشعور وهو العلم والدراية قال في الاساس وما يشعركم - وما يدريكم ، ويستعمل في الفصيح فيما كان مسلكه دقيقاً أو خفيا والامام الصادق من فصحاء المتقدمين لا من أصحاب اصطلاحات المتفقهين (٢) لكنه حجة عليهم فان درس القبور من شرائع الاسلام ولو كان تشييدها مطلوبا شرعا لما صرحوا بكراهة تجديدها ٣) إهمال ذكرها لا يدل على شيء ٤) هذا وما بعده طعن لا يليق بالعلماء فان صح ان مراسل المنار لم ير في كتبهم مسألة السرج فالاقرب أن تكون سبق قلم سببه صحة الاحاديث فيها وذكرها في كتب السنة مع ماسبقها

ولا عجب منه فانه لما تظاهر بالتمدن الغربي وادخل نفسه في عداد المتنورين بزعمه وتراءى للناس بمظهر بيان الحقائق سولت له نفسه أن قارىء كتابه لا يتهمه بالافتراء على الشيعة ولهذا تجاسر على تحريف كلمات العلماء وساق الاحاديث على غير مساقها بعد أن لعب بها (١) كل ذلك ليشوه وجه الشيعة وسمعتهم عند من لم يعرف حقيقة الحال ، ولم يدر — وليته درى — بانه سود بذلك صحيفة تاريخه وتاريخ المنار فاين الكراهة من التحريم واين تجصيص القبور أو البناء عليها من البناء الذي قصد التشنيع به كالقباب وغيرها (٢) فان من الواضح أن البناء المذكور في حديث الكاظم عليه السلام سؤالا وجوابا انما هو بناء نفس القبر وهو الذى لا يصلح كما يشهد به قوله في الحديث: ولا الجلوس عليه ولا تجصيصه ولا تطيينه. فهل يفهم من هذه الكلمات غير نفس القبر؟ وكم من فرق بين بناء نفس القبر (٣) وبين القبة المبنية على أساسات لا دخل لها بالقبر أصلا

قال المكاتب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق (ع) عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولا يبنى عليها مساجد قال النبي (ص) « لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » انتهى

---

(١) انه هو الذي لعب بنصوص الائمة وحرفها كما علم مما أشرنا ومما نشير اليه ومن رد الاستاذ الهلالي الآتي «٢» الكراهة ليست بعيدة عن التحريم كل هذا البعد فكل منهما مذموم منهي عنه شرعا الا أن التحريم أشد ومكاتب المنار لم يصرح بلفظ التحريم فيستحق به كل هذا التقريع ويشرك المنار معه فيه ويشوه تاريخه! (٣) النهي عن بناء القباب ثابت في الاحاديث الصحيحة ومنها قول الصادق الذي ذكره المكاتب وحرفه الاستاذ كغيره والغرض منه ومن النهي عن بنائها نفسها واحد وهو سد ذريعة الشرك كما فعل أهل الكتاب

نقول يوجد فيما نقله الكاتب من حديث سماعة بعض تغييرات لا يختلف بها المعنى ولكن العجب منه أنه ذكر الحديث النبوي عقيب حديث سماعة بصورة توهم أن الصادق (ع) استشهد به على قوله ، مع أن الحديث النبوي لا وجود له في كتاب الكليني اصلا ، نعم توجد روايته مرسلة في بعض كتب الشيعة

وكيف كان فليعلم أن جميع ما جاء من بناء المساجد واتخاذها على القبور ، أو فيها ، او عندها ـ حسب اختلاف النقل ـ انما يراد به النهي عن جعل نفس القبر مسجدا أي موضعا يسجد عليه وليس المراد بالمسجد ماهو المعروف بين المسلمين من المكان الذي يصلى فيه ، لانه حينئذ لا يكون معنى معقول لبناء المسجد على القبر أو اتخاذ المسجد عليه ، وهل يتصور في الامكان بناء مسجد على نفس القبر ؟ ويشهد لما قلناه نفس الحديث النبوي «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا » فانه (ص) نهى عن اتخاذ قبره قبلة يتوجه اليه المصلي ولا يستقبل القبلة ونهى عن اتخاذ قبره موضعا للسجود عليه فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومن المعلوم أن ليس لليهود مساجد بالمعنى المعرف عند المسلمين ، فالمقصود اذن بيان انهم اتخذوا قبور أنبيائهم مواضع يسجدون عليها(١)

وفي صحيح البخارى باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور وذكر حديث عائشة (رض) عن النبي (ص) وفيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت ولولا ذلك لأبرز قبره غير اني

«١» قوله فليعلم ان جميع ماجاء في بناء المساجد إلى هنا وما بعده باطل أصلا ودليلا كما ستعرفه في الرد عليه وأغرب به دعواه ان أهل الكتاب يصلون على قبور أنبيائهم

أخشى أن يتخذ مسجدا انتهى فهل يفهم من هذا الحديث الا اتخاذ نفس القبر موضعا يسجد عليه ؟ قال في فتح الباري قوله لأبرز قبره أي لكشف قبر النبي (ص) ولم يتخذ عليه الحائل فهل يوجد أصرح من ذلك؟ ولا شك أن السجود على نفس القبر لا يجوز ؛ وهذا المعنى هو المنهي عنه في جميع أحاديث الباب ، وربما حملها بعض العلماء على إرادة السجود لنفس القبور تعظيما لها وهذا المعنى وإن كان غير جائز أيضا لانه عبادة للقبور إلا أن الاحاديث ليست مسوقة للنهي عن ذلك بل للنهي عن السجود على نفس القبر وسنذكر أقوال العلماء بالنسبة الى هذا المعنى فيما يأتي إن شاء الله

وتوجد (أيضا) معان ثلاثة غير المعنى الذي قررناه الا أنه لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها (أحدها) أن يراد النهي عن وصل المساجد بمواضع القبور وهذا التأول خطأ فاحش لان مسجد النبي (ص) قد وصل بموضع قبره الشريف في زمن الصحابة والتابعين فكيف يدعى أن ذلك منهي عنه وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين

(ثانيها) أن يراد النهي عن أن يقوم المصلي حول القبر ويسجد على الارض قريبا من القبر ، وهذا التأول أيضا خطأ لا يصح حمل الاحاديث عليه لانه لا ريب في أن البقعة المتضمنة لقبر نبي أو إمام عادل أو ولي لله تعالى أو غيره ممن له عند الله منزلة جليلة وجاه عظيم تكون أشرف وأفضل من غيرها لنسبة شرف المدفون فيها وفضله ، قال النواوي في شرحه لصحيح مسلم في باب فضل الصلاة بمسجد في مكة والمدينة قال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره (ص) أفضل بقاع الارض ولا ريب أيضا(١) في أن الصلاة

١) قوله ولا ريب أيضاً ــ هو من كلامه لا من كلام النووي وكان ينبغي له الفصل بينهما بكلمة انتهى أو علامة أخرى كما فعل في مواضع أخرى

ومثلها الدعاء وقراءة القرآن وسائر الاذكار والاعمال الشرعية في الاماكن الشريفة تكون أقرب الى قبولها عند الله تعالى(١) ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في غيره . ولاجل الحصول على هذا الفضل كان السلف الصالح وأئمة المسلمين حتى فى زماننا هذا يصلون ويدعون ويتضرعون الى الله تعالى عند قبر النبي (ص) حتى إن صفوف الصلاة تحاذي نفس القبر الشريف(٢)

(ثالثها) أن يراد بها النهي عن إنشاء المساجد واتخاذها حول القبور وهذا التأول خطأ أيضا لانه لا محذور في أن يتقرب العبد إلى الله تعالى ببناء مسجد تقام فيه الصلوات في تلك البقاع الشريفة مع ما ورد من أن من بنى مسجداً بنى الله له بيتا في الجنة وهو حديث عام لا يختص ببقعة دون بقعة ولا بزمان دون زمان ، بل بناؤه وإنشاؤه في البقاع الشريفة أولى لكونه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف شرف البقعة وشرف المسجدية(٣)ففي فتح البارى في باب هل تنبش قبور مشركي

---

(١)قوله هذا باطل من وجهين(أحدهما) ان ماهو الاقرب إلى القبول عند الله تعالى لا يعلم الا بنص من كتابه او كلام رسوله «ص» لانه تعبدي لامجال للرأي فيه فالنبي «ص» صرح لنا بفضل الصلاة في المساجد الثلاثة على غيرها على نسبة لامجال للرأي فيها ونهى عن شد الرحال إلى غيرها فلا يقاس عليها غيرها ((وثانيهما)) انه «ص» قد نهى وزجر عن تعظيم قبور الانبياء والصالحين بالصلاة فيها أو اليها وتشريف بنائها ووضع السرج عليها وهو موضوع المناظرة فكيف يقيس مانهي عنه على ماأمر به وحكمة هذا النهي ظاهرة وهي ان الناس عبدوا الصالحين وقبورهم كماسيأتي بيانه

٢) ماعزاه إلى السلف الصالح وأئمة المسلمين باطل قطعاً لم يستطع ولا يستطيع أن يأتي بنص فيه وماعداهم لاقيمة لفعله ولاسيما بعد انتشار البدع ولاسيما أهل زماننا هذا

«٣» هذه مغالطة ظاهرة البطلان لانها عبارة عن منع النبي «ص» من تخصيص =

الجاهلية قال البيضاوي(١) لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم — اى رسول الله (ص) ومنع المسلمين عن مثل ذلك فاما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد انتهى

وفي الكتاب المذكور في باب قول النبي (ص) « جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً » قال وايراده - يعني حديث جابر - هنا يحتمل أن يكون اراد أن الكراهة في الابواب المتقدمة ليست للتحريم لعموم قوله (ص) «جعلت لي الارض مسجدا » أى كل جزء منها يصلح ان يكون مكانا للسجود او يصلح ان يبنى فيه مكان للصلاة ويحتمل ان يكون اراد ان الكراهة فيها للتحريم وعموم حديث جابر مخصوص بها والاول اولى لان الحديث سيق في مقام الامتنان فلا ينبغي تخصيصه انتهى(٢)

= ماكان عاما من أقواله وسيأتي تفصيله ومسجد الضرار حجة من الله تعالى عليه وماذكره عن البيضاوي عليه لا له على ان البيضاوي ليس شارعا وذلك ان المسلمين فعلوا بمساجد الانبياء والصالحين كما فعل أهل الكتاب من كل وجه وفاقاً لقوله (ص) « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعا بذراع »الخ وهو في الصحيحين وغيرهما ولكن المتأولين والجدليين منهم يسمون عبادتها تبركا ودعاء أصحابها من دون الله توسلا كما سيأتي(١) أن حديث الباب المذكور وماذكره الحافظ في شرحه من الفتح حجة على هذا العالم الشيعي وهادم لتأويله الباطل في المسألة ولكنه لا ينقل من الكتب الا ما يوافق مذهبه لان المذاهب عنده وعند سائر المقلدين المتعصبين هي اصل الدين والكتاب والسنة فرعان ان ايد المذهب قبلا والاحرفا بالتأويل

«٢» قد اسقط الاستاذ الشيعي من نقله هنا عبارة صريحة في ان المراد بالعموم الارض لذاتها قبل طروء مايمنع صحة الصلاة عليها كالنجاسة ومثلها سائر المنهيات وهل هذا الاخيانة في النقل لاجل العصبة المذهبية ؟

وحيث تبين خطأ تأويل الاحاديث باحد تلك المعاني الثلاثة تعين ان يكون المراد بها ماقررناه اولا وهو جعل نفس القبر موضعا يسجد عليه او قبلة يصلى اليها وهذا المعنى هو المنهي عنه بتلك الاحاديث حسب ما شرحناه ، لكن بعض العلماء تأولها بالسجود لنفس القبور تعظيما لها كما تقدم نقله عن البيضاوي

وقال النواوى في شرح صحيح مسلم في باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد قال العلماء انما نهى النبي (ص) عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الامم الخالية ثم ذكر علة زيادة مسجد رسول الله (ص) وادخال قبره فيه وقال بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلى عليه العوام ويؤدي الى المحذور انتهى

وفي فتح الباري في باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي (ص) «لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» قال ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك الى عبادتهم ، ويتناول من اتخذ أمكنة قبورهم مساجد بان تنبش وترمى عظامهم ، انتهى

نقول إن ماذكره هؤلاء في تأويل هذه الاحاديث غير مفهوم منها ولا ظاهر من سياقها ، وعسى أن يكونوا لم يهتدوا الي المعنى الذى قررناه ، مع انه في غاية الظهور ، فتأولوها بذلك(١) وعلى أي حال ، فلا

(١) ماقاله هؤلاء هو معناها الذى فهمه السلف والخلف وليس تأولا وماقاله هو عصبية لأفعال الشيعة المتأخرين باطل وبطلانه في غاية الظهور ولعله لذلك لم يخطر في بال غيره إلا أن يكون مثله في التعصب الذي يخفي الحقائق وفي ضعف العلم باللغة العربية

ريب في أن السجود للقبور تعظيما لها لا يجوز بل هو كفر وشرك ، لكونه عبادة وسجوداً لغير الله جل وعلا ، ولا يتصور صدور ذلك من مسلم

واذ شرحنا معاني الاحاديث فليفصح لنا مكاتب المنار عن جهة انتقاده على الشيعة ؛ (١) إن زعم انهم يسجدون للقبور تعظيما لها — قلنا سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وإن زعم أنهم في صلواتهم لله يسجدون على قبور أئمتهم ، كذبه الوجدان مع أن قبور الائمة (ع) محاطة بصناديق وشبابيك تمنع من وصول أحد الى نفس القبر ، وان زعم موافقة عمل الشيعة لاحد المعاني الثلاثة المتقدمة فقد بينا ان ذلك غير منهي عنه ولا محذور فيه [٢] بل هو راجح شرعا واهل السنة لم يزالوا عاملين به فهم مشاركون للشيعة في ذلك [٣] مضافا الى انا لم نجد احدا بنى مسجدا حول قبر من القبور المشهورة [٤] نعم ان الشيعة يصلون ويدعون ربهم ويطلبون منه مغفرة ذنوبهم ويتضرعون اليه في مشاهد قبور أئمتهم (ع) لكن مجرد الصلاة والدعاء ونحوه لا يصيرها مساجد [٥] ولو ان احدا واظب على ان يصلي ويدعو ويقرأ القرآن مدة حياته في مكان خاص من بيته فان ذلك المكان بالضرورة لا يصير مسجدا بكثرة العبادة فيه [٦] وحينئذ ماوجه تعجب مكاتب المنار

١) قد جعل شرحه الباطل للاحاديث المجهول لغيره أصلا فرض انه مسلم عند خصمه فبنى احتجاجه عليه، وهو تحكم عجيب، ومنطق غريب «٢» لكن مكاتب المنار فهم من الاحاديث ما فهمه جماهير العلماء وهو ما نقله هو آنفاً عن الامامين الحافظين النووي وابن حجر ولم يكن هو عالماً بتأويل حضرته ولو علمه لما قلده فيه «٣» ان مكاتب المنار ينكر هذه المخالفة للاسلام لذاتها لا لصدورها عن الشيعة فمن شاركهم من المنتسبين إلى السنة فيها فهو مثلهم «٤» قوله هذا مخالف للواقع «٥و٦» بل يصيرها مساجد خاصة ولا يشترط في المسجد أن يكون عاما وقد عقد البخاري في صحيحه بابا خاصاً بمساجد البيوت

من علماء الشيعة وانه لايرى منهم احداً منكراً لذلك فيصرح برأيه فان أي المعاني المتقدمة يجب في نظره ان ينكره علماء الشيعة؟ هل المعنى الذي لم يرتكبه حتى الجاهل من الشيعة بل لا يمكن ارتكابه وهو السجود على نفس القبر؟ او احد المعاني الثلاث التي بعضها لا وجود له اصلا وبعضها مشترك العمل بين الشيعة واهل السنة وهو عمل راجح شرعا وعقلا ولو انه فهم معاني احاديث بناء المساجد واتخاذها على القبور وراجع وجدانه في ذلك لما تورط في هذا الخطأ الفاحش[1] واعجب منه ان صاحب المنار نشر هذا الخطأ مع ادعائه التبحر في المعارف[2]

اما الحديث الذي وعدنا فيما سبق ببيان معناه وهو المروي عن امير المؤمنين (ع) قال بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور. فليس فيه بيان الموضع المبعوث اليه ولا بيان تلك القبور التي بعثه في هدمها. لكن متن الحديث يرشدنا الى ان الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ او من بلادهم وان القبور قبورهم وان الصور المجعولة على القبور او حولها إن لم تكن هي الاصنام التي يعبدونها فهي التماثيل التي يعملونها مثالا لعظمائهم

«١» ملخص هذا ان مكاتب المنار مخطىء لانه موافق لعلماء الحديث ومتبع للسلف الصالح «رض» ومنهم أئمة آل البيت (ع) ولكنه مخالف له وللخلف من الشيعة ! ! فهكذا تكون الحجج وهكذا يكون العلم

٢) أين ادعى هذه الدعوى صاحب المنار ؟ وهل ينافي التبحر في المعارف نشر رسالة لسائح فيها شيء من الخطأ؟ ولم توجد في الدنيا مجلة ولا جريدة تشترط في كل ما ينشر فيها لغير صاحبها أن يكون صوابا في نفسه ولا في رأي صاحبها ، دع اشتراط موافقة آراء المخالفين لها اذا فرضنا انهم يعلمونها . ان هذا النوع من تحكم التعصب غريب جداً !؟

ووجدوا فيها او حولها صورهم وتماثيلهم في مصر في سورية في نينوى في العراق، ومن المعلوم ان في زمن النبي (ص) لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبنا آت الضخمة حتي يبعث من يهدمها، ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل كما يشهد به التاريخ(١)

ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الأسدي عنه (ع) قال ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) ان لاتدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته .

ولا شك ان التمثال من صنع المشركين اما تسوية القبر فهو تعديله وتسطيحه يعني اذا وجدت قبرا مشرفا مسنما فسوه اى عدله وسطحه ففي صحيح مسلم حديث ابي علي الهمداني قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي وقال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها قال النواوي في شرحه قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الاخرى ولا قبرا مشرفا إلا سويته فيه ان السنة ان القبر لايرفع على الارض رفعا كثيرا ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح انتهى محل الحاجة منه واشار اليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في المجلد الاول من كتابه منهاج السنة في صفحة ٥٤٦ مستدلا به للشافعي فانه بعد ان ذكر ان مذهب ابي حنيفة واحمد ان تسنيم القبور أفضل قال والشافعي يستحب التسطيح لما روي من الامر بتسوية القبور ورأى ان التسوية هي التسطيح انتهى والحق مع الشافعي في ذلك وليس هو رأيا رآه كما زعمه الشيخ بل التسوية في اللغة هي التعديل ففي المصباح المنير سويته عدلته

«١» الحمد لله هذا حجة عليه وعلى شيعته

وملوكهم ويشهد بذلك مانقرؤه في كثير من الصحف والمجلات عما يستخرجه علماء الآثار من الاحافير التي عثروا فيها على كثير من قبور الملوك القدماء وفي مختار الصحاح سويت الشيء تسوية فاستوى ثم قال بعد ذلك واستوى الشيء اعتدل وحينئذ فتسوية القبور عبارة عن تعديلها ولا معنى لتعديلها إلا تسطيحها وهو الذي فهمه الشافعي من لفظ الحديث، وتعقبه النواوي في كلامه المتقدم، ونطقت به اللغة وليس معنى تسوية الشيء قلعه وهدمه قال الله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي * خلق فسوى * رفع سمكها فسواها * فسواهن سبع سموات) وبمعناه كثير من كلام الفصحاء[1] فبأي وجه يزعم من ليس له قدم راسخة في العلم انه (ص) امر بهدم القباب والبناآت التي تكون حول قبور الانبياء والأئمة والشهداء والصالحين ومع ان هذه لم تكن مشيدة في زمانه حتى يامر بهدمها هل تقاس بقبور المشركين وبالتماثيل والصور؟ حاشا وكلا فان هذا من اقبح القياسات واشنعها مضافا الى ان ما عرض به مكاتب المنار من القباب والبناآت المعتمدة على اساسات لا دخل لها بالقبور اصلا كما يشاهده العيان كانت مشيدة

١» المتبادر من تسوية القبور هو جعلها مساوية ومعادلة لسطح الارض، ومنه قوله تعالى (لو تسوى بهم الارض) وقد تجاهل المعترض هذا المعنى وهو المراد وجاء بالشواهد على تسوية الخلق. وتشريفها رفع بنائها فقوله (ص) « ولا قبراً مشرفا الاسويته» ولاقبراً مرتفع البناء إلا هدمته وسويته بالارض .وقد رووه عن الصادق بلفظ الهدم وهو مع ذلك ينكر ان يكون معناه الهدم فأين اتباعه للامام الصادق ؟ وقد نقل النووي عن الام للامام الشافعي ان الائمة بمكة كانوا يأمرون بهدم مارفع من القبور وكان العلماء يقرونهم على ذلك عملا بهذا الحديث ، ولم ينقل المعترض هذا عن النووي مع علمه به لانه لا ينقل الا ماوافق هواه وان عاب ذلك على مكاتب المنار وأما تسوية الخلق فلها معنى آخر ظاهر

منذ عدة قرون بمرأى من المسلمين ومسمع لم ينكره احد منهم حتى الذين رووا حديث ابي الهياج الاسدي لعلمهم بان هذا ونحوه انما ورد في المعنى الذي ذكرناه(١) ولكن جاء بعدهم قوم لم يتدبروا معاني الاحاديث ولم يتفطنوا لما عليه اسلافهم فشددوا النكير على تشييد القباب والبناآت حول القبور زعما منهم انهم فهموا من الاحاديث مالم يفهمه الاولون الراسخون في العلم وأنهم وصلوا الى مالم يصل إليه أئمة المسلمين وهيهات ذلك مع ان هؤلاء ليس لهم ان يجتهدوا لو كانت لهم اهلية الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام بعد تقرر اجماع اهل السنة على وجوب التقليد والأخذ بقول أحد المذاهب الأربعة (٢)

ثم وصلت النوبة الى مكاتب المنار فلفق اقاويل طعن بها على الشيعة بزعمه ونشرها المنار مستحسنا لها وقد فات المنار ومكاتبه ان يطعنا بمثلها على أهل السنة حيث شيدوا كالشيعة بناآت القبور وقبابها منذ اكثر من تسعمائة سنة(٣) ومن المعلوم بالوجدان أن القبور التي شيدها أهل السنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ومصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار هي أكثر مما شيده الشيعة سيما ان أول من شيد قبر امير

---

١) هذا زعم باطل كأمثاله من مزاعمه فقد أنكر علماء السنة ذلك في كل عصر لعلمهم أن النبي (ص) لم يأمر بهدم القبور المعظمة عند من قبلنا وبطمس تماثيلهم إلا سداً لذريعة الاقتداء بهم كما صرحت به عائشة في حديث لعن اهل الكتاب الذين فعلوا ذلك قالت «يحذر ماصنعوا» ﴿٢﴾ في هذا القول عدة أباطيل سيأتي بيانها في الرد عليه ﴿٣﴾ هذا كسابقه من مزاعمه كما ذكرنا في المقدمة لهذه المناظرة والتاريخ الذي ذكره حجة على انها مبتدعة بعد القرون الثلاثة ومبطل لزعمه انها كانت في زمن السلف الصالح والائمة

المؤمنين (ع) هو هرون الرشيد العباسي خليفة المسلمين في عصره وتابعه على ذلك سائر الخلفاء حتى عبد الحميد خان التركي فانهم لم يزالوا يجددون عمارته كلما مست الحاجة الي تجديدها

فليت شعرى أن المنار ومكاتبه كيف نظرا بعين السخط الى ما شيده الشيعة وأغمضا عيناً عما شيده أهل السنة او نظرا اليه بعين الرضاء؟[1] ثم نقول يحق للشيعة بل ولكل مسلم ان يعدوا تشييد تلك القبور الشريفة من اعظم القربات . وايم الله ان مكاتب المنار صدق بهذه النسبة اليهم، وهي بكونها فضيلة احرى من كونها رذيلة، وهو اراد أن يذم فمدح، وان يشنع فبجل ، وذلك ان الجهات القاضية برجحان زيارة قبر النبي (ص) وقبور أهل بيته الذين وجبت مودتهم على كل مسلم بآية القربى تستدعي اجتماع المؤمنين من سائر الاقطار في مشاهد قبورهم والكون فيها للصلاة وسائر العبادات ، وذلك موجب لاعداد محال واسعة حول القبور تكون مجمعا للزائرين وهي تفتقر الى بناآت فخمة واقية لنفس القبور والفرش التى حولها وللقناديل المسرجة ليلا لقراءة القرآن والادعية في المصاحف والصحف، وحافظة لمن يزور تلك القبور من الحر والبرد والمطر وعواصف الرياح وتغيرات الجو ونحو ذلك ليتمكن الزائر أن يقوم بانواع العبادات لله تعالي فان بيت النبي (ص) وبيوت أهل بيته (ص) من اعاظم البيوت التي امر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما روى السيوطي ما دل عليه في تفسير هذه الآية الكريمة ، وان تلك البيوت مما يجب احترامها

---

١) قد علم مما تقدم بطلان هذه الدعوى وما كان صاحب المنار متعصباً لمذهب ولا لفرقة ولا طائفة على أخرى فيفعل ذلك وانما يتبع قوة الدليل وليس منه عمل هارون ولا عبدالحميد

وتعظيمها في حال حياتهم فكذا قبورهم وان تعظيم بيوتهم في حال حياتهم انما هو لوجودهم فيها فكذا قبورهم ، ولأنهم احياء عند ربهم يرزقون

ومن هذا يظهر رجحان احترام قبور الشهداء والصديقين والعلماء والصالحين خصوصا بعد ان ورد في الحديث « ان حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا»

ثم لنفرض انه لا دليل على رجحان تلك البناآت شرعا لكنها مباحة فان الشيخ تقي الدين بن تيمية في المجلد الاول من كتابه منهاج السنة في صفحة ١٢٥ نقل عن الحنفية وعن كثير من الشافعية والحنبلية اباحة مالم يرد فيه نص شرعي، فاذا كان ذلك مباحا عند هؤلاء العلماء من أهل السنة ولا محذور ولا ضرر في وجوده فلماذا ينتقده مكاتب المنار ؟ واذا كانت تلك البناآت مباحة في انفسها فلماذا لا تكون راجحة بلحاظ ما يترتب عليها من الغايات الشريفة والاعمال الجليلة التي ذكرناها من سائر العبادات لله جل شأنه . وكيف لا يعد الشيعة تشييدها من أفضل القربات ؟ وهل مسلم ينكر فضل تلك الغايات المقصودة من تلك البناآت التي يضطر اليها الزائرون والمتعبدون ؟

ولاجل أن الشيعة استندوا الي ما ذكرناه ونحوه سوى أحاديثهم المستفيضة جدا في رجحان ذلك بذلوا أموالهم وأنفقوها في هذا السبيل سبيل العبادة لله تعالى فقد أعد الله للمحسنين أجرا عظيما، اذن فلا ينبغي من المنار ومكاتبه —إن كان له مكاتب (١) أن يوجها لومهما على الشيعة

---

(١) هذه الجملة صريحة في التشكيك في عزو المنار تلك المقالة الى مكاتب، وصاحب المنار أجل بفضل الله عليه من أن يكذب حقيقة أو تقية ان كان ثم حاجة الى الكذب فكيف ولا حاجة اليه البتة ، وان كثيرا مما في تلك الرسالة لم يكن يعلمه صاحب المنار قبلها

منذ قرون عديدة فان زعما أنهم استندوا الى ما ذكرناه ونحوه فالحمد لله على الوفاق، وحينئذ لا وجه لتعجبهما من علماء الشيعة ، وان زعما أنهم احترموها ولكن ليسئلا أنفسهما عن استناد أهل السنة في احترام القبور وتشييدها بغير مستند شرعي فقد ضللا سلفهما وحاشا السلف من ذلك، وان زعما أنهم لم يحترموها فما وجه بنائها وتشييدها وتجديد عمارتها طول هذه المدة، وكيف تعجبا من الشيعة ولم يتعجبا من أهل السنة وما هذا التحامل الذي لا ترتضيه كرم الاخلاق ولا أخوة دين الاسلام؟ فما بال الرجل ينظر إلى الشعرة ولا شعرة ولا أقل في عين أخيه المؤمن ولا يرى الجذع المعترض في عينه ؟ قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وفي الحديث «إن المؤمن يحب لاخيه مايحبه لنفسه وإن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا

وبالختام نرجو أن تمعنوا النظر بالتأمل في ذلك واليكم الحكم بين الشيعة وبين المنار ومكاتبه فأي الفريقين أهدى سبيلا ؟ وأيهما أحق بالنصيحة ؟ وأيهما أولى بالمعذرة ؟ كما أنا نرجوا أن لا تنقطع سلسلة مذاكراتكم معنا في الوقوف على الحقائق واستطلاع آراء الطارفين

واقبلوا احترامنا لكم والحمد لله أولا وآخراً

حرره سيد مهدي الكاظمي القزويني في ٢٢ شعبان سنة ١٣٤٥

(المنار) انما تعجلنا بتعليق بعض الحواشي الوجيزة على هذه الرسالة قبل نشر الرد عليها من عالم السنة لئلا يقرأها في المنار أحد من غير المشركين فيعلق بذهنه بعض مغالطاتها ثم لا يتفق له قراءة الرد عليها . وقد علم منها أن أئمة آل البيت كسائر فقهاء السلف الصالح لا يبيحون هذه البدع التي لعن النبي (ص) فاعليها وانما يتبع خلف الشيعة هذه الاراء الواهية التي ذكرها عالمهم هذا من كون مكان الرجل الصالح أفضل من غيره فتكون العبارة عنده أفضل !! وهو رأي يصادم نص الرسول (ص)

قرار النيابة العامة

في قضية الدكتور طه حسين

وصلت الينا نسخة من هذا القرار فاذا هو يؤيد ما كتبه الكاتبون من علماء الشرع ومن علماء القوانين ومن سائر طبقات العارفين من اثبات جهل طه حسين فيما كتبه وطعنه في الدين الاسلامي وتكذيبه للقرآن وتقليده في ذلك لبعض دعاة النصرانية ، واننا ننقل منه ماسبقتنا الى تلخيصه جريدة الاخبار الغراء للثقة بها قالت:

أصدر حضرة صاحب العزة محمد بك نور رئيس نيابة مصر قراراً مسبباً عن البلاغات التي قدمت ضد الدكتور طه حسين لتأليفه كتاباً أسماه الشعر الجاهلي

ويقع هذا القرار في ست عشرة صفحة من القطع الكبير وقد تناول في مقدمته الاشارة الى أسماء الاشخاص المبلغين وهم الشيخ خليل حسنين الطالب بالقسم العالى بالازهر وفضيلة شيخ الجامع الازهر وحضرة عبدالحميد افندي البنان عضو مجلس النواب

ثم أتى القرار على التهمة التي وجهها المبلغون الى الدكتور وهي أنه طعن في الدين الاسلامي في مواضع أربعة من كتابه

(الاول) أن المؤلف أهان الدين الاسلامي بتكذيب القرآن في أخباره عن ابراهيم واسماعيل

(الثاني) ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها

(الثالث) ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه على النبي ﷺ طعنا فاحشا من حيث نسبه

(الرابعة) أنكر المؤلف أن للاسلام أولية في بلاد العرب وانه دين ابراهيم

عن الامر الاول

تناول القرار الكلام عن الامر الاول باستفاضة واسعة وذكر أقوال الدكتور طه في الشعر الجاهلي ولغة العرب وعاب طريقة المؤلف في الاستدلال والاستنتاج ثم انتقل الى تعرضه لابراهيم واسماعيل فقال :

ان الذي نريد أن نشير اليه انما هو الخطأ الذي اعتاد أن يرتكبه المؤلف في في ابحاثه حيث يبدأ بافتراض يتخيله ، ثم ينتهي بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة كما فعل في أمر الاختلافات بين لغة حمير وبين لغة عدنان ، ثم في مسألة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما الى مكة وبناء الكعبة إذ بدأ فيهما باظهار الشك ثم انتهى باليقين [1] بدأ بقوله « للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها » الى هنا أظهر الشك لعدم قيام الدليل التاريخي في نظره كما تتطلبه الطرق الحديثة ، ثم انتهى بأن قرر في كثير من الصراحة قوله « أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني » الخ فما هو الدليل الذي انتقل به من الشك الى اليقين

هل دليله هو قوله « نحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى . وإن أقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبثون فيه المستعمرات » الخ وان ظهور الاسلام وما كان من الخصومة العتيقة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة بين الدين الجديد وبين دياني النصارى واليهود ، وانه مع ثبوت الصلة الدينية يحسن أن تؤيدها صلة مادية الخ .

إذا كان الاستاذ المؤلف يرى أن ظهور الاسلام قد اقتضى أن تثبت الصلة بينه وبين ديانة اليهود والنصارى ، وأن القرابة المادية الملفقة بين العرب واليهود لازمة لاثبات الصلة بين الاسلام وبين اليهودية فاستغلها لهذا الغرض فهل له أن يبين السبب في عدم اهتمامه أيضا بمثل هذه الحيلة لتوثيق الصلة بين الاسلام وبين النصرانية — وهل عدم اهتمامه هذا معناه عجزه أو استهانته بأمر النصرانية ؟ وهل

«١» أي بالجزم

من يريد توثيق الصلة مع اليهود بأي ثمن حتى باستغلال التلفيق هو الذى يقول عنهم في القرآن (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)

ان الاستاذ ليعجز حقا عن تقديم هذا البيان اذ أن كل ما ذكره في هذه المسألة انما هو خيال في خيال ، وكل ما استند عليه من الأدلة هو : (١) فليس يبعد أن يكون (٢) فما الذي يمنع (٣) ونحن نعتقد (٤) واذن فليس يمنع قريشا من أن تقبل هذه الاسطورة (٥) واذن فنستطيع أن نقول : —

فالاستاذ المؤلف في بحثه اذا رأى انكار شيء يقول لادليل عليه من الادلة التي تطلبها الطرق الحديثة للبحث حسب الخطة التي رسمها في منهج البحث، واذا رأى تقرير أمر لايدلل عليه بغير الادلة التي أحصيناها له وكفى بقوله حجة !

سئل الاستاذ في التحقيق عن أصل هذه المسألة (أي تلفيق القصة) وهل هي من استنتاجه أو نقلها فقال : هذا فرض فرضته أنا دون أن أطلع عليه في كتاب آخر ، وقد أخبرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئا مثل هذا الفرض يوجد في بعض كتب المبشرين ولكن لم أفكر فيه حتى بعد ظهور كتابي . على أنه سواء كان هذا الفرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذي يستتر تحت اسم هاشم العربي فانه كلام لايستند الى دليل ولا قيمة له . على أننا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان في عبارته أظرف من مؤلف كتاب الشعر الجاهلي لانه لم يتعرض للشك في وجود ابراهيم واسماعيل بالذات ، وانما اكتفي بأن أنكر أن اسماعيل أبو العرب وقال: إن حقيقة الامر في قصة اسماعيل أنها دسيسة لفقها قدماء اليهود للعرب تزلفا اليهم الخ

كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشر قد يكون له عذره في سلوك هذا السبيل لان وظيفة التبشير لدينه غرضه الذي يتكلم فيه ؛ ولكن ماعذر الاستاذ المؤلف في طرق هذا الباب وماهي الضرورة التي ألجأته الى أن يرى في هذه القصة نوعا من الحيلة الخ .

وان كان المتسامح يرى له بعض العذر في التشكك الذي أظهره أولا اعتمادا على عدم وجود الدليل التاريخي كما يقول فما الذي دعاه الى أن يقول في النهاية

بعبارة تفيد الجزم: «أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني الخ» مع اعترافه في التحقيق بأن المسألة فرض افترضه

يقول الاستاذ: «انه ان صح افتراضه فان القصة كانت شائعة بين العرب قبل الاسلام فلما جاء الاسلام استغلها و ليس ما يمنع أن يتخذها الله في القرآن وسيلة لاقامة الحجة على خصوم المسلمين كما اتخذ غيرها من القصص التي كانت معروفة وسيلة الى الاحتجاج أو الى الهداية؟ وهاشم العربي يقول في مثل هذا: ولما ظهر محمد رأى المصلحة في اقرارها فأقرها وقال للعرب انه انما يدعو الى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه. فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر (١١)

ان الاستاذ المؤلف أخطأ فيما كتب وأخطأ أيضا في تفسير ما كتب وهو في هذه النقطة قد تعرض بغير شك لنصوص القرآن ولتفسير نصوص القرآن وليس في وسعه الهرب بادعائه البحث العلمي منفصلا عن الدين فليفسر لنا اذن قوله تعالى في سورة النساء (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان)

وقوله في سورة مريم (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا * واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وفي سورة آل عمران (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي ورد فيها ذكر ابراهيم واسماعيل لا على سبيل الامثال كما يدعي حضرته. وهل عقل الاستاذ يسلم بأن الله سبحانه وتعالى يذكر في كتابه أن ابراهيم وأن اسماعيل رسول نبي مع أن القصة ملفقة؟ وماذا يقول حضرته في موسى وعيسى وقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في الآية الاخيرة مع ابراهيم واسماعيل وقال في حقهم جميعاً (لانفرق بين أحد منهم)؟

الحق أن المؤلف في هذه المسألة يتخبط تخبط الطائش، ويكاد يعترف بخطئه

لان جوابه يشعر بهذا عند ماسألناه في التحقيق عن السبب الذي دعاه أخيراً لان يقرر بطريقة تفيد الجزم بأن القصة حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام فقال ص ٣٨ من محضر التحقيق : هذه العبارة إذا كانت تفيد الجزم فهي انما تفيده ان صح الفرض الذي قامت عليه وربما كان فيها شيء من الغلو ولكنني أعتقد أن العلماء جميعاً عند مايفترضون فروضاً علمية يبيحون لأنفسهم مثل هذا النحو من التعبير فالواقع أنهم مقتنعون فيما بينهم وبين أنفسهم بأن فروضهم راجحة

والذي نراه نحن ان موقف الاستاذ المؤلف هذا لا يختلف عن مواقف الاستاذ هوار حين يتكلم عن شعر أمية بن أبي الصلت وقد وصف المؤلف نفسه هذا المؤلف في ص ٨٢ و ٨٣ من كتابه بقوله

« مع اني من أشد الناس اعجابا بالاستاذ هوار وبطائفة من أصحابه المستشرقين وبما ينتهون اليه في كثير من الاحيان من النتائج العلمية القيمة في تاريخ الادب العربي وبالمناهج التي يتخذونها للبحث فاني لا أستطيع أن أقرأ مثل هذا الفصل دون أن أعجب كيف يتورط العلماء أحيانا في مواقف لاصلة بينها وبين العلم »

حقا ان الاستاذ المؤلف قد تورط في هذا الموقف الذي لاصلة بينه وبين العلم لغير ضرورة يقتضيها بحثه ولا فائدة يرجوها، لان النتيجة التي وصل اليها من بحثه وهي قوله « ان الصلة بين اللغة العدنانية وبين اللغة القحطانية كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة، وان قصة العاربة والمستعربة وتعلم اسماعيل العربية من جرهم كل ذلك حديث أساطير لاخطر له ولا غناء فيه » ما كانت تستدعي التشكك في صحة أخبار القرآن عن ابراهيم واسماعيل وبنائهما الكعبة ثم الحكم بعدم صحة القصة وباستغلال الاسلام لها لسبب ديني . ونحن لانفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض والشك والانكار (ص ٢٢ من محضر التحقيق) واننا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس، ونعصمها من انكار المنكرين وطعن الطاعنين (ص ٢٤ من محضر التحقيق) ولا ندري لم يفعل غير مايقول في هذا

الموضوع ؟ لقد سئل في التحقيق عن هذا فقال : ان الداعي اني أناقش طائفة من العلماء والادباء والقدماء والمحدثين وكلهم يقررون أن العرب المستعربة قد أخذوا لغتهم عن العرب العاربة بواسطة أبيهم أسماعيل بعد أن هاجر، وهم جميعا يستدلون على آرائهم بنصوص من القرآن ومن الحديث فليس لي بد من أن أقول لهم ان هذه النصوص لا تلزمني من الوجهه العلمية

أما الثابت في نصوص القرآن فقصة الهجرة وقصة بناء الكعبة وليس في القرآن نصوص يستدل بها على تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ولا على أن اسماعيل أبو العرب العدنانيين ولا على تعلم اسماعيل العربية من جرهم . ونص الآية التي تثبت الهجرة (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) لا يفيد غير إسكان ذرية ابراهيم فى وادي مكة أي ان إسماعيل هوجر به صغيراً (كنص الحديث) إلى هذا الوادي فنشأ فيه بين أهله وهم من العرب وتعلم هو وأبناؤه لغة من نشأوا بينهم وهي العربية لان اللغة لا تولد مع الانسان وإنما تكتسب اكتسابا ، وقد اندمجوا فى العرب فصاروا منهم ، وهذا الاندماج لا يترتب عليه أن يكون جميع العرب العدنانيين من ذريته إذ الحكم بهذا يقتضي أن لا يكون مع اسماعيل أحد منهم حتى لا يوجد غير ذريته وهو مالم يقل به أحد ـ

وياليت الاستاذ المؤلف حذا حذو ذلك المبشر هاشم العربي فى هذه المسألة حيث قال « ولا اسماعيل نفسه بأب للعرب المستعربة ولا تملك أحد من بنيه على أمة من الامم وإنما قصارى أمرهم أنهم دخلوا وهم عدد قليل في قبائل العرب العديدة المجاورة لمنازلهم فاختلطوا بها وما كانوا إلا كحصاة في فلاة » (تراجع صحيفة ٣٥٦ من كتاب مقالة في الاسلام) ـ ولو أن المؤلف نقل هذا لنجا من التورط في هذا الموضوع . وأما مسألة بناء الكعبة فلم نفهم الحكمة في نفيها واعتبارها أسطورة من الاساطير اللهم إلا إذا كان مراده إزالة كل أثر لابراهيم واسماعيل ولكن ما مصلحة المؤلف في هذا ؟ الله أعلم بمراده (١)

«١» المنار : الذي فهمه الناس من كلامه ان مراده الطعن في الاسلام وصد الناس عنه

عن الامر الثاني

تناول القرار الامر الثاني الخاص بالقرا آت وبعد تحليله قال « ونحن نرى ان ماذكره المؤلف في هذه المسألة هو بحث علمي لا تعارض بينه وبين الدين ولا اعتراض لنا عليه »

عن الامر الثالث

تناول القرار مسألة نسب النبي ﷺ وبعد أن حللها قال « ونحن لانرى اعتراضاً على بحثه على هذا النحو من حيث هو وإنما كل مانلاحظه عليه أنه تكلم فيما يختص بأسرة النبي ﷺ ونسبه في قريش بعبارة خالية من كل احترام بل بشكل تهكمي غير لائق ولا يوجد في بحثه مايدعوه لايراد العبارة على هذا النحو »

الامر الرابع

تناول القرار الامر الرابع وبعد تحليله قال « ونحن لانرى اعتراضا على أن يكون مراده بما كتب في هذه المسألة هو ماذكره ولكننا نرى أنه كان سيء التعبير جداً في بعض عباراته كقوله : ولم يكن أحد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها . لقد أخذ المسلمون يردون دين الاسلام في خلاصته إلى دين ابراهيم هذا الذي هو أقدم وأنقى من دين اليهود والنصارى . وكقوله : وشاعت في العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة ان الاسلام يجدد دين ابراهيم ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين ابراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ... لان في إيراد عبارته على هذا النحو مايشعر بأنه يقصد شيئا آخر بجانب هذا المراد خصوصا اذا قربنا بين هذه العبارات ، وبين ماسبق له أن ذكره بشأن تشككه في وجود ابراهيم وما يتعلق به »

عن القانون

نصت المادة (١٢) من الامر الملكي رقم (٤٢) لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستوري للدولة المصرية على أن حرية الاعتقاد مطلقة

ونصت المادة (١٤) منه على أن حرية الرأي مكفولة ولكل انسان الاعراب عن فكره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو بغير ذلك في حدود القانون

ونصت المادة ٤٩ منه على أن الاسلام دين الدولة فلكل إنسان إذاً حرية الاعتقاد بغير قيد ولا شرط وحرية الرأي في حدود القانون فله أن يعرب عن اعتقاده وفكره بالقول أو الكتابة بشرط أن لا يتجاوز حدود القانون

وقد نصت المادة ١٣٩ من قانون العقوبات الاهلي على عقاب كل تعد يقع باحدى طرق العلانية المنصوص في المادتين ١٤٨، ١٥٠ على أحد الاديان التي تؤدى شعائرها علنا . وجريمة التعدي على الاديان المعاقب عليها بمقتضى المادة المذكورة تتكون بتوفر أربعة أركان

١ — التعدي

٢ — وقوع التعدي بأحد الطرق العلنية المبينة في المادتين ١٤٨، ١٥٠ عقوبات

٣ — وقوع التعدي على أحد الاديان التي تؤدى شعائرها علنا

٤ — القصد الجنائي

عن الركن الاول

لم يذكر القانون بشأن هذا الركن في المادة إلا لفظ (تعد) وهذا لفظ عام يمكن فهم المراد منه بالرجوع الى نص المادة باللغة الفرنسية وقد عبر القانون فيه عن التعدي outrage والقانون قد استعمل لفظ outrage هذا في المواد ١٥٥ و١٥٩ و١٦٠ عقوبات أيضا ولما ذكر معناها في النص العربي للمواد المذكورة عبر في المادة (١٥٥) بقوله (كل من انتهك حرمة) وفي المادتين ١٥٩، ١٦٠ باهانة فيتضح من هذا — أن مراده بالتعدي في المادة ١٣٩ هو كل مساس بكرامة الدين أو انتهاك حرمته أو الحط من قدره أو الازدراء به لان الاهانة تشمل كل هذه المعاني بلا شك

وحيث إنه بالرجوع الى الوقائع التي ذكرها الدكتور طه حسين والتي تكلمنا عنها تفصيلا وتطبيقها على القانون يتضح أن كلامه الذي بحثناه تحت عنوان (الامر الاول) فيه تعد على الدين الاسلامي لانه انتهك حرمة هذا الدين بأن نسب

الى الاسلام أنه استغل قصة ملفقة هي قصة هجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة وبناء ابراهيم واسماعيل للكعبة . واعتبار هذه القصة أسطورة وأنها من تلفيق اليهود ، وأنها حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام الى آخر ما ذكرناه تفصيلا عند الكلام على الوقائع وهو بكلامه هذا يرمي الدين الاسلامي بأنه مضلل في أمور هي عقائد ثابتة، وواردة في القرآن باعتبار أنها حقائق لا مرية فيها كما أن كلامه الذي بحثناه تحت عنوان (الامر الرابع) قد أورده على صورة تشعر بأنه يريد به إتمام فكرته بشأن ماذكر — أما كلامه بشأن نسب النبي ﷺ فهو إن لم يكن فيه طعن ظاهر إلا أنه أورده بعبارة تهكمية تشف عن الحط من قدره — وأما ما ذكره بشأن القرآن مما تكلمنا عنه في الامر الثانى فانه بحث بريء من الوجهة العلمية والدينية أيضا ولا شيء فيه يستوجب المؤاخذة لامن الوجهة الادبية ولا من الوجهة القانونية

عن الركن الثاني

لاكلام في هذا الركن لان الطعن السابق بيانه قد وقع بطريق العلانية إذ أنه أورد في كتاب الشعر الجاهلي الذي طبع ونشر وبيع في المحلات العمومية والمؤلف معترف بهذا .

عن الركن الثالث

لانزاع في هذا الركن أيضا لان التعدي وقع على الدين الاسلامي الذي تؤدى شعائره علنا وهو الدين الرسمي للدولة

عن الركن الرابع

هذا الركن هو الركن الادبي الذي يجب ان يتوفر في كل جريمة فيجب إذاً لمعاقبة المؤلف أن يقدم الدليل على توفر القصد الجنائي لديه ، وبعبارة أوضح يجب أن يثبت أنه إنما أراد بما كتب أن يتعدى على الدين الاسلامي فاذا لم يثبت هذا الركن فلا عقاب .

أنكر المؤلف في التحقيقات أنه يريد الطعن على الدين الاسلامي ، وقال إنه ذكر ماذكر في سبيل البحث العلمي وخدمه العلم لاغير .. غير مقيد بشيء ، وقد أشار في كتابه تفصيلا الى الطريق الذي رسمه للبحث ، ولا بد لنا هنا أن نشير الى ما قرره المؤلف في التحقيق من أنه كمسلم لايرتاب في وجود ابراهيم واسماعيل وما يتصل بهما مما جاء في القرآن ولكنه كعالم مضطر الى أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بالوجود العلمي التاريخي لابراهيم ، اسماعيل فهو يجرد من نفسه شخصيتين وقد وجدنا المؤلف قد شرح نظريته هذه شرحا مستفيضا في مقال نشره بجريدة السياسة الاسبوعية بالعدد نمرة ١٩ الصادر في ١٧ يوليه سنة ١٩٢٦ ص ٥ تحت عنوان (العلم والدين) وقد ذكر فيه بالنص « فكل امريء منا يستطيع ان فكر قليلا أن يجد في نفسه شخصيتين ممتازين إحداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل وتغير اليوم ماذهبت اليه أمس ، وتهدم اليوم ما بنته أمس . والاخرى شاعرة تلذ وتألم وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وترغب وترهب في غير نقد ولا بحث ولاتحليل وكلتا الشخصيتين متصلة بمزاجنا وتكويننا لا نستطيع أن نخلص من إحداهما فما الذي يمنع أن تكون الشخصية الاولى عالمة باحثة ناقدة،وان تكون الشخصية الثانية مؤمنة مطمئنة طامحة الى المثل الاعلى

ولسنا نعترض على هذه النظرية باكثر مما اعترض به هو على نفسه في مقاله حيث ذكر بعد ذلك: «ستقول وكيف يمكن أن تجمع المتناقضين؟ ولست أحاول جوابا لهذا السؤال وإنما أحولك على نفسك الخ ولا شك في أن عدم محاوله الاجابة على هذا الاعتراض انما هو عجزه عن الجواب،» والمفهوم انه قد أورد هذا الاعتراض لانه يتوقعه حتى لا يوجه اليه

الحقيقة انه لايمكن الجمع بين النقيضين في شخص واحد وفي وقت واحد بل لابد من أن تتخلى احدى الحالتين للاخرى وقد أشار المؤلف نفسه الى هذا في نفس المقال في سياق كلامه على الخلاف بين العلم والدين حيث قال بشأنهما : « ليسا متفقين ولا سبيل الى أن يتفقا الا أن ينزل أحدهما لصاحبه عن شخصيته كلها »

أما توزيع الاختصاص الذي أجراه الدكتور بجعله العلم من اختصاص القوة العاقلة والدين من اختصاص القوة الشاعرة فلسنا ندركه ، والذي نفهمه أن العقل هو الاساس في العلم وفي الدين معا ، واذا ما وجدنا العلم والدين يتنازعان فسبب ذلك أنه ليس لدنيا القدر الكافي من كل منهما — اننا نقرر هذا بناء على ما نعرفه في أنفسنا أما الدكتور فقد تكون لديه القدرة على مايقول وليس ذلك على الله بعسير

نحن في موضع البحث عن حقيقة نية المؤلف فسواء لدينا صحت نظرية تجريد الشخصيتين عالمة ومتدينة أو لم تصح فاننا على الفرضين نرى أنه كتب ما كتب من اعتقاد تام ولما قرأنا ما كتبه بامعان وجدناه منساقا في كتابته بعامل قوي متسلط على نفسه ، وقد بينا حين بحثنا الوقائع كيف قاده بحثه الى ما كتب وهو وان كان قد أخطأ فيما كتب الا أن الخطأ المصحوب باعتقاد الصواب شيء وتعمد الخطأ المصحوب بنية التعدي شيء آخر

وحيث أنه مع ملاحظة ان أغلب ما كتبه المؤلف مما يمس موضوع الشكوى وهو ما قصرنا بحثنا عليه انما هو تخيلات وافتراضات واستنتاجات لا تستند الى دليل علمي صحيح فانه كان يجب عليه أن يكون حريصا في جرأته على ما أقدم عليه مما يمس الدين الاسلامي الذي هو دينه ودين الدولة التي هو من رجالها المسئولين عن نوع من العمل فيها وأن يلاحظ مركزه الخاص في الوسط الذي يعمل فيه

صحيح إنه كتب ما كتب عن اعتقاد بان بحثه العلمي يقتضيه ولكنه مع هذا كان مقدراً لمركزه تماما وهذا الشعور ظاهر من عبارات كثيرة في كتابه منها قوله : وأكاد أثق بان فريقا منهم سيلقونه ساخطين عليه ، وبأن فريقا آخر سيزورُّون عنه ازوراراً ، ولكني على سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث

ان للمؤلف فضلا لا ينكر في سلوكه طريقا جديدا للبحث حذا فيه حذو العلماء من الغربيين ولكنه لشدة تأثر نفسه مما أخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل حقا ما ليس بحق ، أو ما لا يزيل في حاجة الى اثبات أنه حق — انه قد سلك طريقا مظلمة فكان يجب عليه أن يسير على مهل وان يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه أقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة .

وحيث إنه، مما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين بل ان العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه انما قد أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها

« وحيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر

« فلذلك » تحفظ الاوراق اداريا رئيس نيابة مصر

القاهرة في ٣ مارس سنة ١٩٢٧

(المنار) قد أثبت رئيس النيابة أن الدكتور طه حسين طعن في الدين الاسلامي وكذب القرآن بما سبقه اليه بعض دعاة النصرانية فكان هذا في طعنه أقرب منه إلى الادب — وأثبت أن مطاعنه التي شكا منها المسلمون وطلب بعض رجال الدين ورجال النيابة البرلمانية محاكمته عليها لم تستند إلى دليل علمي صحيح وإنما هي تخيلات وافتراضات باطلة وهو قد أثبت بما ذكر ارتداده عن الاسلام، وانه كان مقدراً نتيجة عمله وسوء تأثيره في المسلمين كما صرح به بغير مبالاة — ثم أن الرئيس مع هذا اقدار تأى أن الدكتور طه يعتقد أن ما كتبه حق وأنه يقتضيه البحث العلمي ولم يقصد به مجرد الطعن والتعدي - وانه لهذا لم يجد وجها قانونيا لمحاكمته فأمر بحفظ الاوراق الخاصة بقضيته إداريا

وقد رأينا الناس متعجبين من هذه النتيجة ومخالفين لرئيس النيابة في استنتاجه، على إعجابهم بدقة فهمه وحسن تفنيده لتلك المطاعن. وقد سبق لي أن بينت في المنار مافهمته من غرض الدكتور طه حسين وهو تشكيك طلبة الجامعة المصرية وسائر من يقرأ كتابه في الدين الاسلامي بل افساد اعتقادهم وتجرئتهم على الكفر، لأنه ليس من الغباوة والبلادة بحيث يعتقد أن تلك « التخيلات والافتراضات » أدلة علمية على حقية طعنه فهو لا يعتقد أن ما كتبه حق إلا من حيث انه لا يؤمن بأن كتاب الله هو الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

ثم أقول إذا كان من يطعن في دين الدولة والامة طعنا صريحا لا يستند الى دليل ولكنه هو يعتقده - يباح له ذلك قانونا ولا يحاكم ولا يعاقب فكيف يعقل

أن يكون الطعن في الدين ممنوعا ومن الضروري أنه لا يطعن فيه إلا من يعتقد بطلانه من ملحد أو متدين بدين آخر؟ ألا إن هذا القرار يجرأ كل كافر بالاسلام على الطعن فيه ، وهل يطعن فيه الا كافر به ؟

هذا وان الدكتور طه قد استقال من التعليم في الجامعة عقب صدور هذا القرار لما فيه من الاهانة له واثبات جهله فبادر مدير الجامعة احمد لطفي بك السيد الى تلافي الامر وحمل وزير المعارف على أن لايقبل استقالته ففعل ، فعلم بهذا من لم يكن يعلم رأي كل من مدير الجامعة ووزير المعارف في الدكتور طه حسين وقد طبع كتابه ثانية بعد حذف ما انكر المسلمون منه وهو باق في الجامعة فمن شاء فليرض ومن شاء فليغضب (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

مايسمى النهضة النسائية بمصر

وعدنا بأن نكتب شيئا في هذا الموضوع فان فساد النساء الذي يسميه دعاة الالحاد والاباحه نهضة تجديد قد تفاقم واستشرى في هذه السنين حتى صار العقلاء من أهل الدين والصيانة يخشون ان يفضي في اقرب وقت الى هدم بناء الاسر والفصائل (العائلات) التى تتألف منها وحدة الشعب المصري وذهاب ما بقي من مقومات القومية والملية وذهاب الثروة والصحة في اثرها ؛ وقد كنت اتربص فرصة فراغ أبين فيها هذه الحقائق بعبارة لاتهيج علي زنابير السفهاء حماة هذا التجديد حتى رأيت المقالة الرابعة من سلسلة مقالات تنشرها في جريدة السياسة نفسها امرأة أوربية فاضلة اهتدت الى الاسلام ، فاذا هي قد وصفت المرأة المصرية بعد الاختبار وصفا لم ينكر أحد عليها شيئا منه للطفه واعتداله فرأيت ان أنشره بنصه وهو:

المرأة المصرية

أتيت في مقالي السابق على ما كان للمرأة المسلمة من الشأن وتنقلت بها في جميع الادوار التي مرت بالاسلام منذ بدئه الى هذا العهد . الا أن لي كلمتين أقولهما عن المرأة المصرية في هذا العصر . وأختم كلامي عن المرأة

ولكي أقوم بهذا التحليل الذي أرجو أن يكون من ورائه فائدة لكل أخت

مصرية مسلمة . أرجو أن يقابل كلامي بشيء من روح التسامح . وأن ينظر اليه نظرة ودية اصلاحية ، لا انتقادية عدائية

فلتعذرني اذن القارئة اذا كنت أجرؤ على القول باني لم أجد في المرأة العصرية في مصر ما أستطيع أن أشيد بذكره . أو أتغنى بمحاسنه . فكم كنت أتمنى أن أراها آخذة في دور الرقي الحقيقي والحضارة الصحيحة المؤسسة على روح الدين وحب الفضائل والآداب الاسلامية التي لم أجد فيها ما يحول دون التقدم المنشود والتمشي مع التطور الاجتماعي كما أقمت الدليل على ذلك فيما أسلفت من مقال

وقبل أن أبدأ في شرح وجوه النقص في التربية الاخلاقية الحاضرة ، أرى أن أقسم المرأة في مصر إلى ثلاث طبقات ، أتكلم عن كل طبقة بما استطعت أن أراه وأشهده ، فان رأى القاريء مني خطأ فليتكرم بتصحيحه أو شططا فليعذرني وينبهني

﴿ طبقة العامة ﴾ أستطيع أن أقول بوجه عام ان هذه الطبقة من النساء لم تمتد إلى رءوسهن بعد يد العلم والتهذيب ولا ما عداها من الفنون العادية أو الجميلة . وقليل منهن من تفهم أو تدرك معنى من معاني الرابطة الزوجية أو التربية العائلية يخيم على ربوع تلك الفئة الجهل المطبق بابسط شؤون الحياة . كما انهن بعيدات كل البعد عن معرفة أمور دينهن حتى أكثرها بساطة وسهولة ! ! وتكاد نساء هذه الطبقة لا يفهمن من العيش أكثر من التمتع باللذتين على نحو ما تعيش العجماوات في الغابات !

وما كانت كذلك البدوية الساذجة . فقد كان من بينهن من تقرض الشعر وتستظهر القرآن أو بعضا منه ولو كانت أمية ، وكن على تمام التمسك بالدين وآدابه وتأدية فرائضه

وما هكذا نساء هذه الطبقة في أوربا فجلهن ان لم أقل كلهن يعلمن القراءة والكتابة ومباديء الحساب والتاريخ والجغرافيا وغيرها . حتى لتراهن يزاحمن الرجال في ميادين الخدمة والاعمال الكتابية البسيطة

فاين أختنا المصرية في هذه الطبقة من ربيبتيها العربية والاوربية !

﴿ الطبقة المتوسطة ﴾ أخذ أكثر فتيات هذه الطبقة بقسط من الثقافة والتهذيب

وكثيرات منهن الآن يعرفن القليل من الموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة. وأرى ان هذا القدر من التعليم يكفي لان يجعل من الفتاة زوجة تعرف كيف ترضي بعلها، وأما صالحة لتربية طفلها. وأغلب نساء هذه الطبقة يفهمن آداب المجالس واختيار الاحاديث. وإن كان لا يزال من بينهن من قد يحملك مجلسها على الملل في بعض الاحيان خصوصا إذا كانت من عشاق (المودة) والازياء!

وفتاة هذه الطبقة لا تخلو من العلم بالمبادئ الدينية. وإن كانت الاغلبية قد قد انصرفت عنها وأخذت في التهاون والتفريط!...

إني لاقنع من المرأة الشرقية بهذا النصيب من الثقافة وان تفوقت عليها الغربية في هذا المضمار. وأرى أن المسلمة في القرون الاولى لم تكن تفوق فتاة هذه الطبقة علماً وتهذيباً وان سبقتها إلى الفضيلة والدين

﴿الطبقة الراقية﴾ يجب أن أكون شجاعة الى حد ما حتى أستطيع أن أخاطب بصراحة نساء هذه الطبقة.

لا أنكر على الفتاة الراقية في مصر ما أحرزته من العلم والتهذيب. ولا كيف تستطيع أن تنقل أناملها الرقيقة فوق (بلابل) البيانو. وأوتار العود!.. ولا يستطيع بصري أن يأخذ به بريق لآلئها البحرية، التي تخشع أمام در ثناياها اللؤلؤية. ولا يمكنني أن انكر عليها رشاقتها وخفة حركاتها. ولا رطانتها بالفرنسية والطليانية كأنها إحدى بنات روما والسين. ولا أنوى على مباراتها في تموجاتها فوق مراقص (هليوبليس) و(جروبي) على نغمات (التانجو والشالستون)!.

كل ذلك ياسيدتي العظيمة لاقبل لي على إنكاره والمكابرة فيه. فأنت قد أصبحت أوربية. أوربية قلبا وقالبا. عادة ولسانا. رشاقة وفتنة. ولكن اسمحي لي كمسلمة أن أسألك بالله ونبيه محمد: أين الى جانبك هذا كله.. التمسك بالدين وتعاليمه!..

قد انتهيت من التقسيم ولكن بقي لي كلمة اجمالية أقولها بصراحة. وأرجو أن أرى لي بعدها مشجعات لا ناقمات

ها أنا (ذا) قد استعرضت أمامك ياسيدتي المصرية صورتك في طبقاتك الثلاث،

فلم أر للدين ولا لآدابه في أخلاقكن أثراً ، وكأنه الكابوس على النفوس . وكأني بكن تتمثله شبحا مخيفا مزعجا يريد أن يهوي بكن الى الظلمات . أو يرجع بكن الى عهد البرابرة والوحوش ..

وإلا فأين تلك المراة التي كانت لا تخرج من خدرها الا نادراً ، ولا تزور غيرها الا غبا ، وان برزت في الاسواق فعلى صورة وفي زي يخشع له نظر الفاجر . ويرق له قلب العابد ، ويكبره ويجله شباب الرجال قبل شيبهم ؟ ؟

أين ذلك العصر الذي كانت فيه المساجد عامرة زاخرة بالمصليات الخاشعات في مقاصير أفردت لهن خاصة في بيوت الله ؟

أين تلك المرأة التي كانت إذا جلست من الرجل مجلسا ملأت قلبه خشوعاً وإجلالا ، وألقت عليها بنظراتها الطاهرة البريئة دروساً بالغة في العفة

بيض غرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

دالت دولة تلك المرأة المتعففة الفاضلة ، وأصبحت لاترى في الاسواق إلا كل بارزة النهدين ، مزججة الحاجبين ، مكحولة العينين ، دامية الشفتين ، عارية السواعد والسيقان ، متمايلة في مشيتها ، مداعبة في نظرتها ، متراخية متكاسلة ، حركتها تطمع ، ونظراتها توقع . ثم دعك قليلا من الطريق ، وادخل معي دكانا من الدكاكين « الكبيرة » وانظر هل ترى الا بحراً زاخراً من الاجسام النسائية ، وسواعد ونهودا وصدورا عارية ، وضحكات كأنها نغمات الموسيقى أو أحلى ، تستوي في ذلك كله الثلاث الطبقات .

وأسمع أن هناك جمعيات نسائية ، غير أني لم أر مع الاسف أثرا جديا في سبيل نهضة المرأة المصرية والرجوع بها الى حظيرة الفضيلة والدين ، وصونها عن التبذل والخلاعة . وإلا فمن من الرجال لا يشكو اليوم اسراف زوجه وبناته في الملبس والمسكن واقتناء الحشم ، ومن منهم لا يشكو كثرة الخروج والزيارات ، وانفاق الاموال في الملاهي والسياحات ؟ .

وأين الفتاة أو والد الفتاة اللذان لا يشكوان إعراض الشبان عن الزواج

ورغبتهم عن البنات ؟ وأين الكتاب والادباء والشعراء الذين يحضون بكتاباتهم وخيالهم واشعارهم على حب الفضيلة والعفة والتمسك بآداب الدين ؟ ثم اين المجتمع والخطباء الذين يبينون مواضع الضعف الاخلاقي وعلاجه ، ويرشدون الى مواطن الفضيلة والشرف ؟

اني لأرى الغرب يكتسح بمدنيته الخداعة كل ما بقي في هذه الديار من آثار التقى وآداب القرآن ، وأرى النفوس تستعذب هذا الطريق وتستمرئه ، وتصبو الى المزيد منه والتمادي فيه !

لم لمْ تتعلم المصرية من الغربية حب الاقتصاد والتدبير في المنزل ، ونظافة الداخل ، وتربية الاطفال ؟ لم تقلدها في القبيح ، وتقف جامدة أمام الحسن المليح ؟

لم لم تنقل عنها خروجها يوم الاعياد والآحاد الى المعابد والهيا كل تصلي وتذكر ربها قبل أن تنصرف الى أماكن اللهو والنزهة

وما لنا لا نبتدع ؟ — ان كنا قد شغفنا بحب تقليد الغربيين الى هذا الحد — أناشيد دينية وألحانا اخلاقية مستعيضين بها عن تلك (الطقاطيق) السخيفة المبتذلة تثير في القلوب نشوة الدين ، وتحث على التمسك بالفضيلة ، وتزجر عن التمادي في التبذل والغواية ؟ .

ثم مالنا لا نعمر بيوت الله بذوي الاصوات الشجية يرسلون مثل تلك الاناشيد الدينية والاخلاقية على مسامع الشبان والفتيات — قبل أو بعد الصلاة [1] — وليس فينا من يجهل تأثير النغمات على النفوس، ولعب الصوت الحسن بالقلوب والعقول، فتنمو فينا بذلك روح الطهر وتزكو النفس ، وتتهذب الاخلاق ، وتسمو بالرجل والمرأة الى أعلى مراتب الفضيلة !

سيدتي ! الاخلاق الاخلاق ، الفضيلة ، العفة ، كل أولئك لا تجدينه الا في دينك ، ولا يمكن أن تري لك منزلة عالية في القلوب قبل المكانة التي تنشدينها في المجتمع الا بعد أن تتفهمي ما انطوى عليه دينك من حكمة عالية ، وآداب سامية .

سيدتي . اعملي على تقويم الاخلاق ، وأحيي الدين والشريعة ، وحضي على

«١» الصواب في مثل هذا التعبير أن يقال قبل الصلاة او بعدها

التمسك بهما ؛ ثم دعي بعد ذلك المرأة تخرج سافرة أو مقنعة ، تخالط الرجال وتمشي في الاسواق ، فلن تقع عيناك الا على كل فاضلة عفيفة ، ثم انظري هل ترين رجلا يبغي الزواج من اثنتين ، أو شابا راقيا يفضل عيش العزوبة على الزواج من فتاة طاهرة نقية ، أو حياة زوجية لا تسودها السعادة ولا الهناء ؟ ثم انظري وانظري ! ..

الا انما المرأة كشجرة ، فاسقوها بماء الفضيلة وغذوها ببذور العفة ، واجتثوا منها وهي ناشئة جراثيم التبذل والرذيلة ، وأنموها على التقوى ومبادىء الدين ، فالمرأة ان سمت ، كانت مخلوقا سماويا يوحي الى الرجل كل عزيمة ، ويبث في قلبه روح التضحية وغيرة الرجولة وعبقرية العظماء

فان احبت ولست أجهل ما في الحب من سر قدسي فهو عذري طاهر كحب ليلى وقيس ، وحب معنى لا مبنى ، وهيام روح طاهرة الى روح طاهرة تجانسها وتكمل ما فيها من نقص ، لا حب بهيمي ارضاء لغريزة الحيوان

فان تزوجت فزوجة كخديجة تناصر زوجها وتؤازره ، وان انجبت فبأمثال عمر وعلي ، وان جالست من الرجال فمجلسا كمجلس عائشة

وان عملت فعلى طراز خالدة أديب التي قدم لها رجال تركيا كرسي وزارة المعارف اعترافا منهم لها بفضلها ويدها على النهضة التركية

لا أريد لمصر امرأة كالتي قيل فيها إنها أحبولة الشيطان أو واحدة من ثلاث من تجارة ابليس .

إنما أريد المرأة الطاهرة السماوية التي يخشع أمامها قلب الرجل كأنه يرى فيها صورة الرحمن ! ..

وانما الامم الاخلاق ما بقيت * فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مدام رئيفة كامل

(المنار) لا يوجد في أوربة كلها شعب أهمل التربية الدينية للاناث كاهمال مصر شعبا وحكومة وهي مع ذلك تبيح حرية الكفر والفسق كالرقص والسباحة مع الرجال والزنا في بعض الاحوال ، فكيف يكون المآل؟

الشيخ احمد عباس الازهري البيروتي

وفاته وترجمته

في يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر شوال هذا العام توفي الاستاذ العالم العامل الشيخ احمد عباس الازهري في مدينة بيروت مسقط رأسه وموطن عمله ودفن في مقبرة الباشورة باحتفال كبير يليق بمقامه. وقد كتبت خبر وفاته مع الوعد بترجمته لينشر في الجزء الماضي ولم أعلم بأنه لم ينشر لكثرة مواد الجزء الا بعد صدوره

كان الاستاذ صديقا لي وكان لي معه مجالس اصلاحية خاصة في زياراتي الاخيرة لبيروت ولكنه لم يكن يعلم فيما أظن أنني أفضله على جميع علماء بلادنا في مجموعة معارفه - لا في كل نوع منها ولا في علم أو فن خاص امتاز به - وفي اقدامه وسعيه لنشر علوم الدين والدنيا وفي وطنيته وقوميته .

لا أعرف أحداً من علماء سورية كان خبيراً بزمانه وأهله - كما قال بعض السلف في وصف العالم أو الفقيه - وكان بخبرته يهتم بأمر أمته ووطنه ويحب لهم أن يسابقوا غيرهم في العلم والعمل - الا أستاذي الشيخ حسين الجسر فصديقي الشيخ احمد عباس رحمهما الله تعالى وكان الشيخ حسين أوسع من الشيخ احمد علما ولكن الشيخ احمد كان أنشط منه في العمل والسعي . سعى الاول لانشاء مدرسة وطنية في طرابلس تجمع بين العلوم الدينية والفنون العصرية وبعض اللغات الاجنبية التي تقتضيها ترقية التجارة والعلم ثم سعى لأن تعترف الحكومة العثمانية بأنها مدرسة دينية يعفى طلابها من الخدمة العسكرية فلما لم تقبل الحكومة سقطت المدرسة وقضى الاستاذ بقية عمره في تدريس فنون العربية والعلوم الدينية على الطريقة الازهرية التقليدية مع نوع من سهولة الالقاء والتنبيه الفكري ولو ثبت على النهوض بادارة المدرسة الوطنية لأحدث انقلابا كبيرا في سورية

وأما الشيخ احمد عباس فمازال يجاهد في هذه السبيل الى أن قضى نحبه كما ترى في ترجمته، وهو لم يلق من أغنياء سورية ولا بيروت ولا من وجهائها ماكان يجب عليهم من مساعدته ولو ساعدوه لامكن أن يستغنوا بسعيه عن مدارس الاجانب.

جاهد الشيخ احمد عباس في سبيل نشر العلم بالتعليم نصف قرن وقد احتفل بعيده الذهبي في بيروت احتفالا حسنا لم يتح لنا الاشتراك فيه ، وقد ألقى صديقنا الاستاذ عبد الباسط فتح الله خطابا في ذلك الاحتفال أودعه تاريخ الاستاذ المحتفل به وهو أجدر الناس بذلك علما واطلاعا وحسن بيان، فنحن ننشر هذا التاريخ بنصه في المنار مع تغيير ألفاظ قليلة جدا اقتضاها الفرق بين الكلام عن رجل في حياته ثم بعد وفاته وهو :

(مولد الاستاذ ومنشأه)

كان مما تركته الحملة المصرية التي اكتسحت الديار الشامية سنة ١٢٤٥ هـ بقية صالحة تأصلت في ثغر بيروت فنشأ منها فرع ازهر وأثمر، وانتظم البلاد خيره :

العباس بن سليمان من جند ابراهيم باشا بن محمد علي الخديوي تزوج ببيروتية من بني الشامي فرزق منها عدة أولاد صفوتهم (احمد) الذي لبس حلة الوجود عام سنة ١٢٧٠ هجرية فكان شعلة من نور أضاءت بيت والد فقير . فلما بلغ الخامسة من عمره أدخله الى الكتاب فقرأ القرآن الكريم على الشيوخ الحفاظ المجودين ، واستظهر منه بضعة أجزاء وفي السنة العاشرة دخل المدرسة الرشدية التي أنشأها المرحوم الشيخ حسن البنا حيال سنة ١٢٨٠ وهي أول مدرسة اسلامية عصرية سماها صاحبها بالرشدية قبل أن تنشيء الدولة مدارسها المعروفة بهذا الاسم نسبة الى راشد باشا والي سورية لذلك العهد . فتعلم الخط والحساب وكان من شيوخه فيها علامة الفقه والادب المرحوم الشيخ ابراهيم الأحدب .

الى ذلك الزمن ظل العلم عزيزا والعلماء نادري الوجود والناس ولا سيما المسلمون في هجمة قطعت صلتهم بالماضي ، وتراكمت على فكرهم سحب من الجهل حجبتها عن التطلع الى المستقبل ، فظلوا في فترة من العلم حتى نبغ الاستاذان الفاضلان الكبيران الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد قدس الله روحيهما ، فصاحا بالقوم صيحة أيقظتهم من سباتهم، وزحزحتهم عن مضاجع غفلتهم ، وجعلا ينيران بدروسهما عقول الكافة ، ويثقفان عقول النابهين من الخاصة ، حتى استرشدوا وأحسوا الحاجة الى العلم فهبوا لطلبه ، وكان آنئذ بدء النهضة العلمية في الطائفة الاسلامية في بيروت

ثم أراد العلامة الناهض الشيخ عبد الله خالد أن يتوسع في نشر العلم فاقترح على زملائه والنابهين من تلاميذ قرينه العلامة الشيخ محمد الحوت الكبير انتخاب طائفة من نجباء تلامذة الرشدية واختصاصهم بدروس توسع ما أدركوا من علوم الدين فتزيدهم معرفة بالعلوم العربية ليتسنى لهم أن يخدموا الامة بنشر العلم فيها عملا بقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فارتاح الاساتذة الى هذا الاقتراح واقتسموا المنتخبين فكان (احمد) من نصيب الاستاذ الاديب الشاعر الشهير السيد عمر أنسي فلزم دروسه ووجد فيه السيد عمر نباهة وحرصا على التحصيل فزاده من عنايته حتى فاق رفاقه وصار يذاكرهم الدرس عند ما كان يغيب الاستاذ الذي شغلته تجارته بعد حين عن مواصلة التدريس في الاوقات المعينة

واتفق أن الامير محمد أرسلان صادف الشيخ عمر ومعه تلميذه الصغير (احمد) بماشيه فسأله عنه فعرفه اليه وأثنى عليه فجعل الامير يباحثه في بعض مسائل النحو وهو يحسن الجواب حتى التفت الامير إلى الشيخ عمر وقال له جدير بتلميذك أن يدخل الازهر فكان لهذه الكلمة أثرها في نفسه وبعد قليل يمم الازهر أحد رفقائه في طلب العلم وهو الشيخ خضر خالد فهاجت رغبته الكامنة واشتدشوقه إلى ورود ذلك المورد العلمي العظيم غير أن أباه الفقير كان كثيراً مايمنعه من الانقطاع الى الدرس في نفس بيروت للاستعانة به على الكسب فكيف إذا سأله السفر ومايستلزمه من النفقة ؟ فجعل يستنجد باستاذه ليبلغه مقصده، والاستاذ الانسي يقول له : رويدك لايصبر على الازهر الا كل ضامر مهزول ، فيجيبه (احمد) وهل أنا الا ذلك الضامر المهزول ؟ واتصل الخبر بالسري الاديب المفكر الناهض السيد حسين بيهم فاجرى عليه وظيفة شهرية من ريع لاسرتهم كان موقوفا على عمل الخير ثم انتدب الشيخ الانسي ورفيقه الشيخ عبد الرحمن الحوت فهونا الامر على والده وأقنعاه فأذن له وفرض على نفسه مبلغا إضافه الى مارتبه المرحوم السيد حسين بيهم وولى احمد وجهه شطر الجامع الازهر سنة ١٢٨٥ هـ فعكف على التحصيل مدة ست سنين فنال من فضل الله بجده مالم ينله غيره في مثلها من الزمن

والنـاس مشتبهون في إيرادهم وتفاضل الاقوام في الاصـدار

فتلقى علوم العربية وآدابها من خواص مدرسيها لذلك العهد كالشيخ المرصفي والاشرافي والايباري والبابي الحلبي . وأخذ الشريعة على مذهبي الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أبي حنيفة عن أعلام علمائها (الاشموني والعز والرافعي ومنقاره) واضطلع بالعلوم العقلية والنفسية والتصوف بين يدي جهابذتها حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني والشيخ احمد البابي الحلبي والشيخ محمد الولي الطرابلسي . وعند ما كان يأتي بيروت أثناء العطلة الازهرية لم يكن يقضي أيامه في الاســتراحة بل كان يتزود في المنطق والادب من دروس العـلامة الشيخ يوسف الاسير رحمه الله .

وبينما هو على وشك الفراغ من التحصيل أصابته في السنة الخامسة مصيبة كادت تعجله عن الاتمام إذ توفي أبوه ففقدت أسرته المعين وأعوزته النفقة، فاضطر إلى ترك الازهر في بدء السنة السادسة وقفل راجعا وحل ضيفاً على رجل المروءة والاحسان المرحوم سعد الله بك حلابه بالاسكندرية فسأله عن أسباب عودته في غير ميعاد العطلة فنبأه بخبره ، وما كاد يتم قصـته حتى نقده ـ تغمده الله برحمته مبلغ الراتب الذي كان يرسله اليه أبوه عن السنة كلها وأمره بالعود وأتمام التحصيل فأحسن له الدعاء وعاد فأتم ونال إجازات التدريس سنة ١٢٩١ من أساتيذه في العلوم التي تعلمها (بعد التحصيل)

تلك المرحلة الاولى من حياة الاستاذ الرئيس وهي في كثير من ماجرياتها تشبه حياة أكثر العصاميين فأين مميزات ذاته ومقومات ماهيته التي ترتسم بها صورته الخاصة في أذهان المعاصرين ، ويحتفظ بها لوح التاريخ ؟

لا جرم أنه يسهل على الانسان تصور حقيقه ما كما هي كلما كانت أقرب الى السذاجة . فاذا تشعبت وعلت مرتبتها في الوجود عز ضبطها فتفاوتت صورها في الاذهان بتفاوت المدارك ووسائل التصوير . من أجل ذلك نرى الناس يختلفون في وصف الرجل الواحد من العلماء والمفكرين المصلحـين فكل يرسم له صورة حسبما وصل اليه من خبره ، وقلما يصيب الحق فيه واصف لما يعترضه من وعورة

الرواية واختلاف اهواء الراوين ، وفي هذه الحال لايبقى إلى معرفة الحقيقة غير سبيل واحدة وهي النظر في العمل لأن الاعمال هي وحدها مرآة الرجال الصافية التي تحتفظ من حقائقهم أمثل صورة وأصدق مثال ، فلم نستقريء شيئامن أعمال شيخنا التي تتجلى فيها صورته المعنوية الخالدة .

نرى للمعاهد العلمية الكبرى أثراً خاصاً تطبعه في نفوس روادها بقصد أو بغير قصد حتى ليدركه البصير في نقد الرجال أثناء المعاملة أو المذاكرة والمباحثة . غير أن الازهر وإن اتحد أثره في الازهريين من حيث التحقيق في البحث والاستقصاء في التقرير إلا أن له آثاراً مختلفة من حيث العمل بالعلم والاستفادة منه . فترى في الازهريين المجتهد العامل الذي استعد عقله للجري على نظام التجدد وقبول الحقائق التي يقررها العلم الحديث وتأهلت نفسه لسلوك سبل الحياة سهلها وحزنها . كما ترى فيهم الجامد والخامل الذي لافرق بينه وبين الصحيفة تؤرّفيها المطبعة أو يد الخطاط فلا تعود تقبل الزيادة ، ويعتريها النقص بما ينتابها من عوارض الطبيعة ، ثم هي تستقر حيث تلقى لاتغيير ولا تبديل حتى يدركها الفناء . فمن أي الفريقين جاء الاستاذ الرئيس ؟ كأني بكم تقولون معي من الفريق الأول ولا ريب .

عاد من الازهر الى بيروت سنة ١٢٩١ هجرية . وكان العلامة العامل الكبير المعلم بطرس البستاني قد أنشأ مدرسته الوطنية وازدحم فيها الطلبة من كل ملة . فدعى الازهري الجديد الى التدريس فيها واختصاص التلامذة المسلمين بدرس ديني . فلبى الدعوة وقام بالعمل الى آخر سنة ١٢٩٤ حيث صرفت المدرسة تلامذتها وأقفلت بسبب انتشار الهواء الاصفر . وهكذا أصبح الازهري بلا عمل فماذا فعل ؟ لم يكن ثوبه العلمي ليمنعه من كسب الرزق الحلال من موارده المشروعة فاتخذ له دكانا وجهزها بما استطاع من البقول والأثمار وقعد يبيع ويشتري كعامة الناس ، ومر به الوجيه الورع المرحوم الحاج محيي الدين بيهم فعز عليه أن يرى الشيخ الفتى يحترف الحرفة المبتذلة فدنا منه وقال له أرى أن هذا غير لائق بك . فأجابه أرى أن هذا أليق من التسول للقيام بأود الاهل وبعد قليل من الزمن اي في سنة ١٢٩٥ دعاه الامير مصطفى أرسلان الى التدريس

في المدرسة الداودية في (عبية) فلبى دعوته وظل يعمل هناك بجد واخلاص مدة ثلاث سنين آخرها سنة ١٢٩٨ . وكان من تلاميذه ثمة المحامي المشترع المرحوم عباس حميه والافاضل محمود بك تقي الدين مدير المعارف السابق وسامي بك العماد وثامر بك العماد وفرحات بك حماده وغيرهم . ثم ترك الداودية ليتولى ادارة مدرسة المقاصد الخيرية التي تأسست في بيروت سنة ١٢٩٩ بعناية أبي الاحرار المرحوم مدحت باشا وصديقه الكبير رائف باشا متصرف بيروت . ثم انتخب لتدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٣٠٠ .

ولما افتتحت جمعية المقاصد الخيرية مدرستها السلطانية عام ١٣٠٢ دعته إلى التدريس فيها وتولي نظارة السلوك كما دعت الاستاذ علامة سورية المرحوم الشيخ حسين الجسر إلى تولي إدارتها فقام بالوظيفة خير قيام مع محافظته على التدريس في الرشدية العسكرية حتى كاد لايكون له ساعة للراحة

في المدرسة السلطانية عرفنا في الاستاذ الرئيس الناظر البعيد النظر ، والرقيب الشديد الحذر ، والمربي الحكيم يحسن سياسة النفوس ، حتى اذا مااستقامت على الطريقة بث فيها روح التقدم وسانها إلى أنبل مقصد من مقاصد العلم وأمثل غاية من غايات العمل — في المدرسة السلطانية كان أول من (شنف) آذاننا وشغل أذهاننا بهذه الكلمات الذهبية . حب الوطن ، الغيرة على الامة ، والاستعداد للمستقبل ، الجد ، النهوض ، الاعتماد على النفس ، إلى أمثالها من الفرائد الكريمة التي كان ينسج منها خطبه ومواعظه ، ويشعل بنارها أفئدة النشء الذي كان يربيه ويعده لخدمة ملته وبلاده

لم تطل إقامته في المدرسة السلطانية لما اعتور ادارتها من تأثير السياسات المختلفة فاستقال من خدمتها سنة ١٣٠٤ ولما كانت همته وعصاميته تأبى الارتزاق من موارد الكسل انصرف إلى تجارة الكتب لكيلا يفارق العلم في أيما عمل متأسيا باستاذه البابي الحلبي صاحب المطبعة والمكتبة المشهورة وأسس في تلك السنة مكتبته العثمانية ومع مافي ظاهر هذا العمل من النفع الخاص فقد خدم به العلم إذ حبب المطالعة إلى كثير من الناس وزاد في رغبة الراغبين فيها بما كان ينتقي لهم

من التآليف الحسنة فى كل فرع من الفروع على أن تجارته هذه لم تكن لتشغله عن غرضه الاسمى من إصلاح النفوس بالوعظ والارشاد والتربية والتعليم لذلك ماكان ينفك عن إلقاء الدروس فى المسجد الجامع العمري تلك الدروس التي كان يرمي فيها الى تهذيب الاخلاق التي انما يكون المسلم بها مسلماً بل الانسان انساناً ، وتفقيه الكافة فى الدين ، وتنوير عقولها بمواعظ التاريخ الاسلامي ، ومناقب الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم . ولمثل هذه الغاية من الاصلاح كان سلك غب عوده من الازهر الطريقة الشاذلية ، وعمل جهده على ضبط أفكار مريديه من العامة بضابط الشرع ، وشحذ قرائح المتعلمين منهم بآداب التصوف ، وقاية لأولئك من الشذوذ الذي قلما يسلم منه السالك الجاهل ، وصوناً لهؤلاء من الجمود الذي يستولي على الطالب الواقف عند ظواهر الفقه دون النفوذ إلى أسراره المتعلقة بكمالات الروح وتهذيب النفس ، على نحو ما أشارت اليه هذه الكلمة الحكيمة : الطريقة بلا شريعة باطلة ، والشريعة بلا طريقة عاطلة[1]

ثمان سنين مضت على الاستاذ في المكتبة دون أن يفارقه الفكر فى خدمة الامة من أقرب الطرق وبأنجع الوسائل خصوصاً وقد رأى (بعد) ماعرى المدرسة السلطانية من القلب والابدال فى المبدإ والمقصد أن الخطب يتعاظم والخطر يشتد

تنبه المسلمون للعلم بصحبة القطبين الجليلين الحوت وخالد ، ثم اندفعوا إلى تحصيله من الطريق الوطني الاسلامي الذي اختطته لهم جمعية المقاصد الخيرية أسوة ببقية الطوائف المواطنة ليجاروها فى حلبة المدنية . بيد أن الحكومة السابقة التي كانت تخصهم من مراحمها بالقسط الاوفر أخذت عليهم هذه الطريق وصدتهم فى بدئه عن بلوغ غايته ، إذ حولت المدرسة السلطانية إلى معمل موظفين . فارتدوا حيارى وسبل العلم متفرقة ومناهله مختامة لايدرون أي سبيل يسلكون ، ولاأي منهل يردون ، وألحت بهم الحاجة إلى مدرسة يعتاضون بها عن المدرسة الوطنية

(١) المنار : اذا اريد بالطريقة هذه النظم المعروفة المنسوبة الى المتصوفة كما هو الظاهر فهو مراد باطل ، واذا اريد بها ما هو أعم وهو الاهتداء بالشريعة عملا وحالا فالمراد صحيح

التي فقدوها ، فمن لهذا الامر العظيم غير الكفء الندب العظيم؟

دفعت الغيرة والحمية أستاذنا لسد هذه الثلمة فترك تجارة الكتب سنة ١٣١٢ استعداداً لانشاء المدرسة المنشودة وكاشف بالامر صديقه المفضال صاحب السعادة السيد عبد القادر افندي قباني فوجد عنده من الشعور مثلما كان يجد هو في نفسه حتى ان سعادته ارتاح إلى مشاركته في رأس المال

وهكذا تيسر له سنة ١٣١٣ هجرية فتح المدرسة التي سماها بالعثمانية تعوذاً من شر . ودعاني إلى ماأحب من الخدمة فلبيت وسعدت بموازرته زهاء عشرين سنة ، ومنذ ذاك دخل الاستاذ الرئيس في طور من الجهاد الادبي لايحتمل المقام وصف مصاعبه ومتاعبه . جرت المدرسة العثمانيـة على نظام عصري في الادارة والتدريس لم يعهد بمثلها في المدارس التي ينفرد بتدبيرها شخص واحد حتى زهت في برهة يسيرة وانتشرت شهرتهـا في الآفاق ، فأمها الطلبـة من أقاصي البلاد الاسلامية فضلا عن الاحياء السورية، ثم اتسعت دائرتها وجمعت داخل محيطها أقسام التعليم الثلاثة الابتدائي والاستعدادي والعلمي ـ عدا روضة الاطفال . وبهذه صارت كلية وأخرجت للأمة من الشباب الناهض الذي انطلق يؤدي ماوجب عليه لامته من خدمة المدنية في فروع العلم التي حصلها في الكلية الاسلاميـة ، ثم اضطلع بها في جامعات بيروت وأوربا فكان منه الاديب الصحافي والطبيب والصيدلي والحقوقي والتاجر ، وبالجملة فان تلامذة الكلية الاسلامية إن لم يرفعوا أمتهم إلى ذروة المجد فقد قربوها من المنزلة التي تليق بها بين اخواتها في الوطنية من الامم الراقية .

هذا ومن الاماني الاصلاحية التي كانت تشغل قلب الاسـتاذ الرئيس التوفيق بين مقتضيات العلوم الحديثة ومقررات العلوم الدينية . كان يزعجه مايرى من التباين في الرأي بين بعض تلامذة المدارس العصرية وبعض طلبة العلوم الدينية لجهل كل من الفئتين بعلم الفئة الاخرى وخاف على الجهود المبذولة في سبيل نهضة الامة أن يحيط بها هـذا الخلاف أو يحبطها إلى عكس المقصود منها . فهم بتلافي الامر فوسع قدر ماأمكن دروس العلوم الدينيـة من فقه وتوحيد وأضاف اليهـا

درساً في علم الاصول ، ثم حاول انشاء دائرة خاصة بمريدي الاختصاص في العلوم الدينية شرط أن لايقبل فيها إلا من اضطلع بالعلوم العصرية وأحرز (إجازة البكلوريا) .

ولما كانت واردات المدرسة لاتتسع للانفاق على هذه الدائرة رأى أن يستنجد المشيخة الاسلامية فسافر إلى الاستانة سنة ١٩١٣ وعرض عليها الفكر فأعجبت به ونقلته إلى رجل الدولة إذ ذاك (أنور باشا) فحبذه هو أيضاً ووعد بتخصيص ألف ومائتي ليرة تدفع مشاهرة معاونة لهذا المشروع [١] غير أنه لم يدفع منها سوى قسط واحد ووقعت الحرب العالمية فبدلت الخير شراً ، وانقلبت المعاونة إلى مضايقة وإحراج انتهى إلى إقفال المدرسة ونفي الاستاذ الرئيس إلى استانبول ووضعه هناك تحت المراقبة كماهو معلوم . على أن النكاية ومشاغلها العظيمة ماكانت تستغرق همته ، وما كانت عزيمته لتقف عند حد من الخدمة . فقد كان لايدع فرصة تسنح إلا اغتنمها للقيام بعمل مفيد ، وإن أنس لاأنسى دهشتي وقد دخل علي المخزن [٢] يوما من أوائل أيام الدستور العثماني وفي يمينه اسطوانة من الورق فقلت له ياأستاذ : ماتلك بيمينك ؟ فألقاها إليّ واذا هي ثلاث استدعاآت بطلب ثلاث رخص بانشاء جريدة ومجلة ومطبعة . إلي ذلك اليوم كنت أحسب نفسي أعرف الناس بمبلغه من علو الهمة والاقدام ، ولكن استصغرت نفسي واستضعفت ادراكي عند ماظهر لى أن همته لاتحد بحد ، وأن إقدامه لايقدر بمقدار .

(آثاره العلمية والادبية) إن ماتقدم بيانه من المهام التي شغلت قلب الاستاذ وجوارحه مذ برز لمعركة الحياة كانت تكفي لاِشغاله عن سواها من الكتابة والتأليف غير أن احتماله اعباء التدريس حمله على وضع عدة كتب نافعة في علوم الصرف والبلاغة والمنطق وأحوال الفقه [٣] على أسلوب يقرب هذه العلوم من افهام التلامذة الذين يكلفهم منهاج التعليم العصري كثيراً غيرها من العلوم الرياضية والطبيعية واللغات وآدابها . وكان شرع في تصنيف كتاب في تاريخ آداب العربية

(١) المراد أن المبلغ المذكور إعانة سنوية ولكنها تدفع مشاهرة كل شهر مائة ليرة
(٢) محل تجارة صاحب الترجمة (٣) أي قسم العبادات من الفقه

وأملى منه عدة فصول على تلامذته ، فلما ظهر كتاب (الوسيط) الذي وضعه الاستاذان الفاضلان الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني في مصر وجده وافيًا بالغرض فاعتمده في تدريس هذا العلم وأجل اتمام كتابه

أما مكانته من الشعر وفنون الادب فيكاد لايجهلها أحد . فقد صور شهامة العرب ومكارمها وعواطف القلب البشري واهواء النفس في رواياته البليغة : السموأل والسباق ، وذي قار ، وفتاة الغار ، التي تكرر تمثيلها وشهدها الالوف من الناس فراقهم حسن سبكها وما رصعت به من الشعر الجزل والامثال الحكيمة التي المسامع والقلوب (كذا)

﴿ أثره الاكبر ﴾ على أن للاستاذ أثره الخالد وتأليفه الحي النامي الذي أبدعته عزيمته الماضية ، وتعاهدت تنسيقه وتنميقه قواه العقلية والبدنية تعضدها مزاياه النفسية ، من حزم وثبات واخلاص . ذلك الاثر الذي اتخذ له من عقول النابتة وقلوبها صحائف حساسة أودعها ماشاء أدبه وشأت الوطنية والمدنية من كل علم وفضيلة ثم هو لم يفعل بها فعل المؤلفين يجمعون صحفهم بين دفتين ، بل فرقها في الآفاق تشع النور والعرفان ، وتنمو وتكثر ماتعاقب الملوان ، وأضاء النيران (عنيت المدرسة) (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(المنار) يظن بعض الناس أن قصر مدة مجاورة الشيخ احمد عباس في الازهر يدل على أنه لم يكن من علماء الدين بكل ما في هذا اللقب من معنى. ونقول ان اشتغال طالب العلم الذكي بتلقي العلوم الازهرية بضع سنين وتلقيه فيها عن علماء أذكياء كالشيخ المرصفي وغيره من شيوخ فقيدنا كاف لتحصيل القدر الكافي من هذه العلوم الذي يمكن صاحبه من الاخصاء بنفسه في كل ما يريده منها ولتحقيق كل مبحث يريد الاحاطة به من مباحثها ولو أنه مكث بضع عشرة سنة في دراسة تلك الحواشي والتقارير المعلومة والغوص في مناقشاتها لغرق في بحر من الخيال تتقاذفه أمواج الاوهام والشكوك ولم يخطر في باله خدمة أمته بمثل ماخدمها به

وأما الذي أذكى مصباح استعداده للعمل والسعي للنهوض بالامة فهو حضوره بعض مجالس السيد جمال الدين الافغاني ثم قراءته لصحيفة العروة الوثقى التي كان يصدرها هذا الحكيم بقلم مريده وصديقه الاستاذ الامام رحمهم الله أجمعين

أنباء العالم الاسلامي

المسلمون في أميركا يطلبون أستاذا من الأزهر

وقفنا على الكتاب الآتي الذي أرسل الى شيخ الأزهر بوساطة وزارة الخارجية المصرية ولم نعلم ماذا كان من أمر الجواب عنه وهذا نصه :

٢٢٦ يونيون هول جمييكا . ل . ا . مدينة نيويورك

صاحب الفضيلة المفتي الاكبر شيخ الجامع الازهر القاهرة ـ القطر المصري

أود أن أبين لفضيلتكم ـ معبرا ببياني عن عواطف الكثرة من السكان ـ الحالة الدينية السيئة التي تحيط بمسلمي هذا القطر خصوصا المتزوجين منهم العائلين للأطفال ـ ليس لقومنا امامة دينية تهديهم، الرجال احرار في معتقداتهم ولهم ان يصدقوا مايشاءون ـ وليس للشبان فضيلة الا أنهم مسلمون صادقون، اما الاطفال فيشبون جاهلين بميراث اسلافهم وبمباديء الدين لا جامع ولا مدرسة تؤويهم

أما الاساتذة القليلون الذين يفدون الى هذا القطر فان مكاسب التجارة تغريهم بمجرد وفودهم فيهجرون التعليم ويقبلون على الدخول في غمار المتاجرة ٠ وحينئذ ينبذ عامتنا فكرة تلقي الهدى الروحي عنهم، وقد أصبحوا رجال أعمال مثلهم

ومن الممكن أن نثق وثوقا صحيحا انه إذا تحسنت أحوال الاسر التي يجري فيها الدم الاسلامي فان عدد المسلمين يزيد زيادة عظيمة ويكون ذلك يومئذ أجل المكافأة للجهود التي تبذل في هذا الصدد . ولقد حاول القوم كثيراً أن ينشئوا عدة مراكز للعمل ، ولكن لم تكلل تلك الجهود بالنجاح لعدم وجود قيادة ذات سلطة ، واضعف الالمام بأحوال القطر المحلية .

هذا وهناك رغبة ظاهرة تقضي بتسيير الاعمال في حدود الدائرة الوطنية مع إهمال روح الاسلام العامة إهمالا كليا . فلذلك يمكن أن يجني المسلمون الاميركيون من جراء توحيد جهودهم أكبر الفوائد

وليكن من المفهوم ياصاحب الفضيلة - ان عريضتنا هذه ليس لها أية صبغة سوى الصبغة الدينية، وان قضيتنا ماهي إلا قضية قوم ذوي دين خاص يريدون لهم أستاذا هاديا. والآن قد رغبنا في ايجاد وحدة دينية فانا نلتمس بهذا أن تكون حاجاتنا المساسة المستعجلة موضع التروي والفحص منكم وأن يبعث الينا أستاذ معلم يعرف أحوال هذا البلد ويبقى بيننا حتى تصبح هذه الجماعة قادرة على اخراج أساتذتها

١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٦ (امضاء) حسين أديب

نيويورك . الولايات المتحدة ا . ل . الداعي الاول

اسماء وعنوانات بعض العاملين معه

المطبوعات الحديثة

﴿ مفتاح الخطابة والوعظ ﴾ كتاب في العقائد والعبادات والاخلاق والفضائل وآداب المعاملات الشرعية للحكام وسائر الناس — صنفه صديقنا الاستاذ الشيخ محمد احمد العدوي أحد علماء الازهر المشتغلين بالسنة ومدرسي القسم العالي فيه ووعاظ المساجد الرسميين ليستعين به في وعظه وخطبه ويكون خير مادة لغيره من خطباء المساجد وغيرهم من الواعظين ، ومباحثه تدخل في بضعه عشر كتابا الاخلاص ، العلم ، العقائد ، الاخلاق ، الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الصيام ، الحج المعاملات المدنية ، النكاح ، الجهاد ، القضاء ، والولايات المنكرات الظاهرة ، وختمها بالكلام في التوبة وماتنال به سعادة الدارين ولم يسمه كتابا

وفي كل كتاب من هذه الكتب فصول فيما تشتد حاجة جميع المسلمين إلى العلم به ومادتها كلها من الكتاب والسنة التي يحتج بهما يبتدىء كلا منها بالآيات معدودة معزوة إلى سورها، ويقفي عليها بالاحاديث النبوية مقترنة بأسماء مسنديها إلى النبي ﷺ معزوة الى مخرجيها من كتب حفاظ السنة وجامعيها لايزيد على ذلك الا تفسير بعض الالفاظ التي يحتاج الجمهور الى تفسيرها في حواشي الكتاب

عرض المؤلف كتابه هذا على وزارة الاوقاف لتقرر ارشاد خطباء المساجد التابعة لها ووعاظها على الاستعانة به على عملهم فندبت لجنة من كبار علماء الازهر

لفحصه ثم قررت (تحت رقم ١٢٨٢ سنة ١٣٤١) « ان هذا الكتاب صالح لان يكون مادة يستعين بها الوعاظ والمدرسون في إلقاء مواعظهم ودروسهم »

بعد هذا طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعا متقنا على ورق جيد في سنة ١٣٤٤ فبلغت صفحاته ٢١٢ بقطع المنار وثمن النسخة منه عشرة قروش يضاف اليها أجرة البريد وهو يطلب من مكتبة المنار فننصح لكل مسلم قاريء أن يتخول نفسه بمواعظه وحكمه

﴿ الاخلاق والواجبات ﴾

« مباحث في القرآن والحديث ، الاخلاق والايمان ، الاخلاق والعبادات ، الدنيا والآخرة ، الخير والواجب ، الواجبات الشخصية ، الواجبات العائلية ، الواجبات الاجتماعية ، الواجبات المدنية ، ستون آية وحديثا »

صنف هذا الكتاب صديقنا الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي الطرابلسي الشهير . وعضو المجمع العلمي بدمشق ، وكان قد اقترحه عليه ورسم خطته له الاستاذ ساطع بك الحصري مدير المعارف في العراق أيام كان مديراً للمعارف في سورية في فترة استقلالها القصيرة . قال المؤلف في فاتحته بعد بيان الحاجة الى مثله في هذا العصر التي كانت سبب الاقتراح ماهو أصح وصف له قال

« ورغب الى أن أضع كتابا مدرسيا في تهذيب أخلاق الناشئة الاسلامية يجمع بين حاجة المربي والمعلم فيستعينان به على ماهم بصدده من تربية الاحداث وتكوين أخلاقهم ، وفائدة المتعلم فيجد فيه كلمات جامعة ، وأقوالا في الحكم والآداب رائعة ، تكون عونا له — اذا راعاها على تهذيب نفسه وتقوية ملكاته. وأن أقتصر فيه من — المنقول والمأثور — على اقتباس ماورد في الكتاب السماوي والحديث النبوي . اللهم الا ماجاء عرضا من أقوال الحكماء مما يلتحم معناه في معني الآية والحديث. وان أفرغ ذلك كله في أسلوب سهل المأخذ قريب التناول وأعلق عليه من الشرح والتفسير - ماتستدعيه الحاجة ويتطلبه ذهن المطالع »

ثم ذكر أنه احتذى في تأليفه هذا المثال الذي رسمه ووضعه ساطع بك له وزاد عليه مقدمة في مباحث القرآن والحديث « توسع المطالع بياناً، وتزيده رسوخا وإيماناً »

وكنا قد اطلعنا على طائفة من هذا الكتاب قبل طبعه وانتقدنا على صديقنا المؤلف عدم ذكر مخرجي الاحاديث التي جمعها فيه وعدم تحري الصحيح والحسن منها فأجاب عن ذلك في خاتمته بمثل ما كان كتبه الينا في كتاب خاص قال

« ولم نعن بتخريج هذه الاحاديث ولا بينا درجتها قوة وضعفا لان مواقف كتابنا خطابية مراعى فيها التأثير في نفوس المخاطبين وقد يوجد فيهم من إذا سمع أن الحديث ضعيف فترت همته عن العمل به ولم يكترث لموضوعه ، على أن كتابنا هذا لم نؤلفه في فن الحديث وانما ألفناه في الفضائل وهذه يتسامح فيها ويستشهد لها بأي حديث كان اللهم إلا الحديث الموضوع الذي خلا كتابنا هذا منه والحمد لله » اه

ونقول إن هذا الاطلاق غير مسلم فان الحديث الواهي الشديد الضعف أو النكارة لايقول أحد بالعمل به ، بل اشترطوا للعمل بالضعيف الذي لا يصل الى هذا الحد شروطا بينها الحافظ ابن حجر وسبق للمنار نشرها

وجملة القول أن الكتاب نفيس مفيد جدير بان تستفيد منه النابتة الاسلامية الحديثة فانهم لايجدون فيه شيئا مما يستنكرونه من كتب القدماء في الادب لاختلاف التربية والتعليم في المدارس العصرية والعادات المنزلية والاجتماعية بين هذا العصر وماتقدمه وقد أشار إلى ذلك المؤلف بقوله

« وقد اجتهدنا أن نشرح هذه الاحاديث النبوية والآيات القرآنية شرحا يقرب فهمها ويسهل حكمها على أبناء هذا العصر ، ولم نخالف فيما قلناه أصلا تقرر بين علمائنا رضي الله عنهم ، نعم خالفناهم في بعض التراكيب الاصطلاحية ، وكثير من الأساليب الكتابية ، مما اختلف باختلاف الزمان ، وتطور العمران ، وتبدل القرائح والاذهان » واستشهد على الحاجة إلى هذا بعبارة من كتاب أدب الدنيا والدين للعلامة الماوردي في اختلاف الآداب باختلاف الزمان والعرف

وقد طبع الكتاب في سنة ١٣٤٤ في المطبعة السلفية طبعا حسنا وبلغت صفحاته ٢٢٧ صفحة وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

(البينات) مقالات في الدين والاجتماعات والادب والتاريخ للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي جمعت في جزئين سبق لنا تقريظ الجزء الاول منها ، وقد طبع

الجزء الثاني في سنة ١٣٤٤ بالمطبعة السلفية أيضا ، وهو مصدر بمقدمة لنا في ترجمة مؤلفه ومكانته في العلم والادب والاصلاح وهو جدير بان يطالعه قراء العربية ولاسيما نابتة المدارس العصرية والمولعون بقراءة المجلات والصحف الدورية المتعارضة المتناقضة في أمثال هذه المباحث التي ولج المؤلف أبوابها على علم وبصيرة ، وقد بلغت صفحاته ٣١٤ بقطع المنار وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

الحج في هذا العام

بلغ عدد حجاج هذا العام ٢٢٥ ألفا بالرغم من أنوف الملاحدة والمبتدعة والروافض الذين بثوا الدعاية لمنع الحج وكان منهم ألوف من الشيعة الايرانيين وغيرهم بالرغم من حكومتهم التي منعت الحج رسمياً، وقد كان الأمن العام والخاص على أكمله كما ثبت بالتواتر وقد بلغنا أن حجاج الشيعة كانوا في غاية الغبطة والهناء وقال من سبق لهم الحج منهم ان الشيعة لم يكونوا مكرمين أحرارا في موسم كهذا الموسم ففي سبيل الله ماسيلقون من ظلم حكومتهم وعقابهم على اداء مافرضه الله عليهم، فقد بلغنا انها أمرت بنزع أملاكهم وعقارهم من أيديهم ، وسكت لها علماء الشيعة الاعلام على ذلك!!

وقد ظهر للعيان خطأ الحكومة المصرية فيما فعلت من تخويف المصريين من الحج وزعمها أنهم يستهدفون للخطر لعدم خروج المحمل وحرسه معهم ، وقام البرهان الحسي على ان ذلك الحرس لا حاجة اليه لان الامن في الحجاز أتم وأكمل منه في مصر بل هو هنا مختل معتل أعيا أمره الحكومة والشكوى عامة

هذا واننا ننتقد ما كتبه بعض الحجاج في الجرائد من ذم الحجاز بحرارته وطرز مبانيه القديمة وغلاء بعض الحاجات والاجور فيه فانهم يجهلون ان الحج تقشف ينافي الترفه والتنعم شرعا وان أهله فقراء وحكومته فقيرة وان المسلمين كانوا يقضون في سبيل الحج عدة أشهر وينفقون ألوفا كثيرة ويعدون ذلك أفضل ما أنفقوا طول عمرهم فمن لم يفقه هذا فهو لم يحج ولم يعرف الحج، ومن لم يرض به فليحج مع الملاحدة الفاسقين الى متنزهات أوربة ومعاهد الخلاعة فيها ولا يدعي الاسلام

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى «ومنارا» كمنار الطريق

٢٩ صفر سنة ١٣٤٦هـ ٣٠ برج السنبلة سنة ١٣٠٦هـ ش ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

أسئلة من البحرين في الأئمة والمذاهب وما يجب على العامي

(س ٧ — ١٠) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

هل يقال إن شيخ الاسلام ابن تيمية أعلم من الائمة الاربعة أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ، وهل يجوز للعامي ألا يتمسك بمذهب من المذاهب الاربعة وألا يقلد اماما من الائمة الاربعة وأن يكون مذهبه مذهب من أفتاه ، وأن يلقب نفسه محمديا ، ويوما يسأل عالما شافعيا ويعمل بقوله ، ويوما يعمل بفتوى مالكي ، ويوما بفتوى حنبلي ، ويتبع الرخص في مسائل العبادات

وهل يجوز له اذا أفتاه عالم من المسلمين من الفقه أن يقول ما أقبل الفقه أقبل الكتاب والسنة فقط . أفتونا على ذلك ولكم من المولى جزيل الثواب

مخلصكم خليل الباكر

[أجوبة المنار]

(١) هل ابن تيمية أعلم من الائمة الاربعة

إن لائمة الفقه الاربعة المتبعين فضلا على الشيخ أحمد تقي الدين ابن تيمية لانه لم يصر فقيها إلا باطلاعه على فقهم ، كما أن لائمة الحديث كأحمد والشيخين وأصحاب السنن الاربع وغيرهم فضلا عليه بأنه لم يكن محدثا إلا بكتبهم . ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصح منه فهما للكتاب والسنة فيما اعتقد لان اللغة العربية كانت لهم سليقة لاصناعة فقط كعلماء عصره ، وهو قد بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ، واطلع على مالم يطلعوا عليه كلهم من الاخبار والآثار لانه اطلع على ماروه وعلى غيره وحفظه وعرف ماقالوه هم وما قاله غيرهم من أقرانهم في أسانيدها وفي معانيها فهو في فتاويه يذكر خلاف الائمة المجتهدين في المسألة وأدلة كل منهم ويمحص هذه الادلة فيبين الراجح منها بالدليل ، فمن تأمل فتاويه بنظر الانصاف يرى أن مارجحه هو الحق في الغالب كما ترى في رسالة أحكام السفر التي

خالف فيها الائمة الاربعة في بعض المسائل كتحديد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ويباح الفطر ووافقه من جاء بعده من فقهاء الحديث المستقلين كالشوكاني

ثم انه قد حدث بعد الائمة الاربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثياب زور عزيت إلى الدين ، فاتبعها خلق كثير من المسلمين ، منها ماجاء من شبهات الفلسفة ومنها ماجاء من تصوف الهنود ، ومنها ماكان من أوضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية الخ ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هذه البدع وشبهاتها ومنتحليها ، ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامي والاستدلال على بطلانها ، ولم يكن الائمة يعرفون ذلك كله لانه لم يكن في زمنهم الا بعضها ، فالامة الاسلامية محتاجة الى شيء من علوم ابن تيمية لا تجده في شيء مما روي عن الائمة رضي الله عنهم أجمعين وأهمه بيانه لحقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ودحض شبهات أهلها

مع هذا كله لاينبغي لاحد أن يقول ان ابن تيمية كان أعلم من هؤلاء الائمة هكذا على الاطلاق لما فيه من الدعوى بأنه أي القائل من طبقتهم أو أعلم منهم ، ولذلك قدر أن يرجح بعضهم على بعض ، ولما فيه أيضا من اثارة الخلاف والشقاق بينه وبين أتباعهم وهم سواد المسلمين الاعظم مما هو في غنى عنه ان لم يكن صاحب هوى ، ولان الله تعالى قد نفع بعلمهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به ، وهذا أمر عظيم مثاله في المتأخرين الشيخ محمد عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذي يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسلام ، ولكن جده هو الذي هدي الى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذي هو أساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الالوف ومئات الالوف الى دين الله الخالص وكان أولاده وأحفاده - ومنهم الشيخ عبد اللطيف هذا - من بعض حسناته وله مثل أجورهم كلهم رحمهم الله أجمعين

(٢) هل يجوز لعامي ترك تقليد كل من الاربعة الخ

زعم بعض المقلدين من المتكلمين والفقهاء أنه يجب على جميع المسلمين تقليد أحد هؤلاء الاربعة في الاحكام الدينية العملية من العبادات والمعاملات ، وزاد بعضهم

تقليد الشيخ أبي القاسم الجنيد امام الصوفية كما قال اللقاني في عقيدته (جوهرة التوحيد)

ومالك وسائر الائمة كذا أبو القاسم هداة الامة

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

قالوا كما قال هو في شرحه انه أراد بسائر الائمة الثلاثة — أباحنيفة والشافعي وأحمد. وهذا ما عليه جمهور متأخري العلماء الرسميين من أهل الازهر ومن على شاكلتهم في سائر الامصار الا من آتاه الله حظا من الاستقلال في العلم والنظر في الادلة واتباع ماتقوم عليه الحجة، وكنا نسمع هذا من مشايخنا منذ أول عهدنا بطلب العلوم الدينية، وكانوا يحتجون على ذلك بأن هؤلاء الائمة هم الذين دونت مذاهبهم وبسطت فيها المسائل وكثرت الفروع بحيث يجد الناس فيها جميع مايحتاجون اليه دون غيرها، وكل هذا غير صحيح فان للظاهرية كتبا مدونة ولاسيما الامام أبي محمد ابن حزم وهم من أهل السنة، وكذلك الشيعة الزيدية والشيعة الامامية والاباضية قد دون فقه مذاهبهم في مجلدات كثيرة

هذا وما ذكروه ليس متفقا عليه عند علماء القرون الوسطى ومن بعدهم ممن صرحوا بوجوب التقليد، بل قال بعضهم بجواز تقليد غيرهم من الائمة كالليث بن سعد وداود الظاهري وسفيان الثوري واسحاق بن راهويه ومحمد بن جرير الطبري وسفيان بن عيينة — كما تراه في حاشية الشيخ ابراهيم الباجوري شيخ الازهر في عهده على الجوهرة. وقد ذكر هو وغيره أنهم استدلوا على أصل وجوب التقليد — الذي حصره بعضهم في الاربعة بالعلة المتقدمة — بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) قال فأوجب التقليد على من لم يعلم ويترتب عليه الاخذ بقول العالم وذلك تقليد له ..

وأقول إن هذا الاستدلال ظاهر البطلان فان من لا يعلم حكم الله تعالى في مسألة يجب أن يسأل عن النص فيها من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ لا عن رأي أحد الاربعة أو غيرهم والاجتهاد ظن المجتهد في المسألة الذي أداه اليه بذل الجهد في البحث عنها، وهو ساقط الاعتبار مع وجود النص بغير خلاف، ولا يجب على أحد من خلق

الله أن يدين الله بظن غيره والتقليد أن تأخذ بقول لم تعرف له دليلا ، وما المانع أن يقال إن الجاهل يسأل عن نص الشارع الذي كاف اتباعه فان لم يوجد سأل المجتهد عن ظنه وعن الدليل الذي استنبطه منه ، فاذا اقتنع به واطمأن قلبه أخذ به والا فلا ، فقد روي احمد من حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه مرفوعا « البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب ، وان أفتاك المفتون » حديث حسن وروى احمد والبخاري في التاريخ من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله (ص) وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والاثم الا سألته عنه . فقال لي «ادن ياوابصة» فدنوت حتى مست ركبتي ركبته فقال « ياوابصة أخبرك ما جئت تسأل عنه أو تسألني ؟ » فقلت يارسول الله اخبرني . قال « جئت تسألني عن البر والاثم » قلت نعم ، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول « ياوابصة ! استفت نفسك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » وفي طريق اسناده مقال ورواه احمد من طريق آخر باختصار . وهذا المعنى مروي عن غيرهما من الصحابة وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعا « البر حسن الخلق والاثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » وأخرجه النووي في الاربعين وقد أورد الحافظ ابن رجب في شرحه له حديث وابصة وتكلم على طرقه ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن النبي (ص) من وجوه متعددة وبعض طرقه جيدة فخرجه الامام احمد وابن حبان في صحيحه من طريق يحيي بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي امامة قال قال رجل يارسول الله ما الاثم ؟ قال « اذا حاك في صدرك شيء فدعه » وهذا اسناد على شرط مسلم الخ ثم ذكر رواية احمد لحديث أبي ثعلبة المار باسناد جيد . والمراد من اطمئنان القلب هنا ما يعبر عنه في هذا العصر بالوجدان وراحة الضمير ، وعليه المعول في المشتبهات بين الحلال والحرام دون البين منها كما في حديث « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في

الشبهات وقع في الحرام » الحديث رواه الجماعة كلهم من حديث النعمان بن بشير
وان من الجاهلين من يقترف المعصية أو يطلق امرأته ثم يستفتي أحد العلماء
ويحرف له القول ليفتيه بما يوافق هواه فان أفتاه بما يحلل له المعصية كأكل مال
غيره بالباطل أو معاشرة مطلقته معاشرة الازواج فعل وان كان قلبه غير مطمئن
للفتوى ظانا أن الله يعذره بفتوى المفتي كما يفعل الحكام في الدنيا

ألا فليعلم كل مسلم أن المفتي ليس شارعا للدين وان كان مجتهداً وانما وظيفته
بيان حكم الله الذي أنزله في كتابه أو بينه على لسان رسوله (ص) فاذا لم يكن
في المسألة نص عنهما فليس له أن يحمل الناس على أن يدينوا الله ويعبدوه بمقتضى
رأيه واجتهاده الذي هو ظن من ظنونه فضلا عن حمله اياهم على العمل برأي غيره
مما يقرأه في الكتب ، ولم يكن أحد من الائمة المجتهدين بحق ولا سيما الاربعة
يأمر الناس بالعمل باجتهاده وتقليده في رأيه وفهمه ، وانما كانوا يبينون للناس ما
يفهمون من نصوص الشارع بطرق الدلالة المعروفة عندهم ، فمن وافق فهمه فهم
أحد منهم فعمل به كان عاملا بما اعتقد أن الله شرعه له ، ومن لم يوافقه تركه
وعده كأن لم يكن وليس له أن يدين الله تعالى به والنصوص عنهم في ذلك
مشهورة سبق لنا نقل ما يكفي منها في (محاورات المصلح والمقلد) وغيرها ولا
سيما ما نقلنا بعد ذلك عن كتاب (إعلام الموقعين) للمحقق ابن القيم وسيأتي بعضها

قال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)
وقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك) الآية .
وقال (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟) وقال في أهل الكتاب
(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقال عدي بن حاتم عند ما سمعها
وكان نصرانياً فأسلم يارسول الله انهم لم يكونوا يعبدونهم ؟ فبين له (ص) أن
المراد بها أنهم كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم . فاعترف بذلك ، وما
كان يفعله علماء اليهود والنصارى من التحليل والتحريم والقول في دين الله برأيهم
وفهمهم للتوراة والانجيل من غير أن يكون نصاً ظاهراً في الحكم فعله كثير
من علماء المسلمين المقلدين فاتبعهم العوام فيه حتى صارت الجرأة على التحليل

والتحريم موضع العجب والاستغراب عند العقلاء المستقلين بل صار العوام يحلون ويحرمون ، وليس لاحد حق في التحليل والتحريم على العباد إلا ربهم تبارك وتعالى ولكن كان ذلك وهو مصداق ماصح عنه ﷺ من اتباع هذه الامة سنن من قبلها شبراً بشبر وذراعا بذراع . حتى انهم حرموا كثيراً من العلوم والفنون والصناعات التي تعز بها الامم وتقوى ، والمنافع العامة التي تدل نصوص الكتاب والسنة على إباحتها كامتنانه تعالى علينا بتسخيره جميع مافي الارض لمنافعنا ، وقوله ﷺ فيما رواه الدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني وحسنه « إن الله فرض فرائض فلا تعتدوها ، وحد حدوداً فلا تقربوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ويؤيده مارواه البزار في مسنده والحاكم من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « ماأحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى » ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيًا) ويدخل فيما أحله الله وحرمه ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه مستنبط من كتاب الله وبيان له كما يقول الامام الشافعي رضي الله عنه وغيره أو لانه بوحي آخر غير القرآن كما يقول آخرون ، أو لان الله تعالى أذن له بالتشريع باجتهاده كما فهم بعضهم من حديث « إلا الاذخر »

هذا وإن ماورد في الكتاب والسنة من أمور الدين المحضة كالعقائد والعبادات والحلال والحرام فهو قسمان : قسم قطعي الرواية والدلالة وهو التشريع العام الذي يجب على كل مسلم الاخذ به ، ويجب على أئمة العدل إلزام الناس إياه ، وقسم ليس كذلك وهو محل الاجتهاد ، فمن فهم منه حكما اعتقد أنه مراد الله تعالى ولو بواسطة بيان غيره من العلماء له وجب عليه العمل به دون من لم يفهم ذلك ولم يعتقده استقلالا ولا تبعاً وليس للأئمة أن يجعلوه تشريعاً عاما . كما يؤخذ ذلك من سنة الرسول ﷺ وعمل أصحابه حين نزل قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) وقد وضحنا هذا في مقدمتنا لكتاب المغني في الفقه وبناء على هذا كان مايجب على كل فرد من أفراد المسلمين

عوامهم وخواصهم وجوبا عينيا معلوما كله أو جله منتشراً بين الناس في عصر السلف الصالح لقلته وجلائه فقد كان النبي ﷺ وأصحابه يلقنون الاعرابي دينه وما يجب عليه في مجلس واحد — فكان مايحتاج العامي إلى سؤال العلماء عنه قليل ، وانما كانوا يسألونهم عن حكم الله لاعن آرائهم واجتهاداتهم ، ومن المعلوم من تاريخهم وسيرتهم بالقطع أن أحدهم كان يسأل في كل أمر يعرض له من يلقاه من أهل العلم ولم يكن أحد يلتزم عالما بعينه لايأخذ عن غيره : وكان علماء السلف يجيبون كل سائل بما يعلمون من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم صاروا في عصر التابعين يذكرون ماكان عليه الصحابة رضي الله عنهم في المسألة أو علماؤهم المشهورون اذا كان فيها خلاف ، وقد دون رواة السنة وحفاظها مارووه من أقوال الصحابة وأعمالهم تبعا لتدوين حديث رسول الله ﷺ وعدوا اجماع الصحابة حجة شرعية دون أقوال أفرادهم إلا من احتج باجماع الخلفاء الراشدين

هذا وإن مدار الاجتهاد على القياس ومن أئمة الشرع من ينكره البتة ومنهم من لايقول إلا بما كانت علته منصوصة وما قطع فيه بنفي الفارق ومنهم من يدخل هذا المعنى في مدلول النص ، ومنهم من منعه في التعبدات . فعلى هذه الاقوال كلها لاتثبت عبادة مستقلة باجتهاد المجتهد فلا حاجة بمسلم إلى تقليد أحد في مذهبه وإنما يأخذ الجاهل عن العلماء ما أوجبه الله وما حرمه عليه بنصوص الكتاب والسنة القطعية الثبوت والدلالة كما تقدم ـ هذا هو الضروري فاذا وجد سعته لطلب العلم واقتنع ببعض الظنيات العملية اخذ بها

وإنما يثبت الاجتهاد في المعاملات والقضاء وسياسة الحكام بنص حديث معاذ المشهور فاذا قال علماء السنة انه يتعين على الحكام في هذه الازمنة الاعتماد على هذه المذاهب المدونة في الاحكام القضائية والسياسية والحربية لأنهم يجدون أكثر ما يحتاجون اليه فيها كان لقولهم هذا وجه في الجملة ـ وأما القول التفصيلي في ذلك فهو أنه لايمكن ادارة حكومة اسلامية الا بعلماء مجتهدين يستفيدون من علم الأئمة المتقدمين ويزيدون على ذلك ما تضطرهم اليه حالة هذا الزمان بما تجدد للبشر فيه من أمور المعايش والسياسات والمعاملات مع الامم الاخرى ، الا إن

وجد حكومة صغيرة في عزلة عن العالم كله فانها يمكنها أن تلتزم أحكام مذهب معين لا تحتاج الى غيره كما هي حالة أهل نجد في نجدهم وأهل اليمن في يمنهم دون من خرج منهم للتجارة في الهند أو العراق أو مصر أو سورية دع من اتسعت تجارته فبلغ بها أوربة

هذا وان بعض علماء القرون الوسطى الذين زعموا وجوب تقليد واحد من الائمة الأربعة دون غيره لم يوافقهم جميع أقرانهم في زمنهم ولا فيما بعده . قال الباجوري في شرحه بيت الجوهرة المتقدم : وقال بعضهم لا يجب تقليد واحد بعينه بل له أن يأخذ فيما يقع له بهذا المذهب تارة وبغيره أخرى فيجوز صلاة الظهر على مذهب الامام الشافعي وصلاة العصر على مذهب مالك وهكذا . ثم ذكر ان بعضهم جوز تقليد الاربعة في غير الافتاء كما قال

وجائز تقليد غير الأربعة * في غير إفتاء وفي هذا سعة

والحاصل أن التقليد باطل بنص القرآن والعمل به مفض الى إضاعة الدين لأن من طبع العوام تقليد من يثقون به في كل زمان ومكان وأنى لهم بتمييز الامام المجتهد من غيره وإننا نرى الملايين ممن ينسبون الى المذاهب المعروفة يأخذون بأقوال رجال من الجهلة الدجالين أدعياء طرق التصوف وأدعياء الفقه أيضاً لتلبيسهم عليهم بالدعاوي الباطلة وإظهار التدين أو بعض الغرائب التي يسمونها كرامات حتى صار الشرك الصريح من أصول عقيدة الدين والتوحيد المحض من الكفر المنكر بدعوى انه احتقار لأولياء الله تعالى وإنكار لكرامتهم الخ ماشرحناه مراراً فلا محل هنا لاعادته

فالواجب أن يعلم الناس دينهم كما كانوا يعلمون في الصدر الاول من الاسلام يلقن العوام عقيدتهم من الكتاب والسنة وكذا عباداتهم وما أحل الله لهم وحرم عليهم ويجعل تعليم هذا على درجتين الأولى المجمع عليه الذي كان يقال فيه انه معلوم من الدين بالضرورة بحيث يعد جاحده غير مسلم . والثاني ما قويت أدلته من مسائل الخلاف وكان عليه جمهور السلف بحيث كانت تعد مخالفته شذوذا ، مهما يكن المخالف فيه جليلا ، وأرى بعد اختبار حال المسلمين منذ ثلث قرن أنه لا يمكن أن يعرف جمهورهم حقيقة دينهم إلا بهذه الوسيلة التعليمية وانني

أعلم أن الملايين من المنتسبين الى هذه المذاهب المدونة الاربعة وغيرها يقلون سنة بعد سنة ، واعلم ان أكثرهم لا يعرف ضروريات المذهب معرفة صحيحة وانما يعرف في الغالب منه أضر ما فيه وهو بعض مسائل الخلاف بينه وبين المذاهب الاخرى في بلده أو قومه فان الاصل في الدين الوحدة والاتفاق وأضر ما في تعدد المذاهب الاختلاف والافتراق (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فعلم من هذا ان أكثر الناس اذا قالوا نحن شافعية أو مالكية مثلا يكذبون لأنهم ليسوا على مذهب من ورثوا الانتساب الى مذهبه عن آبائهم لا في العلم ولا في العمل لأنهم قلما يعرفون منه إلا بعض مسائل الخلاف في مسائل اجتهادية ليست من أمور الدين القطعية ولا يضر أحداً جهلها ولا العمل بقول أي إمام فيها كما وضحناه في (محاورات المصلح والمقلد) وكذا في مقدمتنا لكتاب المغني الشهير التي جعلناها في أول الجزء الاول منه ونشرناها في المنار فليراجعها السائل . فاذا قال من هذه حاله انه محمدي أي من أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم فلا بأس بذلك ولكن ليس له أن يحتقر هذه المذاهب التي قامت على أساسها حضارة الدول الاسلامية كلها ووجدبها تشريع للاسلام كان يمكن للمسلمين الاستغناء بمواصلة الاجتهاد فيه عن قوانين جميع الامم التي مازال يقلدها بعض الدول الاسلامية ويبعد عن التشريع الاسلامي حتى انتهى بعضها الى نبذ الشريعة الاسلامية بجملتها وتفصيلها ويخشى أن يتبعها غيرها من الدول المشابهة لها في سيرتها اذا استمر علماؤها على جمودهم على تقاليدهم ، وحكامها على اقتباس التشريع عن غيرهم

(٣) هل يجوز تتبع الرخص في العبادات

الأصل في أحكام الدين العزائم وقد شرع الله الرخص كما شرع العزائم وهو يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، وبعض الرخص مقيد بأحوال محدودة لا يتعداها كالجاعة المبيحة لمحرمات الطعام والسفر والمرض المبيحين لترك الصيام وللتيمم ، وبعضها مقيد بأحوال غير محدودة بل تحتاج الى اجتهاد المكلف كالجمع بين الصلاتين على التحقيق فيه كما بينه شيخ الاسلام في رسالة في القصر والجمع فقد فعله رسول الله (ص) في المدينة كما رواه الشافعي ومسلم وغيرها من حديث ابن عباس وعلله بقوله : لئلا يحرج أمته. فلا يجوز لمسلم ان يلتزمها دائماً فيجعل أوقات

الصلوات الخمس المعلومة من الدين بالضرورة ثلاثاً . ولا يحظر عليه أن يحرج نفسه اذا تعسر عليه أداء الظهر أو المغرب في وقتها لشغل ضروري عارض فيمتنع من تأخيرها الى ما بعدها ليجمعها معها ومن كان مقلداً لمذهب يتأول فقهاؤه حديث الجمع في الاقامة فليقبل هذه المسألة بعدها من باب المثال.

هذا ما يقال في رخص الشرع الثابتة بالنصوص، وأما رخص المذاهب الاجتهادية فتتبعها وتقليد أصحابها فيها تلاعب بالدين لا يفعله الا جاهل متهاون . واذا كان التقليد المحض بدون بينة ولا بصيرة باطلا في عزائم الشريعة فكيف يكون صحيحاً في العبث والتلاعب ؟

(٤) هل يجوز رد الفتوى الفقهية طلباً للنص

إن الله تعالى أمرنا باتباع كتابه واتباع رسوله ونهانا أن نتبع غيرهما وانما العلماء أدلاء ومبلغون لكتاب الله وسنة رسوله (ص) وانما الواجب على من يجهل شيئاً من دينه ان يسأل العالم عن حكم الله ورسوله فيه لا عن رأيه أو رأي من يقلده هو فيه كما تقدم شرحه قريباً فاذا قال له العالم حكم الله كذا فله أن يسأله عن النص ويقول له لا أقبل قولك ولا ماتنقله من كتاب من كتب الفقه حتى تبين لي دليله من الكتاب والسنة . قال أبو حنيفة لا يجوز لأحد ان يأخذ بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . وكتب المزني صاحب الشافعي في أول مختصره في الفقه مانصه : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه وبالله التوفيق اهـ ورؤي مالك يبكي في مرض موته لانه بلغه أن بعض الناس يعملون باقواله مع انه يقول القول ويرجع عنه ، وامتنع احمد عن كتابة شيء في الفقه لئلا يقلده الناس فيه.

هذه جمل عن الائمة الاربعة من عمل بها كان منتفعا بعلمهم وأكثر ما في كتب الفقه آراء لمن لم يبلغ رتبتهم من أتباعهم، وأكثر من يسمون العلماء الآن لا يتقيدون بأقوال الائمة بل العمل عندهم على اعتماد بعض المقلدين لهم

ان الله تعالى لم يأمر باتباع أحد في الدين غير رسوله «ص» وامر بطاعة أولي الامر فيما يتعلق بالاحكام المنوطة بهم لا في عبادة الله تعالى فالى متى نحجب الناس عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ونكلهم الى هؤلاء الاشياخ الادعياء الذين لا يوجد في الالف منهم عالم ونخالف الأئمة أنفسهم في ذلك من حيث ندعي اتباعهم ؟

كيف تنهض اللغة العربية (*)

بحث للاستاذ عبد السميع أفندي البطل من حذاق مدرسي المدارس الأهلية عرضه على مؤتمر اللغة العربية المتصور بمناسبة الاحتفال بأحمد شوقي بك أمير الشعراء بمصر - قال بعد مقدمة مناسبة للاحتفال ما نصه :

آمالنا في المؤتمر

طالما تمنت نفوس الغيورين من شداة الادب ، والذادة عن لسان العرب ، عقد مؤتمر كهذا للبحث والتشاور في حالة اللغة ومستقبلها ، وما يجب عمله على أبنائها لتثبيت قدميها أمام هذا التنازع المستحر بينها وبين اللغات الحية قبل تطبيق قانون بقاء الاصلح على المصروع منهن في ميدان التجاذب

حقا ! ان الفرصة سانحة ، والوقت مساعد ، وما نرى اللغة في وقت بمسيس الحاجة الى هذه المباحث أشد منها في هذا الوقت الذي أصبحت فيه اللغات أداة من أدوات المزاحمة في الحيـاة الزاخرة بعلومها وآدابها وصناعاتها ومخترعاتها وكل ناحية من نواحيها

وإن مما يذكر بالشكر للقائمين بتنظيم الاحتفال بشاعرنا العبقرى أن دعوا دعوة جفلى كل من له اقتراح أو عنده رأي في خدمة اللغة ونهضتها أن يقدمه لهم ليكون له ما بعده ، ففتحوا بذلك بابا واسعا يجدر بكل غيور على اللغة أن يلجه غير متوان ولا متواكل

لذلك يتقدم هذا الضعيف الى جماعة المحتفلين بالشكر والثناء ، عارضا عليهم ما يراه الطريق اللاحب الى تعليم اللغة - عرض خبير زاول تعليمها بضع عشرة

(*) كان المكرمون لأحمد بك شوقي أذاعوا في دعوتهم التي نشرتها الجرائد أن الحفلة التي سيقيمونها ستكون كهيئة مؤتمر للغة العربية ، وطلبوا إلى الكتاب أن يكتبوا مايرونه من المباحث مفيداً للغة العربية فبادرت الى كتابة هذه الرسالة وإرسالها إلى جماعة المكرمين ثم ظهر ان فكرة المؤتمر كانت أمنية فقط ، وقد رغبت إلى المنار في نشر الرسالة بعد حذف مقدمتها التي كانت في التعريف بشعر شوقي بك

سنة بدت له في خلالها عيوب كثيرة في طرق التدريس ، ويرى أنها هي التي قعدت بالمتعلمين عن إجادة لغتهم - بله النهوض بها وخدمتها من طريق العمل كالتصنيف والترجمة والتعريب والوضع العرفي

ولما كان استقصاء هذه العيوب وشرح مضارها وذكر طرق إصلاحها بالتوسع المطلوب لا يتسع له وقت المؤتمر - رأيت ان أسلك سبيل الايجاز ، ورب قليل خير من كثير .

فاذا أسعدني المؤتمر بقبول هذه الرسالة ونشرها فيما يرتئي نشره كان ذلك اعزازاً للفكرة وأطير لها ذكراً ، والفكرة مني برزت من مكنها ووجدت تربة خصبة ، وجوا ملائما ، نمت وترعرت وآتت أكلها ضعفين

الموضوع

ليست اللغة العربية بدع من اللغات الحية الناهضة النشيطة ، فسبيل تلقينهن والتبحر فيهن، هو عين السبيل المهيع للغتنا اذا أردناها غضة بضة ، وما سبيلهن إلا الحفظ والتقليد في الكتابة والمحادثة ، وليس لنا من وسيلة الى اتقان لغتنا في قليل من الزمن غير هذه الطريقة ، وما سواها باطل وضلال واليكم أسوق الدليل :

يقضي الطالب في مدارسنا صدر حياته بتعلم اللغة، فينفق الشطر الأكبر من هذا الزمن في دراسة الوسائل بطريقة ملتوية غير مفيدة . وكلما أمعن فيها زاد بعدا عن الغاية . وان هو وصل اليها ، وصل وقد أنهكه السرى ، وأضناه التعب ، وقعد به الملل ، وهيهات أن يحصل شيئا نافعا يكسبه ملكة الذوق بحيث يقتدر على ارتجال خطبة بليغة ، أو كتابة رسالة عالية الاسلوب :

لذلك ارى ان تكون طريقة التعليم هكذا :

النحو والصرف

ليست قواعد النحو والصرف مطلوبة لذاتها ، بل لتعصم اللسان عن الخطأ في النطق ، وكلما كانت طريقة تعليمها سهلة قريبة المنال ، مقتصرا فيها على القواعد الاساسية التي يحتاج اليها في تصحيح اللسان وتركيب الجمل - كان ذلك أدعى

الى الاقتصاد في الوقت وتوفير جزء كبير منه يصرف في دراسة اللغة نفسها، لذلك يجدر أن يفرغ من دراسة النحو والصرف عند الفراغ من المدارس الابتدائية (١) مراعى في ذلك تطبيق العلم على العمل في كل قاعدة وبحث ، ومراعى في ذلك أيضا سنة التدرج مع الطالب في سني الدراسة المختلفة ، فيستغنى اذن عن كثير من أبواب النحو والصرف كلها أو بعضها ، كالتوسع في الكلام على المبتدأ والخبر ، والمجرد والمزيد من الاسماء ، ومواضع الاعلال والابدال ، والتصغير والنسب والامالة واعراب «لاسيما» وفعلي التعجب وصيغ الاستغاثة والندبة والاختصاص والمنادى المرخم ، لعدم الحاجة اليها في الاستعمال، وعدم الاشتباه في بعض الصيغ إذا جهل اعرابها ، لانها ملازمة لحالة واحدة لاتختلف عنها ، والاعراب لا يكسبها شيئا جديدا الا التهويش واضطراب الذهن وقتل الوقت فيما لايجدي

والمهم في تثبيت القواعد : التطبيق في أثناء المطالعة ، والتنبيه إلى مواضع الرفع والنصب والجزم والجر وتوابعها ، مع سلامة المفردات ، وجعلها موافقة للفصيح ، وقد يكون ذلك صعبا على الطالب في أول الأمر – ككل شيء في أوله – ثم لايعتم أن يمرن عليه لسانه مع طول الدربة ، وكثرة التنبيه ، ، ولانريد من القواعد أكثر من هذا .

ولو وجدت هذه الطريقة عناية من المعلم لنجحت نجاحا باهراً في أقل زمن وقد جربتها أنا نفسي فى درس خصوصي فكان من نتائجها أن صار الطالب مع قلة الدروس بعد سنة واحدة في مستوى طلبة السنة الثالثة من المدارس الثانوية بحيث كنت أعطيه من التطبيقات ما كنت أعطيهم إياه ، ولا تسل عن باقي فروع اللغة ، فقد أظهر فيها مهارة عجيبة .

البلاغة

البلاغة احساس روحي ، وشعور وجداني ، وسلامة في الذوق ، وملكة في النفس ، ولا يتهيأ ذلك كله لامثالنا الا بكثرة مزاولة الكلام البليغ نظما ونثراً ،

(١) يعني في التعليم العام وهذا لا يمنع وجود إخصائيين في النحو والصرف يتوسعون فيهما

ومحاكاته كتابة وقولا ، فمن كان حظه من القراءة والحفظ وفيراً ، كان قسطه من البلاغة عظيما ، ومن كانت حافظته مهزولة مجدبة ، وقريحته بليدة مفلسة ، نأت عنه البلاغة بجانبها ، ولوت عنه أعنتها ، وشمست به رامحة ، ورفسته جامحة ، وهيهات أن يذلل قيادها ، ويمتلك عنانها ، الا بفضل دربة ومرانة ، وطول صبر وأناة.

عرف ذلك رجال الادب المبرزون ، الاقدمون منهم والمحدثون ، فكانوا حفظة بارعين ، ورواة ناقلين ، والتاريخ يحدثنا عنهم بما يثير في النفس العجب ، ويبعثها على تلمس السبب، فمن في زماننا يتصور أن شاعراً كأبي تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقطعات والقصائد ولا يخجل أن يسميه الناس أديبا ، أو يخلع هو هذه الخلعة السنية على غيره من الادعياء ؟

قد يكون في مثل هذا الخبر بعض المبالغة ، ولكنه يفيد على كل حال في موضوعنا . لذلك أقول في غير مواربة ان قراءة هذه الكتب التي يطلقون عليها كتب البلاغة - مضيعة للوقت ، مهزلة في الحياة ، فما كانت الا مبعدة للبلاغة عن طلابها ، حابسة لها عن ورادها ، وماعلمنا يوما أن ضليعا في البلاغة وقواعدها ، خبيراً برسومها واصطلاحاتها ، كان كاتبا مجيداً ، أو شاعراً مفلقاً ، أو خطيبا مصقعا ، اللهم الا اذا كان ممن لم تشغلهم المباني عن المعاني ، ولم ينصرفوا الى العناية بالاشباح مجردة عن الارواح ، في حين أنك تستطيع أن تعد ألوفا من أهل الخبرة والذوق في البلاغة وهم لم يقرءوا من قواعدها حرفا ، ولا سمعوا فيها درسا ، ولكنهم عرفوها بالتقليد والمحاكاة ، والموازنة بين كلام وآخر ، فانطبعت صورتها في نفوسهم ، وتغلغلت في صدورهم ، ثم جرت على السنتهم عفوا لا قصداً ، وهدرت شقاشقهم بها طبعا لا تعملا ، وتلك - لعمري - هي البلاغة التي تبلغ بصاحبها ما أراد ، وتنزل به في كل واد ، ويقتاد بها العاصي ، ويستدني القاصي

وقد أخجل اذا ذكرت لكم الطريقة التي نتبعها في دراسة البلاغة بالمدارس الثانوية ، وأخبرتكم كيف نضحي بوقت الطلبة بلا جدوى .

إن الطلبة لا يجهلون القواعد الاساسية لعلوم البلاغة ، ولا يجهلون التطبيق عليها ، إنهم يدرسون ذلك وينفقون فيه سنتين من عمرهم ، ولكنها دراسة فنية

اصطلاحية محضة ، لاحظ فيها للعلم من حيث يكسب ملكة الذوق ، ويشعر بجمال المعنى وطلاوته، فيعرف الطالب مثلا مواقع التشبيه أو الاستعارة وأركانهما واجراءهما بطريقة فنية ، ويفرق بين الاستعارة الاصلية والتبعية ، والتصريحية والمكنية ، والمرشحة والمجردة والمطلقة ، ويعرف التشبيه المجمل والمفصل والمرسل والمؤكد والبليغ الاصطلاحي وغير البليغ ، ولكن ذوقه لايساعده على التمييز بين تشبيه بليغ رائع ، وآخر مبتذل خامل ، ولا بين استعارة بديعة طريفة ، وأخرى ركيكة سخيفة ، وقل مثل ذلك في البديع ، فهو يستطيع أن يبين المحسنات البديعية فيما يقرأ من النظم ، ولو كان مهلهل النسج فاتر الخيال مبتذل المعنى ، ولا تساعده بلاغته على إدراك هذه العيوب ، بل متى ظفر بحاجته من المحسنات طار بها فرحا غير ناظر إلى ماوراءها من حسن أو قبح. وهذا الحكم نفسه يجري في علم المعاني

وأظنني لست بحاجة إلى التدليل على فساد هذه الطريقة وعقم نتيجتها

خير الطرق لدرس البلاغة

وأنفس الطرق عندي لدرس البلاغة دراسة جدية نافعة أن يوضع كتاب مختصر على طريقة إمام الفن عبد القاهر الجرجاني في الاكثار من الامثلة والشواهد البليغة من القرآن فما دونه من كلام الفصحاء ، ويوجه الاستاذ نظر تلامذته إلى ماأودع فيها من أسرار البلاغة ونكتها ، والاحساس الذي شعرت به نفوسهم عند قراءتها ، وارتياح القلب واهتزازه حين استخراج دفائنها ، ثم يقفي على ذلك بسرد عدة شواهد دونها في البلاغة والروعة ، ويوازن بين القولين ، ويزيل بين النفوس في الحالين، عند ذلك تستقيم طباع الطلبة وتسلم أذواقهم، فلا ترمحهم البلاغة مولية ، ولا تجمح بهم هاربة ، بل تضع في أيديهم زمامها ، وتسفر لهم عن بدرها

الادب وتاريخه

هذا فن حديث العهد بمدارسنا ، ولذلك لماتتعبد طريقته ، ولاتزال فجة ثمرته، ولم تجذب التلامذة اليه روعته ، وأكثرهم يستثقله فيلفظه ، ومنهم من يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ولو أضيف اليه قليل من التوابل ، ووضع بجانبه بعض الكوامخ ، لاشتهته نفوسهم ولم تصد عنه ، ولفتحت له صدورهم ولم تنقبض دونه

ورأيي أن يبدأ بدراسته عند ما يضع التلميذ قدمه على عتبة المدارس الثانوية فيدرس له في السنتين الاولى والثانية حالة اللغة في عصورها المختلفة لا بطريق التلقين والحفظ ، بل بطريق الاستنباط والاستقلال ، فاذا أراد الاستاذ مثلا أن يتكلم عن مميزات النظم أو النثر في عصر من العصور ، استعرض طائفة منه ، ووجه نظر الطلبة إلى ما فيها من متانة التراكيب وقصر الجمل ؛ وقلة الاستعارة والغلو ، وترك التمهيد ، والبعد عن العجمة ، إن كان الكلام في نثر الجاهلية ، أو وصف الخمر ومجالس الشراب والانس ، والقصور البديعة ومحاسن الطبيعة ، والمعارك الحربية ، والاساطيل البحرية ، وعذوبة الالفاظ والمحسنات البديعية ، والأخيلة الجميلة ، إن كان الكلام في مميزات النظم في العصر العباسي .

عند ذلك تكون دراسة الادب نافعة شائقة لا يملها الطلبة .

وفي باقي السنين يدرس ترجمة النابهين ومن لهم أثر بارز في اللغة من الكتاب والخطباء والشعراء ومدوني العلوم كالفقهاء والمؤرخين بالطريقة المتقدمة عينها ، فيذكر المترجم نشأته وبيئته وحياته المادية والادبية وصلة الثانية بالاولى وتأثرها بها ، وما لذلك من أثر في نفسه وأفكاره وتخيلاته ، ثم تعرض أثارة من قوله ، وينبه الاستاذ إلى ما فيها من حسن وابداع ، أو تقليد لقول سابق ، أو تكلف باد ، وما أشبه ذلك .

ويحسن أن تدرب التلامذة على اجراء موازنات بين شاعر وشاعر، أو خطيب ومثله ، وكاتب وتاجر ، فان ذلك مما يزيد في سلامة الذوق وصحة الحكم ، وتنبيه الذهن ، وتفتق القريحة .

ويتوسع بعض التوسع في الكلام على القرآن الكريم : إعجازه وأسلوبه وأثره في اللغة ، ويقرر جزء كبير منه في كل سنة لدرسه وحفظ بعضه ، ليستعان به على إصلاح النفوس التي استفحل مرضها ، وأعيا نطس الاطباء علاجها ، وتثقيف الالسنة التي اعوجت ، وخصوب الملكات التي أجدبت ، ولا يخفى صلة ذلك بعلمي الاخلاق والبلاغة .

(لها بقية)

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٢)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي ﴾

(وهو عالم سلفي مستقل لا يتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العالم الجليل ، المحقق النبيل ، السيد مهدي الكاظمي القزويني سلمه الله ووقاه ، وبلغه مناه ، وسلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فقد وافاني جوابكم الكريم المؤرخ في ٢٢ شعبان سنة ١٣٤٥ فتلقيته بكامل التجلة وعظيم الارتياح ، وأثنيت على همتكم الشماء وعنايتكم السامية بما يقتضيه المنصب الذي ولاكم الله إياه ، ومن كمال لطفكم ووافر ظرفكم ان استسمحتموني في تطويلكم الجواب عما في المنار ، والا فهو رياض بهيجة ، وموارد عذبة ، وثمار بحث شهية ، بعبارات رائقة طلية ، فبها يحق لكم أن تفتخروا لا أن تعتذروا

ولما التمستم مني القضاء بينكم وبين المنار بعد الامعان فيما كتبتم في الرد عليه وجب علي أن ألبي التماسكم معترفا بقصور باعي وقلة اطلاعي متجرداً من الهوى مااستطعت وما توفيقي إلا بالله ، غير متحيز الى مذهب ، ولا واقف مع مشعب ، اذ لا مذهب لي الا الحق ، وأتمثل بقول الشاعر البليغ الشيعي

وما لي إلا آل أحمد شيعة ومالي الا مشعب الحق مشعب

وهذا الجواب الذي سأجيب به عن كلامكم هو الذي أنوي أن أجيب به بين يدي الجبار سبحانه وتعالى ان سألني ـ والملائكة والانبياء والصالحون

شهود ـ فاذا تحققتم اخلاصي فلا أظن انكم تجدون من شيء من كلامي وان باين مذهبكم (ولكل وجهة هو موليها)

﴿المقام الاول﴾ قولكم : ان مكاتب المنار حرف الكلم عن مواضعه ولم ينقله على وجهه

(أقول) لا يمكنني أن أبدي رأيي في هذه القضية لعدم اطلاعي على الكتاب المنقول منه

﴿المقام الثاني﴾ تكذيبكم إياه في قوله(١) «انه لا يوجد كتاب من كتب فقه الشيعة إلا وبه انه لا يجوز البناء على القبور» يعكر عليه ما نقلتم عن كتاب جواهر الكلام انه ذكر خبراً عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال : لا يصلح البناء عليه. ونفي الصلاح فيما يتعبد به يستلزم الفساد إذ لا واسطة بينهما والفاسد شرعا لا يجوز التعبد به وعليه فمن قال ان عدم جواز البناء على القبور موجود فى كتب فقه الشيعة صادق في قوله . نعم إذا كان عدم جواز البناء على القبر يوجد في بعض كتب الفقه دون بعض لم يصح كلامه

﴿المقام الثالث﴾ تأويلكم الخبر(٢) فيه نظر بيّن لان الامام سئل عن البناء على القبر: هل يصلح أم لا ؟ فقال لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه . هذه أربعة أشياء نفى عنها الامام الكاظم (عم) الصلاح في مقام السؤال عن حكمه شرعا فلزم ان فعلها فساد عند الامام (والله لا يحب الفساد) والفساد محرم لقوله تعالى (ولا تفسدوا فى الارض)

وقولكم « وجه الاستدلال به على كراهة التجصيص ان الجلوس على القبر ليس محرما عندنا فتكون سائر الامور المذكورة معه ليست

(١) هو في ص ٣٥٠ و ٣٥١ من الجزء الماضي (٢) ص ٣٥٢

محرمة للزوم تساوي المتعاطفات فى الحكم » فى غاية البعد مع ما فيه من الابهام إذ لم تبينوا دليل جواز الجلوس على القبر : أهو البراءة الاصلية أم نص من القرآن أو من حديث إمام معصوم ؟ أما القرآن فليس فيه دليل على جواز ذلك فان كان هناك نص صريح عن النبي أو أحد من الائمة كان ينبغي لكم أن تذكروه لنضعه إلى جانب كلام الامام الكاظم فان تعارضا ولم يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح لاحدهما على الآخر بشيء من المرجحات توقفنا عن العمل بهما جميعاً وطلبنا دليلا من الخارج، فان وجد حكمنا به وإلا قلنا :لا نص معتبر في الجلوس على القبر ويسلم لنا نص الامام الكاظم على عدم جواز البناء على القبر بغير معارض وظاهره الحرمة لان عدم الصلاح في مقام السؤال عن الحكم شرعا يستلزم الفساد وهو حرام كما تقدم

﴿المقام الرابع﴾ قولكم «ولكن مكاتب المنار لم يذكر من الحديث[1] إلا قوله: لا يصلح البناء على القبر وأسقط منه الباقي ليوهم القارىء ان الحديث دال على التحريم، ولا شك ان اسقاط بعض الحديث خيانة فى النقل» فيه نظر أيضاً لانه ليس كل اسقاط موهما، وإنما يكون الاسقاط تحريفا وخيانة إذا كان مخلا بالمعنى المقصود، أما الاقتصار على ذكر دليل المسألة من الخبر وحذف سائره إذا كان لا يتغير المعنى بحذفه كما هنا فليس بخيانة بل هو اختصار وهو مقبول عند أهل العلم، موجود في كتب الثقاة الامناء كالبخاري وغيره

﴿ المقام الخامس ﴾ قولكم : ثم قال صاحب الجواهر : وربما يشعر بكراهة التجصيص[1] قول الصادق(ع) كل ما جعل على القبر من غير تراب

«١» ص ٣٥٢ أيضاً

القبر فهو ثقل على الميت : قلتم وهذا الحديث لا دخل له بموضوع المسألة لان المفهوم منه كراهة أن يهال على الميت من غير تراب القبر فالصادق (ع) كأنه قال : لا يهال على القبر إلا التراب الذي استخرج من نفس القبر عند حفره ولا يؤتى بشيء من غيره فيوضع في القبر الخ

(أقول) كلام الامام يقتضي قطعاً انه لا يوضع على القبر شيء إلا تراب القبر سواء أكان ذلك الشيء ترابا أم جصا أم تابوتا وستورا ومباخر وشموعا وغيرها لان الامام لم يقل كل تراب يهال على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل بل عبر (بما) التي هي من ألفاظ العموم فلا يصح تخصيصها بجنس التراب بلا دليل ولذلك فهم منه صاحب الجواهر النهي عن التجصيص وحمله على الكراهة والظاهر الحرمة لانه من جنس البناء على القبر وتقدم الدليل على حرمته

﴿ المقام السادس ﴾ قولكم : وقال صاحب الجواهر وكذا يشعر بالكراهة حديثه عليه السلام[1] قال أمير المؤمنين (عم) بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور

(أقول) استدلال صاحب الجواهر بهذا الحديث على كراهة التجصيص يدل على انه فهم منه مشروعية هدم القبور مطلقا سواء أكانت للكفار أو المؤمنين وكسر الصور مطلقا ولو كانت صور الانبياء والائمة وينافي ماملتم اليه فيما بعد من أن مشروعية الهدم خاصة بقبور الكفار

﴿ المقام السابع ﴾ اعترافكم بأن تجديد القبور بعد اندراسها مكروه في مذهب الشيعة[2] وهو يرشد إلى أن المشروع عند سلف الشيعة هو اهمال

«١» (ص٣٥٣) «٢» (ص٣٥٣)

القبور وتركها لايدي الزمان تعفوها وتمحو آثارها ، وان تجصيصها وتطيينها والبناء عليها واتخاذها مساجد وأعياداً ومواسم وجعل التوابيت المزخرفة المذهبة والستور المزركشة الموشاة وتبخيرها واتخاذ السرج عليها والحج لها والعكوف عندها والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها وأخذ ترابها للاستشفاء والنذر لها وتقريب القرابين لها والاقسام على الله بأهلها وغير ذلك مما يجعلها أوثانا تعبد من دون الله كل ذلك بريد الكفر بل الكفر بعينه ، وقد عمت البلوى بهذا الداء العضال الذي هو أعظم أسباب شقاء المسلمين واستيلاء العدو عليهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم وضلالهم ضلالا بعيداً حتى صار المخلوق في صدورهم أعظم من الخالق وصاروا أكثر توكلا وأخضع وأرجى للمخلوق منهم للخالق، حتى انك إذا اتهمت أحدهم فسألته أن يحلف بالله وبجميع أسمائه وصفاته يفعل ذلك بدون مبالاة ولا خجل ولا وجل، وإذا قلت له احلف بالشيخ فلان ان كان ممن ينتسب إلى السنة أو بالامام فلان إذا كان ممن ينتسب إلى الشيعة ظهرت عليه علامات الاهتمام والرعب وخاف أن يحلف به كاذبا ، وبعضهم يخاف ان يحلف بالمخلوق ولو صادقا ولا يبالي أن يحلف بالملك القهار ألف مرة كاذباً. وكذا يتصدق لوجه المخلوق بكرائم الاموال ولا يتصدق لله إذا سئل به بفلس ، وهذا أعظم الشرك والكفر وهو مشاهد في العوام وفي أكثر الخواص معلوم بالضرورة انكاره جحد للضروريات ومكابرة فيها لكنه عام في الشيعة وأهل السنة ما رأيت فرقا بينهم في ذلك إلا أن كثيرا من أهل السنة متجنبون لذلك متبرئون منه، وأما الشيعة فلم أختبر خواصهم كثيرا، ويغلب على ظني انهم لا يجمعون على ذلك الضلال البعيد وهم يتلون كتاب الله ويدرسون

أحاديث النبي وآثار الائمة ، هذا ظني بهم والله أعلم

﴿ المقام الثامن ﴾ انكاركم على المكاتب قوله لا يوجد كتاب من فقههم إلا وفيه لا يجوز البناء على القبور وتجديدها والسرج عليها[1] وقولكم انه لم يتعرض أحد من فقهاء الشيعة لذكر الاسراج على القبر وذلك يقتضي أنه غير مكروه عندهم فادعاء المكاتب وجود ذلك في كل كتاب من فقههم بهتان عظيم ، هذا معنى كلامكم

(أقول) الذي يغلب على ظني أنكم أنتم أعلم بما في كتب الشيعة من المكاتب ولو كان ذلك في كل كتاب لما خفي عليكم ، وعليه فظاهر كلامه غير صحيح ، لكن يمكن أن يكون قد اطلع على النهي عن الاسراج في بعض كتب الشيعة ولم تطلعوا عليه أنتم ، أو سهوتم عنه حين كتابتكم هذا الجواب ، فظن أن ذلك موجود في جميع كتبهم فأطلق في كلامه ، ولا غرابة في ذلك فقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر ، وعلى كل فالواجب عليه ألا يطلق إلا بعد تحقق وجود ذلك في كل كتاب من فقههم

﴿ المقام التاسع ﴾ تشنيعكم على المنار ومكاتبه ورميه بالافتراء والتحريف والتحامل على الشيعة والسعي في تشويه سمعتهم (٢)

(أقول) أما مكاتب المنار فلا أعرف حاله ، وأما صاحب المنار فالذي أعتقده فيه هو الصدق فيما ينقله ، وأنه لا يتحامل على الشيعة ، ولا يغضي عن عيوب أهل السنة ويبحث عن عيوب الشيعة ، بل كل من طالع المنار علم يقيناً أنه انتقد على أهل السنة وأنكر عليهم أكثر مما أنكر على الشيعة ، وهذه مجلدات المنار شاهدة بذلك

---

١) يعني ولا تجديدها ولا وضع السرج عليها — راجع آخر ص ٣٥٣ «٢» راجع ص ٣٥٤

وقولكم وكم من فرق بين بناء نفس القبر وبين القبة المبنيــة على أساسات لا دخل لها بالقبر أصلا(١)

(أقول) لو لم يرد في الاحاديث إلا النهي عن البناء على القبر لخص النهي به ولم يتناول القبة ، أما وقد عزز الشارع النهي عن البناء بالنهي عن اتخاذ المساجد عليها ولعن فاعل ذلك في مرضه الذي توفي فيه فواضح أن النبي ﷺ كان ينهي عن كل بناء على القبر أوحوله ويأمر بهدمه، وكذلك فعل علي (عم) بعده وسائر الائمة ، ولم يتجرأ أحد على بناء قبة على قبر في زمانهم . والذي أعتقده في علي عليه السلام أنه لو رأى مايفعله الغلاة عند القباب التي ابتدعوها لحرقهم كما حرق الغـلاة وحاشا للسلف الصالح أن يرضوا بهذه الاوثان ، هذا الذى اعتقده وأدين الله به

﴿المقام العاشر﴾ في قولكم قال المكاتب: وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال : سألت الصادق عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال أما زيارة القبور فلا بأس ، ولا يبنى عليهـا مساجد . قال النبي ﷺ « لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » اه ثم قلتم ولـكن العجب منه أنه ذكر الحديث النبوي عقيب حديث سماعة بصورة توهم أن الصادق (ع) استشهد به على قوله مع أن الحديث النبوي لاوجود له في كتاب الـكليني أصلا . نعم توجد رواية مرسلة في بعض كتب الشيعة وكيف كان فليعـلم أن جميع ماجاء من بناء المساجد واتخاذها على القبور أو فيهـا أو عندها حسب اختلاف النقل انما يراد به النهي عن جعل نفس القبر مسجداً ، أي موضعاً

(١) ص ٣٤٥

يسجد عليه، وليس المراد ماهو معروف بين المسلمين من المكان الذي يصلي فيه (١)

(أقول) فيه اعترافكم بأن الامام الصادق «ع» أفتى بأنه لا يبنى على القبور مساجد وهو صريح في المنع من بناء المساجد على القبور، ولكن تأولتموه على أن النهي انما هو عن جعل القبر مسجداً أي محلا للسجود لا عن بناء المسجد على القبر لان ذلك كما قلتم لا يتصور — الخ

(أقول) هذا تأويل بعيد جداً كنت أربأ بكم عن ارتكابه ويرده (أولا) أن قوله لا يبنى عليها مساجد نهي عن البناء لا عن السجود، فان السائل سأله عن الزيارة والبناء فأثبت الزيارة ونفى البناء، ولم يتعرض السائل ولا المجيب للسجود على القبر ولا تشم رائحته من كلامهما، فحمل كلام الصادق عليه من أبعد التأويل، بل هو سلب لمعنى اللفظ الذي يدل عليه دلالة مطابقة، وتحميله معنى آخر لا علقة بينه وبينه.

(ويرده ثانياً) أن بناء المسجد على القبر نفسه لا يتصور ولا يعقل كما قلتم، وكذلك لا يعقل أن يريد الصادق وجده ﷺ النهي عن السجود على القبر ويعبر عن ذلك بالنهي عن بناء المساجد على القبور، والنبي ﷺ أفصح العرب والصادق من أفصح العرب ولو أراد عالم اليوم أن ينهى عن السجود على موضع فقال للمخاطب: لا تبن مسجداً على هذا الموضع لعيب عليه ذلك وعد غالطا أو جاهلا باللغة فكيف يقع ذلك من أبلغ الناس

(ويرده ثالثاً) أنكم اعترفتم بأن أحاديث الباب وردت بالفاظ في

«١» ص ٣٥٥

بعضها النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وفي بعضها النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، وفي بعضها النهي عن اتخاذها عندها، وفي بعضها النهي عن اتخاذها فيها، وفي بعضها النهي عن بناء المساجد عليها فهذه خمسة ألفاظ

(اللفظ الاول) يحتمل معنيين (أولها) النهي على بناء المساجد عند القبور كما تدل عليه بقية الالفاظ (والثاني) ماذكرتم وهو اتخاذ القبور نفسها موضعا للسجود . ويتوجه أن يكون دالا عليهما معا فتكون فيه فائدة زائدة على ما بعده

(اللفظ الثانى) النهي عن اتخاذ المساجد على القبور هذا اللفظ واضح المعنى وهو يفسر سائر الالفاظ ويقطع النزاع لورود مثله في كتاب الله تعالى وذلك قوله سبحانه (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) قال الامام الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير في تفسيره عند هذه الآية ما نصه: حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين (أحدهما) انهم المسلمون منهم (والثاني) اهل الشرك منهم والله اعلم. والظاهر ان الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون في ذلك؟ فيه نظر، لان النبي (ﷺ) قال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد» وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر (رض) أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر ان يخفى على الناس وان تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها انتهى ولم يفهم أحد من المفسرين فيما علمت أنهم أرادوا أن يسجدوا على أجسادهم أو يبنوا فوقها مسجداً بل فهموا ورووا عمن قبلهم انهم أرادوا أن يتخذوا مسجداً أي يبنون عند باب كهفهم تبركا بهم وتعظيما لهم وذلك مخل بالتوحيد

ولذلك رجح الحافظ ابن كثير أنهم مذمومون على ذلك ، ويظهر لي أن الذين غلبوا على أمرهم هم اهل الشرك لان أهل التوحيد لا يتخذون المساجد عند قبور الانبياء والصالحين لان الله حرم ذلك ولعن فاعله على لسان نبيه. وهذا من دقة نظر الامام ابن كثير وسعة اطلاعه وجمعه بين الكتاب والسنة

وقد اتضح أن المراد بنهي النبي عن اتخاذ المساجد على القبور هو بناؤها حولهم أو بالقرب منهم خوفا عليهم من الفتنة والوقوع في الشرك كما وقع للذين من قبلنا وقد اتبع سننهم من أراد الله فتنته من هذه الامة فوقعوا في مثل ما وقع فيه من قبلهم من الشرك ، ومن تأول الحديث على النهي عن السجود فوق القبر لزمه أن يفسر الآية بذلك وتأويلها بذلك ظاهر الاستحالة

(اللفظ الثالث) النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور واذا أردنا أن نعرف معنى هذا اللفظ على التحقيق ينبغي لنا أن ننظر علام يدل لفظ «عند» في اللغة

قال المختار بن بونا في أرجوزته المزوجة بألفية ابن مالك :

وعند للحضور والقرب وقد تضم عينها وفتحها ورد

قال في حاشيتها : للحضور حسا أو معنى واجتمعا في قوله تعالى (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده) والقرب نحو (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) انتهى

واذا تحقق هذا فكلمة عند في الحديث اما بمعنى القرب أو الحضور وكلا المعنيين موجود في القباب والمشاهد المبنية حول القبر أو بقربه فهي داخلة في النهي وهذا واضح لا يحتمل التأويل

(اللفظ الرابع) النهي عن اتخاذ المساجد في القبور وهو بمعنى اللفظ الثاني

لان في فيه بمعنى على كما في قوله تعالى (ولاصلبنكم في جذوع النخل) وتقدم بيانه

(واللفظ الخامس) النهي عن بناء المساجد على القبور وهو بمعنى اللفظ الثاني سواء لان المراد باتخاذ المساجد عليها بناؤها عليها

فتضافرت الالفاظ الخمسة على معنى واحد وهو النهي عن بناء المساجد عند القبور أي بحضرتها أو بقربها واذا صحب البناء قصد التبرك والتعظيم اشتد تحريمه لعظم مفسدته حينئذ وكونه ذريعة موصلة لامحالة الى اتخاذ قبر ذلك النبي أو الصالح وثنا يعبد كما هو واقع في غالب الاقطار التي ينتسب أهلها الى الاسلام، وهم عاكفون على عبادة الخشب وستور الحرير والجدران تبعا لعبادة المقبور فيها ولا حول ولا قوة الا بالله

(ويرده رابعا) أننا لو سلمنا أن أحد الالفاظ وحده لا يدل على تحريم بناء القباب على القبور لكانت الالفاظ بمجموعها دالة أوضح دلالة على ذلك ومن عرف المعنى الذي لاجله خص النبي ﷺ قبور الانبياء والصالحين بالذكر دون سواهم وان كان داخلا في النهي علم يقينا أن هذه القباب المشيدة المزخرفة بأنواع الزخارف على قبور الانبياء والصالحين وغير الصالحين شر على الاسلام من سقم على بدن، وعرف مقدار حماية النبي ﷺ لجانب التوحيد. ان في ذلك لآيات لقوم يفقهون

(له بقية)

الزي الاسلامي والشعائر الاسلامية

والالقاب العربية عند خواص أمريكا

ذكر مستر تشارلس كراين الاميركاني الشهير في محاضرته التي ألقاها في في جمعية الرابطة الشرقية « أنه يوجد بين المسيحيين طائفة صغيرة تقول بالتوحيد وتشابه عقائد هذه الطائفة من وجوه عديدة العقائد الاسلامية القديمة » وذكر أنه ظهر فيها رجال عظماء في أوربة وأمريكا أفادوا العالم فائدة تذكر فتشكر ، وذكر أنه كان في مقدمتهم في الولايات المتحدة صديقه الرئيس (إيليوت) الذي بقي مدة أربعين سنة رئيساً لاعظم مدرسة جامعة أمريكية وهي جامعة «هارفرد» وقد توفي في العام الماضي وذكر أنه لقنه قبل وفاته سورة الفاتحة قائلا له اسمع هذه الصلاة الاسلامية الجميلة ـ وذكرها ـ قال « فأعجب بهذه الصلاة الوجيزة كثيراً وكانت هي آخر العهد بيننا »

وقد زار صديقنا الامير شكيب أرسلان الشهير الولايات المتحدة في الشتاء الماضي فكان مما اطلع عليه من نفائس مخبآتها جمعية سرية مؤلفة من خواص العلماء والكبراء تعقد اجتماعات خاصة في محافل لها يلبس فيها أعضاؤها الطربوش والعمامة ، وألقابهم فيها عربية اسلامية ، وتحيتهم فيها «السلام عليكم» واسم الجمعية مرادف لاسم الكعبة واسم المحفل من محافلهم الجامع الخ ماستراه . فظهر لنا من هذا أن مستر تشارلس كراين منهم وأن صديقه العلامة « ايليوت » كان منهم ذلك بان مستر كراين كان اذا دخل علينا يحيينا بالسلام فنظن أن ذلك مجاملة منه وتمرين للسانه على النطق بالتحية العربية التي يحب أهلها

كتب الامير شكيب مقالته في المقارنه بين هؤلاء الامريكيين و بين حكام الترك الكماليين ومقلدتهم من المصريين الدعاة الى هدم مقومات الاسلام والعرب تقليداً للافرنج فيما يسهل التقليد فيه من زي ولغة وعادات مهما تكن قبيحة ، ونشرت هذه المقالة في جريدة الشورى ونقلتها عنها جريدة كوكب الشرق بعد مقدمة ، ثم نقلتها مجلة العرفان وأضافت إليها بعض الصور والرسوم لأعضائها جاءتها من مراسل لها في الولايات المتحدة ونحن ننشرها مع مقدمة الكوكب وهي :

مهين عند قومه مكرم عند الناس

سفير مصر يلبس القبعة في تركيا مراعاة لشعور حكومتها

وسفير تركيا في مصر لا يحفل بشعور حكومة مصر

مقال بديع من قلم الامير شكيب أرسلان

قرأنا في الصحف أن سعادة عبد العظيم راشد باشا وزير مصر المفوض في تركيا بدأ عمله الرسمي في الاستانة بحديث امتدح فيه البرنيطة وحقر الطربوش ناسياً أنه شعار بلاده الرسمي من مليكها الى نوابها وشيوخها وأعضاء حكومتها وأنها في وقت ما نهضت لتستبدله بالبرنيطة عارضت كل هيئاتها الرسمية في ذلك وفي المقدمة حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس النواب سعد باشا زعيم الامة

لا بد أن سفيرنا العظيم أراد أن يستميل اليه الاتراك وأن يكون قريباً من قلوبهم ولكن ألا يتم ذلك الا بتحقير شعارنا الرسمي والا بأن يكون التقرب على حساب قومه وبلاده ؟ ؟ وهل هو عين في وظيفته ليرفع رأس مصر وليعلي من شأن زيها ؟ أو ليكون في المجلس الذي هو فيه لا يهمه الا أن يرضي جلساءه ولو بالنيل منه فيكون ذلك شأن « السنتري » لا عمل السفير ؟ ؟

لقد أدى عبد العظيم باشا راشد – في مثل هذه الايام – فريضة الجمعة في جامع عمرو بالجزمة وها هو مع أنه يلبس الطربوش ومع أنه يمثل لا بسيه يراه دون البرنيطة ورمز التأخر ، فهل تقره وزارة الخارجية على ذلك وهل يبقى مع هذا أهلا لان يمثل البلاد

وهل غاب عن سعادة عبد العظيم راشد باشا سفير مصر في تركيا أن محيي الدين باشا سفير تركيا في مصر يلبس القبعة التي اختارتها حكومة بلاده لشعارها في جميع الحفلات الرسمية وغير الرسمية في هذه الديار ؟

ولقد كان من الواجب عليه أن لا يلبس غير الطربوش الذي لا يزال شعار الحكومة التي يمثلها . وبهذه المناسبة ننشر المقال الآتي الذي أرسله الى (الشورى)

الامير شكيب أرسلان من الديار الامريكية تحت العنوان الذي صدرنا به هذا المقال

***

« خلع بعض الشرقيين الطربوش وعدوا لبسه دنيئة من الدنايا وحاكموا عليها الناس ودقوا أعناقهم ... وأوشك آخرون ان يقتدوا بهم لو لم يمسك رجال الحل والعقد برمق الكرامة الشرقية ويقفوا في وجه أولئك الحمقى الذين القوا على دعايتهم الاجنبية اسم « تجدد » وأنكرت فئات لبس العمائم وزعمت أنها رمز الهمجية وضربت الرقاب من أجل لبسها . وودت زعانف آخرون ان تضرب الرقاب على لوث العمائم كما تضرب على لوثها في تركيا ... ولو قام أحد منذ سنوات قلائل وحدثنا بأنه سيكون من الشرقيين أناس يبلغ بهم التقليد الاعمى أن يجازوا بالقتل من لبس الطربوش أو العمامة لظننا أنه ممسوس يخلط أو محموم يهذي . ولكننا رأينا ذلك بأعيننا وسمعناه بآذاننا

وحاول أناس أن يحملوا الشرقيين والعرب خاصة على التفصي من كل شيء شرقي أو عربي وزعموا أن لا حياة للامم الشرقية بدون ذلك . ولسنا نعجب من أن يصاب الشرق بمثل هذه الامراض الاجتماعية على أثر الحرب الكبرى وأن ينكر الشرق بعض بنيه وأن يحتقروا كل ما هو منسوب اليه . فما زالت الامم قديماً وحديثاً تبتلى بمثل هذه الامراض إذ مجموع الامة عبارة عن جسم معنوي لايخلو من أن تطرأ (١) على الجسم الحيواني عوارض الامراض البدنية . ولكن الطربوش والعمامة والزي الشرقي واللغة العربية كل ذلك كان مكرماً معززاً مقدساً في بلاد غربية تعرف الفضل وذويه ولا يمنعها كونها أعرق البلاد في التغرب أن ترفع للشرق مناراً ، وتحيي له آثاراً .

يوجد في أمريكا جمعية شريفة نابهة عالية القدر اسمها (شراين) ومعنى هذه الكلمة (الكعبة) أو المكان المقدس الذي يحج اليه . وليست هذه الجمعية من الجمعيات

«١» المنار : كذا في الاصل المطبوع والظاهر أنه سقط منه شيء وان يكون أصله: لا يخلو من أن تطرأ عليه عوارض الامراض الاجتماعية كما تطرأ على الجسم الحيواني عوارض الامراض البدنية

الماسونية ولكن مبادئها أشبه بمبادىء الماسونية وبعبارة أخرى لا يوجد في مبادىء الجمعية ما يناقض المبادىء الماسونية . ثم ان بين جمعية «شراين» والماسونية رحماً ماسة إذ لا يدخل هذه الجمعية إلا من كان منسوباً الى الماسونية . ولا يكفي أن يكون منسوباً الى الماسونية بل شرط الدخول في جمعية « شراين » أن يكون المريد مترقياً في الماسونية الى درجة ٣٢ ومن علم مبلغ أهمية الماسونية في أميركا وانها هي مصاص هذه الامة الاميركية العظيمة وتأمل في شرط الدخول الى جمعية الكعبة المشار اليها أمكنه أن يفهم في أي ذروة هي هذه الجمعية من ذرى الاجتماع الاميركي

ويقدر عدد المنسوبين الى جمعية الكعبة هذه بمائتي ألف وخمسين ألف شخص . من الفضول أن نقول بعد الذي تقدم من الكلام انهم جميعاً من الطبقة الراقية . ولهم محافل عديدة ومنهم عدد كبير من رجال الحكومة من أمير وأعضاء مجلس الشيوخ بل ممن تولوا رياسة جمهورية الولايات المتحدة . والمحفل يسمى عندهم (Mosque) أي « الجامع » والمريد يسمى « شريف » فكل المنتظمين في سلك هذه الجمعية يطلق عليهم لقب شريف . ويوجد عدا لقب شريف لقب « حاج » وهذا يطلق على من يكون قد جاء من محفل زائراً محفل مكة وأثبت لدى هذا المحفل انه ترك عند عائلته مالا يكفيهم لمعيشتهم الى أن يكون رجع اليهم ، فانه يوجد عندهم محافل بأسماء عربية ولكن أسماها محفل نيويورك وهو الذي يسمى بمحفل مكة

وقد علمت من أسماء محافلهم محفل سلام في نيويورك من ولاية نيوجرسي ، ومحفل الملائكة في لوس انجيلوس من ولاية كاليفورنيا ، ومحفل عنزه بالمكسيك وبلغني أن عندهم : محفل دمشق ، ومحفل بغداد ، ومحفل مصر ، ومحفل عمر ، ومحفل علي ، ومحفل رمضان ، ومحفل زمزم ، ومحفل المدينة ، ومحفل فلسطين ، ومحفل الناصرة ، ومحافل أخرى تحمل كلها أسماء عربية . وهذه الاسماء يلفظونها بالعربي لا بترجمتها في اللغة الانجليزية .

ولهم في ولاية بنسلفانيا محفل كبير فخم البناء مكتوب عليه بأحرف كبيرة « أشهد أن لا إله إلا الله » واذا دخل الواحد منهم الى المحفل فلا بد أن يقول : « السلام عليكم » يلفظها بالعربية ، وعلى جدران أبهاء المحافل توجد آيات قرآنية

كما هي على جدران المساجد عندنا ، ولا يجوز للداخل ان يدخل المحفل الا بالطربوش . فالطربوش هو اللباس الرسمي للمنسوبين الى جمعية « شراين » أما أصحاب الرتب الذين ترقوا في الجمعية فيلبسون العمائم والطيالس . وكثيراً مايجتمعون في الاحتفالات ويخرجون في الشوارع مئات وألوفا وهم بالطرابيش والعمائم . وليس التعارف فيما بينهم على الطريقة الاوربية أي ان الانسان لا يكلم الآخر الا بواسطة رجل يعرفه بل طريقة التعارف عندهم أشبه بطريقة الشرقيين فاذا شاهد الواحد الآخر لابساً طربوشاً تقدم اليه وصافحه بدون واسطة قائلا له السلام عليكم . ثم ان المنسوب الى هذه الجمعية يحمل على صدره زراً عليه صورة سيف وهلال ونجمة . فالهلال راكب عليه السيف والنجمة من فوقه . وهذا هو شعار الجمعية

قصدت بهذه المقالة ان يعلم من في الشرق أن الطربوش والعمامة والجبة واللغة العربية والآي القرآنية والازياء الشرقية يتنافس بها المتنافسون في أكل وأعلى مراكز المدنية الغربية بينما كثيرون من الشرقيين يحقرونها وينفضون أيديهم منها (ومن يضلل الله فما له من هاد) شكيب أرسلان

(المنار) إن للجمعية الماسونية أسراراً ورموزاً لا يفقهها إلا بعض أولي النهاية من زعمائها كما كان شأن جمعية الباطنية من الشيعة . ومنها ان هيكل سليمان رمز عند اليهود من أولئك الزعماء المؤسسين لاستعادة الهيكل من المسلمين بل لتجديدهم ملك سليمان. ولذلك نجد للصهيونيين أعوانا كثيرين من النصارى كلهم من الماسون فيما أظن . وقد كان المعروف من رموز الماسونية بعضه يهودي وبعضه نصراني كالتثليث مثلا. ولم يبلغنا ان فيها شيئاً إسلامياً قبل جمعية الكعبة التي علمنا خبرها في هذه الايام ، وهو في رأينا الاجتماعي ارتقاء في الماسونية الى أفق أعلى ، جزم الامير شكيب بأنه خروج منها . فمن لنا بمن يكشف لنا سر ذلك ويعرف الواضع له ؟

أموال ابن السعود التي اتهم بها

صاحب المنار

﴿ ٥٠٠٠ جنيه مكافأة على خدمته للملك وقومه ١٠٠٠٠ جنيه رواية أخرى ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ أجرة تعب العمل في المؤتمر ٦٠٠٠ جنيه بحيلة طبع المغني وابن كثير ٦٠٠ جنيه باسم الجرائد المصرية . آلاف الجنيهات مبهمة في رواية أخرى ﴾

لابدع ولا غرابة اذا خطر في بال بعض الناس أن الملك العربي عبدالعزيز بن السعود يكرم صاحب المنار أو أكرمه بالمال وبغير المال — ولا غرابة في تقدير بعضهم لهذا الاكرام بكذا وكذا من المبالغ بحسب آرائهم ، ولا عجب اذا ذكر بعض الناس ماقدره من هذا المال فظن آخرون أن هذا التقدير رواية لا رأي ، وتناقلوه تناقل الروايات

نقول إن كل هذا ليس بغريب لان من شأن مثله أن يقع ، وقد وقع بالفعل وكثر فيه القيل والقال وتناقله خواص الناس كما ذكرنا ذلك في فاتحة الجزء الاول من هذا المجلد من المنار (٢٨) نقلا عن بعض كبار العلماء والوجهاء ونسمي الآن من كبار العلماء الذين تحدثوا به في مصر الاستاذ الشهير الشيخ محمد بخيت فهو أول من سمعنا منه رواية الخمسة الآلاف من الجنيهات التي تحدث بها بعض الخواص في مصر — وأما صاحب رواية العشرة الآلاف التي تحدث الناس بها في أوربة فقد سمعها الامير ميشيل لطف الله في مدينة (جنيف — سويسرة)

أمثال هذه الاحاديث اذا دارت بين خواص الناس لاينبغي أن يهتم مثلنا بتكذيبها إن ذا كانت كاذبة لان الذين يتحدثون بها لايعدونها عاراً ولا يقصدون الطعن في عالم يأخذ مساعدة أو مكافأة على نشر العلم والدين من ملك من الملوك الكرام . وأما غيرهم من اللئام والحاسدين والسفهاء والخصوم الذين يفترضون سماع مثل هذه الاشاعات أو يفترونها للطعن على من يأخذ أمثال هذه المبالغ التي تعد عظيمة في هذا

العصر فيذمون آخذها بما شانت آدابهم ، وتحركت به أهواؤهم ، فقد اعتدنا أن نحتقر كل مايقولون ويكتبون ونعده كالعدم، وماذا يهمنا اذا سفه سفيه أو احترق قلب حسود؟ — لهذا ذكرنا الخبر في أهم مكان من المنار (وهو فاتحة المجلد) ولم نصدقه لانه غير صدق ، ولم نكذبه لما ذكرنا آنفاً . وقد سمعنا وقرأنا في بعض الصحف لغطا كثيراً في ذلك منذ العام الماضي إلى الآن فلم نحفل به على عادتنا

ولكن السفهاء لم يقفوا عند حد أخذ صاحب المنار ألوفا من الجنيهات مكافأة من ملك الحجاز ونجد على خدمته السابقة له ولقومه على قولهم ، أو مساعدة له على خدمته المستمرة للعلم والدين على ما يدين الله به ذلك الملك من كتاب الله وسنة رسوله ومنهاج سلف الامة الصالح ، وإن عد ذلك بعضهم نقيصة فينا ودليلا على أن هذه الخدمة التي كاد يمر عليها ثلث قرن لم تكن لوجه الله تعالى وانما كانت لأجل أموال ابن السعود — كأننا كنا نعلم الغيب على تقدير صحة زعمهم —

لم يقف خصومنا في ديننا ومذهبنا السلفي من ملاحدة وطننا هذا — ومن روافض العلويين في جاوه الداعين إلى عبادة علي وذريته ، ومن بعض الحاسدين لنا على مكانتنا عند هذا الملك المسلم التقي السلفي — لم يقفوا عند هذا الحد ، بل أخذوا يختلقون علينا سلب مال الملك بالحيلة والسرقة (والنصب) ويكتبون ذلك في بعض الصحف ومنها صحف لا نراها عادة لعدم المبادلة بينها وبين مجلتنا أو لانها لا تصدر الا عند الحاجة اليها ، وقد كان من سوء تأثيرهم أن كتب الينا صديق لنا من خيرة فضلاء الحجاز رقعة أودعها كتابا له يذكر فيها هذه الاشاعات ويزيد عليها قوله : « هذا عدا ما أتحفكم به جلالة الملك من الهدايا والتحف الثمينة » ـ ويقول انه دافع عنا من حدثوه بتلك التهم على عدم وقوفه على شيء مما قيل الخ وقد كان لهذه الرقعة من سوء التأثير في نفسنا ما كان هو الحامل المباشر على بيان الحقيقة في المنار فنقول :

أرسل إلينا أحد أصدقائنا في سورية نسخة من عدد جريدة ألف باء المشهورة الذي صدر في دمشق في ٩ يوليو (تموز) الماضي فاذا فيه مقالة من مراسل الجريدة بمكة المكرمة بامضاء (أبو هشام) في ذي الحجة الماضي يثني فيها على ملك الحجاز

ونجد ويخاف على أعماله الاصلاحية أن يتركها لمن لا يهمهم إلا جمع الآلاف من الجنيهات أو حب الذات وكرسي الوظيفة - وحينئذ تبوء مساعيه بالفشل ، ثم قال المراسل بعد هذا السياق :

« ولنعد الآن لموضوعنا فاننا ذكرنا ماالتهم سادتنا المتعممين (كذا) من ألفي جنيه وألف جنيه أجرة أتعابهم بالمؤتمر فظن البعض أننا مغالين (كذا) وربما جاراهم الاستاذ صاحب ألف باء بهذا الظن ، ولكن ماقولهم وقول الاستاذ بالتهام ستة آلاف جنيه آخر (كذا) ؟

« وإليك البيان : يوجد في نجد كتابان خطيان وهما (شرح المغني لابن قدامة وتفسير ابن كثير) وهما كتابان سلفيان . فلما كان المؤتمر الاسلامي منعقداً أطلع جلالة الملك عليهما الشيخ رشيد رضا فتعهد الشيخ بطبعهما لقاء ستة آلاف جنيه وهكذا تم الاتفاق وتناول المبلغ وباشر بالطبع ولكن أتعلم ماذا طبع ؟ طبع من كل كتاب جزءاً واحداً وأهمل بقية الاجزاء ، وقد خاطبه جلالة الملك مراراً بتنفيذ تعهده وما تناوله لقائه (كذا) فكان الشيخ يحاول تارة ويعتذر أخرى إلى أن ضاق ذرع جلالة الملك فطلب أن يرد الكتابين وهو مسامح بالستة آلاف جنيه ، وللآن لم يردهما ولم يقم بطبعهما مع أنه تناول المبلغ سلفاً

« فما قول الاستاذ صاحب ألف باء الذي مسخ لي مقالي السابق في هذا الموضوع ؟ وما قول القراء الكرام ؟ وما قول سادتنا العلماء ؟

« ولا يظن أحد أن هذه القصة مختلقة أو تصورتها مخيلة الكاتب ، كلا فأنا مستعد أن أناقش كل فرد يكذبني لان الذي أطلعنا عليها كان هو الواسطة وهو رجل ثقة أمين واقف على كل شيء حتى انه من أنصار الشيخ ولكنه قالها عفواً وما علم أنها ستذهب إلى الف باء ولولا الخوف على الرجل لذكرت اسمه[1] ولكن لا سبيل الى ذلك . حتى ان السيد الطيبي كان حاضراً ذلك المجلس ويقول المثل

١) المنار: لو كان يفهم الكاتب مايكتب لعلم انه بيّن اسمه لمن لايخاف عليه من غيره فانه قال انه كان الواسطة بيننا وبين الملك ومن أدرى من الملك بالواسطة بيننا ان كان ثم واسطة ؟ وهل يخاف عليه إلا من الملك أن يعاقبه ؟

« اذا أردت أن تكذب فبعد شهودك » ولكن ولله الحمد الشهود موجودون .
وهذه الحادثة يعلمها كثيرون من أعضاء المؤتمر من أهل الحجاز وغيرهم من الاعضاء
« ونحن لا نقصد التشهير وانما نقصد أن يعرف الناس أن هؤلاء العلماء الذين يدعون الاصلاح مرة والتقوى أخرى لا يهمهم من وراء هذه الدعوى الفارغة إلا صيد القروش
« ورب معترض يقول إن الشيخ رشيد قام بدعاية عظيمة لابن السعود وخدمه أجل خدمة فهو يستحق هذا المبلغ أو أكثر منه ــ فنحن لا ننكر ذلك ولا نجحد خدمة الشيخ للملك ولكنه لماذا ينادي بخدمة الاسلام والاصلاح وعز العرب طالما يتقاضى أجرة أتعابه ودعايته ؟ » (أبو هشام)

(المنار) لا أعرف أبا هشام هذا ولم أطلع على مقالته الاولى التي يظهر من هذه الثانية أنه ذكر فيها أنني أخذت من جلالة الملك الف جنيه أو الفين أجرة عملي في المؤتمر ، وكل ما كتبه عني في المقالتين كذب واختلاق لو كان محرراً في جريدة السياسة أو جريدة حضرموت لما كنت أبحث ولا أتعجب من اختلاقه

ويظهر من تأكيداته للخبر وتصريحه بأنه يدفع بها عن نفسه تهمة الكذب أنه يعلم أن الاستاذ صاحب جريدة الف باء وغيره يعدون منه الكذب كما يظهر من حرصه على تصديقه ومن استنباطه لما استنبطه منه أن له هوى فيه اما لانه مأجور عليه وهو الراجح عندنا قياساً على أمثاله وأقتاله وإما لسبب آخر

الراجح عندنا أنه قد أخذ أصل هذه الفرية وماقبلها في الحجاز عن ذلك الرجل المصري الذي كان هو المصدر الوحيد لكل مانشر في جريدة السياسة وغيرها من الطعن فينا وفي السوريين الذين استخدموا في حكومة الحجاز أو عن أحد أعوانه. ونحن نعلم من مخازي ذلك الرجل وخياناته القطعية مانستطيع أن ننشره في جرائد العالم الاسلامي كله لو كنا ممن يتصدى لعتاب المجرمين بمثل هذا

ولكن ما بال أبي هشام أصلح الله باله يخرج عن حدود الشرع والعدل في تأكيد بلاغ هذا المبلغ له لو لم يكن مستأجراً له والله تعالى يقول للمؤمنين (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)

وقد أطلعنافي جريدة الف باء على رسالة لكاتب مطلع كذب فيها رواية أبي

هشام التي يدعي أنه يراهن على صحتها فما له لا يبرز للرهان ؟ أليس لأن التكذيب مؤيد بالبرهان ؟ وحسبه منه أن كلا من كتابي المغني وابن كثير يقدر بنحو من عشر مجلدات كبيرة وأنه طبع من كل منهما ثلاث مجلدات من القطع الكبير — فان كانت رواية مخبره « الامين » بأن صاحب المنار أخذ من الملك في أيام المؤتمر ستة آلاف جنيه لنفقة طبع الكتابين صحيحة فكيف يتصور عقله أن يطبع مثل هذان الكتابان اللذان يقدران كلاهما بعشرين مجلداً في أقل من سنة ؟ وأن عدم إنجاز طبعهما في أقل من سنة يوجب ما ذكره من تبرم الملك وطلبه إعادة الكتابين اليه مراراً ؟؟

وأنا أعتقد أنه لا يوجد بمصر مطبعة يمكنها طبع هذين الكتابين في سنة ولا في سنتين ولا ثلاث لا مطبعة المنار ولا غيرها ولا استثني المطبعة الاميرية التي تعد آلات الطبع فيها بالعشرات الا أن تترك أكثر أعمالها الاخرى . وقد طبع القسم الادبي الخاص بطبع الكتب (صبح الاعشى) في ست سنين وهو أصغر من أحد الكتابين

وإذا لم يكن مأجوراً على التشهير في الطعن على صاحب المنار فما معنى قوله إنه يقصد إعلام الناس أن هؤلاء العلماء الذين يدعون الاصلاح مرة والتقوى أخرى لا يهمهم من وراء هذه الدعوى إلا صيد القروش ؟ ؟ وهذه العبارة هي عبارة مصدر سائر المطاعن التي أشرنا اليها وإلى صاحبها آنفا

ثم انه قال في آخر مقاله بان صاحب المنار خدم ابن السعود أجل خدمة وأنه يستحق عليها هذا المبلغ الذي ادعى أنه أخذه وأكثر منه — فاذا لم يكن صاحب هوى ومأجوراً على التشهير فلماذا استدرك على هذا بقوله : « ولكن لماذا ينادي بخدمة الاسلام والاصلاح وعز العرب طالما يتقاضى أجرة أتعابه ودعايته ؟ ؟

من المعلوم الذي لا يمكن انكاره أن صاحب المنار كتب مقالات كثيرة وألف كتبا في الرد على الطاعنين على الاسلام من المبشرين والملاحدة وغيرهم ، وانه كتب مقالات كثيرة في التنفير عن البدع والخرافات والتقاليد والعادات الضارة منذ أول سنة من سنة (١٣١٥ هـ) ؟ وانه يفسر القرآن تفسيراً هو الآن عمدة أشهر مدرسي التفسير بمصر وانه كتب مقالات كثيرة في سبيل النهضة العربية ـ فهل كانت هذه الاعمال من سنة ١٣١٥ إلى سنة ١٣٤٦ لاجل تقاضي ابن سعود أجر

خدمته مدة ثلاثين سنة لوصح خبر التقاضي الذي افتراه ؟

ماذا يعلم الطاعن المشهر من دين الاسلام وعلومه فيسوغ له الحكم على علمائه ويفرق بين المحصلين والادعياء منهم – وهو لايحسن ضروريات اللغة العربية حتى التمييز بين البديهيات التي يعرفها المبتدئون ؟

ثم ماذا يعلم من قوادم النهضة العربية وخوافيها حتى يصح له الحكم على العاملين منهم وغير العاملين ؟ دع المخلصين وغير المخلصين ؟ أيدري من أسس جمعية الجامعة العربية وكان يكاتب بمقاصدها أئمة الجزيرة يحيى والادريسي وابن السعود منذ بضع عشرة سنة ويرسل اليهم الوفود ؟ هل قرأ رد المنار على ما كتب أشهر كتاب الترك في مصر سنة ١٩٢١ في تفضيل العرب على الترك ؟ هل قرأ تلك المقالات التي نشرت في الآستانة بعنوان (العرب والترك) مع ترجمتها (عرب لر تركلر) التي شرعت في نشرها جريدة إقدام التركية ثم لم تتمها لعجزها عن الرد عليها وقيام الحجة فيها للعرب على الترك ؟ هل يعلم على أي الرجال كان يعول شبان العرب عند قيامهم بانشاء النادي العربي بالآستانة ؟ وهل يقول إذا كان يعلم شيئا من ذلك : إن صاحب المنار لم يكن مخلصا لقومه فيما كان له من المساعدة في تلك الاعمال لانه تقاضى في العام الماضي أجرة من ابن السعود على خدمته الخاصة ، على تقدير صحة رواياته المختلقة ؟

لو كان منصفاً بريئاً من الهوى لما عدّ مساعدة ابن سعود له على خدمته الخاصة تتناول أعماله الدينية والعربية التي بدأ بها شابا ثم اكتهل وشاخ في سبيلها وتكون منافية لدعوى خدمة دينه وقومه بها وهو يصرح بأن كل ماقيل ان صاحب المنار قد التهمه هو دون مايستحقه على خدمة ابن السعود وحده ؟ وبعد هذا كله ألم يكن العقل وحده كافياً للحكم على أن الذي يقف حياته على خدمة عامة له حق أن يقبل كل مساعدة مالية له على ذلك إذ لايمكن العمل ولا الحياة بغير مال وأحق الناس ببذل هذا المال الملوك والامراء لان مثل هذه الخدمة العامة تستغرق العمر فلا تدع لصاحبها من الوقت ما يكتسب به من طريق آخر !! كل هذا معروف بالضرورة ولكن الضروريات تكون أخفى من المجهولات عن نظر أهل الاهواء

* * *

هذا وإنه قد جاءني في البريد قصاصة لمقالة افتتاحية في جريدة تسمى (الاماني) لم أرها ولم أسمع بها من قبل، عنوان المقالة (شكوى واحتجاج من الحجاج المصريين) الى ملك الحجاز ونجد وموضوعها عين موضوع تلك المقالات المتعددة التي كانت تنشرها جريدة السياسة لمكاتبها في مكة المكرمة — وهو أحد الافراد الذين أشرت الى مصدر علمهم آنفا — موضوعها الطعن في السوريين المستخدمين في الحجاز عامة والشيخ يوسف ياسين خاصة وشكري بك القوتلي من غير المستخدمين ، وكان لصاحب المنار حظ منها وهو قول الكاتب «فكم من الوف الجنيهات حملها ذلك للشيخ رشيد رضا النشيط يوسف ياسين وغيرهم من أبالسة النفاق وطوحوا بها حيث تقف مطامعهم وتضل في وادي المادة المحسوس » اه نقلت هذه الكلمة من المقالة لانها تدل في الجملة على انني مشارك لأولئك السوريين في أكل الالوف من الجنيهات بزعم الكاتب ، وإن كنت لم أفهم معنى العبارة لانها ليست عربية صحيحة ولا عرفية عامية

وفي آخر هذه المقالة أن صوراً منها أرسلت إلى الوزارة المصرية وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب وزعماء الاسلام وأمرائه وجميع الصحف في البلاد الاسلامية ـ ولكن لم نعلم أن شيئاً من صحف العالم نشرها غير هذه الجريدة المجهولة التي ذكرت أنه جاء في آخرها ٣٧ توقيعا .

ولكل عاقل اطلع عليها أن يقول ما للحجاج والطعن في السوريين الموظفين بالحجاز ؟ هل ذهبوا لاداء النسك وعبادة الله أو لمعصية بالبحث عن عيوب الناس وعوراتهم والتشهير بهم ؟ ثم ان كانوا قدموها لملك الحجاز ناصحين له فما شأن الحكومة المصرية ونوابها وشيوخها وأمراء الاسلام وزعمائه وصحفه في ذلك ؟ ومن ذا الذي أطلعهم على عناوين أولئك الامراء عقب عودتهم من الحجاز ومن تولى مكاتبتهم والنفقة عليها ؟

هذه التواقيع تشبه تلك البرقيات العشرين التي وردت على سمو الامير سعود عند ما كان بمصر احتجاجاً واعتراضاً على ما كان عزم عليه من زيارة صاحب المنار كاشف الامير صاحب المنار قبيل صلاة الجمعة بأنه يريد زيارته في داره غدا فما جاء

المساء الا وكان قد ورد عليه عشرون برقيـة أو أكثر من أقسام القاهرة المختلفة المتباعدة الاطراف في استنكار هذه الزيارة والاحتجاج عليها !! فمن ذا الذي أعلم هؤلاء بذلك الوعد وماذا أهمهم منه ؟

الحق الواقع أن القائم بهذه المخافات رجل واحد صار معروفا وله أفراد من الاعوان بمكة ومصر ، فمصدر ما يسمى شكوى الحجاج المصريين واحتجاجهم على السور بين المرظفين في الحجاز ومصدر تلك البرقيات للامير سعود واحد ـ هو بعينه مصدر ما نشر بهذا المعنى في جريدة السياسة والف باء وغيرها ، والغرض منها واحد وهي التأثير الذي يطلبون أن يكون لهم عند جلالة ملك الحجاز ونجد والانفراد بالنفوذ عنده ، وابغض الناس اليهم أشـدهم إخلاصا له ، وهم يعلمون أنه يعز حق التمييز بين المخلصين والمنافقين ، ولكنهم يظنون أن هذا التهويش في الجرائد يقلقه فلا يجد له بدا من تضحية أخلص المخلصين له للاستراحة منه . فان صح زعمهم فان الرجل لن يستريح له بال طول حياته سواء ضحى أصدقاءه أم لا فقد علمنا من تاريخ السلطان عبد الحميد أن اصغاءه للجواسيس والدساسين ولما كانوا ينشرونه في الجرائد في مدحه وذمه هو الذي سلب راحته وحرم الدولة العثمانية من مواهبه ، أعاذ الله ابن السعود من ذلك .

وجملة القول

أن كل تلك الاشاعات باطلة وأما مسألة المطبوعات فكل ما ذكره فيها أبو هشام فهو افتراء ، وإنما الحق أن ابن السعود يطبع عندنا كتبا كثيرة منها المغني مع الشرح الكبير ، وتفسير ابن كثير مع تفسير البغوي ، ولم نقاوله ولا أحداً من اتباعه على شيء منها ، وانما نطبع ما نطبع ونقدم لجلالته عند إتمام بعضها كشفا (فاتورة) بنفقتها ونطلب منه مبلغاً من الدراهم على الحساب سلفاً أو متـأخراً فيرسله ، وكل ذلك يقيد في دفاتر المطبعة على الطريقة المعروفة فيما يسمونه الحساب الجاري ، وإدارة المطبعة أعلم منا بتفصيل هذا الحساب لاننا نأخذ عنها

وأما مسألة الهدايا التى كتب الينا صديقنا أنها مما تناوله حديث الناس في الحجاز فالخوض فيها من الغرائب بمكان ، إذ من المعلوم عندهم وعند ألوف من الناس أن هذا الملك كثير الهدايا وانه قلما عرف أحداً من أي جنس وملة كان ولم يهده شيئا ، فما نال صاحب المنار من هداياه مع الصداقة القديمة واتحاد العقيدة والمشرب ليس غريباً فيذكر لولا الحسد من قوم وحب الافساد من آخرين

اني أغتبط بأي هدية منه لأنني أرى فيها آية المودة والاخلاص، لا للانتفاع بها فانها مما لم اكن أستعمله عادة كالعباء الرقيقة الصيفية، ولا لأنها من ملك وقد أبت عليّ نفسي أن أقبل من الملك فيصل في الشام أن يفرش لي الدار الواسعة التي استأجرتها وكان قد عرض علي ذلك وأنا أعلم أن قيمة ما كان يفرشها به من السجاد العجمي والارائك والزرابي والسرر والآنية له قيمة عظيمة. واحسان بك الجابري سمع ذلك منه ومارآه نسيه. وقد أحضرت الاثاث لها من طرابلس قبل أن يشعر فيصل باستئجاري لها

كتبت هذا كله وإن كان الاخير منه غير لائق في العرف ، ولولا ما كتبه إليّ ذلك الصديق لم أكتبه، وأزيد على ذلك أنني لمت هذا الامام بلسان الشرع قولا وكتابة على بسط يده إلى الحدّ الذي اشتهر عنه من الصلات والهدايا للزائرين من حجاج الآفاق وغيرهم وبينت له أنني أعتقد أنه محرم شرعا، فهل هذا مما يفعله ويقوله من كان طامعا في ماله بحق أو بغير حق ؟ كلا : انني أحمد الله ان نفسي لا تستشرف لاخذ مال من أحد بدون استحقاق شرعي ، على أنني أثق بما في يد هذا الاخ في الله كما أثق بما في يدي ولكنني بما في يد الله تعالى أوثق . وليعلم الحاسد والمفسد أن الرابطة بيننا هي رابطة دينية روحية خالصة لوجه الله تعالى لا تزيدها المعاملة المالية ولا تنقصها كما زعموا لأنها ليست للمال، ولا لجاه الملك، وأن كل تلك الاشاعات والتقولات لا تزيدها إلا قوة وثباتاً ، هي رابطة لا يقدر على حلها أو نكث فتلها إلا الله تعالى ـ والمرجو من فضله أن يحفظها بالاخلاص والعقل وهداية الشرع ـ ولا يطمع فيها الا الشيطان، وأعوانه من بني الانسان، ولكن الله تعالى قال في الشيطان (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) ونحن بحمد الله من المؤمنين المتوكلين

باب الانتقاد على المنار

أحاديث الدجال والانتقاد بعضهم النجديين

كتب الينا بعض القراء من جاوه ومن فلسطين يشكرون لنا ما كتبناه من التحقيق في مشكلات أحاديث المهدي وأحاديث الدجال وبيان المخرج من مشكلاتها وسألنا بعضهم عن أحاديث نزول المسيح عيسى بن مريم لعلاقتها بتلك الاحاديث ولكن ليس فيها من التعارض والتناقض والاشكالات مثل ما فيها وان كان بعضها لا يخلو من ذلك

وانتقد علينا بعض النجديين هذا البحث وتمنوا لو لم ينشر وانهم لا يعرفون لنا عذراً في نشره ، ولو كان جميع المسلمين كمسلمي نجد لما كنا في حاجة إلى مثل هذا البحث فانهم قوم يأخذون بالايمان والتسليم كل ما يجدونه في كتب الحديث من غير بحث في تعارض ولا اشكل حتى ان ناصحهم يحتاج الى الاحتراس في بيان ضعف بعض الاحاديث متنا وسندا لئلا يخدش ذلك التسليم والاذعان لكل ما نسب الى السنة وان كان لا يصح عزوه اليها أو يعارض الصحيح القطعي منها ، واذا بحث بعض المشتغلين بالعلم منهم على قلتهم في هذه المسائل فانه يقبل في الجمع بين الحديثين أو في دفع الاشكال الذي يرد على بعض الاحاديث كل ما يقوله الباحثون في ذلك كالكثير مما أورده الحافظ ابن حجر مما لا يكاد يعقل حتى انه قد يدافع عن الحديث الذي يعد من أقوى المطاعن على أصول الدين كالتوحيد والرسالة اذا كانت صناعة فن رواية الحديث تعده مقبولا كحديث الغرانيق الصريح في إقرار عبادة الاصنام والثناء على اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، والمجوز لالقاء الشيطان في قراءة النبي ﷺ لسورة النجم في مدح هذه الاصنام الكبرى : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى . دافع الحافظ عفا الله عنه عن هذا الحديث الذي يعترف بانه لم يصح له سند بان تعدد طرقه يقويه الاوهذه قاعدة للمحدثين لم ينزلها الله تعالى في كتابه ولا ثبتت في سنة عن رسوله وإنما هي مسألة نظرية غير مطردة فتعدد الطرق في مسألة مقطوع ببطلانها شرعا كمسألة الغرانيق أو عقلا لا قيمة له لجواز اجتماع تلك الطرق على الباطل ولذلك حكم صفوة

المحققين من أهل الحديث والاصول بأن حديث الغرانيق موضوع باطل

ونحن قد علمنا منتهى شوط الانتقاد علينا من بعض النجديين بلقائنا هنا الرجل من أوسعهم اطلاعا في الحديث ومراجعته لنا في المسألة مرتين في مجلسين طويلين فنذكر صفوة مادار بيننا وبينه في ذلك باختصار لبعض المسائل وايضاح لبعض

بدأ الكلام في مجلسه الاول بالثناء علينا وعلى المنار وبحب النجديين لنا لقيامنا من زهاء ثلث قرن بالدعوة الى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والبدع وتأييد السنة ومذهب السلف . ثم انتقل الى مسألة البحث في أحاديث الدجال والطعن أو إيراد الاشكالات حتى على الصحاح منها ، وما في هذا من مخالفة خطة المنار ومنهاجه قال ولا ندري السبب المقتضي لذلك

قلت له ان استشكال هذه الاحاديث وأمثالها من اشراط الساعة قديم حتى انك تجدا كثره في شراح صحيحي البخاري ومسلم وان لاهل هذا العصر من الاستشكال ما ليس لغيرهم ومنهم من يجعلها شبهة على صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وقد كثر سؤال الناس اياي عنها مشافهة ومكاتبة فكنت أجيبهم بالاجمال واعد بكتابة التفصيل في فرصة أخرى ، وقد قال لي من عهد قريب بعض اخواننا من السلفيين المشتغلين بعلم الحديث : الاولى أن لا تكتب في ذلك شيئا لان الاقناع بها متعذر فنحن نفوض علم الحقيقة فيها إلى الله تعالى ونعدها كأنها غير موجودة

ولكن الناس يظلون يسألون ويستشكلون، و بعضهم يشككون ويطعنون ، فكان من الواجب على صاحب المنار القائم بفريضة الدفاع عن الاسلام أن يبين للناس ما يدفع الشبهات عنه ويثبت صدق الرسول ﷺ في جميع ما صح عنه صحة لا شبهة فيها . وقد صرحت فيما كتبت في آخر بحث اشراط الساعة بان من صدق رواية مما ذكر فيها ولم يجد فيها اشكالا فالاصل فيها الصدق ومن ارتاب في شيء منها (١) أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين إشكالا في متونها فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقة بالرواية . . . أو خطأ الرواية بالمعنى أو غير

(١) جاء في ص ٢٨ من الجزء الاول: ومن ارتاب في كل شيء ــ ولفظ كل زائد قطعا

ذلك مما أشرنا اليه . فعلم بهذا أن غرضنا من أصل البحث تبرئة رسول الله ﷺ من كل طعن يورده أحد على بعض هذه الروايات تبرئة يقبلها عقله ويطمئن لها قلبه، ومن كان يكتفي برواية الشيخين أو أحدهما فانه لا يستشكل ما رويا

قال اخونا النجدي الفاضل ان بعض ما ذكرتموه من الاجوبة عن التعارض بين الاحاديث وحل مشكلاتها مما يتضمن الطعن في أسانيد ما في الصحاح منها كحديث الجساسة يمكن أن يجاب عنه بأجوبة أخرى مقنعة مع الجزم بصحة الاسانيد

قلت ان من جاءنا بأحسن مما جئنا به دفاعا عن هذه الاحاديث وجمعا بين رواياتها نشكر له صنعه وننشره في المنار ليهتدي الجمهور به ، ومن أقنعنا بخطأ في شيء مما جئنا به نقبله مع الشكر أيضا . فعليك اذاً أن تكتب لنا ما عندك في ذلك لننشره وعسى أن يكون خيراً وأهدى سبيلا

ثم ذهب الرجل وغاب غائبة طويلة جاءنا بعدها بمقال طويل غير ما اقترحناه عليه . وقد اتهمنا فيه بأننا أنكرنا أحاديث الدجال كلها وحاول الرد علينا باثباتها وفيه أغلاط أخرى ـ فقرأنا عليه طائفة منه بينا له ما فيها من الغلط ، وان بعضه قد جاء من عدم فهم عباراتنا التي صرحنا فيها بأنها متواترة تواتراً معنويا وان القدر المشترك الذي يدل عليه التواتر المعنوي هو كذا وكذا (ص ٢٠ ج ١م)

فاعترف بالخطأ وأخذ منا المقالة ورسمنا له خطة لمقالة أخرى يقول فيها انه اطلع في المنار على بحث كذا فوجد فيه مطاعن في بعض أسانيد الاحاديث واشكالا وتعارضا بين بعض المتون يمكن الجواب عنها بما يدفعها ويثبت صحة تلك الاحاديث كلها أسانيد ومتونا ، ثم يسرد ذلك بالعدد ويجيب عن كل منها بما عنده . وأعطيناه المنار لينقل منه ما يقتضيه الرد بالحرف لئلا يخطيء بنقله بالمعنى. ونصحنا له بأن يراجع عند الكتابة شرح البخاري للحافظ ابن حجر وشرح مسلم للنووي في الكلام على هذه الاحاديث فوعد بذلك وانصرف شاكراً ولما يعد

وإننا نطالب كل منتقد بما طالبنا به هذا النجدي الفاضل الغيور . ومن المعلوم من أصول ديننا بالضرورة أن كل أحد يجوز عليه الخطأ إلا المعصوم فيما هو معصوم فيه وحسن النية مع بذل الجهد في استبانة الحق مما يرجى به عفو الله تعالى عن المخطيء

مصاب مصر

﴿ بأكابر رجال العلم والدين والسياسة ﴾

الدكتور يعقوب صروف ، شيخ الازهر ، بطرك القبط ، زعيم الامة سعد باشا زغلول

اشتدت وطأة الحر في صيف هذا العام على تشبع هوائه الضعيف بالرطوبة فثقل علينا القيام بأعمالنا العادية الكثيرة فعزمنا على جعل شهري إجازة المنار السنوية شهري المحرم وصفر متتابعين ، وقد حدث في هذه الفترة وفاة أكبر أكابر رجال مصر في المنصب والمقام والسن جميعاً يتلو بعضهم بعضاً :

مات أولا الدكتور يعقوب صروف أحد مؤسسي مجلة المقتطف الشهيرة والمحرر الاول لها عن ٧٥ سنة وما عهد الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي الخمسيني ببعيد ، فكان لموته رنة أسف في مصر وسورية وسائر البلاد العربية وجد دعشاق العلوم والفنون فيها الاعتراف له بخدمتها نصف قرن كامل

وتلاه الشيخ أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية مات عن ٨٥ سنة وكان في الرعيل الاول من العلماء المتقنين للعلوم الازهرية كلها يقل نظراؤه فيها ، ولم يكن معاديا للاصلاح في عهد الاستاذ الامام ، بل كان صديقاً له ، ولكنه لم يعمل شيئاً في أيام مشيخته ، على أن الازهر في هذا العهد مقيد بقيود ثقيلة ودخل جمهور شبانه في مآزق السياسة فصار أمر ادارته أعقد من ذنب الضب

وتلاه بطرك القبط الارثوذكس الملقب برئيس الكنيسة المرقسية مات عن زهاء ٩٥ سنة وكان عظيم الملة القبطية وأعطى منصبه حقه من الوقار والمحافظة على التقاليد الكنسية ، وفي عهده ترقت القبط في الشؤون الاجتماعية وطالبوا رجال الدين الذي هو رأسهم باصلاحات كثيرة أهمها مايتعلق بشؤون أوقافهم وانتفاع الشعب بها ، وكانوا أمثل من المسلمين في خدمة دينهم وأوقافهم وتكافلهم وأدبهم مع رئيسهم الديني وفي مصالحهم السياسية والاجتماعية وسائر أمور دنياهم

سعد باشا زغلول

وتلاه زعيم البلاد الاكبر الرئيس الجليل سعد باشا زغلول. مات عن زهاء سبعين سنة فزلزلت الارض زلزالها، وعظمت أهوالها، وشاركت الشعوب العربية أخاها الشعب المصري في المصاب وعدوه مصاب الامة العربية بأعظم رجل سياسي نبغ فيها، وتجاوبت برقياتها مع مصر بالتعزية حتى كان أكبر ملوك العرب صاحب الحجاز ونجد ونائبه الامير فيصل في مقدمة المعزين للشعب المصري وحكومته. بل اهتزت لموته أرجاء الشرق والغرب وأكبرته جرائد الامم كلها، حتى ان جرائد أوربة عامة وانكلترة خاصة قد أظهرت لنا من معرفة قدره وتقدير مواهبه ماغاب بعضه عن جرائد مصر نفسها . وأما الاحزاب المصرية وجرائدها فقد أجمعت على إكبار الرجل في نفسه، وإكباره في عمله، وإكباره في مصاب البلاد به، إجماعا ظهر أنه خرج من صميم أفئدة الكتاب، بالرغم مما كان من شذوذ بعض الافراد والاحزاب،

وقد كان مشهد جنازته والاحتفال بتشييعه مما لم ير له أحد نظيراً في هذه البلاد ولا في غيرها إلا في يوم عودته من أوربة إلى مصر عظمة وحفلا وجلالا ووقاراً، إلا أن الحزن العام، قد اقتضى بطبعه شيئا من الاخلال بالنظام، فان الجماهير من دهماء الشعب كانوا يهجمون المرة بعد المرة على النعش بسائق أقرب إلى الاضطرار منه إلى الاختيار، وظهر انهم كانوا يريدون انتزاعه وإخراجه من مركبة المدفع التي وضع عليها لحمله على أعناقهم ...

لا يتسع هذا الجزء من المنار لوصف المصاب ولا لوصف الفقيد العظيم وترجمته، وإنما نقول ان الشعور بأن المصاب بسعد مصاب كل فرد من افراد الشعب كان شعوراً عاما ولكن لانزاع في أن وقع الرزء على قرينته كان أعظم من وجوه يعرفها بالاجمال كل أحد - ويعرفها بالتفصيل من عرف كيف كانت حياتهما الزوجية في جميع أطوارها ولا سيما الجهاد السياسي الاخير فنحن نعزيها بقول أشهر النساء في الحزن وهي الخنساء الشاعرة الصحابية (رض)

ولولا كثرة الباكين حولي * على أحبابهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي

بل نقول ان الخنساء تعزت بكثرة الناس الذين يبكون حولها من فقدوا وان لم يكن في نظرها كمن فقدت — ولكن قرينة سعد أولى منها بالعزاء لان الذين يبكون حولها إنما يبكون من تبكي هي فلا تستطيع أن تقول كما قالت الخنساء

« وما يبكون مثل أخي » فان كان المصاب لا نظير له في عظمته فالتعزية لها لا نظير لها أيضا فهي على قدر المصاب سواء

سننشر لهذا الزعيم الكبير ترجمة نودعها من العبرة مايوافق خطة المنار ونعجل الآن بذكر مسألة مهمة وهي ان مجلس الوزراء قرر أخذ بيت سعد باشا الذي يدعى « بيت الامة » وهو موقوف بطريق الاستبدال المعروف وجعله من المنافع العامة ذكرى للفقيد مع إبقاء كل آثاره فيه ، وشراء البيتين المجاورين له وهدمهما وانشاء قبة عظيمة يجعل فيها قبره بنقل جثته اليها وتجعل مسجداً أو مزاراً للناس فتكون كقبة الشافعي والبدوي ونحوهما ، وقد رسم الرسامون شكل القبر وشكل القبة وطبعا في بعض الجرائد

وقد أنكر هذا العمل القبط ومن على رأيهم من وجهين (أحدهما) أن الفقيد كان زعيما سياسيا للشعب المصري كله لا للمسلمين وحدهم ولم يكن زعيما دينيا اسلاميا بل هو الذي جمع بين الهلال والصليب ولم يكن يفرق بين المسلمين وغيرهم فلا يجوز أن يجعل قبره معبداً للمسلمين (ثانيهما) أن شكل القبة التي رسمت لقبره عربي اسلامي والواجب أن يكون مصريا فرعونيا لانه هو كان مصريا قبل كل شيء ويعنون بهذه الكلمة أن الجنسية المصرية الوطنية مقدمة على كل رابطة اخرى دينية كانت او لغوية اوغيرهما . وقال بعض الكاتبين في ذلك ان الزمن الذي كان فيه المصريون من القبط والمسلمين يلعنون الفراعنة لاجل دينهم (الوثني) ولاسيما فرعون موسى تبعا للتوراة والانجيل قد مضى وصار جميع المصريين الوطنيين يفتخرون بفرعون وبأنهم سلالة فرعون . ولعل هؤلاء يستحسنون أن يجعل مايبني على قبره بشكل الهرم كما قالت احدى السيدات المسلمات

ونحن نتعجب لسكوت علماء الدين ولاسيما أهل الحديث منهم عما نستدركه عليهم من النصح للحكومة بأن لا تجعل قبره مسجداً لان بناء المساجد على القبور محرم شرعا وقد وردت الاحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم والسنن الاربع وغيرها بلعن فاعليه ووصفهم بشرار الخلق ، ونحن نعلم ان العلماء انما يسكتون عن مثل هذا البيان والنصح للحكام لاعتقادهم أنهم لا يعملون به ، ولولا الملوك والسلاطين لما وجدت هذه القباب العظيمة والمساجد على قبور الأئمة والصالحين وعلى الملوك باتباع لهم فهم الذين ابتدعوا ذلك ونفذوه بالرغم من انوف العلماء ولذلك اجاب بعض العلماء الاعلام في كتاب له من احتج بوجود هذه القباب والمساجد في أكثر بلاد الاسلام على مشروعيتها فكان مما قاله ان هذه أمور حكومية لا حكمية ، ودولية لا دليلية ، ولكن الحكومة المصرية الحاضرة لا ترضى أن تجعل قبر سعد باشا فتنة لعوام الشعب يضلون به كما ضلوا بقبور الاولياء

فعبدوها بالدعاء والنذور والطواف بها وغير ذلك مما شرحناه مرارا ، وانني قوي الرجاء في امتناعها عن جعل قبة قبره مسجدا لمخالفته لنصوص الشارع ولحكمة التشريع معا،وهو افتتان الجاهلين بتعظيم القبر تعظيما دينيا وتعليق آمال زائريه بقضاء الحاجات،ودعائه لذلك في المهمات والنذر له... فهذه الحكومة لا تريد أن يكون قبر رجلها السياسي سببا لازدياد الخرافات والضلالات في البلاد ، ولكنها لا تسمع كلام العلماء فيما عدا ذلك من المباني والتماثيل التي قررتها وقد يتأول لها من يبالي بالدين من رجالها بأنها خالية من الحكمة أو العلة التي حرمت لاجلها ، وهي كونها ذريعة للشرك محتجين بأنه لا يوجد في مصر أحد يعظم تمثال محمد علي باشا أو ولده ابراهيم باشا تعظيما دينيا ولا غير ديني ايضا ، فاذا كان هذا مأمونا فيما ستنصب الحكومة لسعد من التماثيل فليس مأمونا في قبر عليه مسجد يصلى فيه بجانب القبر والصلاة الى القبر ممنوعة شرعا أيضا . وقد ظهر أن قرن الفتنة بعبادة سعد قد نجم في الارياف إذ بلغنا أن بعض أهل الطرق ابتدعوا طريقة سموها السعدية الزغلولية .

وإننا لا نشك في أن جعل البناء على قبره مسجداً معداً للصلاة فيه بفرشه ووضع محراب فيه لمعرفة القبلة يكون ذريعة لجعله كقبر البدوي والسيدة زينب وأمثالها . وهل يظن عاقل ان جميع عوام المصريين يفهمون ان خدمة سعد للبلاد سياسية محضة لا شائبة للدين فيها؟ كيف وان بعض كبار علماء المغرب الاقصى قد ذكر في مقال له نشر في المنار ما يدل على ان العلماء المستنيرين هنالك يعتقدون انه زعيم ديني .. فعسى أن تتدبر الحكومة المصرية هذا الامر وتحول دون وقوع هذه الفتنة التي هي خلاف مرادها من إحياء ذكرى سعد بقبره وداره وآثاره وما تنصب له من تماثيل،وإنما مرادها أن تحفظ ذكرى خدمته السياسية ومقاصده الاستقلالية ويتمسك الشعب بها ويكون عونا للقائمين بعده بتنفيذها كما كان عونا له يؤيده في كل أعماله

وأما تعليل دعاة الالحاد من القبط والمسلمين طلبهم جعل شكل القبة فرعونيا تبعا لجعلهم جنسية المصريين في هذا العصر فرعونية وجعل سعد من ذرية فرعون فهو تعليل باطل، فسعد من أسرة عربية الاصل كما أخبرني ابن أخيه العالم الفاضل الثقة عبد الرحمن زغلول رحمه الله تعالى، والجنسية المصرية في هذا العصر جنسية سياسية شاملة لكل سكان هذا القطر من عرب وهم السواد الاعظم وقبط وترك وأفرنج وغيرهم من الاجانب الذين قبلوا هذه الجنسية الوطنية السياسية ولا دخل للانساب القديمة ولا للحديثة فيها

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

ربيع الاول سنة ١٣٤٦هـ ٣٢ برج الميزان سنة ١٣٠٧هـ ش ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

﴿ خيرية القرون الثلاثة مع وقوع الفتن فيها ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء في فكاوغن - جاوه

إلى حضرة الامام مفتي الانام خليفة شيخ الاسلام السيد محمد رشيد آل رضا أطال الله بقاه ونفعنا بعلومه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فليقين علي باخلاصكم في خدمة الاسلام والمسلمين كما أشادت(؟) في مقالاتكم على صفحات ناركم المنير وحرصي على فتاويكم الشافية الكافية ألتمس من فضيلتكم أن تبينوا لي مقصود هذا الحديث الشريف « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » بيانا وافيا كعادتكم في حل المسائل، وتوضيح المشاكل. فانه قد أشكل علي مقصود قوله ﷺ «خير» ماهو ذلكم الخير الذي يقصده ﷺ مع العلم بأن قرون الفتن والزلازل والزندقة مانجمت[1] إلا في تلكم القرون الثلاثة المشهود لها بالخير . ألم تروا إلى فتنة عبدالله بن سبأ ذالكم اليهودي اللعين التي أدت إلى قتل الخليفة الثالث رضي الله عنه وإيقاد نار الحرب بين الخليفة الرابع وسيدنا معاوية رضي الله عليهم التي كانت السبب في ازهاق أرواح الالوف من خيرة رجال الصحابة ، وظهور الحرورية وقتلهم الامام علي كرم الله وجهه ، وواقعة كربلا ، واستباحة مدينة رسول الله وحرمه ، ورمي الكعبة بالمنجنيق ، ونبوغ الجهمية وغيرها من الفرق الضالة المضلة ، وافتراء الالوف المؤلفة من الاحاديث الموضوعة على رسول الله الخ الخ ، بل إن خذلان المسلمين اليوم وسقوطهم في هاوية الذل والمسكنة انما هي عاقبة تلكم الوقائع السود

---

١) المنار : كان الاصل بان شمس الفتن ... ما بزغت الا الخ فغيرنا الكلمتين بما هو المناسب للمعنى وجاء الجناس بلفظ القرون عفوا غير متكلف .

التي وقعت في تلكم القرون الثلاثة وما تليها . أفيدونا مأجورين ، ولازلتم ملجأ ومأوى للحائرين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعيد بن طالب الهمداني

(ج) الحديث ورد في الصحيحين وغيرهما بلفظ « خير الناس قرني » الخ وبلفظ « خير أمتي أهل قرني » الخ ، وفي عدة روايات البخاري «خيركم قرني» وقد بين علة الخيرية في الرواية المتفق عليها من حديث عبد الله بن مسعود « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وفي رواية من حديث عمران بن حصين في البخاري « ثم يجيء من بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون . ويظهر فيهم السمن » وفي رواية له زيادة « ثم يفشو الكذب » وفي رواية الترمذي والحاكم عنه « ثم يأتي بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسئلوها » فالمراد بخيرية كل قرن على ما بعده خاص بتفضيل المسلمين فيه على من بعدهم فيما يليه ، قيل في جملتهم وقيل في افرادهم ، والمشهور تفضيل الصحابة على من بعدهم مطلقا. والقرن أهل زمان تجمعهم فيه جامعة يكون فيها بعضهم مقارنا لبعض كرئيس يجمعهم من نبي أو حاكم أو غيرهما أو عمل مشترك . وحدده بعضهم بالزمان وفيه اقوال من عشرة إلى مائة وعشرين والأشهر الذي جرى عليه الناس أن القرن مائة سنة وليس بمتعين في هذا الحديث وعليه يمكن تفسير قرنه ﷺ بزمانه من بعثته إلى ... والقرن التالي له بقرن الخلفاء الراشدين لتشابهه أو إلى آخر مدة عمر أو الى حدوث الفتن في زمن عثمان لامتيازه بذلك. والمشهور عند جمهور العلماء أن القرن الاول قرن الصحابة، والثاني قرن التابعين، والثالث قرن تابعي التابعين . قال الحافظ ابن حجر : واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشيا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة رءوسها ، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الاحوال تغيراً شديداً ، ولم يزل الامر في نقص الى الآن . وظهر قوله (ص) « ثم يفشو الكذب » ظهوراً بينا حتى شمل الاقوال والافعال

والمعتقدات والله المستعان اه

وجملة القول أن التفضيل خاص بما يكون عليه المسلمون من الاعتصام بعروة الدين من صحة التوحيد والبعد عن الشرك وخرافاته واجتناب الرذائل وشرها الكذب، والتحلي بمكارم الاخلاق والاخلاص في العبادات. وما وقع من الدعوة إلى الشرك من عبدالله بن سبأ ثم الى فتن السياسة والملك فانما وقع من الكفار كعبد الله بن سبأ اليهودي وأمثاله من زنادقة أهل الكتاب وزنادقة الفرس واصطلى المؤمنون بنارها

وفي الصحاح أحاديث أخرى تؤيد هذا المعنى وهو ان كل زمن شر مما بعده أي من حيث الدين والتقوى في مجموع الامة، وهو مقتضى سنة الله في البشر التي يدل عليها قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ولا ينافي هذا وجود بعض المزايا والاعمال في بعض الازمنة المتأخرة بحيث تفضل بها على ما كان قبلها كزمان عمر ابن عبدالعزيز على ماقبله من أزمنة ولاية قومه. وقد روى الترمذي باسناد قوي من حديث أنس وابن حبان من حديث عمار وصححه «مثل أمتي مثل المطر لايدري أوله خير أم آخره» قال الحافظ ابن حجر حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى الصحة. وحملوا الآخر فيه على زمن المسيح وهو مع ذلك لا يظهر بالنسبة الى قوة الايمان وفضائل الافراد بل بالنسبة الى مايكون فيه من جمع كلمة المسلمين وقوتهم وكثرة البركة في أموالهم ومعايشهم وخفض كلمة الكفر وذلة أهله على ماروي في ذلك والله أعلم

أسئلة من إيبك — يوغوسلاويا : (أوربة)

(س ١٢ — ١٥) من صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضل والفضيلة، سيدنا ومولانا العالم العلامة، المحقق المدقق مفتي الأنام السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه وحفظه آمين

(١) هل يجوز أداء صلاة الظهر في يوم الجمعة بالجماعة لأهل القرى في القرى مع ان الجمعة قد أقيمت قبلها؟ هكذا يفتي بعض العلماء، ويخصون هذه بالقرى دون الامصار ونحن نظن ان إقامة صلاتين متغايرتين في وقت واحد مع الجماعة

لاتجوز كما قررت في الاصول، ومع هذا اذا أقيمت صلاة الظهر مع الجماعة بعد صلاة الجمعة في المسجد هل تبطل الجمعة بأداء الثانية ؟ إذ المصلون هذه يشكون من ان صحة الجمعة ليست قطعية (في القرى) لفوات بعض شروطها

(٢) هل يعد من الزكاة الخراج المتأدية للحكومة المطروح من عندها — أي حكومة كانت — ويسد مسدها ؟

(٣) مامعنى حديث « استنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه » أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس (رض)، والدار قطني عن أنس بلفظ «تنزهوا» .؟ وما حكمة تعميم النبي ﷺ عذاب القبر بالبول ؟

(٤) هل « وجودك ذنب لايقاس عليه ذنب آخر » حديث صحيح أو من الموضوعات إن كان من الاحاديث الصحيحة فما معناه وما سبب إيراد النبي ﷺ هذا ؟ ومن كان المخاطب بهذا ؟

أقدم لفضيلتكم هذه وأرجو الجواب والافتاء عنها مع فائق احترامي وتشكري المخلص والمشترك لمجلتكم الغراء

يحيى سلامي

صلاة الجمعة في القرى والظهر بعدها جماعة

الجواب عن السؤال الاول انه من المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان الله تعالى لم يفرض على عباده صلاتي فريضة في وقت واحد . فمن كان في قرية فيها مسجد تقام فيه الجمعة يجب عليه أن يصليها مع الجماعة الا اذا كان يعتقد ان صلاة الجمعة فيها باطلة شرعا لفقد بعض شروطها وحينئذ لايجوز له أن يصليها لانه شروع في عبادة باطلة غير مشروعة في اعتقاده وان كان مخطئا وهو عصيان لله تعالى، واذا عصى وصلاها معتقداً بطلانها تبقى صلاة الظهر متعلقة بذمته فعليه أن يصليها ، وليس له أن يقيم له مع غيره جماعة أخرى لانه تفريق بين هؤلاء وبين اخوانهم المسلمين الذين أقاموا الجمعة قبلهم . وهذه مسألة اجتهادية هذا ما أراه في حكمها. وأما اذا صلاها معتقداً صحتها فلا يجوز له أن يصلي بعدها ظهراً لا منفرداً

ولا جماعة لانه يكون بهـذا مخالفا المعلوم من الدين بالضرورة وهو قطعي بظن بعض الفقهاء . وهذه المسألة قد بيناها بدلائلها التفصيلية من قبل ، واذا كان لمن تحكون عنهم شبهات غير ماسبق لنا بيانه والرد عليها فاذكروها لنا

وليعلم المسلمون في بلادكم وأمثالها انه لاينبغي لهم تقليد من يقول من الفقهاء ان صلاة الجمعة لاتصح في القرى فان أول جمعة أقيمت في الاسلام قد أقيمت بعد جمعة في مسجد رسول الله (ص) في قرية جواثي من البحرين كما في صحيح البخاري وشروحه ولا تقليد من يشترط لصلاة الجمعة دار الاسلام واقامة الاحكام الشرعية من قبل الامام ، لانه تقليد في ابطال شعيرة من أعظم شعائر الاسلام ، قال بعض الائمة بعدم اشتراط ماذكر في صحتها

(٢) اجتماع العشر والخراج

الجواب عن الثاني ان مذهب الحنفية عدم اجتماع الخراج والزكاة في أرض واحدة ومذهب الجمهور انهما يجتمعان لأن الخراج أجرة الارض لبيت المال فهو واجب عليها ، وأما الزكاة فهي حق على الغني المسلم لأصحاب الحاجة من المسلمين ومصالحهم العامة ولذلك لا تجب على الذمي والخراج يجب عليه . وهذا كله خاص بالحكومة الاسلامية سواء كانت حكومة الامام الحق في دار العدل أو حكومة البغاة المتغلبين منهم . وأما اذا أقام المسلمون في غير دار الاسلام وملكوا فيها أرضاً أو تحولت دار الاسلام الى دار حرب لغير المسلمين فالمختار عندنا انه لا وجه لجعل ماتأخذه هذه الحكومة من المسلم كالخراج الشرعي في دار الاسلام ، واذا كان للمسلمين إمام يقيم العدل في قطر آخر فالمصلحة الاسلامية العامة تقتضي أن أن يرسلوا اليه من زكاة أموالهم كل مايتعلق بالمصالح العامة بعد أن يؤدوا للفقراء والمساكين مالهم فيها ، وكذا المؤلفة قلوبهم والغارمون إن وجدوا ، وإلا كان حالهم كحال المسلمين قبل الهجرة

وههنا مسائل يفتقر بيانها بادلتها إلى بحث طويل لامحل له هنا وهذا الوقت ليس بوقته . وإنما أقول للسائل الفاضل وهو من أهل العلم ومتدارسي الفقه ان أحكام الخراج وما يتعلق بها أحكام اجتهادية لا تعبدية وان جعل جماهير الفقهاء

اجتهاد الخليفة الثاني ومن بعده من الراشدين كنصوص الشارع في التزام العمل به عند عدم المعارض ، وعدوا المتفق عليه منها داخلا في مسائل الاجماع الاصولي، والذي نعتقده أنها من أحكام المصالح العامة المفوضة إلى الأئمة وأولي الامر من المسلمين يقررون بالتشاور في كل زمان وحال مافيه المصلحة . وأما الزكاة فهي من العبادات الاساسية والنصوص القطعية فيها معلومة وكذا الاجتهادية ومنها الخلاف في عشر غلات الارض هل هي زكاة تعبدية أو من قبيل الخراج، ومن فروع ذلك هل يجب الوقوف فيها عند النصوص أم يدخل فيها القياس ـ فليتذكر هذا على اطلاقه وإجماله وليجعله محل تذكر وتأمل وبحث لا موضع مناقشة ومراجعة معنا

(٣) حديث استنزهوا من البول الخ

الحديث رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ «استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه» والحاكم لم يروه بهذا اللفظ وانما روى عن أبي هريرة وابن عباس «عامة عذاب القبر من البول» وأما الدارقطني فرواه من حديث أنس بلفظ «تنزهوا» الخ ومعناه الامر بالاحتراز والتوقي من البول أن يصيب البدن أو الثوب والتطهر منه اذا أصابهما أو أحدهما ؛ ومعنى أصل المادة (ن ز ه) البعد فالمراد أن يبتعد المسلم من نجاسة البول ويتقيها . وأما حكمة كون عذاب القبر منه ومن النميمة كما في حديث الصحيحين في الرجلين اللذين وضع النبي ﷺ الجريدة على قبورهما فهو من عالم الغيب الذي لا مجال للرأي فيه، ولم نقف على بيان له من الشارع

(٤) جملة وجودك ذنب الخ

هذه الجملة لا نعلم أن أحداً رواها حديثا وانما المعروف أنها مصراع بيت من الشعر — من غير كلمة آخر — فان كنتم أطلعتم على كتاب ذكر فيه أنها حديث فاخبرونا بنصه في ذلك

﴿ زكاة الفطر : وقت وجوبها وحكم تعجيلها ﴾

(س ١٦ و ١٧) من فكاغان جاوه .

الى جناب السيد الأفخم محمد رشيد رضا أدام الله عزه وجعله ذخراً للاسلام والمسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد السلام التام وأفضل التحية والاكرام بما انكم منار الاسلام وقبلته الذي يرجع اليه المسلمون في جميع المشكلات العويصة تقدم الى أياديكم البيضاء بهذه المسألة ونرجوكم افادتنا بالادلة الواضحة لان هذه المسألة صارت موضع اختلاف الناس في هذه الديار ولكم منا مزيد الشكر وعاطر التحية والثناء وهي

(١) متى يجب اخراج زكاة الفطر

(٢) وهل يجوز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين أم لا . واذا قلتم انه لا يجوز فلماذا أجاز ذلك الباجوري في شرحه ص (٣٠٣) وهل هو معتمد على حديث قوي أم لا ؟ واذا قلتم أنه يجوز اخراجها قبل العيد بيوم أو يومين فهل تسمى صدقة أو زكاة ؟ والسلام عبد الله بن أحمد باشراحيل

فكلنغان جاوه

[المنار] أما الجواب عن السؤال الاول فجمهور الفقهاء المجتهدين واتباعهم على أن زكاة الفطر تجب بوقت الفطر من آخر يوم من رمضان ووقته غروب الشمس واستدلوا على ذلك بتسميتها زكاة الفطر في الاحاديث الصحيحة ونازع بعضهم في هذا الاستدلال ، وزعم بعضهم أن المراد بالفطر الفطرة أي الخلقة ويرده رواية « زكاة الفطر من رمضان »

وأما الجواب عن الثاني فهو انه يجوز اخراجها قبل العيد بيوم أو يومين عند جمهور الائمة المجتهدين وادعى بعضهم الاجماع عليه لضعف الشذوذ فيه ، والاصل فيه ما رواه البخاري في صحيحه من أنهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين . وسبب ذلك ان الغرض من زكاة الفطر اغناء الفقراء في يوم العيد عن السؤال وهو يوم ضيافة الله لعباده المؤمنين . وكانوا يعطون الفقراء الحب في الغالب كالبر والشعير فاذا أعطوه يوم العيد ولو وقت الفضيلة عند الجمهور وهو ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد فربما لا يتيسر لبعض الفقراء طحنه وخبزه والفطر منه

وفي هذه الحالة تسمى زكاة كما تسمى صدقة باعتبار أن لفظ الصدقة يشمل المفروض والمندوب وانما ورد اختلاف التسمية في حال أدائها بعد صلاة العيد

ففي حديث ابن عباس قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر للصائم طهرة من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات . رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه ووافقه الحافظ الذهبي بانه على شرط الصحيحين . والجمهور على أن الاداء جائز في نهار العيد كله وهو خلاف هذا الحديث . والنبي ﷺ كان يؤتي بزكاة الفطر قبل صلاة العيد ويقسمها بعدها على المستحقين . والاحتياط أن يؤديها الانسان قبل العيد بيوم أو يومين كما كان يفعل ابن عمر رضي الله عنه الشهير بالحرص على اتباع السنة . والخلاف في صحة هذا التعجيل لها أضعف من الخلاف في صحة أدائها بعد صلاة العيد من حيث الدليل . وجوز بعض الأئمة أداءها من أول رمضان وهو ينافي حكمة فرضيتها.

(حظر أخذ العلم الشرعي من الكتب بدون توقيف)

(س١٨) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

حضرة الامام العالم العامل الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا أمد الله في أجله ونفع المسلمين بعلمه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد جاء في كتاب الامام ابن حجر الموسوم بالفتاوى الحديثية صحيفة نمرة ٢٠ من طبع مطبعة الجمالية ما يأتي :

كل من أخذ العلم عن السطور كان ضالا مضلا ولذا قال النووي رحمه الله من رأى المسئلة في عشرة كتب مثلا لايجوز له الافتاء بها لاحتمال أن تلك الكتب كلها ماشية على قول أو طريق ضعيف اهـ

فما رأيكم في ذلك وإذا فما فائدة الكتب الدينية والمجلات العلمية ألا يجب بناء على ذلك أن ندعهما بطون المكاتب حتى يتيسر لنا أخذها عن صدر عالم أو ما معنى هذا الكلام أفيدونا ولكم من الله حسن الجزاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عثمان

(ج) يعني الفقهاء أن علم الدين لا يوثق به إلا إذا أخذ بالتلقي عن أهله من العلماء الراسخين ، وان الجاهل إذا احتاج الى العلم بمسألة فبحث عنها في بعض الكتب وان تعددت فأخذ بما رآه مدونا فيها يكون ضالا بأخذه بها في نفسه ، مضلا في فتواه بها لغيره ، إن لم يكن هو عالما يقدر أن يميز بين ما يراه في الكتب فيعرف بالدليل صحيحه من غيره وحقه من باطله . لاحتمال أن يكون ما رآه قولا ضعيفا دليلا أو مدلولا

وأنا قد اختبرت بنفسي أفراداً من الناس تعرض لهم المسألة فيأخذون بعض الكتب ويراجعون فيها عنها في مظانها فيجدون شيئا لا يفهمونه حق الفهم فيعملون به ويفتون ويحتجون ويجادلون ، وهم لا يفهمون مايقولون وما يكتبون ، لضعفهم في العلوم التي يتوقف عليها فهم المسألة من عربية وشرعية ، وقد انتقد بعضهم علينا بعض ما نشرناه في المنار فنشرناه لهم على عادتنا وبينا لهم أنهم لم يفهموا النقول التي استدلوا بها على آرائهم كلها أو بعضها . ومنهم من ذكرنا في الرد عليهم بعض قواعد الاصول فطعنوا في علم الاصول نفسه واحتجوا على طعنهم بأنه علم مبتدع ما أنزله الله تعالى — ومثله النحو والمعاني والبيان في ذلك — فتأمل وتدبر

هذا سبب ما كتبه الفقهاء وهو لا ينافي الانتفاع بكثير من الكتب السهلة العبارة والمجلات وغيرها ومراجعة أهل العلم فيما يخفى على القاريء منها

﴿ الصريح والكناية في الطلاق، وكتاب الرجل بطلاق امرأته ﴾

(س ١٩ و ٢٠) من صاحب الامضاء في سمبس برنيو (جاوه) وهو من قضاة الشرع فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة مولاي الاستاذ العلامة المصلح السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي نفعني الله والمسلمين بوجوده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أرجو من فضلكم أن تفيدوني بالجواب عن الاسئلة الآتية وهي :

(١) هل ورد في الكتاب أو السنة نص في تقسيم ألفاظ الطلاق الى ما هو صريح وكناية فالاول لا يحتاج الى النية والثاني يحتاج اليها أم هو من الامور الاجتهادية

(٢) ماقولكم في رجل كاتب معروف الخط أو الامضاء كتب الى زوجته أو الى غيرها من أحد أقاربها يبين فيه أن طلقها بلفظ صريح كأن قال فيه : -
« طلقت زوجتي ثلاثة » وقدمت الزوجة الكتاب الى قاضي بلدها ليثبت الطلاق ويمكن لها أن تنكح زوجا غيره - فهل يجوز للقاضي أن يعمل بمضمون ذلك الكتاب أو يجب عليه أن يسأل صاحبه الذي هو الزوج عن الطلاق الذي هو فيه - هل نواه أم لا ؟ وهل تلفظ به بعد كتابته أم لا ؟ أو حال الكتابة .

لو قال قائل يجيب عن هذه الاسئلة كما قال في شرح الروض : كتب الطلاق ولو صريحا كناية ولو من الاخرس فان نوى به الطلاق وقع والا فلا » اه

لقلت له سائلا : أليست الكتابة تدل على القصد والارادة فهي كاللفظ ، ولم لاتعتبر في الطلاق كاللفظ ولا يقع بها الطلاق الا مع النية ؟ على أننا لو نظرنا صحيحا الى الكتابة لقلنا إنها أثبت من اللفظ فانه يسهل على اللافظ انكار لفظه مالا يسهل على الكاتب انكار كتابته فانها باقية مخطوطة مقروءة . فهل يتسامح في دين الله تعالى لمن كتب الى زوجته كتاب الطلاق الصريح أن يقول : انني كتبته بلا نية ولاقصد بل كتبته لأجل تمرين الكتابة فيقبل قوله بيمينه ؟ أليس هذا تلاعبا بالدين؟

هذا والمرجوا أن تبينوا لي ولقراء المنار وغيرهم أحكام الكتابة التي تتعلق بالامور الدينية كالطلاق والوصية والهبة والشهادة وهي كشاهد كتب شهادته إلى الحاكم فهل يجوز له أن يعمل بكتاب شهادته بغير حضوره مجلس الحكم أم لا ؟
وأسأل الله تعالى أن يجزيكم جزاء حسنا وفاقا : محمد بسيوني عمران

سمبس في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥

(ج) أما الجواب عن الاول فهو ان تقسيم الطلاق إلى صريح وكناية من اصطلاح الفقهاء لامما ثبت في نصوص الكتاب والسنة فهو يتعلق بمفهومات لغات المطلقين

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الكتابة كالنطق في مفهوم الكلام كما هو بديهي . فاذا ثبت عند القاضي أن الخط خط الزوج المطلق حكم به . وقد قصر الفقهاء في أحكام الخط على ما كان من عناية كتاب الله تعالى بها وسننشر ان شاء الله تعالى فصلا طويلا في المسألة إجابة لاقتراحكم

﴿ الطلاق الثلاث باللفظ الواحد ﴾

(س ٢١) من صاحب الامضاء في (بوسعيد)

نسئلكم سيدي في رجل طلق زوجته ثلاثًا دفعة واحدة يقع ثلاثا أو واحدة وهذا الامر وقع عندنا وأفتانا شخص بأن الطلاق يقع واحدة ونسب الفتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ولم يرنا الفتوى وهو من أهل الطريقة فأثق بكلامه لان أهل الطرائق إلى دين النصرانية أقرب لمحبتهم أن يعظموا إلى الحد الذي لا ترخص الشريعة الاسلامية به حسب علمكم بهم سيدي، والآن مرادنا الافادة منكم إن كان هذا حق. فالحق أحق أن يتبع من تلميذكم راجي عفو المنان

سليمان بن علي بن سليمان البوسعيدي

(ج) أصل المسألة خلافية فجمهور العلماء على أن من طلق زوجه ثلاثًا بلفظ واحد يقع عليه ثلاث طلقات ولا تحل له بعد ذلك إلا اذا تزوجت بعد انقضاء عدتها زوجًا آخر ودخل بها وواقعها ثم مات عنها أو طلقها . وذهب آخرون إلى أنه لا يقع عليه في هذه الحالة إلا طلقة واحدة

وقد كان شيخ الاسلام يفتي بوقوع الواحدة وكذلك تلميذه العلامة ابن القيم وهذا الذي نعتقده، ونختاره كما بيناه في تفسير الآية من سورة البقرة . وقد وضع بعض العلماء بمصر عدة مسائل بصفة مواد قانونية للعمل بها في المحاكم الشرعية منها الحكم في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد بطلقة واحدة رجعية . فاعترض عليه جمهور علماء الازهر وأقره بعضهم ودافع عنه

وقد ذكرتم أن علة عدم ثقتكم بالمخبر لكم بفتوى شيخ الاسلام من مشايخ الطريق بأنهم إلى دين النصرانية أقرب لحبهم الغلو في التعظيم الخ وهذا خطأ منكم بهذا الاطلاق والتعميم فأهل الطرائق ليسوا أشد حبا للتعظيم من غيرهم من طبقات وجهاء الناس كالحكام والعلماء والاغنياء نعم إن هذه الطرائق مشتملة على بدع كثيرة محرمة وبعضها لا يخلو من الشرك الصريح ولكن أتباعها متفاوتون في اتباع هذه البدع فمن مقل ومكثر ، ومنهم من يتقي الكذب ولا سيما في الشرع كما يجب فاطلاقكم خطأ

كيف تنهض اللغة العربية

(تتمة ما جاء في الجزء الماضي)

فقه اللغة ومتنها

يضطر التلميذ كثيراً إلى تصوير بعض الاشياء أو وضعها أو معرفة مرادفها أو ضدها فيتعاصى عليه ذلك ، ولا يجد في خزانة فكره ما ينفق منه ، وهنا يظهر عجزه عن إبراز ما في نفسه ، فيطوي صحيفته ، ويكسر قلمه ، ويتنفس الصعداء ، أو يركب متن التعسف والركة ، ويؤدي مراده على أية صورة تهيأت له فلا يكاد يبين . ولو درس فقه اللغة لتدفقت عليه الالفاظ تدفقاً ، ولوجد من ثوبها الفضفاض خير حلة يجمل بها فكره ، ويجلي ما في نفسه .

ومع أهمية هذا العلم لا تسمع به في مدارسنا ولا تحس له وجوداً ، وحسبك ذلك في جهل التلامذة وفقرهم المدقع في اللغة

وأما متن اللغة فيكفي فيه ما يحفظه الطلبة في تضاعيف الكتب التي يدرسونها والقطع التي يحفظونها مع الضبط ومعرفة المعنى الصحيح واشتقاقه ، ولكي تكون الفائدة محققة يحسن تجريد الالفاظ من الكتب وتدوينها في كراسات الطلبة لسهولة حفظها والرجوع إليها عند الحاجة

وهنا أنبه إلى شيء مهم جدا يجدر بالمعلم الالتفات اليه ، وهو تعويد التلامذة مراجعة الكلمات والكشف عليها في معاجم اللغة ، فان جلهم إن لم يكن كلهم يجهل ذلك .

وأقول — والاسف شديد — إن معاجمنا أصبحت بحاجة إلى تهذيب كبير ، ولم تعد أداة صالحة مع بقائها على ما هي عليه بل أقول : إننا في أشد الحاجة إلى معجم عصري « وأريد أوسع معنى لكلمة عصري »

ولعل جماعة المؤتمر الموقرة تفترص الوقت لبحث هذا الموضوع وترغيب حكومة مصر في العمل لذلك بالمساعدة والتنشيط فهي أحرى الحكومات بذلك لوجوه كثيرة لا محل لبسطها الآن

المطالعة

هي احدى الاركان الثلاثة المهمة في تكوين اللغة أعني الانشاء والمحفوظات والمطالعة ، ويجب الاكثار منها مع الفهم والتطبيق ، وانما تفيد المطالعة حيث تكون كتبها منتقاة من أعلى الكلام وأبلغه ككلام الله ورسوله وما دونهما من كلام الفصحاء في الجاهلية والاسلام ، ولا أرى لذلك كتباً تصلح من كل الوجوه، فينبغي وضع كتب لذلك يراعي فيها الشروط السابقة، وملاءمتها لحال الطلبة وأسنانهم

الانشاء

يكتب الطلبة ما يستطيعون كتابته في الموضوعات المختلفة، وتصحح كتابتهم بدقة وعناية ، ويقفون على أخطائهم اللفظية والمعنوية والاسلوبية والتعابير العامية والمبتذلة والدخيلة ، ويرشدون الى مواضع الصواب فيها ؟ ويحسن بالاستاذ أن يقرىء بعض الطلبة موضوعاتهم ليوازن بين جيدها ورديئها، ويشجع المجيد باظهار استحسانه ، لتدب روح الغيرة في نفس المقصر فيجتهد في اللحاق به ، كما يحسن أن يقرىء التلميذ موضوعه غير مصحح ليصلحه بارشاده .

ولا بأس أن يتخولهم بدرس عناصر الموضوع قبل الكتابة فيه بطريق المحاورة والاستنباط

المحفوظات

هي الركن الضخم في تكوين ملكة اللغة والبلاغة ، وما نبغ خطيب أو شاعر أو كاتب الا بعد أن كان له من محفوظه مدد لا ينفد ، وهؤلاء شعراء الجاهلية والاسلام قضوا عهد الثقافة والمرانة رواة ناقلين ، قبل أن يكونوا شعراء مبرزين، وما قلناه في المطالعة من حيث الاختيار والفهم والتطبيق نقوله هنا ، وأنفع المختار للحفظ وأولاه بالتقديم كلام الله ورسوله فينبغي الاكثار منهما

العروض والقوافي

لا اقول : إن درس هذا العلم يتوقف عليه قرض الشعر فكثير من الشعراء المفلقين يجهلونه جهلا تاما ، وأكثر الذين يعرفونه يتعاصى عليهم معالجة النظم ، لأن قرض الشعر ملكة تقوى بالعكوف على دواوين الشعراء وحفظ الكثير

المتخير منها وفهمه، ثم تقليده ومعارضته، وتلك طريقة المتقدمين والمتأخرين، وحسبك بالبارودي رحمه الله ـ مجدد الشعر في العصر الحديث ـ فقد كان فحلا من فحول الشعراء ، دون أن يتعلم اصطلاحات العروض والقوافي بله النحو والصرف والبلاغة.

نعم إن هذا العلم يفيد من لم يكن شاعراً بطبعه أن يقرأ ما يقرأ من الشعر صحيحاً سليما من الاضطراب ، فيسهل عليه فهمه، ولا يعزب عنه مراد الشاعر ، وقد يكون منشطاً له إلى معالجته ثم التبريز فيه .

لذلك يحسن وضع مختصر فيه ليدرس على الطريقة التي رسمناها في القواعد كأن يقرأ الاستاذ البيت أمام الطلبة ، ثم يبين لهم وزنه ، ويسنده إلى بحره ، ويرشدهم إلى ما فيه من زحاف أو علل، ويساعدهم بمعرفة الاسباب والاوتاد على طريقة الوزن، ثم يأتي بآخر من نوعه ويطالبهم بوزنه وهلم جراً حتى يثبت ذلك في أذهانهم

ولا بأس أن يطرح أمامهم بيتا من الابيات ويطالبهم بمعارضته ، أو يضع معنى من المعاني ثم يطالبهم بالنظم فيه ، فان في ذلك تنشيطا لأفهامهم ، وشحذاً لقرائحهم ، ومعينا على قرض الشعر لمن عنده استعداد لقرضه .

الكلمة الاخيرة

هذه فكرتي في تعليم اللغة أقدمها لجماعة العلماء المحتفلين بتكريم أمير الشعراء وكلهم امام في اللغة غيور عليها ، وفيهم كبار رجال التعليم في وزارة معارفنا المصرية ، وهم الذين يسند اليهم وضع نظم التعليم ومراقبة سيره في المدارس ، ووضع التقارير الضافية له ، بل هم أجدر الناس بلمس عيوب التعليم وتلافي ضررها ، وقد أصبحوا الآن — والحمد لله — أحراراً لا تسيطر عليهم رقابة أجنبية ، ولا تغل أيديهم عن العمل قوة دنلوبية .

ولعل هذه الكلمة الهادئة المتواضعة تتقبل بقبول حسن ، فتكون نواة لابحاث مستفيضة في هذا الباب ، بل جذوة لاضرام ثورة أدبية تأتي على الاخضر واليابس من نظم التعليم العتيقة الرثة .

والله يوفق من شاء لخير الاشياء والسلام عليكم ورحمة الله

عبد السميع البطل

مدرس الأدب بالمدارس الثانوية

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٣)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

﴿ المقام الحادي عشر ﴾ قولكم :ويشهد لما قلناه نفس الحديث النبوي « لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً » فانه نهى عن اتخاذ قبره قبلة يتوجه اليه المصلي ولا يستقبل القبلة ونهى عن اتخاذ قبره موضعا للسجود عليه فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قلتم: ومن المعلوم انه ليس لليهود مساجد بالمعنى المعروف عند المسلمين فالمقصود إذاً انهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد مواضع يسجدون عليها (١)

أقول لاشك أن الحديث دال على ماذكرتم وهو النهي عن التوجه الى القبر والسجود عليه ولكن معناه غير منحصر فيما ذكرتم لان من تحرى السجود عند قبر النبي او الصالح فانما يفعل ذلك تبركا وتعظيما وذلك هو المعنى الذي وقع النهي لاجله لانه ذريعة للشرك، فالسجود على القبر وعنده سواء ما دام المعنى المحذور موجوداً ، وهنالك قرائن كثيرة لفظية ومعنوية تدل على ما ذكرت فان أبيتم الا الوقوف مع ظاهر اللفظ ففي غيره من الاحاديث التي تدل على تحريم تحري السجود عند قبور الصالحين كفاية وقد تقدم مافيه الغنية منها وربما يأتي زيادة على ذلك

(وقولكم) « من المعلوم انه ليس لليهود مساجد بالمعنى المعروف عند المسلمين » (١) ان أردتم أن المتقدمين والمتأخرين منهم في مشارق الارض

«١» العبارتان في ص ٣٥٥ جزء المنار ٥

ومغاربها ليس لهم معابد عند قبور أنبيائهم فذلك ممنوع والعلم به مستحيل وعدم العلم بالشيء ليس علما بعدمه . وكيف ينفى عن اليهود ذلك وقد أخبر به الصادق المصدوق وذكرت له أم سلمة كنيسة رأتها في أرض الحبشة وذكرت له مارأت فيها من الصور فقال رسول الله ﷺ « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة فسمى النبي (ص) الكنيسة مسجداً لانها بمعناه لان المسجد محل عبادة الله من ذكر وصلاة ودعاء وكذلك الكنيسة عند النصارى .

وروى مسلم عن جندب بن عبدالله قال قال رسول الله (ص) « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » والمراد بالحديثين واحد وهو النهي عن الصلاة عند القبر وجعله محلا للعبادة وبناء المسجد عليه . وخص قبور الانبياء والصالحين بالذكر لأن الفتنة إنما وقعت للاولين والآخرين بها

واتخاذ قبور الصالحين محالا للعبادة هو أعظم باب للاشراك بالله وماقرت عين ابليس بفتح باب مثله نسأل الله تعالى العافية . ويظهر من حديث عائشة ان الكنيسة التي ذكرتها أم سلمة للنبي (ص) كانت على قبر صالح تبركا به وصوروا فيه الصور لان الصور التي أشار اليها النبي (ص) في قوله « وصوروا فيه تلك الصور » هي التي رأتها أم سلمة وهي كانت في كنيسة فسماها النبي (ص) مسجداً والكنيسة لا يمكن أن تكون مبنية فوق القبر فقط فلا بد انها كانت حوله أو بقربه . وذكر النبي ﷺ أن من بنوها شرار الخلق ونهانا عن ذلك في حديث جندب وغيره فوضح ان المعنى المقصود بأحاديث الباب كلها هو النهي

عن تحري العبادة عند قبور الصالحين والسجود على القبور نفسها وان كان اللفظ شاملا له . وقد فهم البخاري وهو من أدق الناس فهما وأورعهم وأبعدهم من تحريف النصوص ومن التعصب للمذاهب ان من ضربت قبة على قبر زوجها استمتاعا بقربه وتعليلا للنفس وتخييلا باستصحاب المألوف من الأنس ، ومكابرة للحس ، يشملها نص اتخاذ القبور مساجد لأنها لابد أن تصلي مدة إقامتها في تلك الخيمة وكانت سنة مع انها لم تضرب عليه القبة لاجل الصلاة عنده والتبرك به لأن هذه البدعة لم تكن موجودة في ذلك الزمان وإنما قصدت الاستئناس بقربه وكانت قبتها من شعر أو نحوه لا من مدر ، فسمعت هاتفا فهمت من كلامه أن فعلها مكروه عند الله ، ولما كان كلام ذلك الهاتف مطابقا للدليل أورده البخارى في الباب ولم يورده على أنه دليل يحتج به لان الاحكام لا تثبت بمثله فكيف بمن يبني قبة من مدر مزخرفة على القبر يقصدها الناس من كل صوب للدعاء والصلاة عندها وذلك هو معنى بناء المساجد عليها واتخاذها أعياداً وقد نهى النبي عن ذلك أشد النهي ولعن فاعله وأخبر انه من شرار الخلق عند الله ؟ وشرار الخلق عند الله هم الكفار وذلك يقتضي كفر من يتخذون القبور مساجد ويؤيده مارواه أحمد بن حنبل عن علي عليه السلام من حديث كسر الاوثان وتسوية القبور ولطخ الصور فانه قال في آخره يارسول الله لم أدع بها وثنا إلا كسرته ولا قبراً إلا سويته ، ولا صورة إلا لطختها فقال رسول الله ﷺ « من عاد إلى صنيعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد » اهـ وهو صريح في أن من بنى بناء على قبر كفر بذلك ولا اشكال فيه لانه لا يبني على القبر إلا من غلا في صاحبه وذلك باب الشرك كما تقدم والحديث

يدل على انهم كانوا يجعلون التماثيل في القبور ويبنونها تعظيما لاهلها فخاف النبي على أمته الشرك فنهاهم عن اتخاذ القبور مساجد ولو كان السجود فيها لله وحده لانها مظنة الشرك وبابه لان المصلي عند القبور يخشع في صلاته لاهلها ويكون قلبه مع الله تارة ومع أصحاب القبور أخرى ولا يزال الغلو يزداد في الجهلة ويستدرجهم الشيطان حتى ينسوا الله ويخلصوا التوجه لصاحب القبر ، وهذا أمر واقع معلوم يقينا عند كل من خالط القبوريين . ومن كان مبتلى بعبادة القبور ثم تاب منها يقر على نفسه بذلك فلا معنى لتجاهله وهو وشمس الضحى صحواً سواء . وما أكثر ذلك في هؤلاء الذين ينتسبون الى السنة وهم من ابعد الناس عنها وأشدهم عداوة لها . اللهم الا ان تكون سنة الشيطان الليطان ، استزلهم وأغواهم، وأضلهم وأرداهم ، فنعوذ بالله من حال أهل النار

﴿ المقام الثاني عشر ﴾ نقلتم عن فتح الباري انه قال عند لفظ : لابرز قبره : اي لكشف عن قبر النبي (ص) ولم يتخذ عليه الحائل»(١) واقتصرتم على هذا الكلام من شرح الحديث وحذفتم قوله بعده : والمراد الدفن خارج بيته ، وهذا الكلام قالته عائشة قبل ان يوسع المسجد النبوي ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر انتهى كلامه وحذفكم لبقية كلامه اخل بالمعنى وابهمه لان من رأى ما نقلتم ولم يطلع على بقية كلامه يظن ان الحائل المذكور هو الذي جعل على القبر بعد ادخاله في المسجد فيكون المعنى ولولا ذلك اي خشية اتخاذ الناس قبر النبي مسجدا لا برز قبره اي كشف ولم يتخذ

«١» ص ٣٥٦ جزء ٥

عليه حائل بعد ما دخل في المسجد وليس كذلك بل مراد الحافظ ولولا ذلك لا برز قبره اي كشف عنه بأن يدفن خارج البيت ولا يتخذ عليه حائل وهو الحجرة التي كانت تسكنها عائشة هذا معنى كلامه ولعل لكم عذرا في حذف ما حذفتم لم نطلع عليه

(المقام الثالث عشر) قولكم بعد نقل كلام الحافظ «فهل يوجد أصرح من ذلك ؟ ولا شك أن السجود على نفس القبر لا يجوز (١)

أقول انما يستقيم ما أردتموه لو كان الحائل المذكور في كلام الحافظ هو الجدران الثلاثة المتخذة على القبر بعد إدخال الحجرة في المسجد كما أوهمه اسقاطكم ذيل كلام الفتح أما وقد تبين أن المراد بالحائل إنما هو حجرة عائشة فالمخشي منه أولا هو السجود عند القبر تبركا وتعظيما والسجود على القبر نفسه تابع له ولذلك دفن النبي في حجرة مسكونة فكان قبره محجوبا عن الناس لا يسهل الوصول اليه ولا سيما للعامة الذين يخشى عليهم أن يصلوا عند القبر ويفتنوا به لجهلهم فحصر المعنى في السجود على القبر نفسه دون ماحوله لا تدل عليه أحاديث الباب ولا كلام الحافظ وسأنقل من كلام الحافظ مالا يبقى معه شك في أن صاحب الفتح فهم من أحاديث الباب النهي عن الصلاة عند القبر كما فهمه سائر الائمة لكن بعض المتأخرين التبس عليهم الامر لانهم نشئوا في أوطان غلبت البدع على أهلها حتى ألفوها وصارت دينا يدان به لما ماتت السنن وعفت معالمها . ومن أولئك البيضاوي فانه لم يفهم معنى الحديث فتناقض في كلامه أقبح تناقض، إذ جوز بناء المسجد عند قبر الصالح تبركا به إذا أمن التعظيم أو لا يدري ان

(١) ص ٣٥٦ ج ٥

التبرك هو التعظيم أو هو ملازم له فلا يبني أحد قبة أو مسجداً على قبر للتبرك به إلا وقصده تعظيم صاحب القبر. والشارع (ص) سد هذا الباب البتة فنهى أشد النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذ المساجد عندها ولعن فاعل ذلك واخبر أنه من شرار الخلق عند الله ولم يفرق في ذلك بين من قصد التعظيم لاهل القبور أو التبرك بهم فكيف يسوغ للبيضاوى أو غيره ان يفتح هذا الباب الجهنمي الذى سده النبي (ص) بالتأويل والتحريف ؟ فعسى أن يكون قد التبس عليه الامر ،

قال الحافظ في الفتح عند قول البخاري (باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وما يكره من الصلاة في القبور) قوله: وما يكره من الصلاة في القبور يتناول ما اذا وقعت الصلاة على القبر او الى القبر او بين القبرين. وقال الحافظ ايضا في آخر شرحه حديث عائشة في الباب المذكور وفيه كراهية الصلاة سواء كانت بجنب القبر او عليه او اليه .وقال (في ص ١٤١ ج ١ بعد ما تقدم بقليل :قوله ـ اى البخارى ـ باب كراهية الصلاة في المقابر استنبط من قوله ـ يعنى النبي (ص) « ولا تتخذوها ـ اى بيوتكم ـ قبورا » ان القبور ليست بمحل للعبادة فتكون الصلاة فيها مكروهة . ثم ذكر حديث ابي سعيد الخدري عند أبي داود والترمذي مرفوعا « الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام »

وقد اتضح مما نقلته من كلام صاحب الفتح انه لا يفهم من كلامه ان النهي خاص بالسجود فوق القبر فقط كما ذكر تم قائلين: انه لا يوجد اصرح من كلامه في رده

﴿المقام الرابع عشر﴾ قولكم « وتوجد ايضا معان ثلاثة غير المعنى الذى قررناه الا أنه لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها احدها ان يراد النهي عن وصل المساجد بموضع القبور وهذا التأول خطأ فاحش لان مسجد النبي قد وصل بموضع قبره في زمن الصحابة والتابعين فكيف يدعى ان ذلك منهي عنه وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين ؟ (١)

(اقول) قولكم لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها ممنوع لما تقدم وما يأتي ان شاء الله

قولكم احدها ان يراد النهي عن وصل المساجد الى قولكم وهذا التأول خطأ فاحش (اقول) من نظر في احاديث الباب متجردا من العصبية ولا ادنى نصيب من معرفة لغة العرب يعلم يقينا ان الاحاديث ناطقة ومصرحة أتم تصريح بالنهي عن وصل المساجد بالقبور والنصوص في ذلك واضحة كشمس الضحى لا تحتاج الى تفسير ولا تأويل ، تفسيرها قراءتها عند من يعرف لغة العرب ، وليس له في العصبية من ارب ،

ولم لا يمكن تفسير الاحاديث بذلك؟ ولم صار تأولا وهو نص جلي؟ ولم صار خطأ فاحشا ؟ قلتم لانه فعل في زمن الصحابة والتابعين ورضوا به هم وسائر المسلمين — في تعبيركم بموضع القبور وموضع قبر النبي (ص) احتراس واعتراف بان مسجد النبي (ص) لم يوصل بالقبر نفسه بل بالحجرة وعبرتم عنها بالموضع وليس سواء وإن كان النهي يشملها ، فان وصل المسجد بالقبر نفسه أكثر فتنة من وصله بحجرة فيها قبر : وقولكم « وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين » دون اثباته خرط القتاد ونحن

«١» ص ٣٥٦ أيضاً

نطالبكم أن تنقلوا لنا ذلك بأسانيد تفيد العلم كما هي شريطة نقل الاجماع عند علماء الاصول فيلزمكم أن تثبتوا ما ادعتم فالدليل على الناقل والبينة على المدعي وليس علينا أن نأتي بما يبطل هذه الدعوى لانها لم تثبت بعد ولكن نتبرع بذلك فنقول:

مما يدل على أن أهل العلم والفضل من الصحابة والتابعين لم يرضوا بذلك ماقاله السمهودي في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ص١٣٧ ط مصر): وللواقدي عن عطاء الخراساني أدركت حجرة النبي ﷺ فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يأمر بادخالها فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم، قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول والله لوددت أنهم تركوها على حالها اه

ثم قال السمهودي في الصفحة نفسها: وقال ابن زبالة حدثني محمد ابن عبد العزيز عن بعض أهل العلم قال قدم الوليد بن عبد الملك حاجا فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ حانت منه التفاتة فاذا بحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في بيت فاطمة بيده مرآة ينظر فيها فلما نزل أرسل الى عمر بن عبد العزيز فقال لا أرى هذا قد بقي بعد، اشتر هذه المواضع وأدخل بيت النبي ﷺ المسجد واسدده وفي خبر ليحيى أنه لما نزل من خطبته أمر بهدم بيت فاطمة وان حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين أبوا أن يخرجوا منه فأرسل اليهم الوليد ان لم تخرجوا منه هدمته عليكم فأبوا أن يخرجوا فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما فنزع أساس البيت وهم فيه فلما نزع قالوا لهم ان لم تخرجوا منه قوضناه عليكم فخرجوا منه اه ثم ذكر نحوه عن ابن زبالة

أيضا ثم ذكر أن الحجاج اغتصب بيت حفصة من عبد الله بن عمر فأبى أن يسلمه فهدده بالهدم فقال والله لاتهدمه الا على ظهري فأمر بهدمه فجاءت بنو عدي عبد الله فقالوا ماأضعفك هو يتأسف على قتل أبيك وينزع عن قتلك؟ فاخرجوه فهدمه الحجاج

ثم قال السمهودي في الكتاب المذكور في ص ١٤٤ وعن عروة قال نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال كتاب أمير المؤمنين لابد من انفاذه قال فقلت فان أبيت فاجعل له جؤجؤا أي وهو الموضع المزورّ شبه المثلث خلف الحجرة اهـ

أقول أفتكون أعمال أولئك الظلمة الغصبة حجة على حديث رسول الله (ص) الصريح في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها والقباب تعظيما لها وغلوا ؟ وان لم يصرح في الحديث بالنهي عن بناء القباب فقد ورد النهي عن البناء على القبور مطلقا غير مقيد بالمساجد ولا غيرها فالقباب داخلة فيه والاحاديث الناهية عن بناء المساجد على القبور تدل بفحواها على تحريم بناء القباب وإذا منعنا من بناء المساجد هناك وهي بيوت الله ومحال عبادته فالقباب من باب أولى لانها لا فائدة منها بل فيها أعظم الضرر لانها ذريعة الى الذنب الاكبر الذي لا يغفره الله وهو الشرك وقد ظهر من الاخبار السابقة أن الذي أدخل القبر في المسجد ليس من خيار الصحابة ولا التابعين وانما هو من الجبابرة ولم يرض بذلك أبناء المهاجرين والانصار ومن بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر بل بكوا أشد البكاء، وتأمل انكار عروة على عمر بن عبد العزيز ادخال القبر المسجد وجوابه

وفي الكتاب المذكور مايدل على أن الوليد انما بنى المسجدلاغراض فاسدة وحسبك دليلا على جهله بآداب الدين انه زخرف المسجد فبناه بالفسيفساء وقد صح أن النبي (ص) نهى عن زخرفة المساجد، وفي الحديث «لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود» فمن زخرف المساجد فقد تشبه باليهود وكذا من اتخذ المساجد والقباب على قبور الانبياء والصالحين ونقل السمهودي أن الوليد لما أتم بناء المسجد بالرخام والذهب والفسيفساء وأنواع الزينة والنقوش التفت الى أبان بن عثمان فقال أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس اه بعضه بالمعنى

ثم إنه لو لم يكن مدخل القبور في المسجد النبوي غير صالح للاقتداء به لكنه غير معصوم ولو لم ينقل لنا غصبه بيوت الناس ومباهاته بزخرفة المسجد وانكار الناس عليه وبكاؤهم على ادخاله الحجرات النبوية في المسجد ما كان ذلك حجة يعارض بها حديث رسول الله (ص) لأن عدم العلم بانكارهم ليس علما بعدمه وكم أشياء ينكرها الصالحون بقلوبهم ولا يستطيعون انكارها بألسنتهم أو ينكرونها بألسنتهم همساً عند خاصتهم بعد ما يأخذون عليهم العهد أن لا يبوحوا بذلك وليس هذا مما تتوفر الدواعي على نقله كافعال رسول الله (ص) وأقول بل هذا بالعكس فالدواعي على كتمانه وافرة لان في التصريح به إتلاف الاعراض والاموال والارواح فلا يتأتى لاحد أن يقول فعل ولم ينكر فكان اجماعا وقد عصم الله أمة محمد الذين جعلهم وسطا أن يجمعوا على اباحة مانهى عنه النبي (ص) ولعن فاعله وأخبر أنه من شرار الخلق

(المقام الخامس عشر) قول السيد مهدي

(ثانيها) أن يراد النهي عن أن يقوم المصلي حول القبر ويسجد على الارض قريبا من القبر وهذا التأول خطأ لا يصلح حمل الاحاديث عليه لانه لاريب في أن البقعة المتضمنة لقبر نبي أو امام عادل أو ولي لله تعالى أو غيره ممن له عند الله منزلة جليلة وجاه عظيم تكون أشرف وأفضل من غيرها بنسبة شرف المدفون فيها قال النووي في شرحه لصحيح مسلم في باب فضل الصلاة بمكة والمدينة قال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الارض . اه (١)

قوله وهذا التأول خطأ لا يصح حمل الاحاديث عليه (أقول) هذا المعنى قد دلت عليه الاحاديث أوضح دلالة فكيف يسمى تأولا

قوله لانه لاريب الخ غير مسلم لان فضل الحالّ لا يستلزم فضل المحل(٢) قال البخارى في باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب ويذكر أن عليا كره الصلاة بخسف بابل قال الحافظ ابن حجر هذا الاثر رواه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن أبي المحلى قال كنا مع علي فمررنا على

«١» ص ٣٥٦ أيضاً

«٢» المنار : في هذه المسألة مباحث أهمها ان فضل المكان على غيره إما ذاتي لمعنى فيه كخصب أرضه وجودة هوائه ومائه وهذا يعرفه كل أحد ، وإما ديني كفضل المساجد وكون أفضلها الثلاثة لكثرة الثواب فيها الخ وهذا لا يعرف إلا بنص الشارع ، وإما عرفي كاختيار الناس بقعة يفضلونها على نظائرها لاجتماع أو عمل آخر أو لجلوس السلطان أو الامير أو لدفن ميت شريف. وهذا التفضيل العرفي الاضافي لا يجعل للبقعة شيئا من الفضل الحقيقي لا الذاتي ولا الديني ولذلك صح في الحديث تصريحه «ص» بان موقفه في عرفات والمزدلفة ونحره في منى لا يقتضي فضل هذه الاماكن على غيرها من المشاعر الثلاثة قال « وقفت هنا وعرفة كلها موقف ... ومزدلفة كلها موقف ... ومنى كلها منحر

الخسف الذي ببابل فلم يصلّ حتى أجازه . ومن طريق أخرى عن علي قال : نهاني حبيبي صلى الله عليه وسلم أن أصلي في أرض بابل فانها ملعونة . في اسناده ضعف اه بخاري ، ثم أسند البخاري حديث عبد الله ابن عمر مرفوعا « لاتدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لئلا يصيبكم ما أصابهم » زاد في المغازي : ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاز الوادي . وروى البخاري في كتاب أحاديث الانبياء من صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها . الحديث فنزل النبي ﷺ بأرض ثمود وهي أرض عذاب من شرار البقاع ولا تزال كذلك ولم يلزم فضلها بنزول أفضل الخلق فيها وأفضل الناس بعده أصحابه ولم يقل أحد فيما علمت انه يستحب السفر إلى الموضع الذي نزل به النبي بالحجر أو يبني عليه قبة ويصلى فيه بل نهى عن الصلاة في أرض العذاب كما تقدم في حديث علي وعن الشرب والاستقاء من مائها وقد مرّ علي وهو من أفضل خلق الله بعد النبيين بأرض بابل وهي أرض خسف وعذاب فلم تصر بمروره أرض رحمة بل نهى عن الصلاة فيها ولا يستحب أن تبنى فيها قبة ولا أن يصلى فيها

وقوله : أو ولي لله أو غيره ممن له منزلة جليلة وجاه عظيم(١) فيه ان غير ولي الله هو عدو الله ولا منزلة له ولا جاه لان من كان مؤمنا ففيه ولاية لله ولابد لقوله (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

«١» ص ٣٥٦ منه أيضا

الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) الآية . فلا واسطة بين الولاية والعداوة

قوله : قال القاضي عياض أجمعوا على ان موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الارض (١) . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في المجلد الاول من الفتاوى (ص ٢٩٢) أما نفس محمد (ص) فما خلق الله أكرم عليه منه . وأما نفس التراب — يعني القبر — فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام بل الكعبة أفضل منه . ولا نعرف أحدا من العلماء فضّل تراب القبر على الكعبة الا القاضي عياض ولم يسبقه أحد اليه ولا وافقه أحد عليه اه فقول عياض لا يصح لانه دعوى بلا دليل

﴿ المقام السادس عشر ﴾ قوله : ولا ريب أن الصلاة ومثلها الدعاء وقراءة القرآن وسائر الاذكار والاعمال الشرعية في الاماكن الشريفة تكون أقرب الى قبولها عند الله ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في غيره ولاجل الحصول على هذا الفضل كان السلف الصالح وأئمة المسلمين حتى في زماننا هذا يصلون ويدعون ويتضرعون عند قبر النبي (ص) حتى ان الصفوف تحاذي نفس القبر الشريف اه (٢)

أقول : فيه منتقدات (الاول) ان الصلاة والدعاء في الاماكن الشريفة أقرب الى قبولها عند الله فيه اجمال وهو على اطلاقه غير صحيح حتى ما ذهب اليه السيد مهدي من أن النهي يختص بالقبر نفسه لان الشرف ان كان في مدافن الصالحين فانما هو في القبور نفسها وما حولها تابع لها والسيد مهدي مقر معنا بأن السجود على القبر نفسه لا يجوز فضلا

« ١ » ص ٣٥٦ منه أيضا « ٢ » ٣٥٧ منه

عن أن يكون أقرب الى القبول . ونحن نقول ان ما حول القبر أيضاً في حكم القبر للنصوص الدالة أوضح دلالة على ذلك فلو كانت الصلاة في كل مكان شريف أقرب الى القبول لكان الاولى أن تكون فوق القبر نفسه لانه محل الشرف

(الثاني) في كون البقعة لها فضيلة أن تشرع الصلاة فيها مطلقا فضلا عن أن تكون أقرب الى القبول — فغار حراء له فضيلة لتعبد النبي فيه ونزول الوحي عليه لاول مرة فيه ولم يشرع اتيانه للصلاة والدعاء فيه فضلا عن أن يكون ذلك اقرب الى القبول وكذلك الغار الذى اختبأ فيه النبي وأبو بكر وهو المذكور في القرآن لا يشرع اتيانه لصلاة ولا دعاء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) أجمع العلماء على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله (ص) ان الصلاة عند القبر — أيّ قبر كان — لا فضل فيها ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا بل مزية شر . واعلم ان تلك البقعة وان كانت قد تنزل عندها الملائكة والرحمة ولها شرف وفضل ولكن دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه فان النصارى عظموا (١)

ولو كانت للصلاة عند قبر النبي (ص) فضيلة لفعلها أحرص الناس على الخير وأسبقهم اليه وأعلمهم به السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وحاشى لهم أن يعصوا النبي (ص) بل كانوا يحذرون الصلاة عند القبر ويحذرون منها كما فعل عمر مع انس ولو كانوا يتحرون الصلاة عند قبر النبي (ص) لنقل إلينا ذلك لان الدواعي على نقله متوفره

(١) بياض بالاصل

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الانبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به ، وتقدم نقله الاجماع على ان الصلاة عند القبر لا فضل فيها، فكيف يظن مع ذلك بأحد من السلف والخلف الصالحين انه يتحرى الصلاة عند قبر النبي (ص) أو غيره؟

(الثالث) قوله: ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل منها في غيره

أقول : هذا أيضا على إطلاقه لا يصح لما ورد في الصحيح ان صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجد النبي ﷺ ، وفضيلة الصلاة في المسجد ليست لكونه مسجداً فقط فان الله سمى المكان الذي بناه المنافقون للصلاة مسجداً ونهى النبي ﷺ عن الصلاة فيه بقوله «لا تقم فيه أبداً» فامر النبي ﷺ بتحريقه وإنما كانت الصلاة في المسجد أفضل منها في غيره لان الله شرعها فيه وأثنى على أهلها بقوله في سورة النور (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) الآية ولم يأذن الله قط ولا رسوله في الصلاة عند القبور ولا شرعها فيها بل نهى عنها رسوله أشد النهي (وما ينطق عن الهوى * إن هو الا وحي يوحى * علمه شديد القوى) فكيف يقاس ما شرعه الله وأثنى على فاعله بما نهى الله عنه على لسان نبيه ولعن فاعله؟

قوله : ولهذا الفضل كان السلف الصالح الخ (١) تقدم جوابه

وقوله : حتى ان صفوف الصلاة تحاذي نفس القبر الشريف (٢) ممنوع

(١) ذكرت هذه العبارة بالمعنى وهي في ص ٣٥٧ (٢) في ص ٣٥٧ أيضاً

لان قبره (ص) في حجرته وحجرته مسورة بسور فالصفوف لا يمكن أن تصل إلى قبره البتة وقد روى مالك في الموطأ وغيره في غيره أن النبي (ص) قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وقد استجاب الله دعاء نبيه فصانه بالحجرة والسور

وقد أشار الى ذلك الامام ابن القيم فقال وأجاد

ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لا يجعل القبر الذى قد ضمه وثناً من الاوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

فكيف يدعى أن صفوف المصلين تصل الى القبر نفسه ؟

وقول ابن القيم : ولقد نهانا . البيت . إشارة الى ما رواه الحفاظ من طرق كثيرة منها ما في سنن سعيد بن منصور حدثنا حبان حدثنا علي حدثني محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهدي قال : قال رسول الله (ص) « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ورواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة بلفظ « لا تجعلوا قبري عيداً » وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد قال أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : الى العشاء . فقلت لا أريده ، فقال مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي (ص) . فقال اذا دخلت المسجد فسلم عليه ، ثم قال ان رسول الله (ص) قال « لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم مقابر . لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ،

وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما أنتم و من بالاندلس الاسواء اه

فانظر الى الامام الحسن وكيف كره إتيان قبر النبي ﷺ للسلام عليه ونهى عنه وأمر الرجل اذا دخل المسجد ان يسلم على النبي ولا يأتي القبر ؟ والسلام على النبي مشروع عند دخول كل مسجد لا تختص بمسجد النبي ﷺ وفي مسند أبي يعلى حدثنا أبو بكر بن أبي منبعة قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا زيد بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين حدثنا علي بن عمر عن أبيه علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعو فقال ألا أحدثكم حديثا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ؟ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبورا فان مسألتكم(١) تبلغني أينما كنتم » اه قال الحافظ ابن عبد الهادى في كتابه الصارم المنكي ص١٠٩ وهذا الحديث مما أخرجه الحافظ أبو عبد الله المقدسي فيما اختاره من الاحاديث الجياد الزائدة على ما في الصحيحين اه

فانظر الى أهل البيت سلام الله عليهم كيف صانوا حمى التوحيد اقتداء بجدهم ولم يرخصوا في إتيان قبر النبي (ص) للسلام ولا للدعاء فكيف يدعى أن السلف الصالح كانوا يتحرون الصلاة والدعاء عند القبر ؟ واذا وقع ذلك من بعض المسلمين خطأ وجهلا فليسوا معصومين من الخطأ والزلل، ولا تثبت المشروعية بفعل أحد سوى رسول الله ﷺ فكيف يرد حديث النبي ﷺ وينسخ بمخالفتهم له ولو كان الامر كذلك لنسخت أحاديث النبي ﷺ ولم يبق منها الا ما شاء الله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون

---

(١) المحفوظ في سائر الروايات « صلاتكم » ولم يرو أحد أنهم كانوا يسألونه (ص) بعد موته فلفظ مسألتكم شاذ رواية ودراية ولعله غلط من بعضهم

لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (في اقتضاء الصراط المستقيم) بعد ما ساق الاحاديث في النهي عن اتخاذ القبور مساجد: فهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو غيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب لأجل النهي واللعن ولأحاديث أخر اه (له بقية)

دعاية المسيحية القاديانية

الملقبة بالأحمدية

كتب الى جريدة البلاغ البيروتية مراسل من مدينة لاهور في بلاد الهند فصلا مسهبا سماه «عقائد الجماعة الأحمدية في الهند» قسم فيه الفرقة الى ثنتين فرقة (قاديان) وهي التي بنت الجامع الذي في لندن، وفرقة (لاهور) عاصمة حكومة البنجاب وهي التي بنت جامع برلين . وإننا ننشر ما جاء في البلاغ عن هذا الكاتب ونعلق عليه بتحذير المسلمين من هذه الدعاية التي تنشرها جرائدهم السياسية غير عليمة بما ورائها من الجناية على الاسلام وهذا نصه بأغلاطه العربية لم تصحح منها إلا آيات القرآن :

« الفرقة الاحمدية في لاهور وهي تحت رئاسة مولانا الامير محمد علي مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الانكليزية ، وهي اعتقاد عامة المسلمين، لا تختلف عنهم الا ببعض نظريات كوفاة سيدنا عيسى ، والناسخ والمنسوخ في القرآن ، وقد قامت هذه الفرقة بتضحيات عظيمة في الهند وأوربا في سبيل نشر الاسلام وافترقت عن الاحمديين القاديانيين منذ وفاة السيد أحمد مؤسس تلك الفرقة ، وقد كان اسلام اللورد هدلي على يد فرقة الاحمدية لان خوجه كمال الدين معين مبشراً في انكلترا من قبل الامير محمد علي

هذه كلمة يقول عنها المراسل انها توطئة لرسائله التي سيوافي بها البلاغ ، وانا ننشر منذ اليوم أولى هذه الرسائل ، قال :

ان تبليغ الاحمدية هو تبليغ الاسلام الروحاني [1] ومقصدها تطهيره من العناصر الاخرى وتغلبه في هذه الدنيا

كان المؤسس لهذه الدعوة هو مرزا غلام احمد قادياني مجدد القرن الرابع عشر حسب وعود النبي ﷺ حيث قال : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، ورجال يكلمون من غير أن يكونوا

١) هذا أول اعتراف من هذه الملة الجديدة بانها تدعو الى شطر الاسلام الروحاني وتترك شطره الخاص بالامور الجسدية أو الدنيوية كما فعلت المسيحية في اليهودية وهذه دعوى مسيحهم الدجال ميرزا غلام احمد القادياني الذي ادعى أنه مسيح الاسلام الموعود به في الاحاديث النبوية مع أنها لا تنطبق على حاله بوجه ما

أنبياء » (*) وقدقام هذا الشخص بدعوى مجدد ومحدث . وبعد وفاته أقام لحفظ واشاعة الاسلام « مجلس شورى خدام الاسلام » الذي مركزه في لاهور (الهند)

وعقائد هذه الجماعة هي مثل عقائد أهل السنة التي تطابق القرآن والحديث، ولكن بامعان النظر فان أفكار هذه الجماعة مبنية على المعنى الصحيح من القرآن والحديث وهي

١ — تعليم القرآن والحديث

إن حضرة النبي محمد ﷺ هو خاتم النبيين وبعده لا يأتي نبي وجاء في الحديث أيضا [لا نبي بعدي] وعقائد الجماعة الاحمدية في لاهور هي مطابقة لهذا الحديث على أنه لا يأتي نبي إن كان قديما أو جديداً بعد نبينا محمد ﷺ ، لان مجيء أحد الانبياء قديما أو جديداً قد تكون بعثة محمد ﷺ ورسالته ختمت ، ومن غير الايمان بالنبي الآتي لا يحصل أحد على النجاة وعلى ذلك فان أفراد هذه الجماعة يفهمون بان من خلاف المسلمات مجيء عيسى بن مريم الذي كان رسولا الى بني إسرائيل في الامة المحمدية ومنه على حسب الآيات القرآنية [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] ، [فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم] وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تبرهن على وفاته ، ولهذا أيضا ممنوع مجيء نبي جديد لان الانبياء من لدن الله عز وجل يأتون إلى الناس اما ببعض الهدايات ، أو الشرائع ، ولان القرآن أتى بدين مكمل كما هي دعواه [اليوم أكملت لكم دينكم] ولهذا ممنوع للمستقبل مجيء إحدى الهدايات والشرائع الجديدة ، ومن هذا الوجه فان مجيء أحد الانبياء الآن هو لغو ولهج في الالسن فقط وهي بعيدة عن شأن الله تعالى ، من هذه الدلائل فان هذه الجماعة مصدقة بان النبوة المحمدية ووحي القرآن كافيان إلى يوم القيامة ولا ضرورة لنبي جديد أو قديم إلى يوم القيامة[1]

*) قوله : ورجال يكلمون ليس من هذا الحديث. ولكن ورد هذا المعنى في حديث آخر كما ورد إنه يظهر في هذه الأمة دجالون قبل الدجال الاكبر والقادياني من هؤلاء كما سنبينه

(١) المنار : الغرض من هذا حمل أحاديث مجيء المسيح عيسى بن مريم على القادياني لدعواه هو المسيح المنتظر ولكنه هو قد ادعى الوحي حتى بالشعر كما سننقله عن كتبه بعد .

٢ -- ان ألفاظ القرآن كلها واجبة العمل و ليس فيها ناسخ ومنسوخ لان دعواه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافا كثيراً) ومعنى التصديق في مسئلة ناسخ ومنسوخ في الآيات القرآنية هو وجود الاختلاف فيها ، لذلك فان هذه الجماعات لاتوافق على مسئلة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، بل هم يفهمون بواجب العمل على جملة أحكام القرآن طبقا لحالات الزمان وضروراته

٣ -- معنى الاسلام ، هو مذهب الصلح والسلامة لذلك فان هذه الجماعة يفهمون بأنه لايجوز أي نوع من أنواع التشدد والجبر في الاسلام ، لان حكم القرآن [لا اكراه في الدين] وحضرة النبي الكريم وصحابته لم يستعملوا السيف ولا الجبر قط في تبليغ الدين الاسلامي والقرآن أمرنا بالجهاد لأجل الدفاع فقط ، (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) والاسلام انتشر بقوته الروحانية وسينتشر كذلك في المستقبل ان شاء الله ، وثبوته موجود في هذا الزمان ، فالجماعة القليلة لمجدد هذا القرن قد فازوا في ادخال الالوف من طبقة الادباء والفضلاء في أوربا وأمريكا في الدين الاسلامي ، ونعلم علم اليقين أنه اذا كان عقلاء المسلمين وعلماؤهم يقومون مع هذه الجماعة باتحاد العمل في هذا الشغل الصالح ويعضدوا قوتها ، فتفوز بسرعة بغلبة الاسلام الروحانية على جميع الدنيا ، وتدخل الطبقة العاقلة المخالفة للاسلام فى الدين الاسلامي ، ومتى زاد عدد المعاونين في هذا العمل يرتفع كثير من المشكلات السياسية عن المسلمين

٤ -- هذه الجماعة لاتأخذ حصة فى التبليغ السياسي في أي مملكة كانت ، وفي أي بلاد مختلفة نشتغل فيها بالتبليغ فعضوها المبلغ يحترم قوانين تلك البلاد

٢) النسخ ليس اختلافا ولا سيما بمعناه عند السلف كتخصيص العام وهم عطلوا جميع أحكام القرآن غير الروحانية فما معنى ادعاء العمل بكل ما في القرآن إذاً

٣) ان مسيحهم القادياني نسخ الجهاد مطلقا ولو كان دفاعا

٤) يعني أنهم يبيحون لمن يدخل في الاسلام من كل شعب أن يتبع قوانين بلاده في الارث والزواج وغير ذلك (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)

٥ — هذه الجماعة تعتقد بأن جميع الناس الذين يؤمنون بكلمة لا إله الا الله محمد رسول الله من قلب خالص هم مسلمون وتفهم بأن تكفير أحد أصحاب كلمة الشهادة هو مناف لاتحاد المسلمين ، واعتقاد هذه الجماعة بان جميع المؤمنين اخوة ويفهمون بان معاونة جميع المسلمين من أي فرقة كانوا هي ضرورية لان الجماعة التي تريد أن ترقى وتظهر في الدنيا تعليم الله ورسوله نهى لا تقدر أن تفهم بان اخوانها الناطقين بالكلمة هم خارجون عن الاسلام

٦ — ان أفراد هذه الجماعة يحترمون جميع الانبياء والصحابة والائمة والمجددين وليست طريقتهم بان يهينوا أحد مشايخ الامة وعلى هذه الصورة أيضا يعززون كبار المذاهب الاخرى وعلى موجب التعليم الاسلامي لا يذمون أحداً منهم

***

ان الخدمات الاسلامية التى قامت بها هذه الجماعة المختصرة في ظرف مدة قليلة هي على حسب ما يأتي ندرجها ههنا فقط ليشترك المسلمون معنا في العمل في هذا التبليغ والعمل الصالح ، وليس مرادنا من درجها أن نحرز الفخر ، لان هذه الجماعة إنما تعمل لخدمة الاسلام خدمة خالصة وليس لاجل الفخر ، وهذه هي

١ — التبشير بالاسلام في الممالك الاخرى

ا — أقيم على صرف الالوف من الدراهم مركز للتبشير في محلة (وكنج في انكلترا حيث تصدر هناك مجلة مصورة بالانكليزية لاجل تبليغ الاسلام ، ومنها يوزع عدد كبير مجانا لغير المسلمين وعلاوة على ذلك ينشر كثير من الكتب الاسلامية المفيدة باللغة الانكليزية هناك .

ب — ثم إن هذه الجماعة لاعلاء كلمة الاسلام بنوا مسجداً في برلين عاصمة

---

(٥) هذا تصريح شر مما سبق وهو الاكتفاء من الاسلام بالنطق بالشهادتين ولو مع عدم الاذعان لما جاء به الاسلام وعدم اتباع الرسول كما أمر الله تعالى (فاتبعوه لعلكم تفلحون) ومن لم يذعن ويتبع تكون دعواه الايمان كاذبة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية

(٦) يعني باحترامهم أنهم لا يسبونهم لئلا يهيجوا أتباعهم عليهم، ولكنهم لا يعترفون بأنهم كانوا على الاسلام الذي يقولون هم به

ألمانيا وصرفوا على تعميره نحو ١٥٠ الف روبية وأيضا تصدر مجلة باللغة الالمانية لاجل تبليغ الاسلام وكثيراً من الكتب الاسلامية المفيدة انتشرت باللغة الالمانية

ج — ثم إن حركة التبليغ الاسلامي جارية في جزيرة (جاوا) التابعة لحكومة هولاندا وكثير من الكتب الاسلامية قد انتشرت لسكان هذه الجزيرة باللغة الملائية ولغة هولاندا حاكمة البلاد وقد يترجم الآن القرآن باللغة الملائية

د — والتبليغ الاسلامي يجري في أوروبا وأمريكا وأفريقا وآسيا والجزائر المختلفة بواسطة الخط والكتابة وإرسال الكتب الاسلامية مجانا، ويعطى إلى جميع المكتبات الكبرى في العالم كثير من المجلات والكتب مجانا بدون ثمن

٢ — التبليغ في داخل بلاد الهند

ا — ان التبليغ لاسلامي جار في الاماكن التي لا يوجد فيها مسلمون وقد دخل الى الآن الوف من الناس في الدين الاسلامي

ب — ويجري استعداد المدنيين الواقفين على العلوم الدينية والعلوم العصرية لاجل دعوة المجوس والمشركين والمذاهب الاخرى إلى الاسلام ثم ان كثيرين من طلبة (البلاد) الاخرى يحصلون العلم في مدرسة «إشاعة الاسلام» بحيث يمكنهم القيام بالتبليغ الاسلامي في بلادهم بعد فراغهم من تحصيل العلوم

٣ — سلسلة التصانيف

ا — لكي يعد المبلغون الاسلام تنشر كثير من الكتب الاسلامية باللغة العربية والتركية والانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية وغير ذلك من اللغات الاخرى

ب ـ طبعت ترجمة القرآن باللغة الانكليزية والهندية وأرسل منها الالوف إلى جميع أنحاء العالم فحازت القبول[1] والآن يترجم إلى اللغة الصينية والملائية وفي بعض اللغات الاوربية، وفي هذه السنة وزعت ٥٠٠ نسخة من القرآن باللغة الانكليزية على جميع مكتبات الدنيا المشهورة مجانا

ج — أرسلت أيضا ترجمة السيرة النبوية باللغة الانكليزية الى جميع

«١» المنار: هذا كذب فعلماء مصر أفتوا حكومتهم بمنع الاذن بدخول مصحفهم المطبوع مع ترجمتهم له. وكذلك فعل مفتي بيروت

المكتبات مجانا ، وترجمتها باللغة الالمانية والايطالية تحت التصنيف

د — تنشر جريدة (لايت) الانكليزية في كل خمسة عشر يوما مرة ، وتوزع تقريباً خمسمائة نسخة منها مجاناً على المكتبات وعلى بعض الاخوان من المسلمين وغير المسلمين ، وتعطى القيمة الى تلامذة المدارس والفقراء

٤ — وسائل الدخول

ا ـ لسد هذه النفقات الكثيرة كلها، يعطي كل فرد من هذه الجماعة حسب اقتداره إلى « بيت المال القومي » المبلغ المعين له شهريا وعلاوة على ذلك فان دراهم زكاة وصدقة هذه الجماعة أيضا تجمع في « بيت المال » ثم تصرف على الشعبات المختلفة بواسطة إدارة منظمة ، وأما جماعات المسلمين الاخرى فالقليل منهم الذين قاموا بمد يد المساعدة لاشاعة الاسلام

٥ — الواردات الداخلة والخارجة في السنة الماضية

بلغ مجموع الواردات في السنة الماضية للجماعة الاحمدية في لاهور ١٨٩٩٣٤ روبية صرفت على الاشياء الآتية :

ا — شراء اللوازم العامة لجميع الدوائر (بيت الضيوف) واشاعة الكتب والمجلات مجانا وللواعظين ومدرسة اشاعة الاسلام ومساعدة المساكين واليتامى (المكتبة والاملاك غير المنقولة ، متفرقة ٣١٧٢٣ روبية

ب — تبليغ الهند ٥١٢ ٤ روبية

ج — تبليغ البلاد الاخرى ٣٠٣٦٠ روبية

د — الصحافة ١٢٥٢٧ روبية

ه — نفقة تثقيف المتوحشين ٣٨٨٠ روبية

و — تصنيف وتأليف — ٢٤٩٢٤ روبية

ز — تعليم المدارس ٣٥٥٣٤ روبية

ط — تعمير المحلة الاحمدية — ٨٣ روبية

ثم إن الخدمات التي أتت بها هذه الجماعة المتحدة للاسلام والمسلمين لا ينكرها أحد من عقلاء المسلمين ، فنظامها قابل التقليد للمسلمين فاذا كانت جماعة متحدة صغيرة أتت بهذه الاعمال العظيمة ، فكيف لو كانت القوة المتحدة للمسلمين مع

هذه الجماعة لاشك اذ ذاك تكون للاسلام قوة شديدة و كبيرة جداً ، ولخدمة الاسلام يلزم على إخواننا المسلمين أن يشتركوا معنا في هذا العمل الجليل

ومما تجب الاشارة اليه أن تبليغ الجماعة الاحمدية في لاهور « البنجاب » ليس لها تعلق مع الجماعة التي تدعي بأن مرزا احمد قادياني هو نبي حقيقي ورسول و يكفر جميع المسلمين وقد أعلنت جماعتنا بانها بريئة من هذه العقائد ، لان هذه العقائد اخترعت بعد وفاة المجدد والمؤسس لهذه الحركة وهو بريء من هذا الافتراء. والله على مانقول شهيد

عقائد جماعة لاهور الاحمدية (١)

ان جمعية « الانجمن الاحمدية اشاعة الاسلام في لاهور » قد شرعت في العمل لتوسيع نطاق التبليغ والتبشير في أوربا و الممالك الاخرى والقيام لمقابلة لمخالفين للاسلام. وهي تجاوبهم و ترد عليهم بواسطة الاعلانات والمجلات والجرائد والمبلغين وقد تشيع ترجمة القرآن الكريم والسيرة النبوية فى أنحاء مختلفة وهي ترفع علم التوحيد في ممالك أوربا الآن حيث يوجد مسجدان واحد في (برلين) عاصمة المانيا والثاني في (وكنج) في عاصمة البلاد الانكليزية وهناك ألوف من إخواننا الذين اعتنقوا الدين الاسلامي يؤدون صلاتهم فيها

وقد يشك بعض الناس في عقائد الاحمدية ولذلك أرى من الواجب الاشارة إلى هذه العقائد لاطلاع إخواننا المسلمين عليها وإلى القاريء تلك العقائد التي التي يضعها فريق جماعة لاهور الاحمدية

أولا — أننا نؤمن بوحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله محمد ﷺ

ثانيا — نؤمن بالقول والفعل بان حضرة محمد المصطفى ﷺ خاتم النبيين وقد أكمل الله تعالى الدين ببعثته لذلك لايأتي نبي بعده ﷺ نعم : يأتي مجددون يكون عملهم خدمة الاسلام وتأييد الدين

ثالثا — نحن نؤمن بالقول والفعل بأن القرآن الكريم الذي أنزل على محمد المصطفى ﷺ هو كلام الله ولا يمكن نسخ أي حكم من احكامه الى يوم القيامة

رابعاً — نحن نصدق بأن حضرة مرزا غلام أحمد صاحب قاديان مجدد القرن الرابع عشر ولا نصدق بنبوته

(١) مقالة أخرى نشرت في جريدة البلاغ البيروتية

خامساً — نحن نصدق بأن الله تعالى يكلم أولياء هذه الامة — وأن هؤلاء الناس يدعون بالمحدّث باصطلاح الشريعة وعلى هذا يصير استعمال لفظ (النبوة) الظلية في اصطلاح الاولياء، والامثل ظل الله لايكون الله، ولا ظل النبوة يكون نبياً

سادساً: نحن نفهم بأن كل انسان يؤمن بكلمة لا إله الا الله محمد رسول الله يكون مسلما

سابعا: نحن نعز جميع الصحابة الكرام ومشايخ الدين ولا ننظر بنظر النفرة والتحقير لأي صحابي أو امام أو محدث أو مجدد ما

ثامناً: نحن نفهم بأن تكفير المسلمين هو فعل قابل النفرة والاشمئزاز أكثر من كل شيء وعلى اظهار النفرة من أولئك الناس الذين يكفرون أحد المسلمين أو جماعة ما من المسلمين لا نصلي خلفهم إن كان المكفر أحدياً أو غيره من الناس ثم اننا نصلي خلف أولئك الناس الذين ينفرون من فتاوي التكفير إن كانوا أحمديين أم غيرهم من المسلمين

تاسعاً: اننا نصدق بصحة الاحاديث التي فيها ذكر نزول المسيح ولكن بما أن القرآن الكريم يقول بألفاظ واضحة وصافية بذكر وفاة حضرة المسيح لذلك نأخذ المراد منها بظهور مجدد للدين

عاشراً: وفي قربنا أن الدين الاسلامي قبلا لم ينشر بالجبر ولا يكون أيضاً فيما بعد ظهور مهدي كهذا ينشر الاسلام بقوة السيف، بل إن المهدي هو على ذاك الذي يحصل الهداية من الله تعالى ويظهر صداقة الدين الاسلامي

وفي الختام أقول:

إن بعض الناس ينسبون عقائد الجماعة القاديانية لنا. على أن مما يؤخذ الجماعة القاديانية غلوهم بأن وضعوا حضرة مجدد القرن الرابع عشر في منصب النبوة وكفروا جميع مسلمي الارض وقرروا خروجهم عن دائرة الاسلام وقد رددت جماعتنا هذا القول مراراً عديدة. اهـ

(المنار) ان ماعلقناه من الحواشي الوجيزة على هذه الدعاية يظهر للمسلمين أن هؤلاء الاحمدية على الباطل وان كانت الفرقة الاخرى من اتباع القادياني أشد منهم غلوا في مسيحيته الباطلة، وسننشر في جزء تال مقالا في ذلك يتبعه نقول من كتب المسيح القادياني الدجال، يعلم منه أن كل متبع له خارج من حظيرة الاسلام

بول الصبي و بول الصبية

﴿ حكمهما في الفقه - تركيبهما الكيميائي - الاحاديث التي وردت فيهما ﴾

— ١ —

اتفق العلماء على أن ماتزول به النجاسة أمور ثلاثة: الغسل والمسح والنضح * والنضح هو الرش ، وقد اختلف الفقهاء في الاكتفاء به في طهارة بول الصبي و بول الصبية على ثلاثة أقوال

(الاول) أنه خاص بازالة بول الصبي ولايكفي في ازالة بول الصبية بل لا بد في ازالة بولها من غسله ولا يكفي فيه الرش وهو مذهب الشافعي في المشهور عنه

(الثاني) أنه لايكفي فيهما بل لابد فيهما من الغسل والى هذا ذهب مالك ، وعنده أن الغسل طهارة ما تيقنت نجاسته والنضح طهارة ما شك فيه . وقد أخذ في هذا بحديث أنس المشهور حين وصف صلاة رسول الله ﷺ في بيته فقال فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول مالبس فنضحته بالماء

(الثالث) أنه يكفي فيهما وهو مذهب الاوزاعي وحكي عن مالك والشافعي . حجتهم في ذلك قياس الانثى على الذكر الذي وردت أحاديث النضح فيه .

وإنا اذا رجعنا الى العلم الحديث نجد أنه لايفرق بين تركيب بول الصبي و بول الصبية بل لا يفرق في ذلك بين بول الذكور وبول الاناث على العموم . ومن الواجب أن نرجع اليه في ذلك وأن نأخذ فيه رأيه ولا نعتمد على رأي بعض الفقهاء الذين يفرقون بين تركيب بول الصبي و بول الصبية مع أنهم ليسوا من علماء الكيمياء الذين يعرفون تركيب المواد والاجزاء التي تتألف منها

يقول البيجوري في حاشيته على ابن قاسم أن بول الصبي أرق من بول الصبية [1] والائتلاف بحمله أكثر من الائتلاف بحملها فخفف فيه دونها .

---

*) كان ينبغي أن يقول: قال الفقهاء إن النجاسة تطهر بالغسل و بالمسح وبالنضح

١) ثبت عندنا بتجارب قليلة خاصة بأطفالنا ان بول الصبي أشد نتناً من بول البنت وكون أصل التركيب الكيماوي واحدا لا ينافي ذلك

وأضاف الى هذا أن أصل خلقه من ماء وطين وأصل خلقها من لحم ودم فان حواء خلقت من ضلع آدم وأن بلوغ الصبي بمائع طاهر وهو المني وبلوغها بذلك وبمائع نجس وهو الحيض

ولا شك أن البيجورى لم يحلل بول الصبي وبول الصبية حتى يكون حكمه بأن بولها أرق من بوله ناشئا عن بحث علمي فيقبل منه . فضعف حكمه في هذا ليس بأقل من ضعف حكمه بان الائتلاف بحمل الصبي أكثر من الائتلاف بحمل الصبية . وكذا حكمه بأن أصل خلقه من ماء وطين وبلوغه بمائع طاهر بخلافها فيهما . فما لهذا والاكتفاء بالنضح في بوله دونها

ولو كان لنا أن نحكم في تركيب بول الصبي وبول الصبية بظاهر الرأي كما فعل البيجوري لقلنا بأن بول الصبية أرق من بول الصبي لان الانثى أرق من الذكر جسما فلماذا لاتكون أرق منه بولا (١) ولكن الواجب تحكيم العلم في هذا وعدم الاخذ بظاهر الرأي فيه

— ٢ —

رجعنا إلى بعض الاطباء فأمكننا أن نحصل منه على هذه الامور

(١) أهم أجزاء البول هي البولينا وحمض البوليك وكلورالصوديوم والسولفات والفوسفات وأكسيدات الجير والصودا

(٢) ان هذه الاجزاء توجد في بول الذكور والاناث ؟ بكميات متساوية ولا فرق في ذلك بين الكبار والصغار من النوعين

(٣) تختلف النسبة بين أجزاء البول باختلاف السن وباختلاف الاغذية وكيفية هضمها . فمن يتغذى بالالبان كالاطفال تقل في بوله كمية البولينا وحمض البوليك . وهما اللذان يكسبان البول الرائحة الكريهة الخاصة به . ولعل هذا هو

(المنار) ان العلة في كون الشيء نجساً هو القذارة التي مظهرها الرائحة الكريهة وأصح أسباب إثباتها في الجنسين الاستقراء ، وقد ثبت عندنا باستقراء ناقص في أطفالنا أن رائحة بول الصبيان الكريهة أشد فان ثبت عند غيرنا ضده ثبت أن الذكورة والانوثة لاتأثير لها في النتن الذي سبب الحكم بالنجاسة وهو مايقتضيه العلم الفني .

السر الذي يهدينا اليه العلم الحديث في تفريق الشارع بين بول الاطفال الرضع وغيرهم في الاكتفاء في طهارة بول الاطفال بالنضح دون الكبار. فليس الا أن قلة كمية البولينا وحمض البوليك في بول الاطفال الرضع هو السبب في الاكتفاء في طهارته بالنضح. لانه لا يوجد فيه من الرائحة الكريهة بسبب هذا ما يستوجب الاعتماد في طهارته على الغسل. وكذلك الاطفال لسلامتهم من الامراض المعدية كالبلهارسيا وغيرها يكون بولهم خاليا من جراثيم تلك الامراض: فلا يخاف منه كما يخاف من بول غيرهم. ولذا لم يشدد الشارع في طهارته واكتفى فيها بالنضح وشدد في طهارة غيره وأوجب فيهما الغسل الذي يزول به ضرره وتتقى عدواه

فانظر كيف استفدنا من الرجوع إلى العلم في هذا الحكم. وكيف وقفنا على هذه الاسرار الجليلة التي تدل على فضل الشريعة الغراء؛ وما كنا لنصل اليها لو فعلنا كما فعل البيجوري ووقفنا عند ظاهر الرأي، ولم نسبر أغوار العلم

— ٣ —

ورد في هذا الباب أحاديث ـ أولها ـ عن أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام الى رسول الله ﷺ فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه عليه ولم يغسله ـ ثانيها ـ عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال « بول الغلام الرضيع ينضح وبول الجارية يغسل » ـ ثالثها ـ عن أبي السمح خادم رسول الله قال قال رسول الله ﷺ « يغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام » رابعها ـ عن أم كرز الخزاعية أن النبي ﷺ قال « بول الغلام ينضح وبول الجارية يغسل » ـ خامسها ـ عن أم الفضل لبابة بنت الحارث قالت بال الحسين في حجر النبي ﷺ فقلت يارسول الله أعطني ثوبك والبس ثوبا غيره حتى أغسله فقال « انما ينضح من بول الذكر ويغسل من بول الانثى »

ومثل الحديث الاول لا يوجد فيه ما يمنع قياس الانثى على الذكر وفقا للمذهب الذي رجحناه وقلنا انه الذي يوجد في العلم الحديث ما يؤيده. ولكن الكلام في الاحاديث الباقية الناطقة بالفرق بين الانثى والذكر في النضح التي

قال فيها الشوكاني إنه لم يعارضها شيء يوجب الاشتغال به . وقد يكفيني في التخلص منها أن العترة والحنفية وسائر الكوفيين والمالكية لم يروا العمل بها جملة وآثروا عليها قياس بول الصبي على سائر الابوال فأوجبوا الغسل فيه مثلها . وإذا صح لهم إيثار هذا القياس عليها وعدم العمل بها جملة فانه ليصح من باب أولى أن نؤثر قياس الجارية على الغلام على ماجاء منها بالتفرقة بينهما . ففي هذا اعمال لها في الجملة بخلاف ذاك . ولكنا نحب أن نبدي فيها رأيا حديثا بعد أن نلاحظ عليها إجمالا أنها لم ترد في صحيحي البخاري ومسلم . وقد قال ابن حجر في فتح الباري إنها لم تستوف شرط البخاري فيما يورده في صحيحه من الاحاديث . وقد يكفيني عدم إيراد البخاري لها في صحيحه لهذا الذي يذكره ابن حجر في التخلص منها أيضا . فهو يرى أنها ليست من القوة بحيث تقضي بالفرق بين بول الصبي وبول الصبية في ذلك الحكم ولو كانت تكفي عنده في ذلك لذكرها في صحيحه لتكون حجة في ذلك كما ذكر أحاديث بول الصبي لتكون حجة في الاكتفاء في طهارته بالنضح . وكذلك نلاحظ مع هذا أنها ليست إلا أحاديث آحاد والحنفية يقدمون عليها القياس لأنه من الاصول المعلومة المقطوع بها من الشرع وخبر الواحد مظنون . وهذا يسوغ لنا أيضا أن نقدم قياس بول الجارية على بول الصبي على تلك الاحاديث السابقة التي هي أحاديث آحاد ومع هذا فيها ماسنورده عليك

حديث علي

رواه ابن ماجه وأبو داود وأحمد والترمذي أما ابن ماجه ففي سنده الى علي رضي الله عنه معاذ بن هاشم وأبوه هشام وقتادة بن دعامة . ومعاذ بن هشام قال عنه ابن معين إنه صدوق وليس بحجة . وقال الحميدي بمكة لما قدم معاذ بن هشام لاتسمعوا لهذا القدري . وقال النسائي حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي نضرة عن عمران بن حصين أن غلاما لاناس فقراء قطع أذن غلام لاناس أغنياء فأتوا النبي ﷺ فلم يجعل لهم شيئا . ومن يروى مثل هذا لا يصح أن يحتج بحديثه . وأبوه هشام أحد الاثبات الا أنه رمي بالقدر وقيل رجع عنه . وقتادة بن دعامة حافظ ثقة ثبت لكنه

مدلس ورمي بالقدر ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح وأما أبو داود فروى هـذا الحديث موقوفا على علي رضي الله عنـه من غير طريق معاذ وأبيه هشام. ورواه مرفوعا الى النبي ﷺ من طريقها عن قتادة وقد عرفت مافي الثلاثة. وأما أحمـد فرواه عن عبد الصمد بن عبـد الوارث عن هشام عن قتـادة أيضا وقد عرفت مافيهما

حديث أم الفضل

رواه ابن ماجه وأبو داود وأحمـد . أما ابن ماجه وأبو داود ففي سندهما اليها سماك بن حرب وقابوس بن أبي المخارق . وسماك قال سفيان إنه ضعيف . وقال جناد المـكتب كنا نأتي سماكا فنسأله عن الشعر ويأتيه أصحاب الحديث فيقبل علينـا ويقول سلوا فان هؤلاء ثقلاء . وقابوس لم يحـدث عنه سوى سماك وقال النسائي ليس به بأس . وكلنا يعرف معنى هذه الـكلمة « ليس به بأس »

وأما أحمد ففي بعض طرق سنده اليها سماك وقابوس هذان . وفي بعضها حماد بن سلمة وعطاء الخراساني . وحماد ممن تحايده البخاري واحتج به مسلم . وعطاء ذكره البخاري في الضعفاء وقال لم أعرف لمالك رجلا يروي عنه يستحق أن يترك حديثه غير عطاء الخراساني . وفي بعضها عفان بن مسلم وقد قال سليمان ابن حرب إنه كان رديء الحفظ بطيء الفهم . وقال ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعا « أعطي يوسف وأمه شطر الحسن » يعني سارة . ورواه الناس عن حماد موقوفا . وقال أبو عمرو الحوضي رأيت شعبة أقام عفان من مجلسه مراراً من كثرة ما يكرر عليه

حديث أبي السمح

رواه ابن ماجه وأبو داود والنسائي . وفي طريق الثلاثة اليه يحيى بن الوليد قال النسائي ليس به بأس . ومع هذا فمن هو أبو السمح خادم رسول الله ؟ قال أبو زرعة لا أعرف اسم أبي السمح هذا ولا أعرف له غير هذا الحديث

حديث أم كرز

رواه الطبراني وغيره وفي إسناده انقطاع لانه من طريق عمرو بن شعيب عنها وهو لم يدركها وقد اختلف على عمرو بن شعيب فقيل عنه عن أبيه عن جده كما رواه الطبراني

البيهقي وأحاديث هذا الباب

وبعد ففي هذا الباب أحاديث مرفوعة وموقوفة وهي كما قال البيهقي إذا ضم بعضها الى بعض قويت . ويكفينا هذا في الحكم على هذه الاحاديث بأنها لا قوة لها الا في اجتماعها . ومعنى هذا أنه لاقوة لها في ذاتها . وإذا كان هذا حالها فالواجب تقديم القياس السابق عليها . والتخفيف في بول الجارية مثل الغلام . فالائتلاف بحملها مثل الائتلاف بحمله . وقد ذم الله في كتابه العزيز من لا يأتلف بالبنات ويسود وجهه اذا بشر بأنثى . فكيف يفرق بينهما في ذلك وهو يؤدي الى قلة الائتلاف بالبنات . وكيف يذم الشيء ويشرع ما يؤدي اليه وهو أحكم الشارعين ؟

عبد المتعال الصعيدي

المدرس بالجامع الاحمدي

(المنار) ماذكره الاستاذ الكاتب من نقد أحاديث المسألة وطرق الاستدلال فيه نظر من وجوه لاحاجة الى بسطها وأهم ما نحب أن لا يعود اليه اعلال الحديث بترك تخريج البخاري له في جامعه فان شرطه فيه معلوم انفرد به دون سائر علماء الملة فهو على كونه احتياطا في التصحيح لا يقتضي ترك العمل بما لا ينطبق عليه لا عنده ولا عند غيره بالاولى فمتى صح الحديث وجب العمل به بالاجماع مالم يعارضه ماهو أقوى منه دلالة على خلافه. والحافظ ابن حجر صحح حديث علي المرفوع ولم يعد الموقوف علة قادحة فيه، ونقل عن ابن خزيمة تصحيح حديثي لبابة وأبي السمح وأقره . فهو لم يذكر أن هذه الأحاديث ليست على شرط البخارى إلا لبيان سبب عدم تخريجها في جامعه لا للتخلص منها كما تخلص الكاتب منها بعدم عمل العترة (الزيدية) والحنفية وغيرهم بها، فأحاديث الرسول حجة على كل مسلم ولا حجة لأحد عليها . وأما ترجيح القياس على خبر الواحد فليس على إطلاقه كما قال فليراجعه في كتب الأصول

﴿ الاحتفال الخمسيني لدار العلوم ﴾

احتفلت مدرسة دار العلوم في مساء الجمعة ثاني المحرم بمرور خمسين عاما على تأسيسها فحضر احتفالها كبار رجال الحكومة والعلم وشيوخ البرلمان ونوابه وكان في مقدمتهم الرئيس الجليل المرحوم سعد باشا زغلول ، فافتتح الجلسة الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس لجنة الاحتفال بخطاب وجيز مفيد بين فيه حال المتعلمين قبل إنشاء هذه المدرسة ووجه الحاجة الى انشائها وقيام المرحوم علي باشا مبارك بذلك . وتلاه الخطباء والشعراء من كبار أساتذة المدرسة وبعض طلابها وكانت خطبة الاستاذ الشيخ عبدالوهاب النجار من أنفع تلك الخطب جامعة بين تاريخ تأسيس المدرسة والاطوار التي مرّت فيها وبين الفكاهات الأدبية ومنها نبذ من إنشاء الكتاب قبل ظهور ثمرات هذه المدرسة ونوّه بالاصلاح الأول الذي قام به الأستاذ الامام للغة والانشاء بمساعدة صحبه الذين كانوا أعوانه في تحرير جريدة الوقائع الرسمية في عهد رياسته المطبوعات ومنهم الرئيس الجليل

وانا ننشر من تلك القصائد الغر قصيدة شاعر البداوة في الحضارة (الشيخ محمد عبد المطلب) لا لانفرادها بالبلاغة فالقصائد كلها غر وناهيك بشعر الجارم والهراوي الشهيرين . ولكن هذه القصيدة امتازت بالرد على خصومنا الملاحدة الذين يريدون افساد ديننا ولغتنا علينا بشبهة التجديد الذي يزعمونه وما هو إلا تجديد الزندقة والاباحة المطلقة . وقد سرنا انه لما كان يتلو تلك الابيات العامرة في الرد عليهم كان الجماهير يصفقون له تصفيقا شديداً متواتراً لا محرك له الا تصفيق قلوبهم قبله . وكان في مقدمة المصفقين المرحوم سعد باشا . وهذا نص القصيدة

لي في ظلالك مسرح ومقيل ... روض أغن ومنزل مأهول
ومعاهد نشر الحياة بها الحيا ... فالعيش أخضر والنعيم ظليل
سر الجمال جمال مصر إذا سرت ... ريح الشمال بها وعب النيل
بلد جريت إلى المنى في ظله ... سبحاً على اللذات وهي شكول
أرد المرابع والمصايف سادراً ... أختال بين ظلالها وأجول

لي في الصعيد إذا شتوت منازل فيها سراة العالمين نزول
بهرت مصانعها الزمان ولم تزل للعقل فيها حيرة وذهول
جلست على الآباد في جبرية يقف البلى من دونها فيحول
مشتى الملوك مراد أرباب النهى هذا يحل بها وذاك يزول
وإذا تربع أسل نجد بالغضا أوقاظ منهم بالشريف قبيل
فبغور وادي النيل كل منضر للعيش فيه غرة وحجول
فيح إذا نهض القريض لوصفها يحلو القريض بوصفها ويطول
امرابعي والعمر فينان الهوى ومراد لهوي والصبا معسول
بالرمل منها منزل اشتاقه ان شاق صنوي حومل وَدخول
يزهي ظباء النيل روح رياضه ونسيم ذاك البحر وهو عليل
أهوي اليه على البخار إذا سرت بالمنجدين هوادج وحمول
كالطيف يختلس الظلام اذا سرى لمحاً وطرف النجم عنه كليل
وإذا بكى الاثلات يحيي شاقه مغنى جفاه بقرقرى ومقيل
غنيت نشوان القريض يهزني سدر بريف جهينة ونخيل
أو غردت ورقاء رامة هزها حي هناك بذي الاراك حلول
فبجانب الفسطاط من غريسه وُرْقٌ لها بالمنيلين هديل
حيث القصور الشم تزهو حولها غلب الحدائق والنسيم عليل
والنيل في ثوب الخيلة بينها يسطو على جنباتها ويصول
متبهنساً بين الرياض كما حبا ليث العرين دجا عليه الغيل
يانيل أنت نراء مصر وغيثها والارض قفر والبلاد محول
بك يرتوي الوادي اذا جف الثرى ويبل من صادي الفؤاد غليل
وعلى يمينك بالمنيرة حلة للعلم فيها جمة وحفيل
راقت بها دار العلوم مواردا تروى بهن بصائر وعقول
أمٌّ لنا في المنجبات مهادها دعم لمجد بلادها وأصول
أم إذا درج الوليد بحجرها فالدين يرعى والبيان يعول
لله در شبيبة كفلتهم أم لنا في الامهات بتول
أخذت علينا منذ أيام الصبا عهد الكريم وعهدها مسئول
يا أم عهدك في القلوب موثق صدق الوفاء بحبله موصول

الدين عهدك والمكارم بيننا … والعلم والآداب والتنزيل
علمتنا ان الحنيفة ملة … لانهجها وعر ولا مجهول
تهدي إلى سبل الرشاد إذا هوى الم … فتون بالالحاد والتضليل
رفعت منار الحق لا يعيا به … عقل ولا ينجاب عنه دليل
إلا الذين تبوءوا وخم الهوى … فالنهج أعمى والمناخ وبيل
نزعوا إلى دنس الاباحة فانجلى … للناس ذاك المنزع المرذول
مازوا الجديد من القديم وما دروا … ان الجديد من القديم سليل
جلبات إفك في مهالك فتنة … هوجاء كيد غواتها تضليل
دعوى وما ضربوا لنا مثلا بها … يجري عليه من القياس مثيل
وإذا الدعاوى لم تقم بدليلها … في العقل فهي على السفاه دليل
ان كان مازعموا قديماً ديننا … فليأت منهم بالجديد رسول
أو علمه لغة السماء ؟ وإنها ال … قرآن والتوراة والانجيل
أو ذلك الأدب الذي شهدت له … في كل شعب بالجمال عدول
زخرت به أم اللغات ولم تزل … بعلاه تفترع اللغى وتطول
وسيعلمون إذا الحقيقة أعرضت … ان الضلالة جندها مخذول
وترى الجديد يصيح في حجراتهم … ياقوم عن تلك المهالك زولوا
مافي القديم معابة إن لم يكن … فيه عن السنن السوي عديل
وذر الجديد إذا رأيت سبيله … عوجاً عن الحق المبين تميل
واسلك سبيلك غير ذي عوج ترد … شرع الحياة وصفوها مكفول
ياأم . كم من شرعه لك في الهدى … لا وردها رنق ولا مملول
وهديتنا سبل العلوم قواصداً … فالغور نجد والحزون سهول
دان القريض لنا فأما روضه … فجنى وأما صعبه فذلول
ولنا إذا شئنا جزالة جرول … وإذا نرق فتوبة وجميل
ولربما ملك الندي خطيبنا … والجمع يهدر والمقام يهول
وإذا كتاب الله عب عبابه … قسمت اليه قراوح وفحول
فهناك منا من إذا شاء انبرى … فدنا المدى وتبين التأويل
ياأم. كم لك من يد في شكرها … يعيا المقال ويعجز التفصيل
أحييت احياء الجزيرة من نمى … قحطان من ولد وإسماعيل

فبكل فصل منك مظهر أمة من أهلها وبكل يوم جيل
ولو استدار بك الزمان لأصبحت لك في عكاظ من البيان فضول
لم تقصري عن أهلها في خير ما صنعوا ولم يردد عليك مقول
أو عاد للزوراء عهد بيننا هارون يسمع والوفود تقول
لشأوت فرسان القريض إلى المدى لم يعدك الترتيب والترتيل
هذا مجالك في البلاغة فاسلكي ماشئت. نهجك في البيان ذلول
وارعي تلادك أن يحيط به البلى فيحول أو ينتابه التبديل
لغة الكتاب وديعة الاحقاب ميـ راث إلى الاعقاب عنك يؤول
من لم يحط بقديمها لم يعتقد علماً بمجد الشرق وهو أثيل
وخذي المعاني في جمال جديدها ماشئت لا حرج ولا تخذيل
وتبختري في الابتداع فانه دين أتى بكتابه جبريل
يا أم ان ملأ القريض بحاره فجرى سريع واستطال طويل
وتساجلت في المرسلات يراعها فانهل مندفق وفاض سجيل
لم يبلغوا معشار حقك مدحة فليقصروا ان المرام جليل
أوما جريت إلى العلى لم تقصري عن غاية والسابقات قليل
خمسين عاما أو تزيد قضيتها والعزم لا واه ولا مفلول
دأبا على الاخلاص بين حوادث للدهر تخترم القوى وتغول
طوراً ينازعها البقاء معوق هو للمعارف والعلوم خذول
وتصيبها غول السياسة تارة بيد الهوان وللسياسة غول
خصمان مختلفا الهوى فالى الهدى هذي وذاك إلى الضلال يميل
لولا دفاع الله عن أنصاره راحت بها في الذاهبات سبيل
فمضت مضاء البحر ليس يعوقه وعر ولا يعمى عليه مسيل
تأبى معاتبة الزمان شعارها صبر يعوذ به الكريم جميل
لم يعنها عرض الحياة وانه ظل وان طال المدى سيزول
ما لي وأياما مضين غواشما والدهر ألوى والليالي حول
دار الزمان بعصر دورة مقبل فالليل أقمر والرياح قبول
وامتد بالدستور ظل سريرها يرعاه ظل الله وهو ظليل

(يتبع ١٢ بيتاً في مدح الملك والدستور والبرلمان ورجاله ورئيسه ضاقت عنها الصحيفة)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ ٢ برج العقرب سنة ١٣٠٧هـ ش ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

﴿حل أموال أهل الحرب﴾

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في (بيتنزرغ - جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

ماقول السيد البار بالمسلمين ، والرشيد الحريص على أحكام رب العالمين ، في فتوى بعض العلماء : بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح ؟!

أليست هذه الفتوى وأمثالها الضربة القاضية على جميع ماحرمه الله والتعدى على الحدود التي لم يستثن منها اضطراراً ولا عذراً لفاعل ؟ كالشرك والكفر بغير إكراه والقتل عمداً وفي القصاص (كذا) والسرقة والربا ونحو ذلك ، لا كالخمر والميتة والدم ونحوها للمضطر وتأجيل بعض العبادات لعذر كا بينه الشارع مع بقاء الحرمة والحكم والقضاء والكفارة إلا في الخطأ والنسيان عدا مااستثناه منهما كما هو الحق المنصوص به في كتاب الله المؤيد بالتواتر والحق المهيمن بالاجماع والتواطيء !! افتونا بما أمر الله به أن يوصل واصدعوا بما أراكم الله والله يتولى الصالحين ، والعاقبة للمتقين ، لا معقب لأمره وحكمه وهو أحكم الحاكمين

مدير جريدة الوفاق ببيتنزرغ - جاوا

محمد بن محمد سعيد الفته

(ج) أصل الشريعة الاسلامية ان أموال أهل الحرب مباحة لمن غلب عليها وأحرزها باي صفة كان الاحراز الا أن الفقهاء خصصوا هذا العموم بما ورد في الشريعة من التشديد في تحريم الخيانة فقالوا ان المسلم لا يكون خائنا في حال من الاحوال فاذا ائتمنه أي انسان وان كان حربيا على مال وجب عليه حفظ الامانة وحرمت عليه الخيانة ، فاذا كان الاصل في مال الحربي انه غنيمة لمن غنمه بالقهر أو

بالحيلة أو بكل وسيلة ماعدا الخيانة أفلا يكون حله أولى اذا أخذه المسلم برضاه ولو بصورة العقود الباطلة في دار الاسلام بين المسلمين والخاضعين لحكمهم من غيرهم ؟ انه لم يظهر لي أدنى وجه لقياس حل سائر المحرمات كالكفر والخمر والميتة وهي من المحرمات لذاتها في دار الاسلام ودار الحرب جميعا على مال الحربيين المباح في أصل الشريعة، اذ الاصل في القياس أن يلحق الشيء بمثله في علة الحكم لا بضده

هذا وان الربا الذي حرمه الله تعالى في دار الاسلام وكذا في دار الحرب بين المسلمين ان وجدوا فيها هو نوع من أنواع أكل المال المحترم بالباطل ، وأخذ المال من صاحبه برضاه واختياره ليس من أكله بالباطل ، والمضطر الى أخذ المال بالربا لا يعطي الزيادة برضاه واختياره والشرع لم يجعل له حقا بأخذها فكانت حراما لانها من قبيل الغصب على كونها بدون مقابل . ولذلك علات في نص القرآن بأنها ظلم اذ قال تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وظلم الحربي غير محرم لانه جزاء على ظلمه فانه لا يكون الا أشد ظلما من المسلم ، لانه يخون والمسلم لا يخون ، ولان المسلم يمنعه دينه من أعمال في الحرب ومع أهل الحرب لا يمنع الكافر دينه منها كقتل غير المقاتلين والتمثيل بالقتلى وغير ذلك مما هو معروف في الاسلام ، ونرى غير المسلمين يرتكبونه حتى في البلاد التي جعلوها تحت حكمهم لا المحاربة لهم فقط ، والمسلمون يساوون غيرهم ممن يدخل تحت حكمهم بأنفسهم

على ان المسلم في دار الاسلام يجوز له أن يقضي دائنه دينه بأفضل مما أخذ منه اذا كان بمحض اختياره وقد قضى النبي ﷺ من كان اقترض منه بعيراً بسن فوق سن بعيره كما في الصحيحين ولو كان ذلك مشروطا لكان ربا . قال أبو هريرة كما في البخاري ان رجلا تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهم به أصحابه فقال « دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيراً فأعطوه اياه » فقالوا : لا نجد الا أفضل من سنه ، فقال « اشتروه فأعطوه اياه فان خيركم أحسنكم قضاء »

وما رواه الحارث عن علي « كل قرض جر منفعة فهو ربا » فسنده ضعيف بل قالوا انه ساقط فان راويه سوار بن مصعب متروك يروي المنكرات ، بل اتهم برواية الموضوعات

لولا كتاب خاص شرح لنا فيه صديقنا السائل سبب سؤاله لما فهمنا قوله فيه ان تلك الفتوى ضربة قاضية على جميع ماحرمه الله تعالى فقد كتب الينا ان بعض المستمسكين بحبل الدين في جاوه قد استنكروا الفتوى المسؤول عنها لانهم فهموا منها ان استحلال الربا في دار الحرب يفضي إلى استحلال سائر المعاصي كالزنا واللواط والقتل وغير ذلك فيها أو مطلقا . وهذا سوء فهم منهم فان الفتوى ليست في استحلال الربا مطلقا كما تقدم. ولا يخفى على أحد منهم ان حرمة سفك الدم بغير حق أشد من حرمة أخذ المال بغير حق فهل يقيسون إذاً إباحة قتل المحارب على إباحة قتل المسالم من مسلم وذمي ومعاهد ؟ ولدار الحرب أحكام أخرى تخالف أحكام دار الاسلام منها عدم إقامة الحدود فيها

ونقول لهم من جهة أخرى إذا أقام المسلم في غير دار الاسلام فهل يدعون ان الله تعالى يأمره بأن يدفع لأهلها كل مايوجبه عليه قانون حكومتها من مال الربا وغيره ـ ولا مندوحة له عن ذلك ـ ويحرم عليه أن يأخذ منهم ما يعطونه إياه بحكم ذلك القانون من ربا وغيره برضاهم واختيارهم ؟ أعني هل يعتقدون ان الله تعالى يوجب على المسلم أن يكون عليه الغرم من حيث يكون لغيره الغنم ، أي يوجب عليه أن يكون مظلوما مغبونا

ان تحريم الربا من الاحكام المعقولة المعنى لا من التعبديات وما حرم الله تعالى شيئا إلا لضرره على عباده الخاضعين لشرعه ، وقد علل تحريم الربا في نص القرآن بأنه ظلم من حيث انه استغلال لضرورة الفقير الذي لايجد قوته أو ضرورته إلا بالاقتراض . والقرآن انما حرم الربا الذي كان معهوداً بين الناس في الجاهلية وهو الربا المضاعف كما تراه في تفسير ابن جرير وغيره من كتب التفسير المأثور ومنه قول ابن زيد (زيد أحد علماء الصحابة الاعلام وابنه من رواة التفسير المأثور) انما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السن: يكون للرجل على الرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول تقضيني أو تزيدني ؟ فاذا كان عنده شيء يقضيه قضى وإلا حوله الى السن التي فوق ذلك ، ان كانت ابنة مخاض (أي في السنة

الثانية) بجعلها ابنة لبون (أي في السنة الثالثة) ثم حقة (أي ابنة السنة الرابعة) ثم جذعة (في الخامسة) ثم رباعيا (وهو ما ألقى رباعيته ويكون في السنة السادسة) ثم هكذا الى فوق، وفي العين (أي الذهب والفضة) يأتيه فان لم يكن عنده أضعفه في العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا، فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة، يضعفها له كل سنة أو يقضيه، اه من تفسير آية آل عمران، وضرر هذا عظيم وهو قسوة تحرمها الآن جميع القوانين، ثم أوجب القرآن على التائب منه أخذ رأس المال فقط

وذكر ابن حجر المكي في الزواجر ان ربا الجاهلية كان الانساء فيه بالشهور، وهو الذي يسمى في عرف المحدثين بربا النسيئة وفيه ورد حديث «لاربا الا في النسيئة» رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أسامة بن زيد مرفوعا، ورواه مسلم عن ابن عباس عنه بلفظ «انما الربا في النسيئة» وفي لفظ «ألا انما الربا في النسيئة» وما صح من النهي عن ربا الفضل في الحديث فلسد الذريعة كما نص عليه المحققون

وانا قد فصلنا القول في مسألة الربا في التفسير وغيره من قبل فلا نعود اليها هنا وانما غرضنا بيان ان تلك الفتوى ليس فيها خطر على التوحيد ولا تقتضي تحليل شيء من المحرمات، ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعملن بها

﴿ المراد بالطعن في الدين ـ وكون مخالفة القرآن كفراً ﴾

(س٢٣و٢٤) لصاحب الامضاء في دمشق الشام — بنصه على غلطه في عبارته

لجناب الفاضل صاحب مجلة المنار الاستاذ رشيد رضا المحترم

قد وصلني جزء المنار الخامس فقرأت فيه قرار النيابة العامة عن كتاب الدكتور طه حسين وما علقه المنار عليه. وإذ لم أتيسر للحصول على نسخة من الكتاب المذكور حيث منعته الحكومة لم أقرأ منه إلا ماطبعته جريدة الميزان في دمشق ولكني مع ذلك سأوجه لكم الكلمات التالية فيها سؤالان أرجو إجابتكم إياها في المنار. ولربما تتعجبون من ذلك كما تعجبتم مرة من قبل عند ما سألتكم بعض الأسئلة فجاوبتم عليها في المنار، ولابد ان سبب تعجبكم هو الفكر الغارس

فيكم انه من واجبات المبشر المسيحي أن يطعن في الاسلام ، ولكني أتأمل ان المستقبل سيزيل هذا الفكر عنكم وعن بقية المسلمين فيدرك الجميع ان المسيحي لايبشر بالمسيح بين المسلمين الا لاعتقاده بوجود بشارة في ديانته المسيحية ليس لها وجود في الاسلام ولا يمكن وجودها فيه مع كل مايحتويه القرآن من الاوامر والنواهي المفيدة حيث يرفض الاعتقاد بموت المسيح على الصليب وقيامته من بين الاموات. وذلك ليس فقط اعتقاد بولس كما يقال ولكنه يظهر بكل وضوح من سفر أعمال الرسل ومن رسائل بطرس ويوحنا ان موت المسيح وقيامته هما محور تعاليم الرسل فأساس الديانة المسيحية منذ الاول ، ولكن ليس قصدي هنا أن أطيل الكلام في هذا الموضوع بل أتقدم إلى السؤالين الناتجين عن قراءتي جزء المنار الخامس

وأولهما : ماهو معنى الطعن في الدين ؟ انه ليس من أمري ولا من مقدرتي أن أحكم فيما إذا كانت استنتاجات الدكتور طه حسين ثابتة أم لا علميا ، ولكنه بحسب مايفهم من كتابه وصل اليها عن مباحثه العلمية دون غاية أخرى فهل يجوز تسميتها طعنا في الدين؟ أليس معنى الطعن نوعا من الاستهزاء والاحتقار ؟ أما اذا كان طعنا كل مايقال عن ديانة خلاف عقائدها فكيف نتجنب عنه في بلاد يسكنها المسلم بجانب المسيحي واليهودي وكل منهم لا يعتقد بعقائد الآخر بل يرفضها؟ أفيكون كل مايقولونه عن دين بعضهم لبعض طعناً وهم يتكلمون به عن ضمير صالح وان كانت أدلتهم غير مقبولة وغير مسلم بها عند الخصم ؟ أما الطعن اذا كان بمعنى الاستهزاء والاحتقار فيمكن التجنب عنه بل هو واجب

وسؤالي الثاني هو هذا : اذا وصل مسلم في أبحاثه العلمية إلى نتيجة تخالف شيئا من تعاليم القرآن أو من العقائد الاسلامية فهل يحسب لذلك كافراً أو طاعنا في الدين ولو كان لم يزل يعتبر نفسه مسلما في الامور الدينية والادبية ؟ وهذا السؤال يهمني جداً جوابه لانني بصفتي مبشر مسيحي لا أريد أن أقول عن مبادىء الاسلام ولا أن أفتكر عنها غير ماهو مسلَّم به من أهله ، ولا يبعد عني الفكر ان المسلمين المتنورين بعد مدة وجيزة سيغيرون اعتقادهم في القرآن فيميزون فيه بين الامور الدينية والادبية من جهة وبين الامور التاريخية والعلمية من جهة أخرى ،

كما صار أيضا بين المسيحيين لان كثيرين من المسيحيين اليوم يختلفون عن مسيحي القرن الثامن عشر في أفكارهم عن عصمة الكتاب المقدس مع أنهم لم يزالوا يشاركونهم بالايمان بالمسيح كمخلص العالم والوسيط الوحيد بين الله والناس .
ويوجد بعض الدلائل لحدوث تغيير كهذا في العالم الاسلامي كالذي يعمله الاتراك اليوم أو كالذي نجده في بعض المجلات الاسلامية العصرية كمجلة Islamic Revue حيث يقال في العدد الاخير ان قصة آدم لربما مجازية ولا واقعة تاريخية

قد باحثت في هذه الامور بعض المسلمين الاتقياء المتفكرين من الذين لا يرفضون البحث مع مبشر مسيحي ولكني للتخلص من المشاكل العلمية في القرآن لم أجد عندهم غير فكر التأويل لانهم لا يريدون أن يسلموا بوجود غلطة واحدة في القرآن من أي نوع كان ، والى الآن لم أجد أحداً يعترف بامكان بقاء المسلم مسلما تقيا اذا أوصلته دروسه العلمية الى نتيجة تخالف نص القرآن كمسألة وجود ابراهيم أو عدم وجوده التاريخي

قد يكون للمنار أسباب أخرى لتسمية الدكتور طه حسين بكافر ولكن سؤالي هو هذا فقط : اذا قال عالم مسلم بعد دروس علمية بعدم وجود ابراهيم التاريخي فهل بطل اسلامه أم بصورة أخرى هل يجب على المسلم أن يعتبر كل ما يقال في القرآن من الامور التاريخية والطبيعية أساسا متينا لا يجوز له أن يخالفه بشيء؟ ودمتم

القسيس ألفريد نيلسن الدانيمركي

[المنار] ماذكرتم في مقدمة السؤال من توقع تعجبي من سؤالكم خطأ، وما قلتم في الدفاع عن المبشرين وتبرئتهم من الطعن في الاسلام فقد طعن فيه بعضهم بالمعنى الذي به فسرتم الطعن، وكذلك قولكم ان المسيحي لا يبشر بالمسيح بين المسلمين الا لاعتقاده . . . فقد عرفنا من بعض المبشرين أنهم كانوا مستأجرين للتبشير فلما وجدوا رزقا من طريق آخر تركوه البتة ، وقولكم فيها ان كتاب أعمال الرسل ورسائل بطرس ويوحنا تثبت موت المسيح وقيامته لا يقوم حجة على المسلمين لعدم ثبوت هذه الرسائل عندهم وأنتم لا يمكنكم اثباتها بالتواتر إلى مؤلفيها كما علم مما كتبه علماء أوربة المحققون في تاريخها

أما الجواب عن السؤال الاول وهو ما معنى الطعن في الدين ؟ فهو أن

الطعن في اصل اللغة قد وضع لمعناه الحسي المعروف وهو الطعن بالرمح أو الحربة ثم اطلق على الذم والهجو والتكذيب والتحقير القولي الذي يؤذي المطعون فيه إيذاء نفسيا كما يؤذيه الطعن بالرمح أو الحربة إيذاء بدنيا ، وما كتبه طه حسين في كتابه المذكور قد آذى المسلمين وآلمهم فصدق عليه أنه طعن في دينهم. فالمسألة من المسائل التي تعرف بالبداهة ، وأما إذا نقل أحد من النصارى أو المسلمين أو اليهود نصوصا من كتب الآخرين مع الادب في العبارة وبحث في أدلتها، وقال انها لم تصح عنده أو عند أهل ملته وأن ما يعارضها عندهم هو الذي يعتقدون صحته ـ فان هذا لا يعده احد طعنا ، ومنه ما كتبه السائل في مقدمة سؤاله هذا وما رددناه به فهو ليس طاعناً في الاسلام بتلك العبارة ولا نحن طاعنون في النصرانية بردها

واما الجواب عن الثاني فهو ان من يعتقد اعتقادا مخالفا لنص القرآن القطعي الدلالة عالما غير متأول بحيث يعتقد ان خبر القرآن غير حق فلاشك في أنه لا يعد من جماعة المسلمين . فمن أنكر وجود آدم أو ابراهيم واسماعيل فهو كافر لانه مكذب لكلام الله تعالى ، لا من تأول قصة آدم في معصيته وتوبته وسجود الملائكة له إلا ابليس وما ورد في شأن إبليس من التخاطب مع الرب عزوجل فقال ان كل خطاب فيها تكويني لا تكليفي وأنها تمثيل لسنن الله تعالى في النشأة الآدمية البشرية ، فمن يقول بهذا (وقد قال به بعض علماء المسلمين كما تراه في تفسيرنا) لا يعد مكذبا للقرآن كمنكر وجود آدم وابراهيم واسماعيل بشبهة عدم ثبوت وجودهم بدليل علمي فانه ليس من شأن قواعد العلم العقلي أو الطبيعي إثبات وجود زيد وعمرو أو نفيه كما سيأتي ،

وهذا الذي صدر عن مصطفى كمال باشا ورجال حزبه من الترك كفر محض وارتداد عن الاسلام لا شبهة فيه وهم يقصدون به هذا الارتداد بغضاً في الاسلام وعداوة له ، وأما السواد الاعظم من الشعب التركي فلا يزالون على دين الاسلام وتقاليده كما عرفوها وهم يتربصون الدوائر بهؤلاء الذين يجبرونهم على الكفر بقوة الشعب ومال الشعب وجند الشعب .

وأما ما ارتأيته ان المسلمين المتنورين سيغيرون اعتقادهم في القرآن بعد مدة وجيزة فيميزون بين الأمور الدينية والادبية من جهة ، وبين الأمور التاريخية

والعلمية من جهة أخرى ، فيجعلونه معصوماً في الاولى دون الثانية كما فعل النصارى فهو بعيد وانما قربه الى ذهنك قياس الاسلام على النصرانية وقياس القرآن على العهدين القديم والجديد ، والفرق بين الامرين مثل الصبح ظاهر ، وفرضك إمكان قيام أدلة علمية تنفي وجود ابراهيم عليه السلام غير معقول لأن هذا النفي ليس مما يثبت بالعلم

فان وجود ابراهيم واسماعيل متواتر عند الاسرائيليين وعند العرب وان نازعنا منازع في التواتر التاريخي المتصل وفي الانساب المتسلسلة به المثبتة له علميا فلا يمكن الاتيان بدليل ينفي وجوده علميا لان نفي وجود شيء في القرون الخالية لا يمكن الا اذا كان وجوده محالا عقلا ، ووجود رجل اسمه ابراهيم غير محال عقلا ، وقد جاء خبر الوحي مؤيداً لخبر البشر المشهور أو المتواتر وهو أقوى منه متى ثبتت صحة الوحي وهي ثابتة عند أهله فاذاً لا يمكنهم الجمع بين التصديق بالوحي وانكار وجود ابراهيم

نعم قد يوجد شبهات تاريخية قوية تعارض إثبات وجود رجل مشهور خبره غير متواتر أو تعارض دعوى تواتره كقول بعض من أنكر وجود المسيح عليه السلام : ان يوسيفوس مؤرخ اليهود الشهير لم يذكره في تاريخه مع أنه كان في العصر الذي قالوا انه وجد فيه وقد ذكر من تاريخ اليهود ماهو دون مسألة وجود المسيح فليس من المعقول أن يحفل بتلك الاخبار الصغيرة ويسكت عن هذا النبا العظيم الذي هو أهم ماعزي إلى تاريخ قومه عندهم إذ كانوا كلهم ينتظرون قيام المسيح ولا يزالون كذلك إلى اليوم ، وقد رددنا هذه الشبهة بأنها أمر سلبي قد يكون له علة أقربها إلى التصور ان هذا المؤرخ لم يصدق دعوى المسيح فأحب أن لا يذكرها لئلا تكون فتنة لبعض قارئي كتابه فيكون كالداعية له

ومثل ذلك انكار بعضهم لوجود (هوميروس) شاعر اليونان وزعمهم انه رجل خيالي نسب اليه ذلك الشعر الكثير البليغ ولا بدع في ذلك فالقصص الخيالية والابطال الخياليون مما عهد وكثر في تاريخ الاغريق ، ومثله (مجنون ليلى) في تاريخ العرب المشهور انه رجل من بني عامر اسمه قيس كان يعشق امرأة اسمها ليلى وجن بحبها فالقب بمجنون ليلى وشبب بها بأشعار اشتهرت في الادب العربي شهرة واسعة وقيل ان هذه الاشعار لرجل من بني أمية نسبها الى قيس العامري لأجل اخفاء اسمه ،

بقي شيء لا ينكره علماء المسلمين وهو يقرب مما عليه أهل الكتاب في التفرقة

بين ما جاء به الدين من أصول الايمان بالله واليوم الآخر وعالم الغيب ، وأصول الآداب الدينية والعبادات وأحكام التشريع - وبين مايذكر في الكتب الالهية من أمور الخلق والتكوين وأحوال المخلوقات العلوية والسفلية . وذلك ان القسم الاول هو المقصود بذاته لاصلاح أمور البشر وتزكية أنفسهم وتهذيب أخلاقهم وإعدادهم لحياة أعلى من حياة الدنيا فهو يؤخذ برمته لذاته كما أمر الله ورسله . وأما القسم الثاني فانما يذكر في الكتب الالهية لبيان آيات الله في خلقه الدالة على وحدانيته وقدرته وحكمته ورحمته وسائر صفات الكمال الثابتة له ، ولأجل المواعظ والعبر . ولا يراد من ذكرها مايريده أهل الفنون والصناعات ولا مدونوا التواريخ من بيان حقائق أمور العالم العلوي والسفلي بقدر الطاقة التي توصلهم اليها أبحاثهم كعدد الكواكب وأبعادها ومساحتها وحركاتها وطبائع المواليد الثلاثة وسنن الله فيها ومنافعها ومضارها وغير ذلك مما جعل الله في استطاعة البشر الوصول اليه ببحثهم وحدهم بدون توقف على الوحي الالهي . ويرى السائل هذا المعنى في الجزء الاول وغيره من تفسيرنا . فاذا وصل بحث الباحثين في أمور الكون الى حقيقة مخالفة لظاهر الوحى فيها وصار ذلك قطعياً وجب تأويل عبارة الوحي فيها بحملها على التجوز أو الكناية أو مراعاة العرف كغروب الشمس في العين أو البحر مثلا وتخبط الشيطان للمصروع في قول . ونعتقد نحن معشر المسلمين ان من مزايا كتابنا انه ليس فيه نص قطعي الدلالة يمكن أن ينقضه دليل عقلي أو علمي قطعي كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ولا يستطيع أهل الكتاب مثل هذه الدعوى في كتبهم . ولكن المسلمين على موافقة كتابهم وقطعيات دينهم للعقل وعدم تعارضهما مع العلم قد استحوذ على أكثرهم الجهل به من الجهتين الروحية والاجتماعية فلا يشعرون بالحاجة الى الاعتصام به كما يشعر أكثر النصارى في الغرب بالحاجتين ويبذلون الملايين في خدمة دينهم ونشره على مافي نصوص كتبه من مخالفة العقل والعلم التي لم يسعهم إنكارها ، حتى قال أعظم رجل فيهم انه لا يضرنا ثبوت اقتباس شريعة موسى من شريعة حمورابي ولا يحملنا على ترك هداية الكتاب المقدس اذ لا يوجد لدينا كتاب غيره تعرّف فيه الرب الى خلقه بصفوة أنبيائه ورسله - أو ماهذا معناه .

سعد زغلول

فطرته واستعداده ـ تربيته العقلية والنفسية ـ تعليمه ـ ونتيجة ذلك

(١)

ان اسم «سعد زغلول» أو «سعد» وحده قد صار أشهر وأكبر ـ وهو غفل من الألقاب والنعوت ـ من كل ما تتحلى به أسماء العظماء وتحلي هو به من لقب ونعت كالزعيم والرئيس الجليل وذي الرياستين والوزير الخطير ورئيس الوزراء أو رئيس مجلس النواب. أعني أن جميع طبقات الناس صاروا يعدون شخص الرجل أكبر وأعلى بصفاته ومزاياه الذاتية، من كل المناصب الرسمية وغير الرسمية التي وصل اليها. ذلك بأن هذه المناصب قد تحلى بها غيره ولم يكن لأحد منهم معشار ما بلغه من اجلال أمته وغير أمته له

وعدت بأن أكتب شيئاً في ترجمة سعد يليق بمشرب المنار، وقد كان يخطر بالبال أن اضطراري إلى تأخير انجاز الوعد يجعلني مضطراً للاقتباس مما كتبه غيري لأن جمهور الكتاب من تاريخيين وسياسيين ومترسلين وجمهور الشعراء المفلقين قد تسابقوا إلى تأبين سعد ورثائه وكتابة تاريخه ببلاغة رائعة وعناية تامة؛ شارك فيها المصريين سائر الشعوب العربية من فلسطين إلى سورية إلى العراق إلى عمان وجزيرة العرب في الشرق ومن تونس والجزائر إلى مراكش في الغرب

ناهيك بحفلة التأبين الكبرى في العاصمة وما قاله فيها الوزراء والرؤساء، ومصاقع الخطباء وخناذيذ الشعراء، وبتراجم الجرائد الكبرى وما توخاه محرروها من الاستقصاء

حضرت حفلة التأبين الكبرى وسمعت ماقيل فيها مما أبكاني وأبكى جمهرة الحاضرين، وقرأت كثيراً مما نشر في أشهر الجرائد، ولا أدعي أنني قرأت كل ماكتب في الصحف التي ترسل إليّ وهي تعد بالعشرات، دع مالا يرسل إليّ منها وهو أكثر، ولكنني على كثرة ماسمعت وقرأت قد بقي لي ما أقوله مبتدأ غير مقتبس، ومبتكراً غير منتزع، بيد أنه لابد من مزجه بغيره مما قد يعرفه كل أحد

ومن الغريب أن جميع من وقفت على كلامهم قد قصروا في بيان أهم شيء في تاريخ الرجل وهو تربيته وتعليمه مع اجماعهم على أن التربية والتعليم هما بعد الاستعداد

الفطري كل شيء، على أنهم قصروا في الكلام على استعداده أيضا كما قصروا في الكلام على ايمانه بالله عز وجل الذي هو السبب الاكبر في كل ما رأوا من شجاعته واستهانته بالمصائب، واهتمامه بمعالي الامور وعزوفه عن سفسافها. نعم إنهم قصروا فيما يجب بيانه من هذه الامور الاربعة وهي البذرة والجرثومة فالشجرة وكيف نبتت واستوت على سوقها ورسخ أصلها، وعلا في السماء فرعها، فأينعت ثمراتها، وآتت أكلها ضعفين باذن ربها. وحق المنار على قرائه أن يتلافى هذا التقصير ويتم ماكتب غيره في موضوعه

(١) نفس سعد وفطرته

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا إلى النبي ﷺ في جواب من سألوه عن أكرم الناس وأرادوا معادن العرب وأنسابها. وقوله « كمعادن الذهب والفضة » من زيادة رواية العسكري. والمعنى أن الناس في اختلاف استعدادهم للخير والشر كما في رواية أبي داود الطيالسي للحديث معادن بعضهم كالذهب والفضة في صفاء جوهره وجماله وبقائه وقلة قبوله للخبث والصدإ، وبعضهم كالزنك والقصدير في ضعف مادته وسرعة قبوله للصدإ والتلف، وبعضها كالنحاس والحديد بين ذينك وذين. وقد كان سعد ذا مزايا فطرية ووراثية يعد بها جوهر نفسه من أزكى النفوس، وعقله من أذكى العقول، كان ذكي الفؤاد شجاع القلب، دقيق التمييز عظيم الاقدام، عالي الهمة، يحب المعالي ويحتقر الصغائر؛ عرفت فيه هذه الصفات الفطرية من صغره، وتجلت تمام التجلي في كبره، فكانت هي الاصل في استفادته مما صادفه من حسن التربية والتعليم، وقد روى الطبراني في الكبير من حديث الحسين بن علي مرفوعا وحسنه « إن الله تعالى يحب معالي الامور وأشرافها، ويكره سفسافها »

ولد سعد سوي الخلق، جميل الصورة، تام البنية، كبير الدماغ، مستعداً لتربية يكون بها من عظام الرجال، وهو من عرق عربي أصيل ورث عنه الشجاعة والاقدام، وغريزة الحرية والاستقلال، ولم يكن يحتاج إلا إلى رجل

حكيم جمع بين العلم الصحيح ومكارم الاخلاق وعلو الهمة وشرف المقصد يربي فيه هذه الغرائز وينميها ويصقل معدنها ويضعه حيث ينتفع به ، وكم وكم يولد في الامة من أطفال أزكياء الفطرة فيفسد فطرتهم سوء التربية، كما يوضع المعدن النفيس في السبخة ، فيعلوا طبعه الطبع ، الى أن يأكله الصدأ .

تربيته وتعليمه

اذاً إن خير ماقيضه الله لسعد فكان بعد ماذكرنا من استعداده سببا لكل ماظهر منه من المزايا أن ساقه في أول نشأته إلى كنف نادرة الزمان المصلح الكبير الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده عند ماأراد طلب العلم في الازهر ، ولم اسأله ولا سألت شيخنا وشيخه عن أول أمره فيه ولكنني علمت منهما أنه لم يكن يعجبه درس غير درس الاستاذ الامام بعد أن اعتاده ، فسعد قد جلس إلى كثير من شيوخ أستاذه وغيرهم من شيوخ الازهر ولم يستفد الا من واحد منهم ولم يتخرج الا به بل كان كثيراً مايجلس إلى تلك الدروس مختبراً للشيوخ والطلبة منتقداً عليهم في نفسه تارة وبلسانه تارة كما سمعت من لسانه ، وسأنشر في هذه الترجمة بعض مكتوباته المصرحة بذلك

قال لي مرة : علمت أن الشيخ احمد الرفاعي يقرأ درسا في المنطق — لعله قال شرح السلم أو إيساغوجي — فجلست في درسه لأعلم كيف يقرأ علماهو في عقله من أبعد الناس عنه ، فاذا هو يبدي احتمالين في اعراب عبارة يقتضي أحدهما بطلان القاعدة المنطقية التي يقررها وهي كون القضية الكلية السالبة تنعكس جزئية ولا يطرد عكسها كلية فلا يصح . فقلت له : ياسي الشيخ إن هذا الاعراب يبطل القاعدة من أساسها فلا يصح أن يكون مراداً . فقال: مالنا ؟ هم العلماء قالوا اذا صح الاعراب صح المعنى ؟ فعجبت لا ستاذ يقرر بطلان قواعد العلم القطعية فيه بايراد احتمال في اعراب عبارة مؤلف فيه !أو ماهذا معناه

وقال لي مرة انه حضر له درساً آخر في علم آخر — لعله السعد أو جمع الجوامع — فاستمر الدرس ساعتين كاملتين (قال) ولم أحضره من أوله، وكان موضوعه مسألة واحدة لم يستقر ذهن الشيخ على فهم رضيه فيها إلا بانتهائه ، وهنالك تنفس

الصعداء وقال الحمد لله ، هذه المرة فهمناها في درس واحد ، وقد قرأت هذا الكتاب مرتين قبل هذه ، فأما الاولى فقد استغرق بحثنا في هذه المسألة ثلاثة دروس مثل هذا الدرس ، وأما الثانية فقد فهمناها في درسين مثله في طوله . قال سعد فقلت له : ياسي الشيخ لم لم تكتبوا الحل الذي فهمتوه في المرة الاولى أو الثانية بعد ذلك التعب الطويل فيها لتستغنوا عن هذا التعب في كل مرة ؟

وإننا رأينا بعض الجرائد تذكر أن الشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى كان من أشياخه كفلان وفلان ، نعم وكان من أشياخ شيخه أيضا ، ولكن هل علم أولئك الكاتبون بما استفاده من فلان وعلان ؟ ولم أر أحداً منهم بين أن أستاذه الذي تخرج به هو فلان، بل ذكروا أو ذكر بعضهم أنه كان يحضر مع «صديقه» الشيخ محمد عبده دروس الحكيم السيد جمال الدين الافغاني، والسيد لم يكن يقرأ إلا دروساً عالية في الفلسفة والكلام والأصول، ذكرنا كتبها في تاريخ الاستاذ الامام ، إذ كان سعد مبتدئاً لم يستعد لحضور تلك الكتب، ولكنه كان يختلف إلى مجلسه بالتبع لأستاذه فيستفيد منها علماً وحكمة وأدبا وسياسة لأن مجالس السيد رحمه الله كانت كلها كذلك كما قلت في المقصورة الرشيدية

وأشرع الطريق للاصلاح من علم وحكم ولسان وحجا
بما أفاض من هوامي حكمة قد زانها فصل الخطاب ونثا (١)
في خطب يحيي القلوب وقعها وتكشف الخطب وتبعث الرجا
وفي دروس كتب أحيا بها من دارس العلوم ما كان عفا
وفي أماليّ بها أنشأ من معالم الانشاء ما كان امّحى
يقبسون في ثبا (٢) من داره مريده والشمس في رأد الضحى
ثباً له ينحوه أهل الرشد ما بين ثبات وفرادى وثنى
وفي كؤوس سمر يديرها في سامر (البورصة) ما الليل سجا (٣)

(١) نثا الشيء ينثوه أظهره (٢) الثبا بالضم المجلس الذي يحوي الأكابر
(٣) السامر محل السمر وهو الحديث في الليل والمراد به مقهى كان يسمى (قهوة البورصة) بجوار حديقة الازبكية

لا لغو بين شربها يخشى ولا غول فيغتال الجسوم والنهى (١)
تنازعوها حيث لا تنازع صرفا بأفواه العقول تحتسى

كان سعد زغلول مريداً للاستاذ الامام لاتلميذاً فقط ، أعني أنه كان ربيبه ولا يصح لكل من حضر دروسه أن يدعي أنه مريده ولا ربيبه ، وكان هو يعبر عن نفسه في مكتوباته للامام بالمريد ، وهذا اللقب من اصطلاح الصوفية الذين كان مدار التربية الروحية عندهم على تربية الارادة . وتربية الارادة هي التي يكون بها الرجل رجلا حراً من الرق والعبودية لغير الله عز وجل — طليقاً من الاسر أسر الشهوات والاهواء ، فلا تكون ارادته خاضعة إلا لاعتقاده ، لايتصرف فيها ملك من الملوك ، ولا تستخذي لناسك من النساك ، بل يأبى أن تذل وتخزى لسلطان الجمال أيضاً .

وكان منهاج الاستاذ الامام في التربية أن تكون غاية التأديب والتثقيف حرية الارادة وقوة العزيمة ، ومنهاجه في التعليم أن تكون غايته حرية الفكر ، واستقلال العقل في الحكم ، ويدخل في هذا تعليم الدين فقد كان منهاجه فيه الرجوع إلى مذهب السلف الصالح ، وفهم الدين من الكتاب والسنة كما كانوا يفهمون، والاهتداء به في الاخلاق والعمل كما كانوا يهتدون ، والتوسل إلى ذلك بتحصيل ملكة اللغة العربية قولا وكتابة وخطابة عن فهم وذوق للكلام العربي الفصيح بكثرة مزاولته مع الاستعانة بأحسن ماكتب في فنونه . وجعله صديقا للعلم وعونا له على إصلاح البشر ، وكان يمزج التربية والتعليم بشيء من السياسة يرى أنه لاتتم انسانية المرء ولا كونه حراً مستقل الارادة والفكر بدونه ، وهو الدعوة إلى استقلال الامة وحريتها ، وعدم استعباد حكامها لها . ويدخل في هذا الروح السياسي مسألة الوطنية واتفاق أهل الوطن على مصالحهم الوطنية من غير جناية على الهداية الدينية

وقد كتب فيما شرع فيه من ترجمة نفسه هذه المقاصد قال : وارتفع صوتي

(١) الشرب بالفتح جماعة الشاربين والغول بالفتح مافي الخمر من السم الذى يغتال العقل ويزيله ، وهو مايسمى في عرف الاطباء بالكحول أو الألكول

بالدعوة إلى أمرين عظيمين (الاول) تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف . والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خبطه وخلطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هـذا الوجه يعـد صديقاً للعلم ، باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل . وكل هذا أعده أمراً واحداً

« وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهـا جسم الامة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هـذا العصر ومن هو في ناحيتهم

« وأما الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس . وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب الخ

(ثم قال) « وهناك أمر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعاً في عمى عنه وبعـد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعيـة ، وما أصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلوّ مجتمعهم منـه . وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمة التي لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا ـ دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم، وأنه لا يرده عن خطأه ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصح الأمة له بالقول وبالفعل

« جهرنا بهـذا القول والاستبداد في عنفوانه * والظلم قابض على صولجانه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أيّ عبيد * اهـ

كان سعد أيام طلبه للعلم في حجر الامام وكنفه كولده لا كسائر تلاميذه فكان يستفيد من علمه وعمله، ومن أخلاقه وشمائله، ومن فصاحته وبلاغة كلامه، فشب بين يديه كاتباً خطيباً، أديباً سياسيا، وطنياً اسلاميا،

لأجل هذه النزعة السياسية نفى الخديو توفيق باشا الاستاذ الامام من القاهرة إلى بلده محلة نصر في الغربية عقب نفي أستاذه السيد الافغاني إلى الهند، وكان يعلم أنهما قد بثا في مريديهما فكرة الحكومة النيابية الدستورية في الحزب الوطني الذي ألفه السيد وكان سبباً لاسقاط اسماعيل باشا بالتواطؤ مع ولي العهد توفيق باشا الذي كان انتمى إلى هذا الحزب وعاهد رئيسه السيد على أن يجعل حكومة مصر نيابية اذا آل أمرها اليه الخ مابيناه بالتفصيل في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الذي سيصدر عن قريب إن شاء الله تعالى، ثم انقلب على الحزب وزعيمه بدسائس الطامعين في ملكه وهو لايدري

وأعجب من هذا أن توفيق باشا أبى على الاستاذ الامام ماطلبه بعد عودته إلى مصر بانتهاء مدة نفيه من أن يكون مدرساً في مدرسة دار العلوم لئلا يربي طلابها على أفكاره الاستقلالية — وأمر البلاد في أيدي المحتلين لا في يده — وأمر بعد العفو عنه بأن يجعل قاضياً في المحاكم الاهلية ولكن في غير القاهرة فقال الاستاذ لوزير الحقانية لما عرض عليه ذلك إنني لم أخلق قاضياً ... وانما خلقت معلماً على أنني أعلم أنني اذا دخلت القضاء ارتقى إلى أعلى درجة فيه وأن التعليم ليس فيه ارتقاء

هكذا كان شيخنا الاستاذ الامام، وشيخه السيد الافغاني موقظ الشرق وحكيم الاسلام، يعلمان ويربيان مريديهما ويعدانهم لكل اصلاح. كانا يشبهان في استفادة الناس منهما الكون الاعظم أو العالم الكبير: سماؤه وما فيها من النيرات، وأرضه وما فيها من جماد ونبات وحيوان، كل أحد يأخذ عنهما كما يأخذ عن الكون ماهو مستعد له بفطرته، وبماتوجهت اليه نفسه في تربيته، وكانت مجالسهما وأوقاتهما كلها علم وحكمة كعالم الكون الاكبر لاتحجب عن أحد، فكانت صيقلا لمعادن مريديهما تعدها للنفع والفائدة للناس، والقيام بما يتيسر للمرء من المصالح العامة،

وقد كان تعليم سعد دينياً أدبياً سياسياً، فعرض له أن يكون محامياً في المحاكم الاهلية ففاق جميع المحامين ، بل كان أول من جعل لهذه المهنة قيمة واحتراما لم يكونا لها من قبله ، ثم طفر منها طفرة إلى أعلى درجة في القضاء الاهلي فكان مستشاراً في محكمة الاستئناف في الذروة العليا منها ، وتعلم اللغة الفرنسية وقوانينها في أثناء اشتغاله بهاء وذلك أن من كان مريداً للاستاذ الامام يصلح لما تعلم الوسائل له ولما لم يتعلم وسائله . قال لي الامير شكيب أرسلان الشهير : قلت لاستاذنا الامام إن الدولة عرضت عليّ أن أكون مديراً للمعارف في ولاية بيروت فامتنعت معتذراً بأن استعدادي للأمور الادارية العامة لا للتعليم - فعذله الاستاذ عذلا شديداً لقوله إنه غير مستعد لادارة التعليم ... وإني أنقل هنا كتابا من كتب سعد لاستاذه ليقف القاريء منه على ما كان من إثر تربيته له في نفسه ، وسأنقل غيره أيضا ان شاء الله تعالى

﴿ أول كتاب من سعد الى الاستاذ الامام ﴾

(بعد عودته من أوربه إلى بيروت أيام النفي بعد الثورة العرابية)

من مصر ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ إلى بيروت

مولاي الافضل، ووالدي الاكمل، أحسن الله معاده

بعد تقبيل الايدي الكريمة قد ورد الكتاب الكريم على طول تشوقنا اليه ، فتلوناه ووعيناه في الفؤاد ، وحمدنا الله تعالى على أن شرفتم تلك الديار سالمين، مبالغًا في اكرامكم والاحتفال بكم من كرام أعيانها المسلمين، وأماجد نبهائها المؤمنين، جزاهم الله عن كل مصري يعرف مقداركم خير الجزاء

ولهم منا معشر أتباعك ومريديك بما تقبلوك به من كريم الاحتفال، وعظيم الاجلال، ألسنة مرطبة بالثناء عليهم ، وضمائر مطوية على مزيد احترامهم وفائق تعظيمهم ،

صحتي البدنية معتدلة أما فكري فقد تولاه الضعف من يوم أن صدع الفؤاد بالبعاد ، وتمثلت فيه بعد تلك الحقائق التي كنت تجلو مطالعها معان ، نعرفها أوهاما يضيق بها الصدر ولا ينطلق بردها اللسان ، مخافة فوات مرغوب ، أو لحاق مكروه مما تعلمون

توجهت إلى البيك صاحب تاريخ العرب وسألتــه إعارته فأجاب بأن محمود سامي أخذه منه وسافر ولم يرده اليه ، ثم هو يسلم عليكم أطيب السلام ويقول إنه مستعد لخدمة جنابكم في أي شيء تريدون حسياً كان أو معنوياً .وسأتحرى هـذا الكتاب في كتب سامي عند بيعها فاذا وجدته فيها اشتريته وأرسلته في الحال إلى حضرتكم أو أحضرته معي إن وافق ذلك استجماعي لوسائل السفر

الحال العمومية على ماتركتها ، غير أن الناس أخذوا في نسيان مافات من الحوادث وأهوالها، وقلّت قالتهم فيها ، وخفت شماتة الشامتين منهم ، وأصبح المادحون للانكليز من القادحين فيهم ، وبالعكس . والكثير يتوقع انقلاباً أصلياً والله أعلم بما يكون

رفعت تحيتكم لجميع من ذكرتم في الكتاب تصريحا وتلويحا فتقبلوها بمزيد المسرة والانشراح . يسلم على جنابكم الصادق في صداقته ومودته حسين أفندي وهو في غاية من الصحة والعافية وقد عاد من الريف فراراً من شروره ، آسفاً على ماوقع لجنابكم أكثر من أسـفه على نفسه . الشيخ محمد خليـل والشيخ عامر اسماعيل والشيخ حماده الخولي والسيد عثمان شعيب والشيخ حسن الطويل ووالدى عبد الله وأخواي شناوي وفتح الله (هو المرحوم أحمد فتحي باشا) وكثير غيرهم يقبلون يديكم ، ويسلمون عليكم ، ويقدمون مزيد تشكرهم لحضرات أولئك الكرام الاماجد الذين أحسنوا وفادتكم وأكرموا مثواكم، زادهم الله كرماو كمالا

مولاي: ذكرت لحضرتك ان الضعف ألمّ بفكري فبالله الا ماقوّيته بتواصل المراسلة غير تارك فيها ماعودتنا على سماعه من النصائح والحـكم التي نهتدي بها الى سواء السبيل ، وتتمكن بها من السير في العالم المصري الذى اختبرت حقائقه، وعرفت خلائقه ، وما يناسبها من ضروب المعاملة . وفقنا الله لمتابعتك ، ولا أطال على بلادك مدة غيبتك ، انك إمامها وان اقتدت بغيرك ، ومحبها الصادق وان لم تعرف بقدرك ، والسلام ولدكم

سعد زغلول

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد
(٤)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

(المقام السابع عشر) قوله ثالثها أن يراد بها النهي عن انشاء المساجد واتخاذها حول القبور وهذا التأول أيضا خطأ لانه لامحذور في أن يتقرب العبد الى الله تعالى ببناء مسجد تقام فيه الصلوات في تلك البقاع الشريفة مع ماورد من أن من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وهو حديث عام لايختص بقعة دون بقعة ولا بزمان دون زمان بل بناؤه وانشاؤه أولى لانه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف شرف البقعة وشرف المسجدية (*) ثم أيد تأويله بكلام البيضاوي الذي سبق رده

(أقول) فيه مردودات أولها قوله إن تفسير الاحاديث بذلك تأول وليس كذلك بل ذلك معناها الذي تدل عليها مطابقة بلا تأويل ولا تحتمل خلافه البته ، وقوله إنه خطأ تسمية للشيء بضده ونحن وجميع علمائنا شاهدون بالله أن ذلك هو عين الصواب يقينا

قوله : اذ لامحذور في أن يتقرب العبد الى الله ببناء مسجد في تلك البقاع الشريفة . أقول بلى والله فيه أعظم محذور وهو معصية الرسول ومحادّته كما تقدم عن شيخ الاسلام والتعرض للعنة الله وفتح باب الشرك

*) ص ٣٥٧ ج ٥ م ٢٨

واضلال الناس والتشبه بالامتين المغضوب عليها والضالة فنشدتك أي محذور أعظم من هذا وهل يكون التقرب الى الله بمعصية رسوله ومشاقته والاستخفاف بأمره ونهيه ؟ وقوله مع ماورد من أن من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة الخ أقول هذا عام والنهي عن اتخاذ المساجد على القبور خاص فهو مخصوص به ولو ترك على عمومه ولم يلتفت الى المخصصات لكان الذين اتخذوا مسجدا ضراراً مستحقين أن يبني الله لهم بيوتاً في الجنة ولكن الله أخبرنا عنهم بما يقتضي أنهم يعاقبون على بناء ذلك المسجد لانهم بنوه لمعصية الرسول وكذلك من بنى مسجداً عند قبر وفى الزواجر لابن حجر الهيتمي وهو ممن يجوز شد الرحال لزيارة القبور وغير ذلك من المردودات قال: ان اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها كل ذلك من كبائر المعاصي ثم أورد الاحاديث في ذلك وذكر كلام الفقهاء من الشافعية والحنابلة ومنه أنها من أسباب الشرك الى أن قال وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية الرسول اهـ

فمن بنى لله مسجداً مأذونا فيه بنى الله له بيتا في الجنة وأما من بنى مسجدا منهيا عنه أشد النهي ملعونا بانيه معدوداً من شرار الخلق مشتداً غضب الله عليه فانما يتبوأ دركا في النار ان لم يتب ويسارع الى هدم ما بنى على القبر

قوله بل بناؤه وانشاؤه في البقاع الشريفة أولى لكونه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف

أقول هذا قياس مصادم للنص وهو فاسد الاعتبار وشرف الاماكن لا يثبت بالعقل بل مرجعه الى الوحى

وأعلم الناس بالشرف والفضل هو الذي لعن باني المسجد على القبر ونهانا عن ذلك وقال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأخبر أن فاعل ذلك من شرار الخلق فيتصور بعدهذا أن يكون للمسجد المتخذ على القبر شرف فضلا عن أن يكون أشرف من المساجد التي أذن الله فيها وأثنى على عامريها . وأما كلام البيضاوي في تجويز بناء المسجد عند قبر الصالح للتبرك فهو فاسد وقد تقدم رده ، ثم رأيت الشوكاني رده بمثل مارددته به فلله الحمد وهذا نفسه في المجلد الثاني من نيل الاوطار ص ١٤٠ واستنبط البيضاوي من علة التعظيم جواز اتخاذ المساجد في جوار قبور الصلحاء للتبرك دون التعظيم ورد بأن قصد التبرك تعظيم اه بتفسير يسير

(المقام الثامن عشر) قوله إنه لا يتصور صدور السجود للقبور من مسلم(١) ان كان مراده المسلم المؤمن الذي يميز التوحيد من الشرك فنعم وأما إن كان مراده أن كل من انتسب الى الاسلام لا يتصور منه السجود لغير الله فليس كذلك بل هو متصور ومصدق أيضا يعني أنه تجاوز التصور الى التصديق أي ادراك وقوعه. وسجود أصحاب الطرق لاشياخهم مشهور حتى انهم يدعون جوازه ويجادلون فيه ، وكذلك السجود للقبور والصلاة موجودان في زماننا وقد أخبرني ثقة وانا أكتب هذا أنه شاهد في السنة الماضية حين كان في النجف وكربلاء الناس يصلون الى الضرح ويسجدون لها فقلت له إن السيد مهدي يستبعد هذا بل يعده محالا فقال لي أنا أروح معك الى السيد مهدى بعد الفطر وأخبره إني رأيت ذلك بعيني وأنا عازم

---

١) ص ٣٦٠ ج ٥

أن آتيكم به وقد تعجبت كثيرا كيف لم تطلعوا على مايفعله الجهلة بالنجف وكربلاء وبغداد من الاعمال الشركية التي تقشعر منها الجلود ولا يختص ذلك بالشيعة بل لمن يذسبون أنفسهم الى السنة الحظ الاوفر منه عياذاً بالله .

قوله مع أن قبور الائمة محاطة بصناديق وشبابيك تمنع من وصول أحد الى نفس القبر . أقول ولكنها لا تمنع من السجود حول الصندوق والصلاة له بل التوابيت المزخرفة هي التي تملأ قلوب الجهلة هيبة واجلالا فيعبدون القبور وأصحابها ولذلك نهى النبي ﷺ عن البناء على القبر وأمر بهدمه .

(المقام التاسع عشر) قوله وأهل السنة مشاركون للشيعة في ذلك(١) أقول اللهم نعم وأشهد بالله وكل من يقرأ المنار أو يعرف صاحبه أنه شدد النكير عليهم اكثر مما آنكر على الشيعة

(المقام العشرون) قوله مضافا الى أنا لم نجد احداً بنى مسجداً حول القبور المشهورة (١)اقول ان لم تطلعوا على ذلك فلا ينبغي لكم ان تنفوا كل ما لم تطلعوا عليه فانكم إن فعلتم نفيتم أشياء كثيرة واقعة بلى والله قل ان يوجد مسجد في مصر القاهرة وغيرها الا وهو على قبر أو بقرب قبر حتى صار العامة وبعض من يزعم أنه من الخاصة إذا أراد أن يبني مسجداً بحث عن قبر رجل صالح يبني عليه ويجد حرجا في صدره أن يبني المسجد على غير قبر (فاسأل به خبيرا) وهذه من اعظم معجزات نبينا ﷺ فان الله اطلعه على ذلك فلذلك شدد النهي عنه .

(المقام الحادى والعشرون) قوله على ان مجرد الصلاة والدعاء يعني في مشاهد قبور الائمة لا يصيرها مساجد(١)ولو أن أحداً واظب على

(١) ص ٣٦٠

أن يصلي ويدعو ويقرأ القرآن في مدة حياته في مكان خاص من بيته فان ذلك المكان بالضرورة لا يصير مسجدا بكثرة العبادة فيه

أقول ماقاله غير مسلم بل كل مكان أعد للصلاة فهو مسجد شرعا سواء اتخذه رجل في بيته أم عند قبر أم في غير ذينك

قال البخاري (باب المساجد في البيوت) وصلى البراء بن عازب في مسجد داره جماعة ثم روى بسنده عن عتبان بن مالك أنه أتى رسول الله ﷺ فقال قد أنكرت بصري وأنا أصلي بقومي فاذا كانت الامطار وسال الوادي الذي بيني وبينهم لم استطع أن آتي مسجدهم فاصلي بهم ووددت يارسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فاتخذه مصلى الحديث وفيه أن النبي غدا عليه ومعه أبو بكر فصلى في ناحية من بيته اهـ بعضه بالمعنى

وأخرج أبو داود والترمذي عن عائشة قالت أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب وفي البخاري أن أبا بكر ابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن قالت: وكان ذلك في مكة وفيه وصلى ابن عون في مسجد في دار يغلق عليهم الباب. فثبت ماقلته من أن كل ما كان أعد للصلاة يسمى مسجداً شرعاً ولغة.

(المقام الثاني والعشرون) قوله أما الحديث الذي وعدنا فيما سبق ببيان معناه وهو المروي عن أمير المؤمنين (ع) قال بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور. فليس فيه بيان المواضع المبعوث اليها ولا بيان القبور التي بعثه في هدمها لكن متن الحديث يرشدنا الى أن الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ أو من بلادهم وان القبور قبورهم ثم ذكر ان الصور هي الاصنام المعبودة أو التماثيل. وأيد ذلك بما يجده المنقبون

من الآثار في قبور الفراعنة وغيرهم ثم قال ومن المعلوم أن في زمان النبي ﷺ لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبناءات الضخمة حتى يبعث من يهدمها ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي عنه (ع) قال: ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته(١)

قوله ليس فيه بيان الموضع ولا بيان القبور الخ أقول هنا حجة لنا على ان الحديث عام غير مخصص بشيء بل لو عين الموضع والقبور فيه أو في غيره من الاخبار ما كان ذلك مخصصا للفظه لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل ما تكلف في استنباطه لتأييد ان القبور قبور المشركين لا يجدي شيئا لان أل في القبور للاستغراق او الجنس فاللفظ شامل لقبور الانبياء والائمة بل هي من باب أولى لعظم المفسدة ببنائها والبناء عليها وللوعيد الشديد الوارد في بنائها بالخصوص من اللعن وشدة غضب الله وكون فاعل ذلك من شرار الخلق ولو زعم زاعم أن الهدم مخصوص بقبور الانبياء والصالحين للوعيد الوارد فيها بالخصوص لكان أقرب من عكسه عند من أنصف . ومما يرد تأويله أن هذا الحديث اتفق الفريقان على روايته ولم يطعن احد في صحته وقد استدل به أهل السنة قاطبة على عدم جواز بناء القبور كائنة ما كانت بل نقل الشوكاني اتفاق المسلمين على ذلك وهو خبير بمذهب الامامية وسائر فرق الشيعة وكثيرا ما ينقل اقوالهم في الاصول والفروع قال في جزء له سماه (شرح الصدور بتحريم رفع القبور) اجاد فيه كل الاجادة: اعلم انه قد

(١) ص ٣٦١

اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التى ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعله كما يأتي ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين اجمعين لكنه وقع للامام يحي بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روي عن أحد سواه اه ثم رد عليه أبلغ رد وساق النصوص في ذلك، وقد تقدم منها مافيه مقنع للمنصف، ومزجر للمتعسف، ثم قال أثر حديث أبي الهياج وحديث جابر نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وان يبنى عليه وان يوطأ قال وفي هذا التصريح بالنهي عن البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعا فما فوقه لانه لايمكن ان يجعل نفس القبر مسجدا فذلك مما يدل على ان المراد بعض مايقربه مما يتصل به ويصدق على من بنى قريبا من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لايخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا سورا وكما يقال بنى فلان في المكان الفلاني مسجدا مع أن سمك البناء لم يباشر إلا جوانب المدينة أو المكان ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والمكان الواسع . ومن زعم أن في لغة العرب مايمنع من هذا الاطلاق فهو لايعرف لغة العرب ولا يفهم لسانها ولا يدري ماتستعمله في كلامها اه

فيه فوائد منها اتفاق المسلمين على ان البناء على القبور ورفعها بدعة منهي عنها قد اشتد فيها وعيد رسول الله وما كان كذلك فلا ريب في حرمته وهذا مع ماتقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية من نقل اتفاق العلماء على تعين إزالة المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين ومانقله مكاتب المنار من أن سلف الامامية كلهم متفقون على عدم جواز البناء على القبور ولم يقل بجوازه على قبور الائمة الا المتأخرون ولا سند لهم إلا الاستحسان المجرد كل ذلك يدلنا على أن الشيعة لم يخالفوا سائر المسلمين في منع البناء على القبور كيف كانت ووجوب هدم مابني عليها وذلك الظن بهم فمعاذ الله أن نظن بأئمة الشيعة الاثنا عشر وغيرهم من الصالحين أنهم يجهلون ما يعلمه غيرهم بالضرورة من شريعة جدهم كيف وقد تقدم من حديث علي وأولاده الحسن والحسين والحسن المثني وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وموسى الكاظم وعلي بن جعفر عليهم السلام ما يفيد موافقتهم لسائر ائمة المسلمين في المنع من البناء على القبور ووجوب هدمه متى وقع واين وقع وبعض الاحاديث المروية عن اهل البيت اتفق على روايتها أهل السنة والشيعة باعتراف السيد مهدي وبعضها من رواية احد الفريقين وتذكر ما مر عن علي بن الحسين والحسن بن الحسين من منع إتيان قبر النبي ﷺ للسلام عليه والدعاء يتبين لك أن اهل البيت هم أشد الناس صيانة وحماية لجانب التوحيد وابعدهم من ساحات الشرك (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والرجس الشرك ومن كان محبا لاهل البيت معظما لهم لاينسب اليهم الرضى بالقباب والمشاهد وما يصنع عندها من المناكر التي تقشعر منها الجلود. ونقل السيد مهدي استدلال علماء الشيعة

على كراهة تجصيص القبور بحديث علي بعثني رسول الله في هدم القبور ومعلوم ان علماء الشيعة لم يقولوا بكراهة تجصيص قبور المشركين خاصة بل المقصود بالذات كراهة تجصيص قبور المسلمين لان المسلم لا يجصص قبر المشرك، ولو كان حديث علي خاصا بهدم قبور أهل الشرك ما استدل به علماء الشيعة على كراهة تجصيص قبور المسلمين مطلقا ولا فهموه منه فهذا أوضح دليل على أن علماء الشيعة فهموا من حديث علي مشروعية هدم ما بني على القبور أي قبور كانت بل دلالة حديث علي على هدم القبور مطلقا أوضح من دلالته على كراهة تجصيص القبور لأن البناء على القبر أحرم من تجصيصه، وأدنى الى محادة الرسول، فاحفظ هذا فسترى قريبا من كلام السيد مهدي ما يناقضه بل يصرح أنه من اقبح القياسات وأشنعها وهنالك الجواب بحول الله

﴿المقام الثالث والعشرون﴾ تقدم ذكر السيد مهدي حديث أبي الهياج عند مسلم وفيه أن عليا أمره بتسوية القبور(١) تعلق بلفظ التسوية واستأنس به وأطال في ذكر الخلاف بين أهل السنة في الافضل أهو تسنيم القبور أم تسطيحها؛ ونصر الثاني، وذلك كله خارج عن مسئلة النزاع وليس فيه ما يستروح منه جواز البناء على القبور أو تركه بلا هدم متى وقع وأين وقع، ورواية الشيعة مصرحة بالهدم فهو المراد بالتسوية بلا شك لان النبي ما بعث عليا ولا بعث علي أبا الهياج الا لتسوية القبور المبنية لا لتسطيح القبور المسنمة ففهم التسطيح من هذا الحديث غير مستقيم والرواية الشيعية قد بينت المراد بالتسوية ورفعت الابهام ودفعت الايهام فلا أدري لم تركها السيد مهدي وتعلق برواية التسوية وبصرف النظر عن الرواية الشيعية يظهر من المقام بأدنى تأمل أن المراد بالتسوية الهدم

(١) ص ٣٦٢ و ٣٦٣

معاهدة جدة

(بين جلالة ملك بريطانيا وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها)

نقلت عن جريدة (أم القرى) الصادرة في يوم الجمعة ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها:

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند ، معاهدة صداقة وحسن تفاهم لاجل تثبيت وتقوية العلاقات الودية ، وحسن التفاهم بين بلادينا . ورقعها مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزان للصلاحية التامة المتقابلة . وذلك في مدينة جدة في اليوم الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين هجرية (الموافق (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧) وهي مدرجة فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وامبراطور الهند من جهة. وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها قد عزما على عقد معاهدة صداقة ، وحسن تفاهم

لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن مندوبا مفوضاً عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوبا مفوضاً عنه

بناء على ماتقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد اتفق سمو الامير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن على المواد الآتية :

(المادة الاولى) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

(المادة الثانية) يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية ، وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر ، وبأن يسعى بكل مالديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

(المادة الثالثة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين ، والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج ، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء اقامتهم في الحجاز

(المادة الرابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالتــه من الحجاج المذكورين آنفاً ، والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطاني في جدة أو من ينتدبه لذلك الغرض لايصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لايكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية

(المادة الخامسة) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية أو النجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عند مايوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بحماية جلالته ، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ، ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عند مايوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة

(المادة السادسة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة

على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ (قطر) والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية

(المادة السابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

(المادة الثامنة) على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام بأقرب وقت ، وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام ، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد ابطال المعاهدة تبقى نافذة، ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين ابطالها للفريق الآخر .

(المادة التاسعة) تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكما لنجد وما كان ملحقا بها إذ ذاك - ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام المعاهدة

(المادة العاشرة) دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية ، وللنصين قيمة واحدة .أما اذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها فيرجع إلى النص الانكليزي

(المادة الحادية عشر) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة

وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧)

جلبرت فلكنجهام كلايتن فيصل بن عبد العزيز السعود

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر ، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكيا صادقا بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الامانة والاخلاص،وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة في تثبيت صحة كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين هجريه الموافق للسابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين ميلادية

الختم الملكي   عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود

﴿ تصديق ملك بريطانيا ﴾

ومن المفيد في تتمة هذه الوثيقة التاريخية أن نثبت هنا النص الذي كان من قبل صاحب الجلالة البريطانية في التصديق على نسخة المعاهدة حيث جاء فيه ما يلي:

جورج بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار حامي الايمان وامبراطور الهند الخ الخ الخ إلى كل من يطلع على كتابنا هذا سلام

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها معاهدة وقعت في جدة من قبل مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزين للصلاحية التامة المتقابلة وذلك في اليوم العشرين من شهر مايس (مايو) من سنة ١٩٢٧ ميلادية لتثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم الموجود والحمد لله بين بلادينا وهي كلمة بكلمة كما يلي: (هنا يأتي نص المعاهدة وبعد النص ورد في التصديق ما يأتي)

فنحن بعد أن اطلعنا وأمعنا النظر في المعاهدة المتقدمة صدقناها وقبلناها وأثبتناها بجملة ، وفي كل مادة وفقرة منها. كما أننا بموجب هذا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها عن أنفسنا وعن خلفائنا وورثتنا ، ونتعهد ونعد وعداً ملوكيًا صادقا بأننا سنقوم ونلاحظ بكمال الامانة والاخلاص ماورد فيها اجمالا وافراداً من الاشياء الموجودة والمبينة في المعاهدة المذكورة ، وبأننا لا نسمح لاحد بالاخلال بها أو مناقضتها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة في الاستشهاد والصحة في كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا الكبير على هذه المستندات ، ووقعناها بيدنا الملكية

تبادل قرارات الابرام

وبعد أن أبرم جلالة الملك المعاهدة على الشكل المتقدم تبادل مدير شؤون خارجيتنا ومعتمد وقنصل الحكومة البريطانية في جدة قرارات الابرام ونسخ المعاهدة بعد أن وقعا شهادة التبادل الآتي ذكرها :

إن الموقعين أدناه قد اجتمعا لاجل تبادل قرارات ابرام معاهدة الصداقة وحسن التفاهم المعقودة بين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندة والممتلكات البريطانية من وراء البحار امبراطور الهند، وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها والتي وقع عليها في مدينة جدة في اليوم العشرين من شهر مايس (مايو) سنة ١٩٢٧ (الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥) وبعد أن قابلا نسخ قرارات ابرام المعاهدة السالفة الذكر بدقة، ووجدا كل واحدة مطابقة تمام المطابقة للاخرى قد جرى التبادل المذكور هذا اليوم على الصورة المعتادة واقراراً على ذلك قد وقعا على هذه الشهادة .

حرر في جدة في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٦

معتمد وقنصل صاحب الجلالة البريطانية مدير الشؤون الخارجية للمملكة

ف . ه ، أستون . هبوور . بيرد الحجازية والنجدية وملحقاتها

عبدالله الدملوجي

الكتب التي تبودلت

تبودلت مع المعاهدة كتب يتعلق بعضها ببيان بعض مواد المعاهدة وبعضها مستقل بذاته نثبت نصها فيما يلي :

(١)

إلى صاحب الجلاله ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة

اشارة إلى الاقتراح الذي تفضلتم به لوضع مادة في المعاهدة تشرط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة في شراء وتوريد جميع الاسلحة

والادوات الحربية ، والذخيرة والآلات وغير ذلك من اللوازم الحربية التي قد تحتاج اليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها . لي الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أن هذه مسألة لاتحتاج إلى ذكر في نص المعاهدة ، وقد فوضتني حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن أخبر جلالتكم أن تحريم تصدير الادوات الحربية إلى جزيرة العرب قد رفع ، وأنه اذا استحسنتم طلب أسلحة أو ذخيرة ، أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانيين لاستعمال حكومة جلالتكم ، وبمقتضى شروط اتفاقية الاتجار بالاسلحة (١٩٢٥) فحكومة صاحب الجلالة البريطانية لاتعارض في تصديرها ولا تضع أي عرقلة في سبيل توريدها إلى بلاد جلالتكم ، وسأجتهد اجابة لرغبة جلالتكم أن أقدم نسخة من الاتفاقية المشار اليها بأقرب وقت، وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جلبرت كلايتن

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ تحت رقم ٣ بشأن الاسلحة فاني أشكركم على ذلك البيان الذي يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيراد الاسلحة . وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي

(الختم الملكي)

(٢)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة :

لي الشرف أن أذكر جلالتكم أنه في أثناء المفاوضات التي دارت بيننا والتي

أدت ولله الحمد إلى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتكم، كنا بحثنا في مسألة الحدود بين الحجاز وشرقي الاردن وكنت شرحت لجلالتكم موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة كما هو مبين في مسودة الملحق [1] التي قدمتها إلى جلالتكم وأخبرت جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على التمسك بذلك الموقف. أما الحدود المشار اليها فتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها تعرف كما يأتي « تبتدىء الحدود بين الحجاز وشرق الاردن من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٥، ٢٩ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين نجد وشرقي الاردن فتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على السكة الحديدية الحجازية بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم إلى نقطة على خليج العقبة بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة.

وفي الختام أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرق الاردن قد أخذنا علماً بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها، ولكن نرى أن تسوية هذه المسأله بصورة نهائية أمر متعذر في الظروف الحاضرة، ومع ذلك نظراً لرغبتنا الصادقة في المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة رأينا أن نعرب لفخامتكم عن

«١» قدم هذا الملحق ولم يقبل من الحجاز ونجد فرفع من المعاهدة ولم يعمل به

استعدادنا لابقاء الحالة الحاضرة على ماهي عليه في منطقة معان والعقبة مع الوعد بأن لانتداخل في ادارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسويةهذه المسألة تسوية نهائية . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملوكي

(٣)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة

إلحاقا بالمحادثات التي دارت بيننابخصوص مسألة المتاجرة بالرقيق . لي الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أنه من واجبها أن لاتتنازل في الوقت الحاضر عن حق اعتاق الارقاء ذلك الحق الذي طالما عمل بموجبه حضرات قناصل جلالته ، والذي يمكنهم من اطلاق سبيل أي رقيق يتقدم اليهم من تلقاء نفسه ويطلب تحريره واعادته إلى مسقط رأسه ، ثم أريدأن أؤكد لجلالتكم أن التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليس المراد منه أي تداخل في شؤون مملكتكم أو أي تجاوز على سلطان جلالتكم وأن السبب في هذا التمسك انما هو اصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القيام بواجب تعتبره مفروضاً عليها نحو الانسانية، وأضيف إلى قولي هذا أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر في إلغاء حق الاعتاق حينما يتبين للفريقين أن التعاون المنصوص عليه في المادة الثامنة من معاهدة جدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لابطال حق الاعتاق. آمل أن جلالتكم ستقدرون موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة، وأنكم ستستحسنون الموافقة على الخطة التي شرحتها أعلاه ، وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ١٩ مايو ١٩٢٧ — ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة

البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود

إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانيه

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ رقم٢ بخصوص عتق الرقيق فاني واثق بأن المعتمد البريطاني في جدة سيكون محافظا على الروح التي توخيناها في مداواة الموقف الحاضر فلايدع مجالا للتشويش في هذا الموضوع الذي قد يؤثر على الحالة الادارية والاقتصادية وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملوكي

(٤)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة :

اشارة إلى المادة الرابعة من معاهدة جدة . لي الشرف أن أثبت في كتابي هذا التصريحات التي ألقيتها أمام جلالتكم أثناء محادثاتنا عند ماصرحت بأن الغرض الوحيد من ادخال تلك المادة في المعاهدة هو أولا وضع المعاملة المتبعة الآن على أساس رسمي ، وثانياً أن يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات تمكنها من اعلان المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين في البلاد البريطانية، وعلاوة على ذلك أريد أن أؤكد لجلالتكم أن وجود تلك المادة في المعاهدة لايؤثر ولا يفسر بأنه قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفات الاشخاص غير الحجاج التي لاتزال خاضعة لقواعد المقابلة بالمثل التي هي أساس التعامل المعتاد بين البلاد المستقلة وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ — ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية الأفخم : جوابا على كتاب سعادتكم المؤرخ ١٩ ذي القعدة . و ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا في دياركم ومخلفات رعاياكم في ديارنا . فأحب أن أؤكد لفخامتكم أن المعاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولي إذ تقوم محاكمنا باستلام المخلفات ، وبعد اجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم إلى المعتمد البريطاني وذلك مقابلة بالمثل لتسليم المعتمد البريطاني في جدة مخلفات المتوفى من رعايانا في الممالك البريطانية وتفضلوا بقبول فائق احترامي ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٥ الختم الملكي

سكة حديد الحجاز

وقد دار أيام المفاوضات في المعاهدة بحث عن سكة حديد الحجاز ولم تنته المفاوضات بشأنها والمنتظر في القريب العاجل أن يتم الاتفاق على تسييرها وسننشر ذلك في حينه إن شاء الله تعالى اه ما نقلناه عن جريدة أم القرى بنصه

(آرا السياسيين في المعاهدة)

[المنار] قد صرحت الجرائد السياسية الكبرى بمصر ومن لقينا من علماء القانون الدولي والحقوق العامة بأن هذه المعاهد بنيت على أساس المساواة التامة بين الدول المستقلة إلا في مسألة واحدة وهي ترجيح اللغة الانكليزية على العربية عند التعارض — وبأن اعتراف الدولة البريطانية فيها بالاستقلال التام المطلق للحجاز ونجد وملحقاتها اعتراف صحيح لا تشوبه شائبة امتياز ولا تحفظ ولا غير ذلك من القيود كالتي قيد بها الاعتراف باستقلال مصر مثلا فجعلته صوريا أو اسميا . وترجيح إحدى اللغتين عند التعارض ضروري ولذلك تداركه أكثر الدول بجعل المعاهدات بلغة واحدة وهي الفرنسية . وجملة القول أن السياسيين أجمعوا على أن المعاهدة ظفر لابن السعود عظيم وللأمة العربية التي أسس لها أول دولة عزيزة

مستقلة بعد زوال ملكها عدة قرون اعترفت بها الدول ووقفت مع كبراهن (وهي بريطانية العظمى) موقف الأقران والامثال

ولو أن الدولة البريطانية رجعت عن طمعها وعدوانها على الاسلام والمسلمين بعدم الاصرار على إبقاء منطقة العقبة ومعان ملحقة بشرق الاردن الذي جعلته داخلا في مسمى الانتداب البريطاني الى فرصة أخرى ـ لكان حقاً على كل مسلم وكل عربي أن يشكر لها هذه المعاهدة ويعدها أول خطوة للمسالمة بينها وبين المسلمين الناقمين عليها بالتعدي على بلاد الحجاز المقدسة ونقض وصية خاتم المرسلين؛ والواجب على ملك الحجاز ونجد أن يعود إلى مطالبتها باعادة هذه المنطقة إلى الحجاز في أقرب فرصة لئلا يموت هذا الحق بطول الزمن أو يضعف بانشاء معاقل عسكرية ومدنية فيها وعسى أن تثوب الدولة البريطانية الى حكمتها فتعترف بها للحجاز

وقد انتقد بعض المشتغلين بالسياسة الدولية المادة الثانية بأن الغبن فيها على ملك الحجاز ونجد وإن شئت قلت على الامة العربية وعلى المسلمين كافة بأنها تقتضي أن يمنع ملك الحجاز ونجد من يلجأ إلى حرم الله تعالى لبث الدعوة إلى مقاومة هذه الدولة القاهرة لهم المغتصبة لبلادهم، وغلا بعضهم فقال إن المنع لهذه الدعاية غير جائز شرعا فملك الحجاز ونجد لايستطيع الوفاء بهذه المادة إلا بمخالفة الشرع، وليس له في مقابلة هذا الغبن مايقابله من نفع فيقال إنها مبنية على المساواة لأن الدولة البريطانية لاتستطيع أن تمنع خصومه في الهند من ترك الدعاية الموجهة إلى معاداته وإلى ترك الحج أيضاً لان حرية قوانينها لاتسمح لها بمنعهم، وكذلك اذا لجأ بعض المعادين أو المقاتلين أو الثائرين إلى بلاده فانه لايمكنه أن يقبلهم لئلا تحتج عليه الدولة البريطانية بهذه المادة

والجواب على هذا من وجوه (أولها) أن الممنوع بنص هذه المعاهدة هو استعمال كل من الفريقين المتعاقدين بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر» ومعناه منع الدعوة إلى حربه أو الثورات والفتن في بلاده، ولا يدخل في ذلك الانتقاد السياسي ولا الطعن العادي في حكومة كل من الفريقين كالذي نعهده في الجرائد المصرية، ويمكن لملك الحجاز أن يعامل

الانكليز بمثل مايعاملونه به في هذا ويحتج بالشريعة إذا احتجوا بالقانون . قال المنتقد انه لا يمكنه ذلك لضعفه ؛ قلت ان الاعتراض إذاً على الضعف لا على المعاهدة فالقوي لا يعدم وسيلة للعدوان على الضعيف اذا اقتضته سياسته، وستعلم انه قوي في مركزه ، ولولا قوته لما عقدوا معه هذه المعاهدة التي لا يعقدون مثلها إلا مع احدى الدول العظمى

(ثانيها) أن في الدعوة إلى الحرب أو الثورة وهي الممنوعة مصلحة للفريقين ، بل مصلحة ملك الحجاز ونجد ومن ورائه مصلحة العرب والمسلمين هي الارجح . ذلك بأن الغرض من هذه المادة منع التقاتل بين البلاد العربية التي تعدها الدولة البريطانية تحت حمايتها باسم الانتداب وهي العراق وشرق الاردن وفلسطين وبين بلاد الحجاز ونجد المتصلة بها ، وما أظن أنه يوجد عاقل من العرب أومن سائر المسلمين يقول إن مصلحة ملك الحجاز ونجد قتال هؤلاء المجاورين له من أمته ، لا بأن يكون هو البادىء به ولا بأن يكونوا هم البادئين . ومن المعروف أن الدولة البريطانية قد وضعت على رأس كل من الحكومتين المجاورتين للحجاز ونجد رجلا من أولاد الشريف حسين المعادين له ويظهر أن كلا منهما يود لو تساعدهما هذه الدولة على قتاله أو إثارة الفتن والثورات في بلاده ، وليس في ذلك مصلحة له ولا للعرب ولا للمسلمين، بل فيه الضرر العظيم بقتل شعوب هذه الامة الواحدة بعضهم لبعض وإفناء قوتها وتخريب بيوتها بأيديها ، وكل منها في طور التكوين ، وأقواها في الحرب ابن السعود

قال المنتقد لهذه المادة إن الانكليز يطمعون في جميع بلاد العرب ولا يعقل أن يعدوا من مصلحتهم منع بعضهم من اضعاف بعض فما فائدتهم من هذه المادة اذاً ؟

قلت إن استفادتهم من هذه البلاد تتوقف على عمران مااستولوا عليه أو أخذوا على أنفسهم حمايته منها ، فاذا تصدى ملك الحجاز ونجد لمقاتلتها فانهم يضطرون إما لتركها وإما لبذل ألوف الملايين من الجنيهات ومئات الالوف من الرجال للدفاع عنها ، وليس هذا من مصلحتهم في شيء ، وقد رأينا أن برلمانهم مازال يعذل وزارة المستعمرات على كثرة نفقات جيشهم في العراق حتى لم يبقوا منه إلا

القليل فكيف يسمح لهم بزيادته أضعافا كثيرة لايقاد نار حرب في جزيرة العرب مالم تلجيء إلى ذلك الضرورة التي لا دافع لها ؟ فاذا كانت مثل هـذه المعاهدة تدفعها فالمصلحة لهم فيها ظاهرة ، وقد علمنا أن الفريق الآخر اليها أحوج ، وانما تبنى المعاهدات الاختيارية بين الاقران على تبادل المصالح والمنافع بخلاف الاضطرارية كالتي تجري بين الجار بين اللذين انتصر منهم فريق وانكسر فريق، أو بين قوي وضعيف

فان قيل ان هـذه فرصة لتمكين نفوذ الانكليز في هذه البلاد العربية — قلنا ان تلافي هـذا الخطر موكول الى أهلهـا والرجاء في الشعب العراقي عظيم

(ثالثها) أن فرض التجـاء فريق من العرب إلى بلاد الحجاز أو نجـد للاعتصام بها في حال مقاتلتهم للانكليز فرض وهمي فان حال العرب المتصلين بالقطرين المذكورين معروفة لنا ، بل ثبت أن بدو شرق الاردن اعتـدوا على النجديين فمنعهم امامهم ابن السعود من مقابلة العـدوان بمثله على قوته وضعف المعتدين على قومه ورضي بالتحكيم بين الفريقين ولما يفد — فحمدنا له هذا

(رابعها) أن نشر الدعاية القولية في الحجاز لقتال الانكليز في الهند أو السودان مثلا عقيم وليس فيه مصلحة للمسلمين بل فيه ضرر عليهم لان الانكليز يمنعون الجرائد والنشرات التي تنشرها من دخول البلاد التي يرون أنها تضرهم فيها ، وقد يتوسلون بنشرها في الحجاز الى منع مسلمي تلك البلاد من الحج .

(خامسها) — وهو خاص بمن ظن أن مثل هذه المعاهدة محظور شرعاً لان الغبن فيها على المسلمين أو لأنها تقيد حرية من يريد الطعن باعدائه معتصما بحرم الله تعالى — أن المعاهدات تبنى على المصلحة العامة الراجحة فمتى اقتنع بها إمام المسلمين بعد مشاورة أهل الرأي منهم عنده جاز له أو وجب عليه أن يفعل مافيه المصلحة الراجحة ، وهذا لاينفي أن يكون في المعاهدة مضرة مرجوحة . وحجتنا في ذلك معاهدة الحديبية بين النبي ﷺ ومشركي مكة فجميع المسلمين رأوا أن فيها مضرة وغبناً عليهم أو ماهو اكبر من ذلك ولاسيما اشتراط المشركين على النبي ﷺ أن من تركه من أصحابه ولجأ اليهم لا يعيدونه اليه ، ومن لجأ منهم اليه مؤمنا به أعاده اليهم، وقد رضي ﷺ بهذا لانه علم أن المصلحة في تلك المعاهدة أرجح فأنفذها .

وهكذا فعل ملك الحجاز ونجد بعد مشاورة من لديه من العارفين بهذه الشؤون — ومنهم بعض الدارسين للقوانين الدولية — ثم أنفذ ما رأى فيه المصلحة الراجحة .

ومتى عاهد إمام المسلمين قوما وجب عليه الوفاء وإن كان فيه غبن لبعض المسلمين، يدل على هذا قوله تعالى في أواخر سورة الانفال (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا . وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) والمعنى أن المؤمنين الذين كانوا بدار الشرك ولم يهاجروا الى النبي ﷺ في دار الاسلام تجب لهم على إخوانهم المؤمنين النصرة إذا قاتلهم المشركون الا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق كمعاهدة الحديبية بين النبي ﷺ ومشركي مكة فليس لهم أن ينقضوا العهد قبل انتهاء مدته لاجل نصرة اخوانهم في الدين في غير دار الهجرة .

هذا كل ماسمعته وعلمته من نقد هذه المعاهدة من أشد الناس مبالغة واغراقا في التشاؤم من كل عمل للانكليز لشدة سوء الظن فيهم لماذاقت هذه البلاد من لدغ سياستهم ولسع مراوغتهم .

وأذكر على سبيل الفكاهة المضحكة انتقاد كاتب سوري لا يزال يحلم بما كان يحلم به الملك حسين الهاشمي من الامبراطورية العربية التي اقترح على « الحسيات النجيبة للعظمة البريطانية أن تؤسسها له في حجرها وتحت حمايتها في الداخل والخارج » قال هذا الكاتب إن هذه المعاهدة قد أضاعت على الامة العربية تلك الامبراطورية العظمى ، وكان الواجب على ابن السعود أن يرفض عقدها ويطالب الانكليز بالوعود والعهود التي كان يزعمها الملك حسين !!! ولكن ابن السعود رجل عقل وعمل لا رجل أحلام وأوهام فهل يترك هذه الدولة المستقلة التي أسسها بعقله وحزمه ويعيش بأحلام حسين بن علي بعد أن صحا هذا منها منفيا من البلاد العربية في جزيرة قبرص ؟

هذا وان أكبر مصلحة لملك الحجاز ونجد في هذه المعاهدة تضمنها إلغاء معاهدة سنة ١٩١٥ التي كان عقدها مع الدولة البريطانية في عهد الحرب الكبرى اذ كان ضعيفا قريب العهد باسترجاع إمارتهم المسلوبة من ابن الرشيد ومضطراً إلى إسقاط امارته وتوحيد البلاد النجدية وهذا نصها:

(المعاهدة الاولى بين بريطانية العظمى وابن السعود)

في ٢ كانون ثاني سنة ٩١٥

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان الكولونيل السير برسي كوكس وعبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود المعروف بابن السعود اتفقا وتعاقدا على المواد الآتية :

(١) ان الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجداً والحسا والقطيف وحائل وملحقاتها التي تعين هنا والمرافيء التابعة لها على سواحل خليج العجم كل هذه المقاطعات هي تابعة للامير ابن السعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف بابن السعود حاكما مستقلا على هذه الاراضي ورئيساً مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابه الوارثين من بعده على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الامير الحاكم ، وأن لا يكون مخاصما لانجلترا بوجه من الوجوه أي انه يجب أن لا يكون ضد المباديء التي قبلت في هذه المعاهدة

(٢) إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سعود أو أعقابه من بعده دون اعلام الحكومة البريطانية ، ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع ابن سعود لاجل تسوية الخلاف فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحركة ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية لمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير شديدة لاجل محافظة وحماية منافعه

(٣) يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك يتعهد باعلام الحكومة البريطانية بكل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الاراضي التي ذكرت آنفا

(٤) يتعهد ابن سعود بصورة قطعية أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا يقبل بصورة من الصور ترك قطعة أو التخلي عن الاراضي التي ذكرت آنفا ، ولا يمنح امتيازاً في تلك الاراضي لدولة أجنبية أو تبعة دولة أجنبية ، دون رضى الحكومة البريطانية ، وأن يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه

(٥) يتعهد ابن السعود بأن يبقي الطرق الموصلة إلى الاماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم إلى الاماكن المقدسة ورجوعهم منها

(٦) يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انكلترة أو الذين لهم معاهدات معها

(٧) الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة. اه

التواقيع

الكتابة أو الخط وثيقة شرعية

(يجب العمل بها)

أمر الله تعالى المؤمنين في أواخر سورة البقرة (٢ : ٢٨٢) بكتابة الدَّين المؤجل وأكد الامر بالكتابة ونهى الكاتب الذي يدعى إلى الكتابة أن يمتنع ، وأكد ذلك بأمره بأن يكتب ، ثم نهاهم عن السآمة أن تكون مانعة من الكتابة للصغير والكبير والقليل والكثير ، ثم أمر بالاستشهاد وعلل الامرين بقوله (ذالكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لاترتابوا) وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية من جزء التفسير الثالث (ص١٢٥) ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قال عند تفسير (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله) ان هذا دليل على ان الكتابة يعمل بها ، وانها من الادلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها . اه . وقلت هنالك ان الآية دليل على وجوبها أيضاً ثم ذكرت (في ص١٣٣) الخلاف بين العلماء في وجوب كتابة الدين وأمثاله أيضا وان من القائلين بالوجوب عطاء والشعبي وابن جرير في تفسيره كما هو الاصل في الامر عند جماهير العلماء

وقد عقد العلامة المحقق ابن القيم فصلا للعمل بالخط في كتابه (الطرق الحكمية)

في السياسة الشرعية) وعده من الطرق التي يحكم بها الحاكم، وهو الذي إذا قال لم يترك مجالا لقائل فاخترنا نقله لافادة من لم يطلع عليه من الفقهاء، وإنجازاً لوعدنا في الفتوى ٢٠ كما في ص٥١١ ج ٧ الماضي وهذا نصه:

﴿ فصل ﴾

﴿ الطريق الثالث والعشرون ﴾ الحكم بالخط المجرد وله صور ثلاث (الصورة الاولى) أن يرى القاضي حجة فيها حكمه لانسان فيطلب منه امضاءه فعن أحمد ثلاث روايات (احداهن) أنه اذا تيقن أنه خطه نفذه وان لم يذكره (والثانية) أنه لا ينفذه حتى يذكره (والثالثة) أنه اذا كان في حرزه وحفظه نفذه والا فلا. قال أبو البركات الرواية في شهادة الشاهد بناء على خطه اذا لم يذكره والمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يعتمد على الخط لا في الحكم ولا في الشهادة، وفي مذهبه وجه آخر أنه يجوز الاعتماد عليه اذا كان محفوظاً عندهما كالرواية الثالثة

وأما مذهب أبي حنيفة فقال الخفاف(؟) قال أبو حنيفة اذا وجد القاضي في ديوانه شيئاً لا يحفظه كاقرار الرجل بحق من الحقوق وهو لا يذكر ذلك ولا يحفظه فانه لا يحكم بذلك ولا ينفذه حتى يذكره . وقال أبو يوسف ومحمد ما وجده القاضي في ديوانه من شهادة شهود شهدوا عنده لرجل على رجل بحق أو اقرار رجل لرجل بحق والقاضي لا يحفظ ذلك ولا يذكره فانه ينفذ ذلك ويقضي به اذا كان تحت خاتمه محفوظاً، ليس كل ما في ديوان القاضي يحفظه

وأما مذهب مالك فقال في الجواهر لا يعتمد على الخط اذا لم يذكر لإمكان التزوير عليه . قال القاضي أبو محمد اذا وجد في ديوانه حكما بخطه ولم يذكر أنه حكم به لم يجز له أن يحكم به الا أن يشهد عنده شاهدان . قال واذا نسي القاضي حكماً حكم به فشهد عنده شاهدان أنه قضى به نفذ الحكم بشهادتهما وان لم يذكره . وعن مالك رواية أخرى أنه لا يلتفت الى البينة بذلك ولا يحكم بها . وجمهور أهل العلم على خلافها بل اجماع أهل الحديث قاطبة على اعتماد الراوي على الخط المحفوظ عنده وجواز التحديث به الا خلافا شاذاً لا يعتد به، ولو لم يعتمد على ذلك لضاع الاسلام اليوم وسنة رسول الله ﷺ فليس بأيدي الناس بعد

كتاب الله الا هذه النسخ الموجودة من السنن . وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ وقد كان رسول الله ﷺ يبعث كتبه الى الملوك وغيرهم وتقوم بها حجته ولم يكن يشافه رسولا بكتابه بمضمونه ولا جرى هذا في مدة حياته ﷺ بل يدفع الكتاب مختوماً ويأمره بدفعه الى المكتوب اليه وهذا معلوم بالضرورة لاهل العلم بسيرته وأيامه

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده » ولو لم يجز الاعتماد على الخط لم يكن لكتابة وصيته فائدة . قال اسحاق بن ابراهيم (قلت) لأحمد : الرجل يموت ويوجد له وصية تحت رأسه من غير أن يكون أشهد عليها أو أعلم بها أحدا هل يجوز انفاذ مافيها؛ قال ان كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط فانه ينفذ ما فيها وقد نص في الشهادة أنه اذا لم يذكرها ورأى خطه انه لا يشهد حتى يذكرها ونص فيمن كتب وصيته وقال اشهدوا علي بما فيها أنهم لا يشهدون الا أن يسمعوها منه أو تقرأ عليه فيقر بها فاختلف أصحابنا فمنهم من خرج في كل مسألة حكم الاخرى وجعل فيها وجهين بالنقل والتخريج ، ومنهم من منع التخريج وأقر النصين وفرق بينهما واختار شيخنا التفريق قال والفرق أنه اذا كتب وصيته وقال اشهدوا علي بما فيها فانهم لا يشهدون لجواز أن يزيد فى الوصية وينقص ويغير وأما اذا كتب وصيته ثم مات وعرف أنه خطه فانه يشهد به لزوال هذا المحذور . والحديث المتقدم كالنص في جواز الاعتماد على خط الموصي وكتبه ﷺ الى عماله والى الملوك وغيرهم تدل على ذلك ولان الكتابة تدل على المقصود فهى كاللفظ ولهذا يقع بها الطلاق

قال القاضي : وثبوت الخط في الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة لأنها عمل والشهادة على العمل طريقها الرؤية . وقول الامام احمد ان كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط ينفذ ما فيها، يرد ماقال القاضي ، فان أحمد علق الحكم بالمعرفة والشهرة من غير اعتبار لمعاينة الفعل ،وهذا هو الصحيح فان القصد حصول العلم بنسبة الخط الى كاتبه فاذا عرف ذلك وتيقن كان العلم

بنسبة اللفظ اليه فان الخط دال على اللفظ واللفظ دال على القصد والارادة وغاية ما يقدر اشتباه الخطوط وذلك كما يفرض من اشتباه الصور والاصوات وقد جعل الله سبحانه في خط كل كاتب ما يتميز به عن خط غيره كتميز صورته وصوته عن صورته وصوته ، والناس يشهدون شهادة لا يستريبون فيها على أن هذا فيه خط فلان وان جازت محاكاته ومشابهته فلا بد من فرق وهذا أمر يختص بالخط العربي ووقوع الاشتباه والمحاكاة لو كان مانعا لمنع من الشهادة على الخط عند معاينته اذا غاب عنه لجواز المحاكاة

وقد دلت الادلة المتضافرة التى تقرب من القطع على قبول شهادة الاعمى فيما طريقه السمع اذا عرف الصوت مع أن تشابه الاصوات ان لم يكن أعظم من تشابه الخطوط فليس دونه وقد صرح أصحاب أحمد والشافعي بأن الوارث اذا وجد في دفتر موروثه إن لي عند فلان كذا جاز له أن يحلف على استحقاقه وأظنه منصوصا عنهما وكذلك لو وجد في دفتره إني أديت إلى فلان ما عليّ جاز له أن يحلف على ذلك إذا وثق بخط مورثه وأمانته ، ولم يزل الخلفاء والقضاة والامراء والعمال يعتمدون على كتب بعضهم الى بعض ولا يشهدون حاملها على ما فيها ولا يقرءونه عليه ، هذا عمل الناس من زمن نبيهم الى الآن

وقال البخاري في صحيحه (باب الشهادة على الخط المختوم وما يجوز من ذلك وما يضيق عليهم فيه وكتاب الحاكم الى عامله والقاضي الى القاضي . وقال بعض الناس[1] كتاب الحاكم جائز إلا في الحدود قال وان كان القتل خطأ فهو جائز لانه مال بزعمه وانما صار مالا بعد أن ثبت القتل فالخطأ والعمد واحد . وقد كتب عمر الى عامله في الحدود وكتب عمر بن عبد العزيز في سن كسرت . وقال ابراهيم كتاب القاضي الى القاضي جائز اذا عرف الكتاب والخاتم . وكان الشعبي يجيز الكتاب المختوم بما فيه من القاضي ويروى عن ابن عمر نحوه ، وقال معاوية ابن عبد الكريم الثقفي شهدت عبد الملك بن يعلى قاضي البصرة وإياس بن معاوية والحسن وثمامة بن عبد الله بن أنس وبلال بن ابي بردة وعبد الله بن بريدة وعامر بن عبيدة

١) هو أبو حنيفة وأصحابه

وعباد بن منصور يجيزون كتب القضاة بغير محضر من الشهود فان قال الذي جيء عليه بالكتاب انه زور قيل له اذهب فالتمس المخرج من ذلك، وأول من سأل على كتاب القاضي البينة ابن أبي ليلى وسوّار بن عبدالله، وقال لنا أبو نعيم حدثنا عبدالله ابن محرز جئت بكتاب من موسى بن أنس قاضي البصرة وأقمت عنده البينة ان لي عند فلان كذا وكذا وهو بالكوفة فجئت به (١) القاسم بن عبدالرحمن فأجازه، وكره الحسن وأبو قلابة ان يشهد على وصية حتى يعلم ما فيها لانه لا يدري لعل فيها جوراً، وقد كتب النبي ﷺ الى أهل خيبر «اما أن تدوا صاحبكم واما أن تأذنوا بحرب» اه كلامه (٢)

وأجاز مالك الشهادة على الخطوط فروى عنه ابن وهب في الرجل يقوم يذكر حقا قد مات شهوده، ويأتي بشاهدين عدلين على خط كاتب الخط قال تجوز شهادتهما على كاتب الكتاب اذا كان عدلا مع يمين الطالب وهو قول ابن القاسم وذكر ابن شعبان عن ابن وهب قال لا آخذ بقول مالك في الشهادة على الخط وعد قوله شذوذا، قال ابن حارث ولقد قال مالك في رجل قال سمعت فلانا يقول ورأيت فلانا قتل أو قال سمعت فلانا طلق امرأته أو قذفها إنه لا يشهد على شهادته الا أن يشهده فالخط أبعد من هذا وأضعف، قال ولقد قلت لبعض القضاة أتجوز شهادة الموتى فقال ماهذا الذي تقول؟ فقلت انكم تجيزون شهادة الرجل بعد موته اذا وجدتم خطه في وثيقة فسكت

وقال محمد بن عبد الحكم لا يقضي في دهرنا بالشهادة على الخط لان الناس قد أحدثوا ضروبا من الفجور. وقد قال مالك في الناس تحدث لهم اقضية على نحو ما أحدثوا من الفجور وقد روى ابن نافع عن مالك قال كان من أمر الناس القديم اجازة الخواتيم حتى ان القاضي ليكتب للرجل الكتاب فما يزيد على ختمه فيجاز لهم حتى اتهم الناس فصار لا يقبل الا بشاهدين اه

واختلف الفقهاء فيما اذا أشهد القاضي شاهدين على كتابه ولم يقرأه عليهما ولا عرفهما بما فيه فقال مالك يجوز ذلك ويلزم القاضي المكتوب اليه قبوله، ويقول الشاهدان ان هذا كتابه دفعه الينا مختوما، وهذا احدى الروايتين عن

(١) أي بالكتاب (٢) أي البخاري

الامام أحمد . وقال أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور اذا لم يقرأه عليهما القاضي لم يعمل المكتوب اليه بما فيه وهو احدى الروايتين عن مالك، وحجتهم انه لايجوز ان يشهد الا بما يعلم، وأجاب الآخرون بانهما لم يشهدا بما تضمنه وانما شهدا بانه كتاب القاضي وذلك معلوم لهما ، والسنة الصريحة تدل على صحة ذلك وتغير احوال الناس وفسادها يقتضي العمل بالقول الآخر وقد يثبت عند القاضي من أمور الناس مالا يحسن أن يطلع عليه كل أحدمثل الوصايا التي يتخون الناس فيها ولهذا يجوز عند مالك وأحمد في احدى الروايتين ان يشهدا على الوصية المختومة ويجوز عند مالك أن يشهدا على كتاب مدرج ويقولا للحاكم نشهد على إقراره بما في هذا الكتاب

وقال المانعون من العمل بالخطوط : الخطوط قابلة للمشابهة والمحاكاة وهل كانت قصة عثمان ومقتله الا بسبب الخط فانهم صنعوا مثل خاتمه وكتبوا مثل كتابه حتى جرى ماجرى ولذلك قال الشعبي لاتشهد أبدا إلا على شيء تذكره فانه من شاء انتقش خاتما ، ومن شاء كتب كتابا ،قالوا وأما ماذكرتم من الآثار فنعم وها هنا أمثالها ولكن كان ذاك اذ الناس ناس . وأما الآن فكلا اذ كان الامر قد تغير في زمن مالك وابن أبي ليلى حتى قال مالك كان من أمر الناس القديم اجازة الخواتم حتى إن القاضي ليكتب للرجل الكتاب فلم يزد على ختمه حتى اتهم الناس فصار لايقبل الا شاهدان . وقال محمد بن عبد الحكم لايقضى في دهرنا هذا بالشهادة على الخط لان الناس قد أحدثوا ضروبا من الفجور وقد كان الناس فيما مضى يجيزون الشهادة على خاتم كتاب القاضي

فان قيل فما تقولون في الدابة يوجد على فخذها صدقة او وقف أو حبس هل للحاكم ان يحكم بذلك ؟ (قيل) نعم له أن يحكم وصرح به أصحاب مالك فان هذه أمارة ظاهرة ولعلها أقوى من شهادة الشاهد وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال غدوت الى رسول الله ﷺ بعبد الله ابن أبي طلحة ليحنكه فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة . وللامام أحمد عنه دخلت على النبي ﷺ وهو يسم غنما في آذانها . وروى مالك في الموطأ عن زيد

ابن أسلم عن أبيه أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان في الظهر ناقة عمياء فقال عمر ادفعها الى أهل بيت ينتفعون بها قال فقلت هي عمياء فقال عمر: يقطرونها بالابل. قال فقلت كيف تأكل من الارض؟ قال فقال عمر أمن نعم الجزية هي أم من نعم الصدقة؟فقلت من نعم الجزية ،فقال عمر أردتم والله أكلها فقلت ان عليها وسم الجزية. ولولا ان الوسم يميز الصدقة من غيرها ويشهد لما هو وسم عليه لم يكن فيه فائدة بل لا فائدة للوسم الا ذلك ومن لم يعتبر الوسم فلا فائدة فيه عنده

فان قيل فما تقولون في الدار يوجد على بابها أو حائطها الحجر مكتوبا فيه انها وقف أو مسجد هل يحكم بذلك؟قيل نعم يقضى به ويصير وقفا صرح به بعض أصحابنا وممن ذكره الحارثي في شرحه. فان قيل يجوز ان ينقل الحجر الى ذلك الموضع. قيل جواز ذلك كجواز كذب الشاهدين بل هذا أقرب لان الحجر يشاهد جزأ من حائط داخلا فيه ليس عليه شيء من أمارات النقل بل يقطع غالبا بأنه بني مع الدار ولا سيما حجر عظيم وضع عليه الحائط بحيث يتعذر وضعه بعد البناء فهذا أقوى من شهادة رجلين ورجل وامرأتين

فان قيل فما تقولون في كتب العلم يوجد على ظهرها وهوامشها كتابة الوقف هل للحاكم أن يحكم بكونها وقفا بذلك؟ قيل هذا يختلف باختلاف قرائن الاحوال فاذا رأينا كتبا مودعة فى جراب وعليها كتابة الوقف وهي كذلك مدة متطاولة وقد اشتهرت بذلك لم نسترب فى كونها وقفا وحكمها حكم المدرسة التى عهدت لذلك وانقطعت كتب وقفها أو فقدت ،ولكن يعلم الناس على تطاول المدة كونها وقفا فيكفي فى ذلك الاستفاضة فان الوقف يثبت بالاستفاضة وكذلك مصرفه، وأما اذا رأينا كتابا لا نعلم مقره ولا عرف من كتب عليه الوقف فهذا يوجب التوقف في أمره حتى يتبين حاله ،والمعول في ذلك على القرائن فان قويت حكم بموجبها وان ضعفت لم يلتفت اليها ،وان توسطت طلب الاستظهار وسلك طريق الاحتياط وبالله التوفيق

وقد قال أصحاب مالك في الرجلين يتنازعان في حائط فينظر الى عقده أو من له خشب أو سقف وما أشبه ذلك مما يرى بالعين يقضى به لصاحبه

ولا يكلف الطالب البينة ، وكذلك القنوات التي تشق الدار والبيوت الى مستقرها اذا سدها الذى شقت داره وأنكر أن يكون عليها مجرى لاحد فاذا نظروا الى القناة التى شقت داره وشهدوا بذلك عند القاضي ولم يكن عنده في شهادة الشهود الذين وجههم لذلك مدفع ألزموه مرور القناة على داره ونهي عن سدها ومنع منه ، قالوا فاذا نظروا في القناة تشق داره الى مستقرها وهي في قناة قديمة والبنيان فيها ظاهر حتى تصب فى مستقرها فللحاكم ان يلزمه مرور القناة كما وجدت في داره

قال ابن القاسم فيما رواه ابن عبد الحكم عنه اذا اختلف الرجلان في جدار بين داريهما كل يدعيه فان كان عقد بنائه اليهما فهو بينهما وان كان معقودا الى احدهما ومنقطعا من الآخر فهو الى من اليه العقد وان كان منقطعا بينهما جميعا فهو بينهما ،وان كان لاحدهما فيه كوى ولا شيء للآخر فيه وليس بمنعقد الى واحد منهما فهو الى من اليه مرافقه ، وان كانت فيه كوى لكليهما فهو بينهما، وإن كانت لاحدهما عليه خشب ولاعقد فيه لواحد منهما فهو لمن عليه الحمل ، فان كان عليه حمل لهما جميعاً فهو بينهما

والمقصود ان الكتابة على الحجارة والحيوان وكتب العلم أقوى من هذه الامارات بكثير فهى اولى ان يثبت بها حكم تلك الكتابة لاسيما عند عدم المعارض واما اذا عارض ذلك بينة لاتتهم ولاتستند الى مجرد التبديل بسبب الملك والاستزادة أنها تقدم على هذه الامارات بمنزلة البينة والشاهد واليد تدفع بذلك اه الفصل

وأقول ان النبي ﷺ بلغ دعوة ربه الى ملوك الآفاق بالكتابة وكتبت معاهداته مع الكفار كتابة وكان يكتب لعماله وكذلك خلفاؤه ، والقرآن بلغت نسخته الى الآفاق بالكتابة على كون حفاظه كانوا من أول الاسلام الى الآن يعدون بالألوف وسائر كتب السنة والفقه كذلك. فالخط حجة من أقوى الحجج ، وتضعيفه باحتمال التزوير فيه ، وشهادة الزور اسهل واكثر وأعم من تزوير الخط ولذلك كان جل اعتماد كل الأمم على الخط

باب المراسلة والمناظرة والانتقاد

﴿ زيارة القبور للتبرك ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من مصطفى نور الدين الى شيخ المرشدين وزعيم المصلحين وامام المجددين لما درس من أمر الدين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: وبعد فاني سمعت بكتاب اسمه (الابداع في مضار الابتداع) لمؤلفه الشيخ على محفوظ فاستحضرته لاقرأه فلما وصلت في قراءته الى صحيفة ٨٧ عثرت على هذه العبارة في السطر الثالث عشر من هذه الصحيفة وهي « ومن الزيارة التي يرجع نفعها الى الزائر ماتكون للتبرك فتستحب لاهل الخير لان لهم في برازخهم بركات، وعليهم تتنزل الرحمات » فهل يحسن السكوت على هذه العبارة؟ إن السكوت على هذه العبارة وأمثالها يعد من الكتمان الذي توعد الله عليه في كتابه بقوله (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى) الآية خصوصا وأنها منشورة في كتاب موضوعه من أهم مقاصد أهل الاصلاح فالثقة والاغترار بها أقرب، وأيضا فان المفاسد والاضرار المترتبة على مدلولها كثيرة لايحصيها الا الله من الافتتان بالقبور وأصحابها، وهي الفتنة التي عم بلاؤها، وانتشر وباؤها، وعظم داؤها، وعز دواؤها - ولا سبب للافساد بالقبور وأصحابها الا الاعتقاد بالانتفاع بمالهم في برازخهم من البركات، ومايتنزل عليهم من الرحمات، فان الانسان مطبوع على حب النافع فاذا اعتقد ذلك سعى بكل وسعه في تعظيم أهلها ثم تدرج من تعظيمهم الى تعظيم قبورهم بالصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها ووضع التماثيل عليها وهي مزينة بأنواع الزينة حتى العمامة للذكر والخمار للانثى، وبأشياء كثيرة مما كان يفعله عباد الاصنام لاوثانهم

ان دعوى استحباب زيارة قبور أهل الخير لاجل التبرك دعوى باطلة وقول على الله بغير علم، ولا دليل عليه أصلا، بل قامت الادلة على حرمتها، فان الاحاديث

التي وردت في التحذير من الافتتان بالقبور وأهلها تدل على أن الزيارة لمجرد التبرك محرمة لان اعتقاد التبرك ذريعة من أعظم الذرائع المفضية الى أكبر الكبائر وهو الشرك فقد قال ابن القيم في باب سد الذرائع « ومن تأمل مصادر الشريعة ومواردها علم أن الله ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها » وقال في موضع آخر: إن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر، لهذا تجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في مساجد الله ولا في أوقات السحر: الخ فهذا هو الدليل على حرمة الزيارة اذا كان الغرض منها التبرك فما الدليل على استحبابها

إن الاحاديث التي جاءت بشأن زيارة القبور لاتدل على استحباب الزيارة إلا اذا كان الغرض منها التذكر والاعتبار بالموت وما بعده ففي حديث مسلم « زوروا القبور فانها تذكر الآخرة » فقد قصر علة الزيارة على تذكرة الآخرة فلم يطلق بدون ذكر علة حتى يمكن أن يقال ولو للتبرك بل قيدها بهذه العلة واقتصر عليها ولم يذكر علة أخرى ، وعلى هذا فدعوى استحباب الزيارة لعلة غير التي ذكرت في الحديث وزيادة علة لاتشبهها في معناها يعد من الابتداع والتشريع لما لم يأذن به الله، ويعد افتياتا على الشارع ، بل معارضة لمقاصده من سد الذرائع المفضية إلى الشرك بالقبور وأهلها وهذا هو الابتداع بعينه، ومن المصيبة أن هذه العبارة منشورة في كتاب اسمه (الابداع في مضار الابتداع) ويا ليته ابتداع لم يترتب عليه ضرر، بل قد ترتب على هذه الفرية « استحباب الزيارة للتبرك» من المضار والمفاسد مالا يحصيه إلا الله . فجميع أنواع البدع التي تفعل عند قبور الصالحين لا سبب لها إلا الاعتقاد بأن لهم في برازخهم بركات وعليهم تنزل الرحمات، وأنهم ينتفعون بتلك البركات والرحمات ، ولذلك تجد عوام الناس بل وخواصهم لا يقصدون من زيارة قبور الصالحين إلا هذه الغاية ، فهل تجد أحداً يقصد قبور الصالحين للتذكر والاعتبار بالموت وما بعده ؟ كلا انما كانت زيارة القبور عبادة مستحبة لان الغرض منها أمر محبوب للشارع مقصود له وهو التذكر والاعتبار ، فكيف تكون الزيارة بقصد التبرك عبادة مستحبة والغرض منها انما هو من هوى

النفس وحظوظها (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس)

ثم يقال لاهل هذه الضلالة أيضاً من أين أتاكم أن البركات التي لاهل الخير في برازخهم والرحمات التي تنزل عليهم تنال زائريهم ؟ والحال أن هذا أمر غيبي لا يصح أن يقال إلا عن توقيف من الشارع إذ لا مجال للرأي والعقل فيه ؟ ويا ليتهم اقتصروا على هذه الفرية ، بل رتبوا عليها حكماً شرعياً وقالوا « يستحب زيارة أهل الخير لما لهم في برازخهم من البركات وما ينزل عليهم من الرحمات » سبحانك هذا بهتان عظيم ، وهل تدري أيها القارىء من أين أتت هذه الضلالة وأدخلت في الدين ؟ جاءت من الفلاسفة الضالين المضلين التاركين لنصوص الشريعة معتمدين على عقولهم وآرائهم فضلوا وأضلوا ، فقد قال ابن القيم في اغاثته إن أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذة من عباد الاصنام فانهم قالوا : إن الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناه منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها . أه ثم قال : وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي ، ثم قال وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وتعليق الستور عليها ، واقامة السدنة لها ، ودعاء أصحابها ، والدعاء بهم والنذر لهم ، وغير ذلك من المنكرات ، والله قد بعث رسله وأنزل كتبه بابطال ذلك وتكفير أصحابه ولعنهم وهو الذي قصد رسول الله ابطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف هؤلاء الضالون المضلون في طريقه وناقضوه في قصده ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما حصل من السلطان من الانعام والافضال نال ذلك المتعلق من حصته بحسب تعلقه به ، وبهذا السبب عبد الناس أصحاب القبور

وقال أيضاً رضي الله عنه : ولا تحسبن أيها المؤمن المنعم عليه باتباع الصرط المستقيم أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانا فيه غض من أصحابها وتنقيص لهم ، كلا ليس هذا من تنقصهم كما يحسبه الجهال أهل البدع والضلال ، بل هو من تعظيمهم واكرامهم واحترامهم وسلوك فيما يحبون ، واجتناب لما يكرهون ، وأنت وايم الله

وليهم ومحبهم وناصر طريقتهم ، وأنت على هداهم . وأماهؤلاء المبتدعون الضالون فقد نقصوهم في صورة التعظيم ، فهم أبعد الناس من هداهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح ، واليهود مع موسى ، والروافض مع علي . وهم من قبيل الصديق الجاهل الذي هو أضر من العدو العاقل ، فأهل الحق أحق بأهل الحق من أهل الباطل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض . فان القلوب اذا اشتغلت بالبدع ، أعرضت عن السنن ، ولذلك نجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من كان يتبع السنن ويحييها ، مشتغلين بغير ما أمر به ودعا اليه . وتعظيم الانبياء والصالحين ومحبتهم انما تكون باتباع مادعوا اليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقهم دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أوثانا، فان من اقتفى آثارهم كان سببا لتكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوة الناس إلى اتباعهم، فان أعرض عن مادعوا اليه واشتغل بضده ، حرم نفسه واياهم من ذلك الاجر، فأي تعظيم واحترام له في هذا .. انتهى

هذا واني كنت أود أن الرد على هذه العبارة المضلة يكون من فضيلتكم لما هو معلوم من البون الشاسع بين ما أوتيتم من سعة العلم وما أوتيه مثلي ، ولكن لعلمي بكثرة مشاغلكم الاصلاحية كتبت هذا الذي يسر الله لى فقد قال تعالى (فاتقوا الله مااستطعتم) وقال (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لايكلف الله نفساً إلا ما آتاها) ولكن ما فائدة الكتابة بدون نشر ، ومن ينشر مثل هذا غير مجلتكم المنار مجلة الاصلاح الوحيدة في هذا الزمان ، وإني لاأجد من ينصر هذا الحق ويعينني عليه غيركم فقد قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (والمؤمنون بعضهم أولياء بعض) وفقنا الله واياكم ، وبارك لنا فيكم ونفعنا بعلومكم والسلام عليكم

كاتبه

مصطفى نورالدين بدمياط

[المنار] إن كتاب الابداع هذا لم يهد إلينا وانما رأينا نسخة منه جيء بها إلى مكتبة المنار لاجل تجليدها لصاحبها فنظرنا في فهرسه وبعض أوراقه فسرنا أن يؤلف مدرس في الازهر كتابا فى مضار الابتداع وينكر كثيراً من البدع التي

يشارك الازهريون فيها العامة ويتأولون النصوص الدالة على حظرها ، ورأينا في النظرة العجلى القصيرة الزمن بعض مسائل منتقدة لعل هذه المسألة منها وأحببنا لو يتاح لنا تصفح الكتاب كله لبيان منافعه وفوائده والتنبيه لما ينتقد منه لعله يجتنب في الطبعة الثانية المرجوة لمثله ثم لم نره بعد ذلك

﴿تقريظ الاستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت﴾

(لخلاصة السيرة المحمدية)

حضرة الاستاذ العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا المكرم أدام الله تعالى توفيقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اطلعت على كتاب (خلاصة السيرة المحمدية) وتأملت فيه فوجدته من أنفس الكتب التي ألفت لتهذيب نفوس أولاد المسلمين وتعليمهم مكارم الاخلاق التي بعث بها نبينا ﷺ فياله من كتاب علمنا كيف يكون الاقتداء بامام المرسلين ورسول رب العالمين الذي شرف الانسانية بفضائله وآدابه الصحيحة السامية، ولكن اكثر الذين تعلموا من أولادنا وتربوا في مدارس الاغيار وغيرها من المدارس الاهلية التي اقتفت اثر الغرب في التربية والتعليم لايعرفون فضل ما جاء به هذا النبي الكريم حق المعرفة فاذا ذكر اسمه الشريف لايصلون عليه ولا يسلمون لغفلتهم عما يجب عليهم من تعظيمه وقلما نرى أحداً منهم متديناً حق التدين، وربما كان السبب في ذلك الآباء والمعلمون فلأجل المحافظة على عقائدهم الدينية وتنوير عقولهم بأنواره عليه الصلاة والسلام أرى من الواجب على نظار المدارس الاسلامية أن لا يوسدوا أمر التربية والتعليم إلا الى العالم المتدين الذي يهتم بأمر المسلمين ويعرف طرق التربية الحقيقية وأن يقرروا كتاب [خلاصة السيرة المحمدية] للتدريس في مدارسهم لانه من أفضل كتب المطالعة التي لها في القلوب أجمل تأثير وشأن عظيم في التربية الروحية والادبية والاجتماعية، بل هو فريد في بابه ، مفيد لطلابه، رواياته صحيحة، وعباراته فصيحة، والأخذ منه سهل على المعلم والمتعلم ، وهو ذخيرة للناشئين ، وتذكرة للمتعلمين ، كما قلت أيها الاستاذ الناصر للسنة السنية الحريص على نفع الامة. فلك منا على تأليفه الثناء الجميل، ونرجو الله تعالى أن يمنحك الاجر الجزيل م (الختم) مفتي بيروت

حفلة التأبين الكبرى

كانت الحفلة الكبرى لتأبين سعد باشا ورثائه أفخم وأعظم وأشجى من كل ماسبقها من أمثالها كسائر مظاهر إجلال الرجل حياً وميتاً وقد خطب فيها أعظم رجال مصر من الوزراء والشيوخ والنواب غيرهم وأنشدت القصائد لأشعر الشعراء كما أشرنا إليه في فصل ترجمة الفقيد، وإننا ننشر في هذا الجزء مرثية أحمد شوقي بك أمير الشعراء وسننشر من بعد بعض الخطب الجليلة حتى لايحرم قراء المنار من أبلغ ماقاله أفصح العرب في هذا العصر في نابغة العرب في السياسة والفصاحة العربية . وهي هذه :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها
ليتني في الركب لما أفلت ... يوشعٌ همت فنادى فثناها
جلّل الصبحَ سواداً يومها ... فكأن الارض لم تخلع دجاها
أنظروا تلقوا عليها شفقا ... من جراحات الضحايا ودماها
وتروا بين يديها عبرة ... من شهيد يقطر الورد شذاها
آذن الحق ضحاياه بها ... ويحه ! ! حتى إلى الموتى نعاها
كفنوها حرة علوية ... كست الموت جلالا وكساها
ليس في أكفانها الا الهدى ... لُحمة الاكفان حق وَسداها
خطرَ النعشُ على الارض بها ... يحسر الابصار في النعش سناها
جاءها الحق ومن عاداتها ... تؤثِر الحق سبيلا واتجاها
مادرت مصر بدفن صُبحت ؟ ... أم على البعث أفاقت من كراها
صرخت تحسبها بنت الشَّرى ... طلبت من مخلب الموت أباها
وكأن الناس لما نسلوا ... شعب السيل طغت في ملتقاها
وضعوا الراح على النعش كما ... يلمسون الركن فارتدت نِزاها
خفضوا في يوم سعد هامهم ... وبسعد رفعوا أمسِ الجباها
سائلوا «زحلة»[1] عن اعراسها ... هل مشي الناعي عليها فمحاها

(١) زحلة بلدة في جبل لبنان كان الشاعر مصطافا فيها

عطل المصطاف من سماره وجلا عن ضفة الوادي دُماها
فتح الابواب ليلا ديرُها والى الناقوس قامت بيعتاها
صدع البرق الدجى تنشره أرض سوريا وتطويه سماها
يحمل الانباء تسري مَوهِنا كعوادي الثكل في حر سُراها
عرض الشك لها فاضطربت تطأ الآذان همسا والشفاها
قلت ياقوم اجمعوا أحلامكم كل نفس في وريديها رداها
قلت والنعش بسعد ماثل فيه آمال بلاد ومناها
كلما أمعن في نقلته ضجت الارض على قطب رحاها
ياعدو القيد لم يلمح له شبحا في خطة إلا أباها
لا يضق ذرعك بالقيد الذي حز في سوق الاوالي وبراها
وقع الرسل عليه والتوت أرجل الاحرار فيه فعفاها
يارفاتا مثل ريحان الضحى كللت عدن بها هام رباها
وبقايا هيكل من كرم وحياة أترع الارض حياها
ودع العدل بها أعلامه وبكت أنظمة الشورى صُواها
حضنت نعشك والتفت به راية كنت من الذل فداها
ضمت الصدر الذي قد ضمها وتلقى السهم عنها فوقاها
عجبي منها ومن قائدها . كيف يحمي الاعزلُ الشيخُ حماها
منبر الوادي ذوت أعواده من أواسيها وجفت من ذراها
من رمى الفارس عن صهوتها ودها الفصحى بما ألجم فاها
قدرٌ بالمدن ألوى والقرى ودها الاجيال منه مادهاها
غال « بسطورا » وأردى عصبة لمست جرثومة الموت يداها
طافت الكأس بساقي أمة من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانها من وتر ساحر رن مليا فشجاها
أرغنٌ هام به وجدانها وأذانٌ عشقته أذناها
كل يوم خطبة روحية كالمزامير وأنغام لغاها

دلهت مصراً ولو أن بها فلوات دلهت وحش فلاها
ذائد الحق وحامي حوضه أنفذت فيه المقادير مناها
أخذت سعداً من « البيت » يد تأخذ الآساد من أصل شراها
لو أصابت غير ذي روح لما سلمت منهــا الثريا وسهاها (١)
تتحــدى الطب في قفــازها علة الدهر التي أعيــا دواها
من وراء الاذن نالت ضيغما لم ينــل أقرانه إلا وجاها
لم تصارح أصرح النــاس يداً ولسانا ورقاداً وانتباها
هذه الاعواد من آدم لم يهــد خفاها ولم يعر مطاها
نقلت (خوفو) ومالت (بمنا) لم يفت حيا نصيب من خطاها
تخلط العمرين شيبا وصبا والحياتين شــقاء ورفاها
زورق في الدمع يطفو أبداً عرف الضــفة إلا ماتلاها
تهلع الثكلى على آثاره فاذا خف بهــا يوما شفاها
تسكب الدمع على سـعد دمًا أمة من صخرة الحق بناها
من ليان هو في ينبوعها وإباء هو في صم صــفاها
لقن الحق عليــه كهلها واسـتقى الايمان بالحق فتاها
بذلت مالا وأمنا ودما وعلى قائدها ألقت رجاها
حملته ذمة أوفى بهــا وابتلته بحقوق فقضــاها
إبنَ سـبعين تلقي دونهــا غربة الأسر ووعثاء نواها
سـفر من عدن الأرض الى منزل اقرب منــه قطباها
قاهر ألقى به في صخرة دُفع النسر اليهــا فأواها
كرهت منزلها في تاجه درة في البحر والبر نفاها
اسألوها واسـألوا شانئها لمَ لم ينف من الدر سـواها

(١) المنار السها بالضم كوكب صغير خفي يراه حديد البصر بجانب الـكوكب الاوسط من بنات نعش فهو ليس من كواكب الثريا ولـكن فيها مثله ولذلك يعـدها بعض الناس ستا وبعضهم سبعا

ولد الثورة سعد حرة ... بحياتي ماجد حر نماها
ما تمنى غيرها نسلا ومن ... يلد الزهراء يزهد في سواها
سالت الغابة من أشبالها ... بين عينيه وماجت بلباها
بارك الله له في فرعها ... وقضى الخير لمصر في جناها
أو لم يكتب لها دستورها ... بالدم الحر ويرفع منتداها
قد كتبناها فكانت صورة ... صدرها حق وحق منتهاها
رقد الثائر إلا ثورة ... في سبيل الحق لم تخمد جذاها
قد تولاها صبيا فكوت ... راحتيه وفتيا فرعاها
جال فيها قلما مستنهضا ... ولسانا كلما أعيت حداها
ورمى بالنفس في بركانها ... فتلقى أول الناس لظاها
أعلمتم بعد موسى من يد ... قذفت في وجه فرعون عصاها
وطئت ناديهُ صارخة : ... شاهَ وجهُ الرق ياقوم وشاها
ظفرت بالكبر من مستكبر ... ظافر الأيام منصوراً لواها
القنا الصم تشاوى حوله ... وسيوف الهند لم تصح ظباها
أين من عيني نفس حرة ... كنت بالأمس بعيني أراها
كلما أقبلت هزت نفسها ... وتواصى بشرها بي وندَاها
وجرى الماضي فماذا ادكرت ... وادكار النفس شيء من وفاها
ألمح الأيام فيها وارى ... من وراء السن تمثال صباها
لست ادري حين تندى نضرة ... علت الشيبَ أم الشيب علاها ؟
حلت السبعون في هيكلها ... فتداعى وهي موفور بناها
روعة النادي إذا جدت فان ... مزحت لم يذهب المزح بهاها
يظفر العذر بأقصى سخطها ... وينال الود غايات رضاها
ولها صبر على حسادها ... يشبه الصفح وحلم عن عداها
لست أنسى صفحة ضاحكة ... تأخذ النفس وتجري في هواها
وحديثا كروايات الهوى ... جد للصب حنين فرواها

وقناة صعدة لو وهبت للسماك الأعزل اختال وتاها
أين مني قلم كنت اذا سمته ان يرثي الشمس رثاها
خانني في يوم سعد وجرى في المراثي فكبا دون مداها
في نعيم الله نفس أوتيت أنعم الدنيا فلم تنس تقاها
لا الحجى لما تناهى غرها بالمقادير ولا العلم زهاها
ذهبت اوابة مؤمنة خالصا من حيرة الشك هداها
آنست خلقاً ضعيفاً ورأت من وراء العالم الفاني إلها
ما دعاها الحق إلا سارعت ليته يوم « وصيف » ما دعاها

شعر في وصفة طبية قديمة جواب عن سؤال

مقتبسة من كتاب أطباء العرب في ألمانيا الذي يشتغل بتأليفه الدكتور زكي كرام

شكا الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر بدأ على جبهته ونظم شكواه شعراً وأنفذه إلى الشيخ الرئيس (ابن سينا) وهو

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه وغرس إنعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه أدام الله مدته آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنما شكر النبي له مع شكر عترته

فاجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته من الاذى ويعافيه برحمته
أما العلاج فاسهال يقدمه ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ولا يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الوردمعتصراً فيه الخلاف مدافا وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً ولا يصيحن أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل بهسيرى آثار خير ويكفى أمر علته

ز . ك

أنباء العالم الإسلامي

بلادنا المصرية

فقدت هذه البلاد بموت زعيمها الاكبر سعد باشا زغلول ركن نهضتها، وسياج وحدتها ، وروح قوتها ، ومناط آمالها في نيل الاستقلال التام المطلق ، وأثبت لها ما قالته الجرائد البريطانية فيه بعد موته انها غير مخطئة في آمالها فيه وتعلقها به ، ولكنه قد مهد السبيل قبل وفاته للسياسي المحنك عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة الائتلافية ، للاتفاق مع الحكومة البريطانية على حل عقد الخلاف بمعاهدة بين المملكتين ، فاذا أمكن لرجال الوفد وسائر الاحزاب المحافظة على وحدة البلاد واتفاق كلمتها بنظام حكيم يؤدي وظيفة الزعيم في ذلك فان البلاد تنال بذلك ما كان مرجواً لها بوجوده أو ما يقرب منه والا تعذر الاتفاق بين الدولتين وعاد الجهاد الى ما كان عليه ، فالفرصة الآن سانحة للفريقين بهذا ويحرص الدولة البريطانية على تسوية المشاكل بينها وبين الشعوب الشرقية لئلا تفاجئها الحرب البلشفية العامة الآتية وهذه الشعوب على عداوتها فيتعذر عليها الاستفادة منها كالحرب التي قبلها او الامن من قيامها عليها وانتقامها منها .

الشعب التركي

كنا نعلم أن مصطفى باشا كمل يشنأ الاسلام ويمقته من قبل أن يظهر ذلك ، ونعلم أن ملاحدة الترك الموافقين له على السعي لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضاً فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كثيرون ، وكنا نتمنى قبل تأليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرون الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركي — فأبوا إلا أن يهدموا كل مابقي للدولة فيه من مظهر وشعيرة وحكم وعمل وعلم ، بعد أن وضعوا في قانون الجمهورية أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ، فلم نشك وقد رأينا مارأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الامة أن هذا اللقب قد

وضع تقية لئلا يكون لمفاجأة الامة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيراً بعد أن صرح مراراً بأن التركي حر في اختيار الدين الذى يعجبه وثنياً كان أو يهودياً أو نصرانياً ، ولعمري إنه ليس حراً في أن يكون مسلماً فانه يجبر اجباراً على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام

ان الحكومة الكمالية الشخصية العسكرية (الدكتاتورية) قد خصصت زهاء نصف ميزانيتها المصالح العسكرية وما يتعلق بها من حفظ الامن في البلاد وهي في حال السلم فمزقت شمل المعارضة التي قام بها الزعماء المسلمون وكذلك الثورات المتتابعة ولما لم يبق في المملكة صوت يرتفع صرح مصطفى كمال باشا بأن وضع اسم الاسلام في قانون جمهوريته كان موقتاً وقد حان الوقت لرفعه

ومن أعجب أمر انتكاس المسلمين في دينهم وعقولهم أن أكثرهم لم يكونوا يصدقون أن مصطفى كمال باشا قد انتزع الدولة التركية من حظيرة الاسلام وأنه يحاول انتزاع الشعب التركي منها ، فان منهم من سمى إلغاءه للاحكام الشرعية ومحاكمها توحيداً للمحاكم لا ينافي الاسلام — وسمى منعه للتعليم الاسلامي وابطاله لمدارسه توحيداً للتعليم التركي لا ينافي الاسلام ، وسمى تفضيله للقوانين الاوربية المسيحية الاساس كقانون سويسرة للاحكام الشخصية من زواج وطلاق وإرث إيثاراً للأحكام المدنية الجديدة على الاحكام الدينية القديمة الرثة البالية كما يقول هو وحزبه . ولم يصرحوا بهذا إلا بعد أن صرح به كبراء الدولة الجديدة من الحكام وأصحاب الجرائد ، فكل ماذكر لم يمنع بعض مسلمي الهند من ارسال وفد له يعرض عليه منصب الخلافة الاسلامية فرده خائباً خاسراً كما يستحق !!!

وقد بلغنا رواية عن بعض كبراء الترك في أوربة ونحن فيها منذ بضع سنين أن مصطفى كمال باشا يرجح تنصير الشعب التركي ولكنه يود أن يأخذ ثمنا على ذلك من الدولة البريطانية هو أن تعامل الشعب التركي معاملة الاقران والامثال، وتحالفه محالفة الانداد والأقتال، وكان يرجو هذا بالغاء الخلافة وإعلان اللادينية فعز المنال

من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا أفندي المصري الاصل المقيم في الاستانة الذي كان يراسل جريدة الاخبار المصرية

الاسلامية قبل أن يصير أمر الحكومة التركيـة إلى هذا الحد من اظهار الكفر وعداوة الاسلام فلما برح الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الالحادية بجريدة الاخبار الاسلامية التي صارت مناوئة ومقاومة لهم.

كتب الامير شكيب ارسلان مقالات في اظهار خفايا شنآن الحكومة التركية الجديدة للاسلام وللعرب نشرتها جريدة الاخبار فتولى الرد عليها عمر رضا أفندى هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ، ثم شايعتهم جريدة السياسة في مصر ، ولم يرد له أحد حجته ، ولا نقض له قضيته، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا أنه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز !! ولا عجز أظهر من عجز من يحاول دفع حجة خصمه بأنه ليس أهلا لايرادها بسبب نسبه أو زعامته وزعامة بيته لطائفة كذا — فأي علاقة بين المباحث العلمية والشرعية والتاريخية وبين كون الباحث زعيما لطائفة من الناس لاعلاقة لهم بموضوع بحثه الا أن تكون موافقته على الانتصار للاسلام ،وتأييده في جهاد الكفر والالحاد؟

طائفة الدروز من الشيعة الباطنية الذين انشقت عصا الخلافة بينهم وبين أهل السنة في القرون البائدة فكانوا طرائق قدداً منهـا جمعيات سرية ألبست لباس الدين لجعل صلتها برؤسائها تعبدية لامجال للرأي فيها وهم من صميم الامة العربية ولبابهـا لا يعرف أكثر أفرادها من تلك التعاليم الباطنية شيئاً ، والذين تعلموا التاريخ من رجالهـا قد عرفوا أن تلك التعـاليم كانت مكراً من مجوس الفرس بالعرب ليفرقوا كلمتهم،ويضعفوا شوكتهم ليزول ملكهم ، ويتقلص ظلهم عن بلاد فارس فيعود لها ملكها التليد ، ولذلك يسعى هؤلاء العلماء إلى رد من بقي من طائفتهم محافظاً على تلك التعاليم الباطنية إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد استشارني كثيرون من نابغي شبانهم في هذا ، على ان الذين لا يزالون يعرفون تلك التعاليم السرية أفراد من الطائفة يسمون رجال العقل،ويشترط في اطلاعهم عليها استمساكهم بكثير من الفضائل والآداب التي يقل في الناس من يحافظ عليها . وباقي أفراد الطائفة لا يعرفونها فهم لا يعدون دروزاً إلا بالنسب، ككثير من المنتسبين الى السنة وهم على بدع بعضها شرك صريح بالله ، وبعضها من كبائر المعاصي . ومنهم الذين

عرفوا مذهب السنة واعتصموا به

وأما الامير شكيب نفسه فهو من أنبغ مريدي الاستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السلفية وحكمتها العالية في بيروت حيث ألف رسالة التوحيد التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ، فكان بهذا من أنصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين أو عوامهم ، وقد قال له السيد جمال الدين حكيم الملة : حيا الله أرض اسلام أنبتتك. وقد كان يصلي معي في فنادق أوربة أيام صحبته لي فيها ، فياليت لهؤلاء الذين عرضوا بدينه أو مذهبه بعض ماهو عليه من العلم الصحيح بالاسلام والعمل به ، دع الدفاع عنه والنضال دونه

ولما كان الانتقاد في فوضى هذا العصر القلمية كالحمارة العرجاء يركبها كل ضعيف رأينا في بعض الجرائد انتقادات لغوية وشرعية على بعض عبارات للامير شكيب في بعض مقالاته كان المنتقدون له فيها هم المخطئين حتى في مسألة المصالح المرسلة ويسر الشريعة التي كانت عبارته فيها غير محررة على الاصطلاح الاسلامي الفقهي ولم نفرغ يومئذ لتحقيق الحق فيها

الشعب السوري والثورة

لكل مظهر من مظاهر الاجتماع البشري ظاهر وباطن ولا سيما الثورات والحروب فانها كثيراً ماتخفى حقيقتها وحقيقة رجالها زمناً طويلا إن لم يكن دائماً

وقعت الثورة السورية فعمل فيها بعض الناس اختياراً ، واضطر بعضهم إلى الدخول فيها اضطراراً ، وكان همّ بعض هؤلاء استغلالها والربح منها ، وشاركهم في هذا القصد آخرون ممن يشتغلون بالسياسة السورية حيثما وجدوا سواء كانوا في داخل البلاد أو في خارجها ، ومن طلاب الربح من يطلب المال ، ومنهم من يطلب الجاه كالزعامة والرياسة وكثرة الاتباع والانصار

وكان من أكبر جنايات هؤلاء المرائين أنهم أحدثوا شقاقا في الامة بطعن بعضهم في الرجال الذين كانوا يتولون إيصال الاعانات إلى أهلها ، لأنهم لم يستطيعوا ارضاء طمعهم واشباع نهمتهم ، ومن دلائل سوء نيتهم وفساد طويتهم استعانتهم على فعلتهم ببعض الجرائد المستأجرة للمستعمرين خصومهم ، ومن جرائمهم أنهم

كتبوا إلى كرام المهاجرين الذين في البلاد الاميركانية مكتوبات تثبط عزيمتهم وتقبض أيديهم عن إعانة المنكوبين في هذه الثورة ولا سيما اباة الضيم الذين أبوا التسليم الخزي وأووا إلى حدود نجد يعتصمون فيها بعد أن أخرجتهم حكومة الامير عبد الله بن حسين الهاشمي من أرض الشرق العربي بأمر سادته الانكليز

ولم يكتف هؤلاء بهذه الجريمة بل ارتكبوا جريمة شراً منها أو مثلها وهي الوشاية باللاجئين إلى حدود نجد ومن يخدمونهم ويسعون لسد رمقهم فقد كتبوا إلى جلالة ملك الحجاز ونجد من الطعن الكاذب في اخوانهم مالا يرضاه لنفسه إلا الشيطان الرجيم عدو البشر

ثم دبت عقاربهم إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت منذ أسست موضع اجلال جميع السوريين وثنائهم ، فاحتلوا مكتبها وناديها وجعلوه مركزاً لجميع ماتقدم ذكره آنفاً من الفساد والفتن ، حتى اضطر أكثر الاعضاء إلى هجر ذلك المكتب والاشتغال في مكان آخر — وقد بذلت كل مااستطعت من جهد لتلافي ذلك فما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وقد سعى بعض فضلاء الاخوان هنا لما عجزت عنه ولاأزيد الآن على ماذكرت إلا اذا خاب سعيهم . ولكن من المحزن أن يلجأ من رفعه سادة المسلمين وكبراؤهم ووضعوه فوق رؤوسهم إلى الاستعانة على مقاومتهم برجال الكنيسة ومتعصبي الدين والسياسة لينصروه باسم النصرانية على المسلمين ، ويزعم هو وهم أنهم نبذوه لاجل دينه ، فهل كان حين رفعوه مسلما أو « ماعدا مما بدا » ؟

نفاق وشقاق ، وخلف وافتراق ؟ وفقر لا يطاق ، وبيوت مخربة ، وقرى مهدّمة ، ومزارع مستأصلة ، وهجرة من البلاد منصلة ، وذل وعبودية ، وشكوى عامة من الحالة الاقتصادية ، وتخبط في التصرفات السياسية — كل هذا بعض ماتئن منه سورية ، وكل هذا وأكثر منه لم يصرف بعض شبان أم الوطن (دمشق) وشوابها عن فتنة التفرنج القاتلة للتدين والتعرب ، المزينة باسم التجدد

فأما الشبان فيريدون تزيين رؤوسهم بالبرنيطة ليكونوا كبعض محرري جريدة السياسة المصرية والهلال المصري مجددين ، فان كانوا لايعلمون من هذا التجديد

أو التجدد إلا لبس البرنيطة لسهولته ، وخفة مؤنته ، والسبق إلى التميز عن الجمهور به ، فليعلموا أن من أساتذتهم في مصر من يدعو جهراً إلى ترك الدين — كل دين — البتة، ومنهم من يدعو إلى ترك الجنسية النسبية ، وقطع الرابطة الوطنية ، والتجنس بجنسيه أوربية ، فان كانوا على ذلك فما عليهم إلا أن يتجنسوا بالجنسية الفرنسية مباشرة كما يقول المثل الذي يكثر من ضربه أبو حامد الغزالي: « كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة » وإلا فلبس البرنيطة وحدها لا تفيدهم علماً ولا عملا ، ولا عزاً ولا شرفا ، وأقل مافيها من الضرر ايجاد شقاق وتفرق جديد في بعض مشخصات أمتهم وهو اضعاف لها ، وقطع لصلتهم بها . وبذلك يصبحون بغير أمة ولا ملة

وأما الشواب فقد طلبت زعنفة منهن اذن الحكومات لهن بأن يبرزن في الشوارع والاسواق سافرات الوجوه ، عاريات الصدور ، حاسرات عن الذراعين والعضدين ، كاشفات عن الساقين والركبتين ، أو كما ورد في الحديث في صفة بعض أهل النار « ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » فهل رأى هؤلاء أن العهر قد رث وخلق فهن يردن تجديده بتقليد عواهر الغرب ليكون أشهر وأعم انتشاراً ؟ فان لم يكن عندهن بقية من الدين وشرف العرض كما هو الظاهر ، أفليس لهن شعور بأن لهن أمة محتاجة إلى تجديد مجدها الذي كان فوق كل مجد في الارض ! وبأن لهن وطناً محتاجا إلى تجديده بالعمران ، بعد أن خربته احداث الزمان ، أولا يوجد من أهلهن من يخبرهن بأن تجديد الامم والاوطان انما يكون بالجهاد في تحصيل الثروة والقوة بالعلم والفن والصناعة والزراعة والتجارة — وأن الترف والسرف في التورن والتنوق والتطرز والتطرس مدعاة للفسق والفجور المخرب للعمران لا المجدد له ؟ وهذه قضية متفق عليها بين علماء الشرق والغرب لم يختلف فيها أحد وإن ظن الجاهل الناظر لظواهر ترف الافرنج خلاف ذلك ، وقد بينا شبهة هؤلاء الجاهلين وفندناها في المنار مراراً



٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٦هـ ١ برج القوس سنة ١٣٠٧هـ ش ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

﴿ سمت القبلة وأدلتها وأقواها بيت الابرة والقطب الشمالي ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في اسربجه — منوفية مصر

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا أطال الله حياته

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد عهدناك نصيراً للشريعة عاملا على توضيح مايدلَهم علينا منها . لذا طرقنا باب فضيلتكم لنستنير برأيكم في موضوع تجادلنا فيه ولم يقتنع كل منا بأقوال أخيه نرجو التكرم باثبات الحقيقة ولكم الأجر والثواب

ياصاحب الفضيلة قال بعضنا إن البوصلة (بيت الابرة) هي العلامة الوحيدة لقبلة الصلاة لأن عقربها لا يقف إلا مقابلا لبناء الكعبة

فراجعه البعض الآخر قائلا إن البوصلة ماوضعت إلا لمعرفة الجهات الأربع (الشمال . والجنوب . والشرق . والغرب) وبها يهتدي الملاحون والطيارون الى الجهات التى يقصدونها . وعلامة القبلة : هي قطب السماء مستدلا على ذلك بقول سادتنا العلماء في كتب الفقه (شعرا)

قطب السما اجعل حَذْوَ أُذْنٍ يسرى بمصر والعراق حذو الأخرى
والشأم خلفاً وأماما باليمن مواجهاً تكن بذا مستقبلن

وفسر الحذو أن يجعل القطب مقابلا لثقب الأذن اليسرى

فقال البعض الأول إن معنى الحذو أن يكون القطب خلف الأذن لا مقابلا لها ، وقال أيضا إن كتب الفقه محرفة وكل واقف للصلاة في محراب المساجد كلها حتى محراب الجامع الازهر يجعل القطب خلف أذنه اليسرى لا مقابلا لها ثم قال انه لا يصح مخالفة محراب المساجد ولو تبين له بالدليل الشرعي انه منحرف انحرافا كبيرا ثم قال انه لو قال كائنا من كان بخلاف ذلك يكون كاذبا ولا يصح الاقتداء به . لذا نرجو التكرم علينا بشرح أقوال الطرفين شرحا وافيا حتى يتبين لنا

الحق فنتبعه وهل الذي يجعــل القطب خلف أذنه بمصر عامداً متعمداً صلاته صحيحة أم لا ؟ جعلكم الله مصباحا نستضيء به في ظلمــات الشبهات . وتفضلوا ياصاحب الفضيلة بقبول احتراماتنا مرسي سيف

باسربجة ـ منوفية

(ج) ان بيت الابرة تقف ابرته المشابهة لعقرب الساعة وأحد طرفيها متجه الى جهة الشمال دائما وهو الطرف الأخضر القصير والطرف الآخر متجه الى جهة الجنوب فيعرف بذلك الشرق والغرب وسائر الجهات غير الاصلية من الخطوط التي ترسم في قاعدتها فيستدل بها على القبلة من يعرف موقعها في كل قطر والعلم الخاص بذلك علم تقويم البلدان ولكن الفقهاء يذكرون ذلك في كتبهم ومنهم من ألف في ذلك رسائل مخصوصة ، ومن المعلوم المنصوص في الكتب ان الجنوب قبلة المدينة والشام والشمال قبلة اليمن وأما قبلة مصر فهي بين الجنوب والشرق ويقابلها العراق فقبلتها بين الجنوب والغرب ويعرف هذا وذاك بخطوط بيت الابرة . وأما نجم القطب الشمالى فهو أضبط الأدلة لمعرفة الجهات لانه ثابت لا يتغير موقعه في الشمال فمن استدبره كان متوجهاً الى الجنوب لذلك يجعله أهل الشام وراء ظهورهم في صلاتهم الخ فعلم من ذلك ان أهل مصر يجعلونه خلف الأذن اليسرى لأن قبلتهم بين الجنوب والشرق . وحذو الشيء وحذاؤه مقابله وتجاهه لا خلفه وانما يكون القطب حذاء ثقب الأذن اليسرى لمن كانت قبلته جهة الجنوب كأهل المدينة المنورة وأهل الشام وكذلك قال الفقهاء في الكتب التي نعرفها فصواب الشعر الذي ذكرتموه «خلف أذن يسرى» وإلا فهو خطأ

وأما المحاريب في البلاد الاسلامية فالمتواتر منها معتمد لا يحتاج فيه الى اجتهاد وليس لأحد فيها رأي ومنها محراب الجامع الازهر ، ولا يعتد بقول من يخالف ذلك ولا قول من يقول ان كتب الفقه محرفة ـ هكذا على الاطلاق ـ فكثير من كتب الفقه في غاية الضبط والاتقان وما يقع في بعضها من تحريف النساخ أو المطابع فيعرفه الفقهاء ، ومنها الأصول المصححة على مصنفيها أو خطوطهم والمتلقاة بالاجازة والتلقين أحدهما أو كليهما : والله أعلم

﴿ تعليق الامراض بالأوهام وسؤال عن ٣ أحاديث ﴾

(س ٢٦) لصاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام مفتي الانام ومرجع العلماء الاعلام شيخ الاسلام الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاني أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي راجياً التكرم بالاجابة عليه خدمة لله تعالى ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم وأطلب الى سيادتكم أن لا تحيلونا على فتاوى سبقت لكم في مجلدات مجلة المنار بهذا الشأن لاننا خلو منها والله تعالى يكلؤكم برعايته ويمدكم بتوفيقاته ويجزل لكم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة .

ماقولكم دام فضلكم فيمن يتوهم له أنه اذا لبس الثوب الفلاني أو اذا دخل المنزل الفلاني أو اذا فعل الأمر الفلاني أو اذا قرأ السورة الفلانية أو الآية الفلانية أو الفائدة الفلانية وغير ذلك يصيبه المرض الفلاني أو المرض الفلاني أو يموت واذا قرأ أوراده في الصباح والمساء يتوهم أنه لم يقرأ الجملة الفلانية أو لم يبينها أو يلحن فيها فيكررها المرة بعد المرة فهل كل ذلك وسوسة شيطانية أم لا ؟ وما حكم الله تعالى ورسوله في ذلك كله وهل لكل ذلك دواء شاف في الشريعة المطهرة أم لا — وهل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين أم لا وهما « يس لما قرئت له » وفي رواية أخرى « يس قلب القرآن » و « خذوا من القرآن ماشئتم لما شئتم » تفضلوا بالجواب ولكم الأجر والثواب

السائل : عبد الحفيظ ابراهيم اللادقي

بيروت

(ج) للامراض أسباب ليس منها لبس ثوب معين أو دخول دار معينة أو قراءة آية أو سورة أو ورد ولا تركها ولكن قد يكون في بعض الثياب أو الدور أقذار مشتملة على جراثيم بعض الامراض فيكون لبسها أو دخولها سبباً

المرض باتصال تلك الجراثيم باللابس أو المقيم في الدار لا لذات الثوب أو الدار وما عدا ذلك فأوهام خرافية لا علاج لها إلا العلم الصحيح بالاسباب والمسببات وسنن الله في صحة الأبدان ، وبحكم الشرع بأن هذه الأوهام جهالة ما أنزل الله بها من سلطان وتكرار الآية أو الجملة أو الكلمة من الورد أو غيره لتوهم اللحن أو الترك وسوسة شيطانية سببها كما قال العلماء قلة العقل أو الجهل بالشرع .

أما حديث « يس لما قرئت له » فقال الحافظ السخاوي لا أصل لهذا اللفظ ولكن حديث « يس قلب القرآن » مروي وله تتمة ولكنه ليس بصحيح . وأما حديث « خذوا من القرآن ماشئتم لما شئتم » فلم أره في شيء من كتب الحديث

﴿ الاعتماد على كتب ابن تيمية والطاعن فيه ﴾

(س ٢٧) من صاحب الامضاء في زنجبار

ماقولكم فيمن اعتقد وصرح بأن من يعتمد على كتب ابن تيمية الامام المشهور لا يؤخذ قوله ولا يجوز العمل بأقواله ولا أن يولى القضاء ولا الشهادة بحجة أنه خرق الاجماع في ستين مسئلة في مذهب أهل السنة والجماعة محمد عبدالله قرنح

(ج) ان من اعتقد ماذكر جاهل بالشرع مقلد لأمثاله من العوام المقلدين فان كان يعني بالاعتماد على كتب ابن تيمية تقليده في كل مايراه فيها فحكم مقلده فيها حكم مقلد غيره من علماء المسلمين ومنهم أئمة الفقه المشهورون دع من دونهم من مقلديهم وقد بينا ذلك مراراً بالتفصيل تارة وبالاجمال أخرى وآخر مانشرناه في ذلك وفي بيان مكان ابن تيمية وكتبه ماراه السائل في باب الفتاوى من الجزء السادس من هذا المجلد وهو يغنينا عن الاطالة هنا . إلا أننا نزيد عليه ان جميع أئمة الشرع يقولون بأن شرط من يولّى القضاء أن يكون مجتهداً في الشرع ، ومن قال يصح تولية المقلد القضاء اشترط فيه عدم وجود المجتهد الصالح للقضاء وقالوا انه يستفتي في الوقائع غير المنصوصة وهم يشترطون الاجتهاد في المفتي . وأمثال هؤلاء ينتفعون بكتب ابن تيمية أكثر من انتفاعهم بكتب سائر فقهاء المذاهب لانه يذكر المسائل بأدلتها ويرجح بينها بدون تعصب لمذهب أو إمام ،

وأمثال هؤلاء يعرفون ماعساه يخالف الاجماع من أقواله إن وجد كما ادعى بعض المتعصبين عليه ممن لا يبلغون رتبة أوسط تلاميذه .

وأما الشهادة فشرطها العدالة ولا دخل فيها لكتب ابن تيمية ولا غيره

﴿ اقتراء عقائد في عالم الغيب وحياة الرسول فيه وجعله عقيدة ﴾
وتكفير من لا يتبع مبتدعها فيها

(ومنه) هل يجب على المؤمن أن يعتقد ان النبي ﷺ حي في قبره حياة دنيوية وانه يتمشي في الكون على مايشاء وإن ذاته الشريفة تحضر في المجلس الذي تقرأ فيه قصة مولده ﷺ وبالأخص البرزنجي ، وأن من لم يعتقد كل ذلك يخرج من دائرة الاسلام ويفسخ نكاح زوجته ومأواه النار والعياذ بالله ؟ وألتمس من حضرتكم فتوى يطمئن بها الخاطر وينشرح الصدر حجة لنا لا علينا ودمتم محفوظين بالعناية الإلهية آمين والسلام

(ج) ليس لأحد من خلق الله أن يوجب على أحد من عباده عقيدة ليس فيها نص قطعي في كتاب الله أو سنة رسوله وأجمع عليها أهل الصدر الأول . فان العقائد لايقبل فيها دليل القياس عند من يقولون إنه حجة في الشرع دع من يرفضون الاحتجاج به مطلقا أو فيما عدا المنصوص على علة الحكم فيه ، وذلك لانه عند المحتجين به دليل ظني خاص بالاحكام العملية والتحقيق أنه خاص فيما دون التعبديات منها ، والله تعالى يقول (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) وأجمعوا على أن أمور الغيب تؤخذ من نصوص الشارع القطعية ولا يقاس عليها ولا يحتاج فيها الى القياس لانها من أصول الدين والله تعالى يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فاذا تذكرت هذه القواعد القطعية علمت أن من أوجبوا على المؤمن أن يعتقد ماذكر في السؤال وكفروه بعدم قبول زعمهم ضالون مضلون قد كذبوا على الله ورسوله وشرعه ويصدق عليهم قوله تعالى في أصول المحرمات والكفر (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ومكذبون لقوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) ومخالفون لاجماع المسلمين ، فهم أجدر بالكفر

والخروج من الملة ممن يكفرونه بعدم تصديق بدعهم في المولد وقصة البرزنجي وغيره والواجب عليهم عند إعلامهم بذلك أن يتوبوا ويجددوا إسلامهم فان التشريع الديني كفر صريح وصرح بعضهم بأنه أشد من الشرك لان ضرره متعد كما بيناه في تفسير سورة الاعراف تبعا لغيرنا من العلماء ، ومنه تكفير المسلمين الذين لا يقبلون بدعهم . وأئمة أهل السنة لا يكفرون مسلما إلا بجحد ماهو مجمع عليه ومعلوم من الدين بالضرورة لأن غير المعلوم من الدين بالضرورة يعذر منكره بالجهل . قال صاحب عقيدة الجوهرة

ومن لمعلوم ضرورة جحد من ديننا يُقتل كفراً ليس حد

فكيف يكفر المسلم بانكار البدع وإنكارها واجب شرعا ؟ وقراءة قصة المولد بدعة ومن أشد فسادها اعتقاد هؤلاء المبتدعة ماذكرتموه بشأنها وهو كفر صريح وقصة البرزنجي وغيرها فيها مشتملة على أكاذيب أغنى الله خاتم رسله عنها بما مدحه به في كتابه وماهدى به من خلقه ، وحياته بعد الموت من عالم الغيب من قال فيه قولا من رأيه قياسا على حياة الدنيا التي انقطعت بموته وإلا لم يكن ميتا فهو كاذب مفتر على الله تعالى ورسوله (ص) ومنه ما ذكرتم في السؤال .

ومن عجيب امر هؤلاء المبتدعة أنهم يخترعون عقائد للاسلام ليس لها أصل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولم يقل بها أحد من الائمة المجتهدين على أنه لو قال بها لردها المسلمون عليه . ثم أنهم يطعنون في كتب الامام المجتهد شيخ الاسلام ابن تيمية لما افتراه عليه بعض المقلدين بزعمهم أنه خالف الاجماع في بعض مسائل الفروع يعنون إجماع فقهائهم وهم يجهلون اختلاف الائمة وعلماء الاصول في حجية هذا النوع من الاجماع وفي إمكانه أيضا . وأشهر المسائل التي زعموا أنه خالف فيها الاجماع مسألة الطلاق الثلاث بلفظ العدد مرة واحدة وسترى قيمة زعمهم في الفتوى التالية

(طلاق الثلاث بلفظ واحد)

(س ٢٨) من صاحب الامضاء بكفر مجر (مصر)

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قلتم فى المنار في م ٢٨ ج ٧ ص

٥١٢ س ١٤ « وقد كان شيخ الاسلام - ابن تيمية - يفتي بوقوع الواحدة وكذا تلميذه العلامة ابن القيم وهذا الذي نعتقده ونختاره » وحينئذ تكونون أحق من يرجع اليه في استيضاح عبارتيها وقد استدل ابن تيمية على رأيه هذا بحديث رواه الامام احمد بن حنبل في المسند ص ٢٦٥ ج ١ من طريق ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن ركانة بن عبد يزيد طلق زوجته سهيمة ثلاثا فقال له النبي ﷺ انما تلك واحدة وقال ان هذا الحديث رواه أبو داود في سننه عن ابن عباس من وجه آخر ولام أبا داود على طعنه على هذا الحديث مع جعله رواية أبي داود شاهدا لرواية الامام احمد هذه كما أوضحه في الجزء الثالث من فتاويه من ص ١٨ الخ وقد راجعت سنن أبي داود فوجدته كما يتضح لكم في (باب نسخ المراجعة بعد الثلاثة تطليقات) الثاني أن الذي رواه من طريق عبد الرازق عن عن ابن جريج عن بعض بني أبي رافع عن عكرمة أيضا عن ابن عباس أن المطلق هو عبد يزيد أبو ركانة طلق أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فعابته فاستحضر النبي أولاده ركانة وغيره وأمر عبد يزيد فطلق المزنية وراجع له أم ركانة مع قوله له طلقتها ثلاثا وان أبا داود أتبع هذه الرواية بقوله : وحديث نافع بن عجير وعبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة عن ابيه عن جده ان ركانة طلق امرأته فردها اليه النبي ﷺ أصح لان ولد الرجل واهله أعلم به ان ركانة انما طلق امرأته البتة فجعلها النبي ﷺ واحدة ثم بعد ثلاثة أبواب ترجم (باب في البته) وأتى بروايات عن نافع بن عجير وعبد الله المذكورين من طريق الامام الشافعي رضي الله عنه وغيره وفيها ان المطلق هو ركانة وان طلاقه كان بلفظ البته وانه حلف انه ما أراد الا واحدة فردها اليه النبي ﷺ فاي شاهد في ذلك (يقصد ابن تيمية) لحديث الامام احمد وأي رواية رواها أبو داود عن ابن عباس بمافي الحديث من وجه آخر فان رواية باب نسخ المراجعة بعكس ما ذكر أي أنها تعتبر معارضة لحديث الامام احمد حيث ان الراوي فيهما واحد وهو عكرمة والمروي مختلف فاين أن المطلق ركانة من أن المطلق والده بناء على حادثه زواج المزنية فلا سبيل للجمع بين الروايتين بحال كما أنه لا قائل بتعدد الحادثة مطلقا وكون المطلق ركانة وان طلاقه كان بلفظ البته وأنه حلف

بعد استحلاف النبي له على ما أراد بلفظ البتة أمر مستفيض بين المحدثين من انه حلف ما أراد الا واحدة فردها اليه رسول الله ﷺ

فباي الروايتين نصدق عكرمة وتصديقه في احداهما يلزم عليه تكذيبه في الاخرى فصار المتعين رفض الروايتين

وليس من غرضنا ذكر كل ما يؤخذ على ابن تيمية في هذه المسألة التي خرج فيها على الائمة الاربعة بدون مبالاة انما نريد فهم عبارته التي نسب فيها لابي داود أحد اصحاب الكتب الستة مراجع المسلمين عكس مراده بل ماتبرأ منه صراحة أما الامام احمد فلم يعلق على حديثه بشيء يفيد التبرأ منه أو التمسك به ولكن نقل عنه مجد الدين بن تيمية الكبير في كتابه منتقى الاخبار مايدل على تبرئه وهو قوله (كل اصحاب ابن عباس رووا عنه خلاف ماقال طاوس) يشير بذلك لرد رواية طاوس عن ابن عباس من أن الطلاق كان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنهما طلاق الثلاث واحدة . لانه ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه بواسطة ثمانية من اشهر أصحابه القول بلزوم الثلاث وتأول العلماء أثر طاوس تأويلات كثيرة أصحها أن ذلك كان في غير المدخول بها كما رواه أبو داود وغيره وهذا هو المتعين أمام ثلاثة من اصحاب الكتب الستة جزموا برواية أن ركانة طلق البته وحلف كما سبق وهم أبو داود المذكور والترمذي وابن ماجه ، وباقي الستة البخاري ومسلم والنسائي لم يخالفوهم وكما رواه الحاكم وابن حبان وصححه والدرامي المطبوع على هامش منتقى الاخبار ومثلهم أبو يعلى والبغوي وابن شاهين وابن منده كما نقله الحافظ بن حجر في الاصابة في ترجمة يزيد بن ركانة وكذا الدارقطني وغيره وعلى ذلك اجماع المحدثين بل هو قول جميع المسلمين

عبد الرحمن الجحموني — بكفر مجر غربية

(ج) إن اضطراب السائل في روايتي عكرمة وفي فهم كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية لحديث أبي داود وفي رأي جده مجد الدين المخالف لرأيه هو في المسألة وما أوهمه أول سؤاله من أن ابن تيمية لم يستدل الا بهذا الحديث — وقوله إن البخاري ومسلماً والنسائي لم يخالفوا أبا داود والترمذي وابن ماجه في حمل

حديث عدم وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد على غير المدخول بها من أنهم يقولون بذلك وإن كان هـذا الايهام على بطلانه لا ينطبق على قاعدة من القواعد بل يستلزم الباطل القطعي وهو ان كل ما رواه راو أو رآه باحث ولم يكذبه فيه سائر العلماء يكون ثابتا عنـدهم — ان ماذكر كله وما هو أبعد منه عن ابحاث أهل العلم وأهل العدالة والفهم من دعوى الاجماع في المسألة والتعبير بالخروج على الائمة الاربعة ـ مما لا نضيع وقتنا بالبحث فيه لأننا لا نكلف مناقشة أقوال السائلين ، ولا إفهام العوام دلائل المجتهدين ، وانما نتكلم هنا في أصل المسألة لبيان ما اعتمدنا عليه في اختيارنا لفتوى شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية لكثرة السؤال عنها ، ومنه يعلم اننا نتبع الدليل ولسنا مقلدين له فيها ، فنقول :

إن الحافظ ابن حجر ذا الاطلاع الواسع على كتب الحديث كلها ووجوه الترجيح بين الروايات فيها ، وعلى أقوال ائمة السلف وأئمة الامصار واساطين المفسرين وفقهاء المذاهب المشهورة قد لخص المسألة في فتح البـاري وذكر اشهر الاقوال فيها حريصا في ذلك على ترجيح مذاهب الفقهاء الاربعة فنذكر هذا لانه أجمع ما رأيناه لتأييـدهم في المسألة ونقفي عليه بما نراه فيه من ضعف وقوة وما هو الى الحق اقرب ، وبالقبول اجدر ، كما هو شأن طالب الحق بدليله لذاته لا لتقوية حجة القائل به ، فنقول

قال الحافظ في شرح قول البخاري في صحيحه (باب من جوز الطلاق الثلاث) ما نصه : « وفي الترجمة إشارة الى ان من السلف من لم يجز وقوع الطلاق الثلاث فيحتمل أن يكون مراده بالمنع من كره البينونة الكبرى وهي بايقاع الثلاث أعم من أن تكون مجموعة أو مفرقة ويمكن أن يتمسك له بحديث «أبغض الحلال الى الله الطلاق » وقد تقدم في أوائل الطلاق ، وأخرج سعيد بن منصور عن أنس أن عمر كان اذا أتي برجل طلق امرأته ثلاثا أوجع ظهره . وسنده صحيح . ويحتمل أن يكون مراده بعدم الجواز من قال لا يقع الطلاق اذا أوقعها مجموعة للنهي عنه وهو قول الشيعة وبعض أهل الظاهر وطرد بعضهم ذلك في كل طلاق منهي كطلاق

الحائض وهو شذوذ ، وذهب كثير منهم الى وقوعه مع منع جوازه واحتج له بعضهم بحديث محمود بن لبيد قال أخبر النبي ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام مغضباً فقال « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟ » الحديث أخرجه النسائي ورجاله ثقات لكن محمود بن لبيد ولد في عهد النبي ﷺ ولم يثبت له منه سماع وان ذكره بعضهم في الصحابة فلأجل الرؤية ، وقد ترجم له أحمد في مسنده وأخرج له عدة أحاديث ليس فيها شيء صرح فيه بالسماع وقد قال النسائي بعد تخريجه لا أعلم أحداً رواه غير مخرمة بن بكير يعني ابن الاشج عن أبيه اهـ ورواية مخرمة عن أبيه عند مسلم في عدة أحاديث وقد قيل انه لم يسمع من أبيه وعلى تقدير صحة حديث محمود فليس فيه بيان أنه هل أمضى عليه الثلاث مع إنكاره عليه ايقاعها مجموعة أولا ؟ فأقل أحواله أن يدل على تحريم ذلك وإن لزم وقد تقدم في الكلام على حديث ابن عمر في طلاق الحائض أنه قال لمن طلق ثلاثا مجموعة : عصيت ربك وبانت منك امرأتك ، وله ألفاظ أخرى نحو هذه عند عبد الرزاق وغيره ، وأخرج أبو داود بسند صحيح من طريق مجاهد قال كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال انه طلق امرأته ثلاثا فسكت حتى ظننت أنه سيردها اليه فقال ينطلق أحدكم فيركب الاحموقة ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس ان الله قال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وانك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا عصيت ربك وبانت منك امرأتك ، وأخرج أبو داود له متابعات عن ابن عباس بنحوه

ومن القائلين بالتحريم واللزوم من قال اذا طلق ثلاثا مجموعة وقعت واحدة وهو قول محمد بن إسحاق صاحب المغازي واحتج بما رواه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال طلق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثا في مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديداً فسأله النبي ﷺ كيف طلقتها قال ثلاثا في مجلس واحد فقال النبي ﷺ « انما تلك واحدة فارتجعها إن شئت » فارتجعها وأخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه من طريق محمد بن إسحق ، وهذا الحديث نص في المسئلة لا يقبل التأويل الذي في غيره من الروايات الآتي ذكرها وقد أجابوا عنه بأربعة أشياء

(أحدها) أن محمد بن إسحق وشيخه مختلف فيهما وأجيب بأنهم احتجوا في

عدة من الاحكام بمثل هذا الاسناد كحديث أن النبي ﷺ رد على أبي العاص ابن الربيع زينب ابنته بالنكاح الاول وليس كل مختلف فيه مردودا [1]

(الثاني) معارضته بفتوى ابن عباس بوقوع الثلاث كما تقدم من رواية مجاهد وغيره فلا يظن بابن عباس أنه كان عنده هذا الحكم عن النبي ﷺ ثم يفتي بخلافه إلا بمرجح ظهر له، وراوي الخبر أخبر من غيره بما روى. وأجيب بأن الاعتبار برواية الراوي لا برأيه لما يطرق رأيه من احتمال النسيان وغير ذلك، وأما كونه تمسك بمرجح فلم ينحصر في المرفوع لاحتمال التمسك بتخصيص أو تقييد أو تأويل وليس قول مجتهد حجة على مجتهد آخر

(الثالث) أن أبا داود رجح أن ركانة انما طلق امرأته البتة كما أخرجه هو من طريق آل بيت ركانة وهو تعليل قوي لجواز أن يكون بعض رواته حمل البتة على الثلاث فقال طلقها ثلاثا فبهذه النكتة يقف الاستدلال بحديث ابن عباس [2]

(الرابع) أنه مذهب شاذ فلا يعمل به وأجيب بأنه نقل عن علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير مثله نقل ذلك ابن مغيث في كتاب الوثائق له وعزاه لمحمد بن وضاح ونقل الغنوي ذلك عن جماعة من مشايخ قرطبة كمحمد بن تقيّ بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهما ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار، ويتعجب من ابن التين حيث جزم بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه وانما الاختلاف في التحريم مع ثبوت الاختلاف كما ترى

ويقوي حديث ابن إسحق المذكور ما أخرجه مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم، ومن طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه أن أبا الصهباء قال لابن عباس أتعلم انما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد

(١) ولابن القيم كلام مسهب في عدالة محمد بن إسحق في الرواية والاحتجاج به
(٢) العكس أولى وأقوى وهو التعبير عن الثلاث بالبتة فان البتة تكون بغير الثلاث

رسول الله ﷺ وأبي بكر وثلاثا من امارة عمر ؟ قال ابن عباس نعم، ومن طريق حماد بن زيد عن أيوب عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس أن أبا الصهباء قال لابن عباس ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ واحدة ؟ قال قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم. وهذه الطريق الاخيرة أخرجها أبو داود لكن لم يسم ابراهيم بن ميسرة وقال بدله عن غير واحد، ولفظ المتن أما علمت أن الرجل كان اذا طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة ؟ الحديث، فتمسك بهذا السياق من أعل الحديث وقال انما قال ابن عباس ذلك في غير المدخول بها [1]

وهذا أحد الأجوبة عن هذا الحديث وهي متعددة وهو جواب إسحاق بن راهويه وجماعة وبه جزم زكريا الساجي من الشافعية ووجهوه بأن غير المدخول بها تبين اذا قال لها زوجها أنت طالق فاذا قال ثلاثا لغا العدد لوقوعه بعد البينونة وتعقبه القرطبي بأن قوله أنت طالق ثلاثا كلام متصل غير منفصل فكيف يصح جعله كلمتين وتعطى كل كلمة حكما. وقال النووي أنت طالق معناه أنت ذات الطلاق وهذا اللفظ يصح تفسيره بالواحدة وبالثلاث وغير ذلك [1]

(الجواب الثاني) دعوى شذوذ رواية طاوس وهي طريقة البيهقي فانه ساق الروايات عن ابن عباس بلزوم الثلاث ثم نقل عن ابن المنذر أنه لا يظن بابن عباس أنه يحفظ عن النبي ﷺ شيئا ويفتي بخلافه فيتعين المصير الى الترجيح والأخذ بقول الأكثر أولى من الاخذ بقول الواحد اذا خالفهم، وقال ابن العربي هذا حديث مختلف في صحته فكيف يقدم على الاجماع [2] قال ويعارضه حديث محمود ابن لبيد يعني الذي تقدم أن النسائي أخرجه فان فيه التصريح بأن الرجل طلق ثلاثا مجموعة ولم يرده النبي ﷺ بل أمضاه. كذا قال وليس في سياق الخبر تعرض لامضاء ذلك ولا لرده

(١) وذكر الشوكاني جوابا آخر وهو ان التقييد بقبل الدخول لا ينافي صدق الرواية الأخرى الصحيحة على المطلقة بعد الدخول وغاية ما في هذه الرواية انه وقع فيها التنصيص على بعض افراد الرواية الصحيحة المذكورة في الباب وذلك لا يوجب الاختصاص بالبعض الذي وقع التنصيص عليه (٢) الحديث صحيح والاجماع غير واقع

(الجواب الثالث) دعوى النسخ فنقل البيهقي عن الشافعي أنه قال يشبه أن يكون ابن عباس علم شيئا نسخ ذلك قال البيهقي ويقويه ما أخرجه أبو داود من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل اذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك وقد أنكر المازري ادعاء النسخ فقال زعم بعضهم أن هذا الحكم منسوخ وهو غلط فان عمر لاينسخ ولو نسخ وحاشاه لبادر الصحابة الى إنكاره، وإن أراد القائل أنه نسخ في زمن النبي ﷺ فلا يمتنع لكن يخرج عن ظاهر الحديث لانه لو كان كذلك لم يجز للراوي أن يخبر ببقاء الحكم في خلافة أبي بكر وبعض خلافة عمر ،

(فان قيل) فقد يجمع الصحابة ويقبل منهم ذلك (قلنا) انما يقبل ذلك لانه يستدل باجماعهم على ناسخ وأما أنهم ينسخون من تلقاء أنفسهم فمعاذ الله لانه إجماع على الخطأ وهم معصومون عن ذلك . (فان قيل) فلعل النسخ انما ظهر في زمن عمر (قلنا) هذا أيضاً غلط لانه يكون قد حصل الاجماع على الخطأ في زمن أبي بكر وليس انقراض العصر شرطا في صحة الاجماع على الراجح (قلت) نقل النووي هذا الفصل في شرح مسلم وأقره وهو متعقب في مواضع :

(أحدها)ان الذي ادعى نسخ الحكم لم يقل ان عمر هو الذي نسخ حتى يلزم منه ماذكر وانما قال ماتقدم يشبه أن يكون علم شيئا من ذلك نسخ - أي اطلع على ناسخ للحكم الذي رواه مرفوعا ولذلك أفتى بخلافه وقد سلم المازري في أثناء كلامه أن اجماعهم يدل على ناسخ وهذا هو مراد من ادعى النسخ

(الثاني) إنكاره الخروج عن الظاهر عجيب فان الذي يحاول الجمع بالتأويل يرتكب خلاف الظاهر حتما

(الثالث)أن تغليطه من قال المراد ظهور النسخ عجيب أيضاً لأن المراد بظهوره انتشاره وكلام ابن عباس أنه كان يفعل في زمن أبي بكر محمول على أن الذي كان يفعله من لم يبلغه النسخ فلا يلزم ماذكر من إجماعهم على الخطأ وما أشار اليه من مسئلة انقراض العصر لايجيء هنا لان عصر الصحابة لم ينقرض في زمن أبي بكر بل ولا عمر فان المراد بالعصر الطبقة من المجتهدين وهم في زمن أبي بكر وعمر

بل وبعدهما طبقة واحدة [١]

(الجواب الرابع) دعوى الاضطراب قال القرطبي في المفهم وقع فيه مع الاختلاف على ابن عباس الاضطراب في لفظه وظاهر سياقه يقتضي النقل عن جميعهم أن معظمهم كانوا يرون ذلك والعادة في مثل هـذا أن يفشو الحكم وينتشر فكيف ينفرد به واحد عن واحد ؟ قال فهذا الوجه يقتضي التوقف عن العمل بظاهره إن لم يقتض القطع ببطلانه [٢]

(الجواب الخامس) دعوى أنه ورد في صورة خاصة فقال ابن سريج وغيره يشبه أن يكون ورد في تكرير اللفظ كأن يقول أنت طالق أنت طالق أنت طالق وكانوا أولا على سلامة صدورهم يقبل منهم أنهم أرادوا التأكيد فلما كثر الناس في زمن عمر وكثر فيهم الخداع ونحوه مما يمنع قبول من ادعى التأكيد حمل عمر اللفظ على ظاهر التكرار فأمضاه عليهم وهذا الجواب ارتضاه القرطبي وقواه بقول عمر إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، وكذا قال النووي ان هذا أصح الاجوبة [٣]

(الجواب السادس) تأويل قوله واحدة وهو أن معنى قوله كان الثلاث واحدة ان النـاس في زمن النبي ﷺ كانوا يطلقون واحدة فلـما كان زمن عمر كانوا يطلقون ثلاثا ، ومحصله أن المعنى أن الطلاق الموقع في عهـد عمر ثلاثا كان يوقع قبل ذلك واحدة لانهم كانوا لا يستعملون الثلاث أصلا أو كانوا يستعملونها نادراً

(١) قال الشوكاني في عبارة الشافعي : ويجاب بأن النسخ إن كان بدليل من كتاب أو سنة فما هو ؟ وإن كان بالاجماع فأين هو؟ على انه يبعد أن يستمر الناس أيام أبي بكر وبعض أيام عمر (أي ثلاث سنين) على أمر منسوخ . وإن كان الناسخ قول عمر فحاشاه أن ينسخ سنة ثابتة بمحض رأيه وحاشا أصحاب رسول الله (ص) أن يجيبوه الى ذلك اه

(٢) قال الشوكاني في دعوى الاضطراب : وهو زعم فاسد لا وجه له اه

(٣) أجاب الشوكاني عن هذا بما حاصله ان حكم تكرار الطلاق واحد في كل عصر عند جميع العلماء ولم يجعل أحد منهم لكل عصر حكما

وأما في عصر عمر فكثر استعمالهم لها، ومعنى قوله فأمضاه عليهم وأجازه وغير ذلك أنه صنع فيه من الحكم بايقاع الطلاق ما كان يصنع قبله ورجح هذا التأويل ابن العربي ونسبه الى أبي زرعة الرازي وكذا أورده البيهقي باسناده الصحيح الى أبي زرعة أنه قال معنى هذا الحديث عندي أن ما تطلقون أنتم ثلاثا كانوا يطلقون واحدة، قال النووي وعلى هذا فيكون الخبر وقع عن اختلاف عادة الناس خاصة لا عن تغير الحكم في الواحدة فالله أعلم

(الجواب السابع) دعوى وقفه فقال بعضهم ليس في هذا السياق أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فيقره والحجة انما هي في تقريره وتعقب بأن قول الصحابي كنا نفعل كذا في عهد رسول الله ﷺ في حكم الرفع على الراجح حملا على أنه اطلع على ذلك فأقره لتوفر دواعيهم على السؤال عن جليل الاحكام وحقيرها (١)

(الجواب الثامن) حمل قوله ثلاثا على أن المراد بها لفظ البتة كما تقدم في حديث ركانة سواء وهو من رواية ابن عباس أيضاً وهو قوي ويؤيده إدخال البخاري في هذا الباب الآثار التي فيها البتة والاحاديث التي فيها التصريح بالثلاث كأنه يشير الى عدم الفرق بينهما وأن البتة اذا أطلقت حمل على الثلاث إلا إن أراد المطلق واحدة فيقبل فكأن بعض رواته حمل لفظ البتة على الثلاث لاشتهار التسوية بينهما فرواها بلفظ الثلاث وإنما المراد لفظ البتة وكانوا في العصر الاول يقبلون ممن قال أردت بالبتة الواحدة فلما كان عهد عمر أمضى الثلاث في ظاهر الحكم؛ قال القرطبي وحجة الجمهور في اللزوم من حيث النظر ظاهرة جداً وهو أن المطلقة ثلاثا لا تحل للمطلق حتى تنكح زوجا غيره ولا فرق بين مجموعها ومفرقها لغة وشرعا، وما يتخيل من الفرق صوري ألغاه الشرع اتفاقا في النكاح والعتق

---

(١) وأزيد على هذا ان عبارة الحديث أقوى في الدلالة على الرفع مما ذكره نقلا عن اصطلاح المحدثين والأصوليين وذلك ان قول ابن عباس كان الطلاق على عهد رسول الله (ص) الخ يعني به انه كان كذلك في الحكم والفتوى وهما مظهرا التشريع الذي لا يكون إلا منه (ص) واما قولهم كنا نفعل كذا في عهده (ص) فانه إنما يدل على الرفع بدلالة اللزوم

والاقارير، فلو قال الولي أنكحتك هؤلاء الثلاث في كلمة واحدة انعقد كما لو قال أنكحتك هذه وهذه وهذه وكذا في العتق والاقرار وغير ذلك من الاحكام (١)

«واحتج من قال ان الثلاث اذا وقعت مجموعة حملت على الواحدة بأن من قال أحلف بالله ثلاثا لا يعد حلفه إلا يمينا واحدة فليكن المطلق مثله وتعقب باختلاف الصيغتين فان المطلق ينشيء طلاق امرأته وقد جعل أمد طلاقها ثلاثا فاذا قال أنت طالق ثلاثا فكأنه قال أنت طالق جميع الطلاق وأما الحالف فلا أمد لعدد أيمانه فافترقا (٢)

« وفي الجملة فالذي وقع في هذه المسئلة نظير ماوقع في مسئلة المتعة سواء أعني قول جابر انها كانت تفعل في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وصدر من خلافة عمر قال ثم نهانا عمر عنها فانتهينا ، فالراجح في الموضعين تحريم المتعة وايقاع الثلاث للاجماع الذي انعقد في عهد عمر على ذلك ولا يحفظ أن أحداً في عهد عمر خالفه في واحدة منهما وقد دل إجماعهم على وجود ناسخ وإن كان خفي عن بعضهم قبل ذلك حتى ظهر لجميعهم في عهد عمر ، فالمخالف بعد هذا الاجماع منابذ له والجمهور على عدم اعتبار من أحدث الاختلاف بعد الاتفاق والله أعلم . وقد أطلت في هذا الموضع لالتماس من التمس ذلك مني والله المستعان . انتهى

***

(المنار) قد علم من هذا التفصيل الذي أورده الحافظ ان المسألة كانت لاتزال مشكلة بتعارض أدلتها الى عهده في القرن التاسع وان بعض كبار العلماء التمسوا منه بيانها بالتفصيل ففعل ، فهي ليست كما توهم السائل مما أجمع عليه المحدثون بل المسلمون

(١) الأمر خلاف ماقال القرطبي لغة وشرعا كما سنوضحه تعليقا على كلام الحافظ وفيما يلي هذا

(٢) هذا انما يتمشى على زعمهم والحق ان الشرع لم يجعل للمطلق هذا الحق بل جمعه الثلاث مبتدع مخالف للشرع إجماعا ولذلك عبر عنه النبي (ص) باللعب بكتاب الله كما في حديث النسائي المتقدم . والفرق بينه وبين زوجتك هؤلاء الثلاث ظاهر فان لفظ الثلاث لم يجعل المرات واحدة بل المثل الصحيح لمسألة الطلاق الثلاث مسألة اليمين العادي أو يمين اللعان

وان المخالف فيها هو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحدهما ، وان حجتهما عليها حديث أحمد المذكور ، بل هي لولا جريان العمل عليها اتباعا لعمر رضي الله تعالى عنه لما اتفق عليها جمهور الفقهاء وعللوها باحتمال ظهور ناسخ لعمر نسخ ما كان من العمل بظاهر القرآن وحديث جعل الطلاق الثلاث باللفظ الواحد طلقة واحدة، ولما سمى بعضهم ذلك السكوت اجماعا وتأولوا آية (الطلاق مرتان) بما ينبذه اللفظ ،

﴿ استدراكنا على الحافظ ابن حجر ﴾

ونحن نستدرك على الحافظ بما يحرر المسألة تحريراً استقلالياً لا تعصب فيه لمذهب على مذهب ولا لعالم على آخر بالمباحث الآتية :

(الاستدراك الاول) قوله تعالى (الطلاق مرتان) وسئل النبي ﷺ عن الثالثة فقرأ (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان)

الظاهر المتبادر من ذكر المرتين هو التطليقة التي تحل بها عقدة النكاح بعد الأخرى فيليها مثلها بان يطلق ويراجع ثم يطلق ويراجع وليس معناه النطق بها مرة واحدة وذكر كلمة مرتين بعدها وكذلك الثلاث ، فاننا نعلم من لغة العرب بالضرورة انك إذا قلت « من فعل كذا ثلاث مرات أو من قال هذا ثلاثا » لا يفهم من قولك إلا تكرار الفعل أو تكرار القول بقدر العدد . فاذا قلت في الفاظ الأذان : الواجب أن تقول « الله أكبر » أربع مرات و « أشهد أن لا إله إلا الله » مرتين الخ لا تكون قد أتيت بالمشروع إلا إذا ذكرت كل لفظ بقدر العدد المذكور. ومثله ماورد من قول سبحان الله ٣٣ مرة والحمد لله ٣٣ مرة والله أكبر ٣٤ مرة عقب الصلاة لا يحصل المراد من الحديث إلا بتكرار كل ذكر بقدر العدد المذكور فاذا قلت: « سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة الحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة الله أكبر أربعا وثلاثين مرة » بهذا اللفظ لا تكون قد عملت بالحديث الوارد في ذلك . وهذا في عددما يقصد به اللفظ كالذكر ظاهر جلي وهو في الفعل المحض كالسجود والفعل الذي يعبر عنه بالقول كالطلاق واللعان أظهر ، فان الطلاق حل لعقدة النكاح التي عبر بها الكتاب العزيز عما نسميه رابطة الزوجية ، فمعنى (الطلاق مرتان) أن حل عقدة

النكاح الذي يملكه الرجل ولا تبين به امرأته منه - إذا شاء أن يراجعها - مرتان ويتعين عليه بعدهما إما امساكها بمعروف وإن كان يشكو منها ما كان سببا للطلاق المرة بعد المرة وإما أن يسرحها باحسان .

والحكمة في ذلك ظاهرة وهي انه بالطلاق بعد الطلاق يكون قد اختبر حاله مع المرأة هل الأصلح له أن يظل على معاشرتها الزوجية على ما ينكر من خلقها أو أخلاقها و أعمالها والصبر على ذلك ومعالجته بحسن المعاملة أو أن يطلقها ويبينها بالمرة الثالثة لعدم صبره على ما ينكر منها . ومن يقول بأن له أن يبينها منه البينونة الكبرى بقوله هي طالق ثلاثا فقد أبطل الحكمة من تكرار الطلاق بما لا فائدة منه في حال من الأحوال ولكن قد يكون فيه غوائل ومضار كثيرة

ذلك بانه إذا كان يريد مفارقتها دائما فان ذلك يحصل له بطلقة واحدة من غير أن يقيدها بلفظ يحرم به على نفسه ما أحل الله تعالى له من المراجعة في العدة وبعقد ثان بعد العدة ، وقد يندم على ذلك بأن يظهر له بعد الطلاق أن دوام هذه الرابطة الزوجية معها فيه صلاح لحاله ولحال عياله وأن قطعها دائما فيه ضرر عظيم عليه وعلى عياله ، وقد يترتب عليه فتن وخسائر ومعاصي كثيرة إذا لم يتفق أن تتزوج بعد ذلك زواجا صحيحا من رجل يموت عنها أو يطلقها قبل حدوث تلك المفاسد فتحل له بذلك - أو يضطر إلى قبول لعنة التحليل على قول من يعده كالزواج الشرعي الصحيح تقليداً .

ومن عجيب تأثير التقليد ادعاء بعضهم ان لفظ (الطلاق مرتان) يدل على جواز جمعهما بكلمة « مرتين » وكذلك الثلاث المدلول عليه بقوله (أو تسريح باحسان) مع أن التسريح في الآية مذكور بعد ذكر المرتين فمفروض بعد وقوعهما متعاقبتين !

ولا يوجد أشبه بهذا النص في القرآن من نص شهادة اللعان لانها يمين في المعنى يترتب عليه الفراق بين الزوجين فقوله تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) لا يحصل العمل به الا بتكرار الشهادة ، فان كان اللعان يصح بالشهادة مرة واحدة يسميها أربعاً فالطلاق يصح بمثل ذلك . ومثله سائر الايمان فمن قال اقسم بالله ثلاثا اني فعلت

أو ما فعلت كذا وكان كاذبا لا يلزمه الا كفارة واحدة . وما ذكره الحافظ من التفرقة بين القسم والطلاق بان للثاني حداً دون الاول لا يقتضي اختلاف الحكم

(الاستدراك الثاني) ان الحافظ رد على من ادعى ان عدم وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد شاذ بذكر بعض من قال به من الصحابة وغيرهم من علماء الامصار ولكنه لم يرد الحصر فهنالك آخرون قالوا بذلك من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار والظاهرية والشيعة الزيدية والامامية وبعض اتباع المذاهب الاربعة كما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية عنهم رواية وعزواً الى كتب معروفة . وممن روي عنهم عدم وقوع الثلاث أبو بكر (أي وكل الصحابة الى آخر عصره وأوائل عصر عمر) والزبير وعبد الرحمن بن عوف وكذا أبو موسى كما في البحر للامام يحيى . وممن روي عنه فيها القولان فيها علي وابن مسعود وابن عباس . وذكر الامام الشوكاني في نيل الاوطار نقلا عن كتاب البحر للامام يحيى أن من القائلين بعدم الوقوع من أئمة العترة الهادي والقاسم والباقر والناصر وأحمد بن عيسى وعبد الله بن موسى بن عبد الله ورواية عن زيد بن علي (قال) واليه ذهب جماعة من المتأخرين منهم ابن تيمية وابن القيم وجماعة من المحققين وقد نقله ابن مغيث في كتاب الوثائق عن محمد بن وضاح ونقل الفتوى بذلك عن جماعة من مشايخ قرطبة كمحمد بن بقي ومحمد بن السلام وغيرهما . ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار ، وحكاه ابن مغيث أيضا في ذلك الكتاب عن علي رضي الله عنه وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير

(قال) «وذهب بعض الامامية إلى انه لا يقع بالطلاق المتتابع شيء لا واحدة ولا أكثر منها وقد حكي ذلك عن بعض التابعين وروي عن ابن علية وهشام ابن الحكم وبه قال أبو عبيدة وبعض أهل الظاهر وسائر من يقول ان الطلاق البدعي لا يقع لأن الثلاث بلفظ واحد أو الفاظ متتابعة منه. وعدم وقوع البدعي هو أيضاً مذهب الباقر والصادق والناصر » اه

(الاستدراك الثالث) ان بعض الاجوبة التي سكت الحافظ عنها فلم يردها ولم يؤيدها قد ردها الامام الشوكاني بما ذكرناه في حواشي عبارة الحافظ التي أورد فيها أجوبة الفقهاء في المسألة فان الذي ارتضاه الحافظ منها هو ما عليه المدققون من

الفقهاء، ولا سيما الذين بعده وهو ان العمدة في المسألة هو موافقة جمهور الصحابة لعمر على امضائه الطلاق الثلاث في الوقت الواحد فانه إجماع منهم يدل على أنهم عثروا للحكم على ناسخ لما دل عليه القرآن و السنة العملية مدة النبي ﷺ ومدة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر ، وإنما رجحوا هذا التعليل لأنه يتضمن تسليم دلالة الآية على ان مرات الطلاق إنما تتحقق بحل عقدة النكاح مرة بعد أخرى لا بمجرد التلفظ بالعدد، يقولون ولكنه نسخ، وتسليم منطوق حديث مسلم بجريان العمل على ذلك إلى أوائل خلافة عمر ، يقولون ولكن ممن لم يكن قد وقف على النسخ كما وقع في مسألة المتعة. فهذا هو الذي يحتاج إلى الجواب دون تلك التكلفات لأنه المعتمد عند الاكثرين، وقد أجاب الامام الشوكاني في آخر هذا البحث بما نصه:

«والحاصل ان القائلين بالتتابع (أي بوقوع الثلاث باللفظ) قد استكثروا من الاجوبة على حديث ابن عباس وكلها غير خارجة عن دائرة التعسف والحق أحق بالاتباع فان كانت تلك المحاماة لأجل مذهب الاسلاف فهي أحقر وأقل من أن تؤثر على السنة المطهرة وإن كانت لأجل عمر بن الخطاب فأين يقع المسكين من رسول الله ﷺ ؟ ثم أي مسلم من المسلمين يستحسن عقله وعلمه ترجيح قول صحابي على قول المصطفى ؟ » اه

وأقول قد أساء الشوكاني التعبير هنا وإن كان مثل قوله الأخير مأثوراً عن بعض الصحابة (رض) بعضهم في بعض، فانه لا يخطر في بال مسلم ترجيح قول عمر ولا غيره على قول المصطفى (ص) بل لا يسوغ لأحد عرف آداب عمر مع الرسول (ص) من ناحية وخضوعه للحق والانصاف اذا ظهر له ولو على لسان امرأة عجوز أو اعرابي جلف من ناحية ثانية - أن يظن فيه أنه يتعمد مخالفته صلوات وسلامه عليه، وأبعد من هذا أن يخالفه ثم يسكت له جمهور الصحابة على مخالفته على ما تعودوا منه من قبول معارضتهم له بكل ارتياح وقبول - فلأجل هذا وذاك ترك الجمهور ظاهر الكتاب والسنة في المسأله وتكلفوا تأويلها بما رأيت

أما عمل عمر فالظاهر الذي لم يخطر في بالنا غيره منذ فكرنا في هذه المسألة انه اجتهاد أراد به تربية الناس في تتايعهم على ترك ماشرعه الله تعالى وجرت عليه

سنة رسول الله (ص) في الطلاق بعقابه إياهم بامضائه عليهم لعلهم يرجعون عنه بعد أن يظهر لهم خطؤهم بحرمان أنفسهم من رحمة الله بالمؤمنين بشرعه لهم المراجعة مرة بعدة مرة . وهـذا هو التعليل هو الذي ذكرناه في محاورات المصلح والمقلد من زهاء ربع قرن. وقد عهد من بعض الصحابة ولا سيما الأئمة والحكام الاجتهاد في المسائل وأن يكون منه الخطأ والصواب ، ويصح جعل هـذا الاجتهاد حجة لقاعدة الامام مالك في وجوب الاستمساك بظواهر النصوص في العبادات ، ومراعاة المصلحة العامة ومقاصد الشارع في أحكام المعاملات ، وسنزيد هذا بيانا في ص ٦٨٠

وأما سكوت جمهور الصحابة المقيمين مع عمر في المدينة على اجتهاده هـذا فلاعتقادهم ان مثله جائز للامام (الخليفة) على ان بعضهم كان يفتي بخلافه كما تقدم وأشهرهم ابن عباس والظاهر ان هذا كان بعده لئلا يكون خروجا على الامام ، ويحتمل انه كان لاعتقاد أنه كان مخطئا في ذلك الاجتهاد

ومن الخطأ الظاهر تسمية ذلك السكوت من بعض الصحابة (رض) إجماعا لأن أكثر الصحابة كانوا متفرقين في الامصار يجاهدون في سبيل الله فمن أين علموا بفعل عمر هذا في وقائع كانت قليلة بالطبع ولا سيما بعد تنفيذه ذلك الطلاق عليهم وبعد ماروي عنه انه كان يضرب فاعل هـذه البدعة — الطلاق الثلاث باللفظ دون مراجعة — حتى يوجعه

وأظهر من هذا الخطأ ماقيل في تعليله من احتمال ظهور دليل ناسخ لما سبق من عد الطلاق بلفظ الثلاث واحدة عملا بالكتاب والسنة - لا أقول في إثبات هذه التخطئة ما قال بعضهم من انه لو وجد الناسخ لذكر ونقل ونحن انما نكلف ماثبت بالنقل ولا قيمة للاحتمال في نسخ نصوص صريحة بل أقول مع تسليم هذا وكونه لا مجال للنزاع فيـه : ان هذا الحكم لو كان نسخ لما استمر العمل عليه في عصر النبي (ص) ومدة خلافة أبي بكر وثلاث سنين من خلافة عمر

وأما تشبيه الحافظ هذه المسألة بمسألة المتعة فهو يصح من وجه واحـد وهو ان عمر هو الذي أرجع الناس عنهما ويفترقان من حيث وجود نص عن النبي (ص) بأنه حرم المتعة على التأبيد بعد أن أباحها وكان ذلك آخر الامرين ولا نص في الطلاق

الثلاث ينسخ ظاهر القرآن والسنة العملية به

هـذا وإني راجعت بعد كتابة ماتقدم كله كتاب الروضـة الندية للعلامة السيد صديق حسن خان فرأيت أن أنقل عنه مانصه:

«وقد امتحن بهذه المسئلة جماعة من العلماء منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وجماعة ممن بعـده والحق بأيديهم ولكن لما كان مذهب الاربعة الائمـة ان الطلاق يتبع الطلاق كان المخالف لذلك عند عامة اتباعهم وكثير من خاصتهم كالمخالف للاجماع وقد ظهر مما سقناه ههنا من الأدلة والنقول ان الطلاق ثلاثا بلفظ واحد أو ألفاظ في مجلس واحد من دون تخلل رجعة يقع واحدة وإن كان بدعيا فتكون هـذه الصورة من صور الطلاق البدعي واقعة مع إثم الفاعل دون سائر صور البدعي فلا يقع الطلاق فيها لما قدمنا تحقيقه وأطال ابن القيم في تخريج أحاديث الباب والكلام عليها وأثبته بالكتاب والسنة واللغة والعرف وعمل أكثر الصحابة ثم قال بعد ذلك

« فهذا كتاب الله تعالى وهذه سنة رسول الله (ص) وهذه لغة العرب وهذا عرف التخاطب وهذا خليفة رسول الله (ص) والصحابة كلهم معه في عصره وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب فلو عدهم العادّ بأسمائهم واحدا واحداً انهم كانوا يرون الثلاث واحدة إما بفتوى وإما باقرار عليها ولو فرض منهم من لم يكن يرى ذلك فانه لم يكن منكراً للفتوى به بل كانوا مابين مفت ومقر بفتيا وساكت غير منكر، وهذا حال كل صحابي من عهد الصديق الى ثلاث سنين من خلافة عمر وهم يزيدون على الالف قطعا كما ذكر يونس بن بكير عن أبي إسحق، فكل صحابي كان على ان الثلاث واحدة بفتوى أو إقرار أو سكوت ولقد ادعى بعض أهل العلم ان هذا إجماع قديم ولم تجمع الأمة ولله الحمد على خلافه بل لم يزل فيهم من يفتي به قرنا بعد قرن وإلى يومنا هذا وأفتى به حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس كما رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عبـاس اذا قال أنت طالق ثلاثا بفم واحد فهي واحدة وأفتى بأنها واحدة الزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف حكاه عنهما ابن وضاح . وأما التابعون فأفتى به عكرمة وطاوس وأما تابعوا التابعين فأفتى به محمد بن إسحق وخلاس بن عمرو والحارث العكلي، وأما

اتباع تابعي التابعين فأفتى به داود بن علي وأكثر أصحابه وأفتى به بعض أصحاب مالك وأفتى به بعض الحنفية وأفتى به بعض أصحاب أحمد ، والمقصود أن هذا القول قد دل عليه الكتاب والسنة والقياس والاجماع القديم ولم يأت بعده إجماع يبطله ولكن رأى أمير المؤمنين عمر (رض) ان الناس استهانوا بأمر الطلاق وكثر منهم ايقاعه جملة واحدة فرأى من مصلحة عقوبتهم بامضائه عليهم فرأى عمر أن هذا مصلحة لهم في زمانه. والذي ندين الله تعالى به ولا يسعنا غيره وهو القصد في هذا الباب ، ان الحديث اذا صح عن رسول الله (ص) ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه أن الفرض علينا وعلى الامة الأخذ بحديثه وترك كل ما خالفه ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنا من كان انتهى حاصله وتمام هذا البحث في اعلام الموقعين وإغاثة اللهفان للحافظ ابن القيم وفي رسالة مستقلة للمانن (الشوكاني) وفي كتابنا مسك الختام فليرجع الطالب اليها إن اراد التفصيل والتحقيق وبالله التوفيق »

﴿ تلخيص للمسألة وايضاح لاجتهاد عمر (رض) ﴾

(١) ان الله تعالى شرع للمسلم اذا تنازع مع زوجه وخاف ألا يقيم حدود الله في معاشرتها أن يطلقها في أول طهر لها لم يباشرها فيه حتى لا يضارها باطالة العده — وشرع له أن يراجعها في العدة اذا ندم على طلاقها وتبين له ان الأصلح له الابقاء معها، فاذا عاد فطلقها مرة ثانية ثم تبين له خطؤه فله أن يراجعها أيضاً فان عاد مرة ثالثة بانت منه ولم يملك مراجعتها الا بشرط يقل وقوعه ويثقل على الرجال الرجوع الى المرأة بعده ان وقع الا لشدة الحاجة وهو أن تتزوج رجلا آخر زواجا صحيحاً ثم يموت عنها أو يطلقها ، ومن رحمة الله تعالى في يسر شرعه انه لم يحرم عليه امرأته بطلقة ولا بطلقتين قد يكونان من غير روية ولا معرفة اختبار لحاجته اليها ، ولم يبح له أن يجعلها كالكرة يعبث بها ماشاء هواه فيطلق ويراجع بغير عدد ولا حساب كما كانوا يفعلون في الجاهلية لما فيه من امتهان المرأة ومضارتها وقد كرمها الله كما كرمه وأعزها بالاسلام كما أعزه

(٢) لم يشرع الله تعالى للرجل أن يبطل حكمته في شرعه ورحمته فيه بجمع

الثلاث بالقول دون الفعل وجعل ايقاع الطلاق مرة واحدة كايقاعه ثلاث مرات في تحريم المراجعة ، فيجعل الثلاث واحدة كأهل التثليث في العقائد . ولكن بعض أصحاب الرعونة وضيق الصدر من المسلمين أرادوا أن يضيقوا على أنفسهم ماوسعه الله عليهم فطلق بعضهم امرأته جامعا للثلاث بكلمة واحدة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب وقال «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» كما تقدم ولكنه ﷺ جعل هذه الفعلة لغواً ولم يوقع على أحد فعل ذلك إلا واحدة وكذلك فعل أبو بكر وعمر مدة سنتين في رواية وثلاث سنين في رواية أخرى، وكان يضرب من يتصرف بدينه هذا التصرف المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحكمة شرعه ويسره ، فلما تتايعوا عليه رأى أن ينفذه عليهم عقوبة لهم لعلهم ينتهون ففعل بعد المشاورة . ولهذا الاجتهاد في العقاب من ولي الامر نظائر

(١) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية والمحقق ابن القيم كثيرا من الشواهد والمدارك لعمل عمر منها قول الاول في هذا البحث من الفتاوى :

« وقد بين ابن عباس عذر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الالزام بالثلاث وابن عباس عذره هو العذر الذي ذكره عن عمر رضي الله عنه وهو أن الناس لما تتايعوا فيما حرم الله عليهم استحقوا العقوبة على ذلك فعوقبوا بلزومه بخلاف ما كانوا عليه قبل ذلك فانهم لم يكونوا مكثرين من فعل المحرم ، وهذا كما أنهم لما أكثروا شرب الخمر واستخفوا بحدها كان عمر يضرب فيها ثمانين وينفي فيها ويحلق الرأس ، ولم يكن ذلك على عهد النبي ﷺ وكما قاتل علي بعض أهل القبلة ولم يكن ذلك على عهد النبي ﷺ والتفريق بين الزوجين هو مما كانوا يعاقبون به أحيانا ، إما مع بقاء النكاح وإما بدونه فالنبي ﷺ فرق بين الثلاثة الذين خلفوا وبين نسائهم حتى تاب الله عليهم من غير طلاق ، والمطلق ثلاثا حرمت عليه امرأته حتى تنكح زوجا غيره عقوبة له ليمتنع عن الطلاق ، وعمر بن الخطاب ومن وافقه كمالك واحمد في إحدى الروايتين حرموا المنكوحة في العدة على الناكح أبداً لانه استعجل ما احله الله فعوقب بنقيض قصده ، والحكمان لهما عند أكثر السلف ان يفرقا بينهما بلا عوض اذا رأيا الزوج ظالما معتديا لما في ذلك من

منه، من الظلم ودفع الضرر عن الزوجة ، ودل على ذلك الكتاب والسنة والآثار وهو قول مالك وأحد القولين في مذهب الشافعي واحمد ، والزام عمر بالثلاث لما أكثروا منه إما أن يكون رآه عقوبة تستعمل وقت الحاجة ، وإما أن يكون رآه شرعا لازما لاعتقاده أن الرخصة كانت لما كان المسلمون لا يوقعونه الا قليلا

«وهذا كاختلاف كلام الناس في نهيه عن المتعة (يعني متعة الحج) هل كان نهي اختيار لان افراد الحج لسفره والعمرة لسفره كان أفضل من التمتع ، أو كان قد نهى عن الفسخ لاعتقاده أنه كان مخصوصا بالصحابة ، وعلى التقديرين فالصحابة قد نازعوه في ذلك وخالفه كثير من أئمتهم من أهل الشورى وغيرهم في المتعة وفي الالزام بالثلاث، واذا تنازعوا في شيء وجب رد ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ، كما أن عمر كان يرى أن المبتوتة لا نفقة لها ولا سكنى ونازعه في ذلك كثير من الصحابة، وأكثر العلماء على قولهم ، وكان هو وابن مسعود يريان أن الجنب لا يتيمم وخالفهما عمار وابو موسى وابن عباس وغيرهم من الصحابة واطبق العلماء على قول هؤلاء لما كان معهم الكتاب والسنة . والكلام على هذا كثير مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا التنبيه على ما أخذ الناس به » اه

وقال تلميذه العلامة المحقق ابن القيم في زاد المعاد

(فان قلت) قد ثبت من حديث ابن عباس أن الصحابة كلهم قد أجمعوا على أن الثلاث (باللفظ) واحدة فكيف خالفهم عمر حيث أمضاها عليهم ؟ قلت لم يخالف عمر (ر ض) اجماع من تقدمه بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم لما علموا أنه حرام وتتايعوا عليه ولا ريب أن هذا جائز للائمة أن يلزموا الناس ماضيقوا به على أنفسهم ولم يقبلوا فيه رخصة الله عز وجل وتسهيله بل اختاروا الشدة والعسر فكيف بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ر ض) وكمال نظره للامة وتأديبه لهم . ولكن العقوبة تختلف باختلاف الازمنة والاشخاص والتمكن من العلم بتحريم الفعل المعاقب عليه وخفائه . وأمير المؤمنين (ر ض) لم يقل لهم إن هذا عن رسول الله ﷺ وانما هو رأي رآه مصلحة للامة لا اخبار عن رسول

الله ﷺ ولما لم يقل لهم إن هذا عن رسول الله ﷺ وانما هو رأي رآه مصلحة الامة لا اخبار عن رسول الله ﷺ ولما علم (رض) أن تلك الاناة والرخصة نعمة من الله على المطلق ورحمة به واحسان اليه وانه قابلها بضدها ولم يقبل رخصة الله وما جعله له من الاناة عاقبه بأن حال بينه وبينها وألزمه ماالتزمه من الشدة والاستعجال

وهذا موافق لقواعد الشريعة بل هو موافق لحكمة الله في خلقه قدراً وشرعا فان الناس إذا تعدوا حدوده ولم يقفوا عندها ضيق عليهم ماجعله لمن اتقاه من المخرج . وقد أشار إلى هذا المعنى بعينه من قال من الصحابة (رض) لمن طلق ثلاثا : انك لو اتقيت الله لجعل لك مخرجا » كما قال ابن مسعود وابن عباس . فهذا نظر أمير المؤمنين (رض) ومن معه من الصحابة لا انه (رض) غير أحكام الله وجعل حلالها حراما . فهذا غاية التوفيق بين النصوص »

أقول وذكر في اعلام الموقعين من أفتى بعدم وقوع الثلاث من علماء المذاهب المشهورة على خلاف المشهور في مذاهبهم وذكر أسماء الكتب المصرحة بذلك . وقد أطال المولوي أبو الطيب محمد شمس الحق في تحقيق هذه المسألة والنقول فيها والرد على الحافظ بن حجر في حاشيته على سنن الدارقطني وشرحه سنن أبي داود بما لم يسبق اليه

﴿ ذيل للفتوى في رواية أبي داود ورأيه في المسألة ﴾

وردت أحاديث مرفوعة في وقائع في الطلاق الثلاث أشهرها حديث ركانة الذي رواه أبو داود من طريقين ضعيفين كليهما ولكنه رجح أحدهما على الآخر قال شراحه وهذا لا يقتضي أن الراجح عنده على الآخر صحيح في نفسه ، فرواية ابن اسحاق له عند الامام أحمد وغيره أصح منها وهي التي قال الحافظ ابن حجر وغيره انها نص في الموضوع لا يحتمل التأويل ولذلك عني الفقهاء بتأويلها لمخالفتها لمذاهبهم ، والسائل لم يفهم هذا ولا غيره ولا ما قاله شيخ الاسلام فيه فضلا عن أصل المسألة فجعل اشكاله محصوراً فيه بما يوهم ان ابن تيمية لم يستدل فيها الا به ، والواقع انه استدل بالكتاب والسنة والاجماع السابق على امضاء عمر (رض) الثلاث عقوبة موقتة وبالقياس

وأما وجه تخطئة ابن تيمية لأبي داود أنه روى حديث ركانة من طريقين ضعيفين إلا انه رجح احدهما على الآخر وهو ان الطلاق كان بلفظ البتة لا بلفظ الثلاث ولم يروه من طريق ابن اسحاق التي رواها الامام أحمد وهي نص في لفظ الثلاث وعدم ايقاعه ﷺ له ، فخالف أستاذه الامام أحمد الذي قال : حديث ركانة في البتة ليس بشيء ، وقال أيضاً حديث ركانة لا يثبت انه طلق امرأته البتة لان ابن اسحاق يرويه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن ركانة طلق امرأته ثلاثا ، وأهل المدينة كانوا يسمون الثلاث : البتة ، قال شيخ الاسلام فقد استدل احمد على بطلان حديث البتة بهذا الحديث الآخر الذي فيه انه طلقها ثلاثا الخ أقول وهذا موافق لحديث ابن عباس الصحيح الذي رواه مسلم عنه

فالسائل لم يفهم هذا ولا غيره لجهله باصطلاح المحدثين والأصوليين وضعفه في اللغة أيضا فجعل ترجيح أبي داود لأحد الحديثين الضعيفين على الآخر وتأويله لحديث ابن عباس الصحيح بحمله على التخصيص هو كل مافي المسألة . ولو أردنا بيان كل مافي سؤاله من الخطأ والخطل لأسخطنا علينا جميع قارئي المنار

وأما بسط أصل المسألة وأدلتها فهو ضروري لأن الأمة الاسلامية شعرت بحاجتها الى الرجوع فيها الى يسر الشريعة ورحمتها ، واقترح بعض الفقهاء والعقلاء على حكومتنا المصرية الرجوع فيها الى أصل الكتاب والسنة الذي كان أول من بسط دلائله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم في كتبه اعلام الموقعين وإغاثة اللهفان وزاد المعاد ، ووافقهما وأيدهما من أعلام السنة وفقهاء الحديث بعدهما الامام الشوكاني والسيد حسن صديق وصاحبي شرح أبي داود وحاشية سنن الدارقطني من متأخري علماء الهند الاعلام فعارض الاقتراح مقلدة الازهر في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والمرجو من أخينا الشيخ عبدالرحمن الجمجموني أحد الامرين إما أن ينصرف عن زراعته إلى العلم الاستقلالي فيدرس وسائله ومقاصده من فنون اللغة وعلوم الاصول والحديث، وإما أن يرضى بتقليده ويكب على زراعته وفاقا للمثل الذي كان يكثر أبو حامد الغزالي من ضربه لامثاله « كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة »

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٥)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

﴿ المقام الرابع والعشرون ﴾ قوله فبأي وجه يزعم من ليس له قدم راسخة في العلم أنه عليه السلام أمر بهدم القباب والبناءات التى حول قبور الانبياء والأئمة والشهداء والصالحين

أقول ادعاء الانسان لنفسه رسوخ القدم في العلم ونفيه ذلك عن علماء الامة وسلفها الصالح يقدر عليه كل واحد ولا يمتنع منه إلا الورع ولكن الشأن كل الشأن في اثبات الدعوى وتدعيمها بأساطين البراهين التي تثلج الصدور وتستولي على الالباب ، وتنقاد لها أعناق النقاد ، والحق أبلج ، والباطل لجلج ، وجوابه أن ما أنكره من مشروعية هدم القباب وما يشابهها ثابت بالاخبار المحمدية والآثار الصحيحة الجياد ، واجماع السلف الذي هو أصح اجماع . وقد استوفيت الكلام على ذلك بقدر مايحتمله المقام وهل يشك عالم باحاديث الباب، ناصح لنفسه، خائف من ربه، في وجوب هدم القباب التي بنيت على معصية الرسول؟ولا يقدح في الانبياء والصالحين هدم قبورهم وقبابهم لان رسول الله هو أعلم الناس بحقوقهم وأرعاهم لها ، وقد لعن من اتخذ المساجد على قبور الانبياء ونهى عنها أشد النهي فلايجوز لمسلم عالم بذلك أن يترك القباب مشيدة على القبور بل هي شر من المساجد لان المقصود منها هو التعظيم المجرد بخلاف المساجد فانه

ظاهر الحال أن المقصود منها الاجتماع لذكر الله لكن لما كان اتخاذها عند قبور الانبياء والصالحين يفضي الى الغلو ثم الى الشرك حرم الله اتخاذها وشدد الرسول النهي عنها فوجبت إزالتها، كما تقدم عن شيخ الاسلام وابن حجر الهيتمي والشوكاني وتقدم أنها أولى بالهدم من مسجد الضرار

(المقام الخامس والعشرون) قوله ومع أن هذه لم تكن مشيدة في زمانه حتى يأمر بهدمها هل تقاس بقبور المشركين والتماثيل والصور؟ حاشا وكلا فان هذا من أقبح القياسات وأشنعها

أقول عدم وجودها في زمن علي دليل على أنها شر محض لا خير فيها وقال مالك لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها، وقال ايضا من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا. ولو كان بناء القباب على قبور الصالحين جائزاً لفعله النبي أو أمر به ولو كان في الدين نص يشتم منه رائحة مشروعية القباب أو أن فيها شيئا من الخير ما تركها أهل القرون الثلاثة المفضلة فهل يريد الشيعة وأهل السنة بزعمهم أن يسبقوا الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال فاذا قدر أن الصلاة هناك توجب الرحمة اكثر من الصلاة في غير تلك البقعة كانت المفسدة الناشئة من الصلاة هناك تربي على هذه المصلحة حتى تغمرها او تزيد عليها بحيث تصير الصلاة هناك مذهبة لتلك الرحمة ومثبتة لما يوجب العذاب

ثم ذكر كلاما طويلا في تقرير تحري الصلاة والدعاء عند القبر من المنكرات وفي كلامه خفاء بالنسبة الى بعض الاذهان ويوضحه انه

ليس كل بقعة يثبت لها فضل أو نزول رحمة أو ملائكة تشرع الصلاة والدعاء فيها وينال المصلي والداعي بركتها، لأن رحمة الله قريب من المحسنين ولا تكتب الا للذين يتبعون الرسول النبي الامي ويطيعونه كما تدل عليه آيات الاعراف، والمصلي عند القبور قصداً مسيء عاص للرسول، معدود عنده من شرار الخلق، فاعل ما أوجب اللعنة، فلا يناله شيء من تلك الرحمات، ولا تصلي عليه الملائكة بل تناله اللعنات الواردة في الحديث، ولاسيما اذا بلغه حديث النبي ﷺ فأصر على مخالفته للهوى والاغراض الفاسدة

ومن العجب أن السيد مهدي جعل السبب الذي لاجله حرمت الصلاة عند القبور هو فضل أصحابها ونبوتهم سببا لاستحباب الصلاة عندها وفضلها على الصلاة في غيرها، وهذا عكس قضية احاديث الباب وفقنا الله واياه لاتباع الحق، وانما قلنا ان علة النهي عن الصلاة عند القبور هي فضيلة اهلها المفضية الى الافتتان المفضي الى الشرك لاننا رأينا النبي نهى عن الصلاة عند قبور الانبياء والصالحين ونبش قبور المشركين وبنى مكانها مسجداً لانها لاحرمة لها ولا تخشى منها فتنة، وقد أشار البخاري في صحيحه إلى هذا المعنى وبينه شارحه وقد نقل الشوكاني في المجلد الثاني من نيل الاوطار تحريم الصلاة في المقبرة عن احمد بن حنبل والظاهرية قال قال ابن حزم وبه يقول طوائف من السلف فحكى عن خمسة من الصحابة النهي عن ذلك وهم عمر وعلي وأبو هريرة وانس وابن عباس قال وقد ذهب الى تحريم الصلاة على القبر من اهل البيت المنصور بالله والهادوية وصرحوا بعدم صحتها ان وقعت فيها ثم قال وقال الرافعي — يعني احد ائمة الشافعية

أما المقبرة فالصلاة فيها مكروهة في كل حال وهو مذهب الثوري والاوزاعي وابي حنيفه اه ببعض تغيير

وذكر البخاري في صحيحه أن عمر رأى أنساً يصلي عند قبر فقال: القبرَ القبرَ . أقول فانظر كيف حذره عمر منه مع ان أنساً لم يقصد الصلاة عنده والخلفاء الراشدون وسائر الصحابة والتابعون لاجرم أنهم لا يبغونهم إلى رذيلة وبدعة ضلالة

وروى الجم الغفير أن النبي ﷺ قال «أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» ورووا عنه أنه قال «المدينة حرام» الحديث وفيه «فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» فنحن نسأل أصحاب القباب والمشاهد أهي من هدي رسول الله ﷺ أهي من الدين ؟ فان زعموا أنها من الدين سألناهم أكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعلمون ذلك أم لا ؟ فان قالوا كانوا يعلمونه قلنا فلم لم يفعلوه ولم يبنوا قبة واحدة مع عنايتهم بزيارة القبور المشروعة ؛ فان زعموا أنهم لم يتمكنوا من ذلك مع تمكنهم من بناء بيوتهم وبيوت الله وخط المدن والقرى أبطلوا وأحالوا ، وإن قالوا تركوه كسلا فقد جعلوا أنفسهم أنشط إلى الاعمال الصالحات وأحرص عليها من محمد وأصحابه وذلك هو البهتان المبين والضلال البعيد ، وإن قالوا إن النبي وأصحابه كانوا يجهلون أن بناء القباب والمشاهد على قبور الصالحين من الدين فعلمنا مالم يعلموا فقد جاؤا بالطامة الكبرى المهلكة في الدنيا والآخرة .

وروى الدارمي وابن وضاح أن عبدالله بن مسعود بلغه أن قوما يجتمعون

في مسجد الكوفة حلقا فيقول أحدهم سبحوا مائة فيسبحون وبين أيديهم الحصى يعدون به ، ثم يقول هللوا مائة فيهللون ، ثم يقول كبروا مائة فيكبرون. فقال لهم ويحكم ياأمة محمد ماأسرع هلكتكم والله لقد فقتم أصحاب محمد علما، أو جئتم ببدعة ظلما، فقال أحدهم : والله ياأبا عبد الرحمن ماأردنا إلا الخير فقال وكم مريد للخير لم يصبه الحديث أو كما قال مما هذا معناه ومحل الشاهد منه قوله : لقد فقتم أصحاب محمد علما او جئتم ببدعة ظلما.

وكذلك يقال لاصحاب القباب بل هم أولى بذلك لان بدعتهم أقبح البدع وأنكرها وهذا وحده كاف للرد عليهم ،

وقوله ان القول بهدم ما بني على قبور الانبياء والصالحين مأخوذ من القياس وهو من أقبحه عجيب لان العلماء متفقون على أن الهدم مشروع بالنص النبوي والاثر العلوي عاضد له لا بالقياس وأي حاجة بهم إلى القياس سواء أكان حسنا أم قبيحا مع وجود النص الصحيح الصريح ، فان قال إن حديث علي لايدل على هدم قبور الابرار ، بل هو مخصوص بقبور الكفار ، فقد تقدم جوابه ونقول الآن إن تخصيصه بقبور الكفار مع ان علياً أمر أبا الهياج بهدم ماعلى القبور تخصيص بلا مخصص وهو تحكم لانه عزل اللفظ عن بعض مدلولاته بلا دليل مع ان قوله «ان لاتدع قبراً مشرفا إلا سويته» بمنزلة قولك سو كل قبر اه لان النكرة في سياق النفي تعم ولو كانت هناك قبور مستثناة لذكرها النبي ﷺ لعلي وذكرها علي لابي الهياج الاسدي ولم يكونا يتكلمان بالاغاليط وما كان فيهما عيّ عن بيان مرادهما ، بل قبور الانبياء والصالحين اذا بني عليها بناء كان اولى بالهدم من قبور غيرهم لنص النبي ﷺ على النهي

عن ذلك وإيعاده الشديد في ذلك لا بتأويل ولا رأي ولا قياس ، واذا كان فهم دخول البناء على قبور الصالحين في حديث علي وغيره من اقبح القياس فكيف يكون فهم علماء الشيعة الذين فهموا من حديث علي كراهة التجصيص مع انهم لا يقولون بالقياس لا حسنا ولا قبيحا

﴿ المقام السادس والعشرون ﴾ قوله مضافا إلى ما عرض به مكاتب المنار من أن القباب والبناآت المعتمدة على أساس لا دخل لها بالقبور أصلا لانها كانت مشيدة منذ عدة قرون بمرأى من المسلمين ومسمع لم ينكره أحد منهم حتى الذين رووا حديث أبي الهياج الاسدي لعلمهم أن هذا ونحوه انما ورد في المعنى الذي ذكرناه

أقول من أين لك أنه لم ينكره أحد؟ هذا لا يعلمه إلا الله وليس مما تتوفر الدواعي على نقله وهذا لو لم يبلغنا انكار أحد منهم فكيف وقد مر اجماعهم على انكاره؟ سلمنا أنهم لم ينكروه أفلا يكفي انكار رسول الله ﷺ له ولعنه فاعله قبل وفاته بخمس ليال؟ والاخبار بذلك مستفيضة فسكوت الناس على انكار المنكر لا يصيره معروفا ، وعدم العلم بالانكار ليس علما بعدمه . والذي عليه المحققون من علماء الاصول أن الاجماع السكوتي ليس حجة والساكت لا ينسب له قول كما حققه الشافعي في المجلد الاول من الأم صفحة ١٣٤ وغيره في غيره

ثم إن هذا يحتج به من يحتج به فيما لا نص فيه ، وأما ما فيه نصوص ناطقة صريحة صحيحة فعدم عمل الناس بها لا ينسخها ولو كان الامر كذلك لنسخت أكثر النصوص ونسخ بعضها في اقليم دون اقليم بل في مصر

دون مصر وهذا في غاية الفساد . بل كل مسألة فيها نص فواجب على الناس أن يعملوا به وإن ترك بعضهم العمل به فلا تزر وازرة وزر أخرى

على أن العلماء من جميع المذاهب أنكروا القباب ونحوها أشد الانكار. ومن لا يعتد باجماع خير القرون الصريح القولي ويعتهم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وكيف يليق به أن يحتج بسكوت شرار القرون على منكر عمت به البلوى كالقباب، هذا لو لم ينقل لنا انكار أحد كما ادعاه السيد مهدي كيف وقد مر نقل اجماعهم على انكاره ؟ قال في الاقناع وشرحه وهو المعتمد في الفتوى منذ زمان عند الحنابلة في المجلد الاول صفحة ٤١٠ (ويكره البناء عليه) أي القبر (سواء لاصق البناء الارض أو لا ولو في ملكه من قبة أو غيرها للنهي عن ذلك) لحديث جابر قال نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه ، وأن يعقد عليه : رواه مسلم. وقال ابن القيم في (اغاثة اللهفان) وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها لأنها أسست على معصية الرسول لانه قد نهى عن البناء على القبور انتهى وهو أي البناء في المقبرة المسبلة أشد كراهة . وعنه — يعني احمد بن حنبل — منع البناء في وقف عام وفاقا للشافعي وغيره قال: رأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى ثم قال وكره احمد الفسطاط والخيمة على القبر وتغشية قبور الانبياء والصالحين أي سترها بغاشية ليس مشروعا بالدين قاله الشيخ وقال في موضع آخر: في كسوة القبر بالثياب اتفق الائمة على أن هذا منكر اذا فعل بقبور الانبياء والصالحين فكيف بغيرهم ويكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه وتخليقه والطواف به والاستشفاء بالتربة من الاسقام لان ذلك كله من البدع الخ

وقال الامام المجتهد المطلق محمد بن علي الشوكاني اليمني في شرح الصدور راداً على الامام يحيى بن حمزة الزيدي اباحته بناء القباب ولم يجد دليلا يستدل به إلا أن ذلك شاع بين المسلمين فلم ينكره الشوكاني المتوفى سنه ١٢٥٥ (فائدة) واما ما استدل به الامام يحيى حيث قال لاستمال المسلمين فهذه ادلة النهي عنه تذكر في مدارسهم ومجالس حفاظهم فيرويها الآخر عن الاول والصغير عن الكبير والمتعلم عن العالم من لدن الصحابة الى هذه الغاية واوردها المحدثون في كتبهم المشهورة وأهل الاخبار والسير فكيف يقال إن المسلمين لم ينكروا ذلك وهم يروون اوله عنه واللعن لفاعله خلفا عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الاسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الامام المحيط بمذاهب سلف هذه الامة وخلفها انه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح اصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة اطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم احسانا للظن بهم وان لا يظن بهم ان يجوزوا ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه أنتهى

وقال الامام النواب صديق خان في المجلد الثاني من الدين الخالص ص ٣٥٢ قال الحافظ ابن القيم يجب هدم القباب التي بنيت على القبور لانها اسست على معصية الرسول وقد افتى جماعة من الشافعية بهدم مافي القرافة من الابنية منهم ابن الجميزى والظهير الزميني وغيرهما وقال القاضي ابن كج ولا يجوز ان يجصص القبور ولا يبنى عليها قباب ولا غير قباب والوصية بها باطلة وقال الاذرعي اما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها

من الابنية وانفاق الاموال عليها فلا ريب في تحريمه وقال القرطبي في حديث جابر نهى ان تجصص القبور أو يبنى عليها بظاهر هذا الحديث قال مالك وكره البناء والجص على القبور

وقد اجازه غيره وهذا الحديث حجة عليه وقال ابن رشد كره مالك البناء عليها وجعل البلاطة المكتوبة وهو بدع أهل الطول أحدثوه ارادة الفخر والمباهاة والسمعة وهو مما لا اختلاف في تحريمه وقال الزيلعي في شرح الكنز ويكره ان يبنى على القبر وذكر قاضي خان أنه لا يجصص القبر ولا يبنى عليه لما روي عن النبي (ص) أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر والمراد بالكراهة عند الحنفية كراهة التحريم وقد ذكر ذلك ابن نجيم في شرح الكنز، وقال الشافعي أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة على الناس قال في فتح المجيد وكلام الشافعي يبين أن المراد بالكراهة كراهة التحريم وجزم النووي في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقا وذكر في شرح مسلم نحوه، وقال ابن قدامة صاحب المغني ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لان النبي (ص) لعن اليهود والنصارى على ذلك، وقد روينا أن ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات واتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها انتهى

أفبعد هذا يدعي أن أئمة الامة لم ينكروا البناء على القبور ؟

(للمناظرة بقية)

باب الرسائل والمناظرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل والسيد[1]

سلاما وتكريما، وتحية وتعظيما . ماأوضح مناركم للمؤمنين سبل الاسلام، وبدد عن طريق رفعته غياهب الأدران والاوهام، أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى ، وطعن الاسلام في صدره طعنات قاتلة ، وأوشك المسلمون أن يفقدوا مابقي بين أيديهم من رمق القوة والامل ، فبينما نحن نرى السواد الاعظم من الدول الاسلامية يرسف في قيود الاستعمار والعبودية ، إذا بالقسم المستقل منها تلعب فيه أيدي العابثين ، ثم بينما نرى تركيا قد أدبرت عنا وشغفت بمظاهر الغربيين الذين شغفوا بافنائها إذ بايطاليا ترسل عقاربها وتبث سمومها باليمن ، وإذ بانكلترا تحاول أن تخادع ابن سعود وتريد أن تظفر به ، واجمالا هذه كلمتي التي أملاها ضميري على لساني ، الذي أناب عنه بناني في تحريرها اليكم ، وليس على فضيلتكم الا أن تنظروها وتفحصوها نقداً وتمحيصا ، ولكم أن تدرجوها في صحيفة مذاكرات النهوض الاسلامي أو ان تنشروها على صفحات صحيفتكم الغراء كي يتمكن القراء من الاطلاع عليها ويبدوا فيها الآراء العامة ، ولكم أن تضربوا عنها صفحا وعفواً عن اقدامي هذا وإنا لما يرتضيه الاستاذ لمنتظرون ؟

روح الثقة في الاسلام

للدين الاسلامي المكان الأجل من قلوب معتنقيه ، والسلطة العظمى على خواطرهم وأعمالهم، حتى انك لتجد من اذا طرق سمعه اسم من بعث به في الارض بشيرا عليه أزكى السلام لا بتهل فازعا الى الله بالصلاة والتسليم عليه لا فرق بين عامتهم وخاصتهم في ذلك - أو اذا نودي الى الصلاة لرأيت منهم كل مقبل من كل

(١) وصف الكاتب لفظ السيد هنا بالأعظم فقف شعري عند رؤيتها، وذكرتها لتذكيره بعدم العودة اليها، وليعلم هو وغيره اني لا أحب الاطراء ولا أعشق الالقاب وانما أترك ما يكتبه إلي منها للاسباب التي بينتها من قبل ومنها اتباع العلماء السابقين في ذلك

فج ابتغاء لمرضاة الله واجتنابا لمعصيته وخشية من عقابه، يقفون صفوفا في انتظام ووقور يؤدون ما كتب الله عليهم في كتابه الحكيم والخشوع يملأ جوانحهم (تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا)

الديانة الاسلامية هي العقيدة التي تكفل لبني الانسان طريق السعادة الدنيوية والسعادة الابدية لا يجنح من يسير ويستنير على سننها وشرائعها الى ضلة الاثم والعدوان، أو الى هاوية القل والخذلان، بل لايهتدي الا الى طريق الهدى والمنهج القويم والصراط المستقيم ، ولا يرضى أن يشوب ما أوضحه له دينه الحنيف من المبادىء والشرائع أدنى شائبة من الحبائل الاجنبية ومظاهرها الخلابة ، ويشفق على نفسه أن يصيبها تزعزع في العقيدة أو أن يتصدع منها في قلبه ركن من أركانها ينهدم به كل ركن من أركان الخير والفلاح وكل أصل من أصول السعادة ، ويبذل في سبيل صيانتها وقوتها ونصرتها ما كان بين يديه وكل ما ملك أيمانه من قوة ومال ونفوذ ، بل يقدم أبناءه وفلذات كبده واحداً واحدا، بل يقدم نفسه معهم في ساحة الحرب طعمة لما يريد أن يهشم شيئاً من أطراف شدة عقيدته وعظمتها ومجدها ولا ينثني مطلقا عن هذه الجهود والتضحيات، مالم يكن قد تسرب الى قواه العقلية والنفسية شيء من النقص والاضطراب، أو تطاير شيء من أوراقها وعروقها مع عواصف الانقلابات والتطورات الاجتماعية ، أو أصيبت صحتها بعدوى أخلاقية خارجية

الدين الاسلامي هو نور الحق الذي انبلج في أفق الكون منذ أربعة عشر قرنا مضت، ذلك النور الذي أدبرت وانقشعت أمام أشعته ظلمات الجهالة والضلالات، وعلى بنيانه خفقت أعلام اليقين والعمران، وانتشرت روح الثقة والايمان، ورسخت في نفوس الشعوب كرسوخ النقوش في الاحجار الصلدة، فبذلك أصبحوا بنعمة الله اخوانا يشد بعضهم بعضا، يتعاونون في السراء، ويتناصرون في الضراء ، يشفق غنيهم على فقيرهم فيساعده، ويلتف صغيرهم حول كبيرهم فيظاهره، فتجدهم أشداء على الكفار العادين رحماء فيما بينهم، يرون السعادة كل السعادة في الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته واظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون. هكذا ديدنهم في كل زمان ومكان (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

الدين الاسلامي هو الدين الذي ألف بين قلوب الناس فجرى في عروقهم دم المحبة والألفة ، وأمرهم أن يؤدوا الامانات إلى أهلها، وأن يستعففوا ، وأن يأكلوا بالمعروف ، فانغرست في نفوسهم الامانة والعفة . وعد الصابرين بأحسن الأجر، وأمرهم إذا عزموا أن يتوكلوا على الله، فجبلوا على الاقدام والصبر ، وبين لهم ان الاعمال بالنيات ، وأمرهم بالطهارة فنبت في قلوبهم الاخلاص والطهر ، أمرهم أن يتعاونوا على البر والتقوى وكم منهم من يمشي سويا على صراط مستقيم، فنشأوا على الاتحاد والاستقامة ، وأمرهم أن يقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونهم فتمكن منهم روح الشمم والشهامة، بين لهم أن في كتابه آيات لأولي النهى، وعبرة لمن يخشى، وأن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً، فادرعوا بالموعظة والحكمة، وأمرهم أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم فلاذوا بالعدل والرحمة ، أمرهم أن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين وأن يثبتوا ويذكروا الله كثيرا فاستعانوا بالصدق والثبات، وبين لهم أن من اعتدى عليهم فليعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليهم ففطروا على الحرية والمساواة ، بين لهم أنه لايستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ، وأمرهم إذا قضيت الصلاة أن ينتشروا في الارض ويبتغوا من فضل الله، فلجأوا الى العمل والعلم ، وبين لهم أن علو الهمة من الايمان فحثهم بذلك على الجد والعزم، أمرهم أن يؤثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فتوطد بينهم أساس النجدة والمروءة ، وبين لهم أن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ، وأمرهم أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله فسادت بينهم الآداب والسماحة ،

ذلك هو دين القيمة الذي منحه الله عباده وفضل المؤمنين به على سائر الامم، يأمرهم بالمعروف وبالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى واليتامى أموالهم ، ويجنبهم عن الفحشاء والمنكر والبغي وأكل أموال الناس بالاثم ، وينهاهم عن النميمة والحقد والحسد وما فيه الخسران المبين لهم، وما كانت تلك الاوامر والنواهي منه سبحانه إلا رحمة منه ونعمة من كبريات نعمه رغبة في سعادتهم في الدنيا والآخرة، وحفظا لكيانهم من أن يصيبه عدوان المعتدين وهم في غيهم وغفلتهم يعمهون

كان والله عجبا أن يحدث ما يقع في كل يوم بل في كل ساعة تحت مشاهد أنظارنا ومدارك حواسنا من صنوف الفتك والاجحاف بالعقد الاسلامي، ومحاولة كسر أجنحته، وافناء قوته، وازهاق روحه، والمسلمون يكادون لا يشعرون بما ينوبهم من طوارق الحادثات مع شدة وطأتها وتحكيم أغلال الذل والاسترقاق في أعناقهم وأيديهم وأرجلهم، بل في ضروراتهم وارادتهم، بل في أفكارهم وعواطفهم، كأنهم يحسبون أن الاسلام هو الخنوع لسيطرة العدو الباغي والاستسلام لما ينصب عليهم من المحن والبلاء،

عجبا والله ما نشاهد من الممالك الاوربية اذ كلما قام قائمهم يدعو إلى الفتح والغزو وظلم الشعوب لا يقابل ذلك النداء لدى شعوبهم إلا بالتلبية والاجلال والتأييد، فينقضون على أطراف ممالكنا ويشبعون أهلها طعنا وسلبا ونهبا وتقتيلا، حتى إذا ما استقر لهم الامر فيها جرّعوا البقية الباقية منهم من سموم المدنية الغربية ما فيه هلاك للاجسام وذهاب للايمان، ويقلبون نظامها الاسلامي الجليل حتى تندثر معالمه ويصير كأن لم يكن شيئا من قبل، هذا هو محور غايتهم من كل أفكارهم وحركاتهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون)

كما كانت غرائز الجور والطغيان وحب الفتك متمكنة من مشاعر الغربيين كان ازاء ذلك من التخاذل والتجافي المتغلب على نفوس الامة المحمدية وميلها إلى اللهو والطرب والغفلة عن عواقب الامور مما جعل الاولين يتمادون في طيشهم وظلمهم ووحشيتهم، ويغرقون في سلب حياة الاسلام وضياع زهوه وبهائه بين أمواج ما ينشرون من دعوات الفسق والكفر والفجور، وتحطيم حصون الدين المنيعة، وهدم صروحه الجميلة، فيهيم المسلمون على وجوههم في مهامه الحيرة والارتباك، حتى يأخذهم أولئك لقمة سائغة، وغنيمة باردة إذا شاءوا محقوهم عن آخرهم، وان أرادوا أبقوهم آلات بين أيديهم يدفعون بها أينما تريد لهم أهواؤهم، يسوقونهم لمحاربة بعضهم بعضاً سوق الانعام الى مواطن نحرها،

أليس بعجيب أن ينهض الريفيون في مراكش ويهبوا للمطالبة بحقوقهم المهضومة فيردهم على أعقابهم جنود من سورية[1] والجزائر وتونس وغيرهم من الشعوب التي

---

١) الذي نعلمه ان فرنسة لم تجند في سورية جنوداً وانما هنالك قليل من متطوعة نصارى لبنان

تربطهم بهم رابطة العروبة والدين التي هي أقوى الروابط وأوثقها فضلا عن اشتراكهم في شاكلة الخسف والضيم ، أليس من الغريب أن تغلب سورية على أمرها بواسطة جنود مراكشية وصومالية ، أليس ما يبعث على التحرق والحوقلة أن تستعمل الجنود الهندية المحاربة في مصر والعراق وتركيا ، والجنود الافريقية في الهند وفلسطين ، رحمتك اللهم الطف بعبادك المؤمنين واهدهم إلى سبل الرشاد واجعل لهم من ماضيهم وحاضرهم عبرة وموعظة لمستقبلهم فأنت خير الراحمين

تفرق كلمة المسلمين فيما بينهم وعدم اجتماعهم في الآراء العقلية والوجدانيات النفسية مما حسن في مخيلة الاوربيين غارتهم تلك وسهل لهم سبلها حتى اندفعوا يهدمون بناء الاسلام حجراً حجراً ، ويخربون حديقته شجرة بعد شجرة ، ويسعون جهدهم في غرس المفاسد والآثام وتحليل ما حرمه الله ومعصية ما أمر به ، حتى أذهلوا المسلمين عن أنفسهم ، وزادوهم سكراً على سكرهم وغفلتهم ، وحمقاً على حمقهم وغباوتهم ، ذلك بأنهم فقدوا كثيرا من موازنة ارادتهم وشعورهم بتكرار الاعمال المغايرة لطبيعة أخلاقهم وشريعتهم ، فتنكبوا سبل دينهم وحادوا عن طرق إرشاده وإصلاحه ، واندفعوا وراء الشهوات والموبقات وأسباب الشقاق ، كاندفاع الجنادب إلى المواضع القذرة ، ضاربين صفحا عن هاتف الايمان الذي يهتف من أعماق صدورهم ، الذي يهيب بهم إلى التعقل والاعتبار ، والرجوع إلى أنفسهم ، ودفع عادية ما قد يغتال روح الاسلام وينقض دعائمه مع عدم احساسهم بداعية الحق والواجب عمله في سبيل نصرة ملتهم وعقيدتهم ، أشد ظلما لأنفسهم وأكبر ضلالا عند الله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين)

إذا ضعفت ملكة العاطفة والحساسية من القلب – وهي القاعدة التي تبنى عليها عماد العقيدة – ذهبت معها وسائل الشجاعة والاقدام وما يلازمها من خلال الشهامة والثبات واقتحام المهالك ، ويعدم الانسان الصفات التي بها يتمكن من دفع المؤذيات والذب عن حوضه وكيانه ، بل تجده كثير التواني في حقوقه الشخصية

والوطنية والدينية، لايحرك ساكنا في سبيلها ضربت عليه الذلة والمسكنة ، وعاش طول حياته كسيف الضمير حزينا حسيرا

ولما كان لكل عمل من الاعمال وكل هيئة من الهيئات البشرية حيز معلوم ودائرة محدودة لايتعداها الانسان كان فيها مايحمي قيامها ويقوم اعوجاجها ويردع من ينزع الى أحد حدي التفريط والافراط فيها ويرده الى مواطن الحق والصواب ، ولقد كان من ضرورة الاجتماع الانساني أن يكون من بينهم الضعيف والقوي ، فمن شأن الضعيف أن يرضخ ويستسلم للقوي ، فاذا شعر بشدة الظلم وقرب وجوب الفناء كان الواجب عليه أن يفيق ويثب على من ظلمه وثبة ترده إلى صوابه وحده ، بل وربما تحطمه تحطيما تاما وترد اليه جميع حقوقه تامة كاملة ، وإن القوي من شأنه الترفع والعلاء حتى إذا مابلغ أعلى شأوها كان الطغيان والتعدي أول نذير له بالسقوط

أجل قد بالغ المسلمون في تخاذلهم وفناء الثقة فيما بينهم بقدر مالج الغربيون في تصلفهم وتبجحهم ، حتى حق القول بأنه إذا سار الطرفان على هذا المسلك دون أن يكون لليقظة والنهوض سبيل لدى نفوس المسلمين فانهم يكونون قاب قوسين أو أدنى من المحق والفناء ، ويصبح التلاشي أقرب اليهم من حبل الوريد ، بل قل على شريعتهم السلام فهلا تشعرون بالعاقبة وهل أنتم منتهون؟

ألا ان من الهمة والحزم أن يتعاون المسلمون على نيل المنافع ، ويتضافروا على دفع المضار اذ قد تبين لهم أن في التدابر والتقاطع وترك الامور على تيارها مايؤدي الى الانحلال ، في عناصرهم وذواء فطرتهم ، والضعف في ملتهم ، فيتفرق شملهم ، وتنفصم عرى الائتلاف بينهم ، فتذهب ريحهم ويصبحوا من الخاسرين ، فلقد آن أوان صحوهم من سكرتهم ، ونهوضهم بعد سباتهم ، ليتداركوا ماذهب اليه اختلافهم ، ويمكنوا روح الوحدة والاعتصام من قلوبهم ،حسبما جاء به الدين حتى يكون العالم الاسلامي كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . ماهذه الا بينة الرشد توحي اليكم يصدع بين جنباتها الحق المبين ، أفلا تستمعون لها وتتلمسون محجتها باليقين ،فاذاً تعتصمون بالعروة الوثقى وحبل الله المتين ، وتنبذون كل خلاب مهذار مخذال مهين إنه خير لكم لو كنتم تعقلون،

أم أنتم عن ذلك تعرضون (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

ان للحق مبادئ وغايات ، وللباطل قواعد ومآرب ، ولكل منهما شيعة وأنصار ، وليس علينا الا أن ننصر الحق أو ننبذه ، أو ندحض الباطل أو نرهبه ، على أن الحق ليس من الضعف لدرجة أن يرهب أو ينبذ ، بل ان للحق سطوة عظمى فوق بطش الباطل وطيش الضلال ، تستولي على النفوس بدون جزع أو ارهاب ، فيعتريها الشعور بجلال الحق والاذعان لروحه ، أفبعد ذلك يشغب المارقون؟

جدير بالعلماء وكبار المفكرين وقواد الآراء في مصر بل في جميع من سواها من الدول المسلمة أن يتعاهدوا ويعقدوا الخناصر على إحكام رابطة الاسلام وتشذيبه مما قد خالطه من الشوائب والاسقام، وأن يعملوا جميعا في ذلك يداً واحدة، وأن يرسموا للشعوب الخطط القويمة والمبادئ الرشيدة ، ويأخذوا بناصرهم حتى يتبوأ الجميع مكانهم من العزة والمنعة ، ويفوز الجميع بجني ثمار أفكارهم وأعمالهم ، وتمهيداً لانجاحنا إلى غايتنا التي ننشدها نقول :

(١) على كبراء المسلمين من العلماء والفلاسفة والرجال الروحيين ورؤساء العشائر وحكام الاقاليم من سائر الاقطار الاسلامية أن يوالوا عقد الاجتماعات المتعاقبة لابداء آرائهم الصائبة وأفكارهم الثاقبة في اصلاح شأن الاسلام وجمع شتاته وتوحيد لوائه مع الرغبة الصادقة والعزم التام وتوجيه الجهود الى ذلك من العام والخاص

(٢) سعي الجميع لتوثيق عرى المودة والتعاون بين الشعوب والحكومات الاسلامية بحيث يعمل الفرد منهم فى سبيل المنفعة العامة ، وان تعطف الجماعات على مصالح الافراد منها

(٣) القيام لاصلاح ذات البين بين الشعوب الاسلامية التي بين أفئدتها ضغائن أو سوء تفاهم إذا طرأ ذلك وإحلال الاخوة والصفاء والتضامن بدلا من ذلك

(٤) البحث في إصلاح شئون الاقطار الاسلامية ووسائل رفعتها وكرامتها ، والقضاء على كل ما يؤدي الى نقص قدرها وهيبتها ، واقامة شعائر الدين والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٥) الاسراع في تنصيب خليفة المسلمين الذى يكون بالانتخاب كما كانت الطريقة المتبعة لدى الخلفاء الراشدين الاربعة لا بطريق الذرية والوراثة

(٦) أن يكون المرشحون للخلافة من أساطين العلماء الجهابذة ذوي العبقرية على أن يكونوا من ذوي الجد والهمم والارادة القوية والعزيمة الماضية العاملين ـ الممتازين بماضيهم المجيد المعروف، وكفاءتهم الشخصية، ومقدار ثقة الشعوب فيهم من سائر الممالك الاسلامية على السواء

(٧) أن يكون مقر الخليفة القاهرة ويكون مجرداً عن السلطة الاجنبية أو أن يكون في أي قطر مستقل وأن يسري نفوذه الديني لدى جميع المسلمين على نص الشرع والسنة

(٨) أن يكون للخلافة مجلس أعلى يسمى مجلس الخلافة ينعقد في أوقات مخصوصة معينة برئاسة الخليفة ويكون له عن كل قطر اسلامي نائب أو أكثر للنظر في شئون الاسلام والمسلمين المادية والمعنوية

وختاما نضرع الى الله أن يوفقنا جميعا الى مافيه الخير والصلاح والسعادة والعمران وأن يهدينا الى صراطه القويم وطريقه المستقيم وأن يجعل الحق والنجاح والحكمة رائدنا انه على مايشاء قدير

سيدي الاستاذ

لقد أبديت لك صراحة ما أشعر به وما ينبض به قلبي بل وقلب كل مسلم ولم أعرضه ولن أعرضه إلا على أنظار فضيلتكم كي تحكموا فيه بحكمتكم المشهورة ، والله على ماأقول وكيل م؟ يحيي محمد البكري — بفرشوط

[المنار] ان كل جملة من رسالتكم تدل على معرفتكم بحال أمتكم وعصركم إلا هذه الاقتراحات في الخلافة ، من ذا الذي ينصب الخليفة ؟ من ينتخبه؟ من يرشح جهابذة العلماء ذوي العبقرية للانتخاب ؟ أي مملكة ترضى أن تكون مقراً لخليفة منتخب غير ملكها أو أميرها ؟ أما قرأت ياأخي ما كتبته الجرائد المصرية الطعن بمؤتمر الخلافة والسخرية من كبار العلماء لتأليف هـذا المؤتمر ؟ أما سمعت صياح ملاحدة مجلس النواب في انكار صرف مبلغ حقير من الاوقاف الخيرية على هذا المؤتمر اتباعا لملاحدة جريدة السياسة ؟

﴿ التمدن الآثم . القاضي مترنيخ . تلقيح القضاء المصري ﴾

(الجامعة المصرية تحت راية القرآن)

رسالة من مسلم عالم غيور من مراكش

لجريدة السياسة خطط متبرقشة وبرنامج متموج يتدفق بالتفريخ الآثم ، وتهلل السياسة في إذاعته مهما كان بشعاً متوحشاً ، وإن قراءها يعرفون الكثير من ذلك ، ومن أسمج ما رأينا فيها قصة مترنيخ المنشورة في عدد ١٥١٩ تاريخ ٢٤ ربيع الاول عام ١٣٤٦ ولا ترى في (قصة اليوم) التي تنشرها السياسة في كل عدد إلا أمثالها وأشنع منها

وخلاصتها لمن لم يقرأها ان هذا القاضي الفاجر أو الوحش مترنيخ سطا على فتاة ويعلم الله كم استعد لسرقتها واستشار إبليس اللعين في خداعها حتى تمكن منها فغصبها أثمن شيء لدى الفتاة (هو عفافها) ولا شك انه دفع لها قناطير مقنطرة من الايمان بشرفه وشرف تمدنه إنه سيتزوجها على عادة شأن هذا التمدن الوحشي

حملت نيتاشا من ذلك القاضي المتمدن وولدت طفلا ألقته في البحر خوف العار والشناعة . عثر البوليس على جثة طفل حديث الولادة وشوهدت فتاة تدعى نيتاشا تلقي به في قاع البحر فقبض عليها والبحث جار لمعرفة والد هذا الطفل

يقول القاضي المتمدن بعد ذلك ماذا يكون جزاء نيتاشا ؟ لابد أن يقتص منها القانون . ثم يقول الوحش تخيلت نيتاشا وهي واقفة تستعطفني في قاعة المحكمة أن أرحمها وأرحم شبابها الغض. ثم يقول الفاجر مترنيخ بعد أن تكلف إظهار تشنجات وخيالات مبرقشة كاذبة مغزاها أنه غالب نفسه (المتيمة) ونفذ القانون كما يجب

لقد غصت المحكمة بجمهور المتفرجين وبكت نيتاشا واسترحمتني بصوت مؤثر أهاج الشفقة في القلوب (الله في قلبه القاسي) وأسال العبرات من العيون ولكن حكمت ... نعم حكمت ويا لقساوة القانون... القانون يا دكتور... العدل يا عزيزي

نحن لا نفهم من نشر هـذه القصة وأمثالها إلا تلميح الشباب بهذه الجرائم الفتاكة وإغرائهم بهذه الموبقات وتعليمهم الاعتذار بعد الوقوع

اذا كان هذا الوحش خان هذه الفتاة التي تفنن في وصف جمالها بدون خجل فهل ضاق عليه القانون ولم يهتد لحيلة يخلص بها فريسته من العقاب والعار؟ إنه لو تأمل قليلا واعتمد على مادة من مواد القانون لما عدم مادة من مواده المرنة يمكنه بها من تخليص نيتاشا بسهولة

لا أدري أيهما أشد إجراما؟ خداعه إياها وسلب عفافها وحنثه في أيمانه ثم افتخاره بتنفيذ القانون الوضعي وهو المجرم المحتال المتعمد؟ أو فحص مواد القانون للعثور فيه على بند يخلص تلك الفتاة المخدوعة بلا شك ، هلا راجع كتب الحكمة التي تحض دائما على الرحمة والشفقة والتخلق بهما والايثار على النفس ولو مع الخصاصة عوض تكرار مواد القصاص القاحلة الجافة؟ هلا درس باب بدل الغلط الذي هو أصل من أصول الشرع الوضعي كما قيل وإن كنت أستبعده

بدل الغلط

وقعت لي محاورة مع محام يقال انه بارع في فنه جداً في موضوع الغلط « والعهدة عليه » خلاصته ان غلط القاضي في إلقاء نص الحكم يخلص الجاني أو يدين البريء ، فاذا سرق جانٍ ألف جنيه مثلا وثبت ذلك عليه ثبوتا صريحاً أو أقر وأراد القاضي أن ينطق بنص الحكم في مجلس القضاء كأن قصد أن يقول حكمت عليه بأداء الالف جنيه فسبقه لسانه وقال حكمت ببراءته فان الالف جنيه تضيع على ربها وتذهب مع الاجراءات التي اتخذت تحت الاحكام العرفية في مصر

وإن أراد أن ينطق في مجلس الحكم على متهم ثبتت براءته بالحجج القاطعة وأن يقول حكمت ببراءته فسبقه لسانه وقال حكمت باعدامه نفذ الحكم، وهكذا

وكم انتفخ هذا المحامي انتفاخ العصفور بلله القطر واغتاظ وتهجم على الشرع الاسلامي حين قلت له : ان القضاء الذي يدين البريء ويفلت الجاني لايمكن أن يكون قضاء الانسانية وإن قضاء الانسانية هو القضاء الاسلامي الذي لايعتمد إلا النصوص الصريحة والحجج الناهضة ولا يعرّج أبداً على أبواب الغلط والشبه والاوهام

وقد اشتد غيظه جداً لما قلت له : إن قضاء القاضي الاسلامي لايحل حراما

ولا يحرم حلالا، وإن خطأ القاضي اذا كان صريحا أو ظاهراً فانه ينقض الحكم ولو طالت عليه الايام والشهور

دعاني إلى تسطير ما ذكر تنبيه الرأي العام الاسلامي الذي هو الأكثرية الساحقة في مصر لما تريده جريدة السياسة وأذنابها من نشر هذه الاقاصيص السمجة فهي لاتفتأ تنشر أقاصيص اليونان والرومان والتفرنج الآثم، ولا تزال ترغب في قراءة تاريخ اليونان وآدابهم وفنونهم في حالة أنها تسعى هي وطاهاها في إغراء المصريين بالاعراض عن آداب العرب وعلومهم وتاريخهم ،ومع ذلك لاتأتينا من آداب اليونان وغيرهم إلا بأبشعه وأثقله على النفوس

ومن أعظم كبائرها وأكبرها جرماً مناصرتها لطه حسين ونشر حماقته وإلحاده فيها والتمويه به وبجراءته مع ان أكثر الجرائد حكمت بمروقه وتجرده من القومية المصرية، وبتهجمه على الشريعة الاسلامية ،دين الأمة والدولة، والتحريش بالآداب العربية التي هي مادة الأدب العالي من آداب الافرنج

وأدهى من ذلك حماية الجامعة المصرية لذلك الأخرق المتطاول على آداب الاسلام كأنها خلفت الدولة الانكليزية في حماية الأقلية التي لم يسلم بها أحرار المصريين لأعظم دولة على وجه الارض

وأدهى من ذلك وأمر مانراه من استخذاء المصريين بما فيهم مجلس النواب للجامعة المصرية مع ظهور مكابرتها وشدة عنادها في ترك طاهاها على طغيانه

أفلا تغري الجامعة بعملها هذا كثيراً من الهيئات التي هي أشبه بحكومات بتمسكهم بقوانينهم الداخلية في حالة ان مصر الفتاة تبذل أكثر جهودها لمحو جميع الامتيازات يظهر أن الجامعة لا تهتبل بالمصريين ولا ببرلمانهم وأن أساتذتها أو بعضهم مأجورون لناحية من النواحي إن لم يكونوا مكرهين على حماية طه حسين داعية الكفر والعصيان

لو كانت تعتبر المصريين لقرأت انتقاداتهم بامعان وتدبر وأحلتها محلها واقتدت على الأقل بمدارس العراق التي أكرهت .... نصولي .... على مغادرة مدارسها بسبب كتابته على الدولة الأموية التي يحبذها جمهور المسلمين ومع ذلك انقادت وزارة المعارف لارادة الأكثرية وسكنت الفتنة

لو قرأت الجامعـة كتاب « تحت راية القرآن » لمؤلفـه حامل راية البيان مصطفى صادق الرافعي لما تركت طه حسين لحظة واحدة ولتنازل كل واحد من أعضائها والمدرسين فيهـا عن مرتب شهر وأخرجوه من مصر ونفوه الى جزيرة لاريتون عوض الشهم الكريم بطل الريف العظيم

من أعظم كبائر الجامعة أنها كادت تمزق شمل الامة في سبتمبر سنة ١٩٢٦ فاصطدم مجلس النواب مع الحكومة اصداما مفزعا بسبب طاهاها ولو لم يَسعَ أحرار مصر والمخلصون لها للتوفيق بينهما لخلاص مصر من ذيول محنها لوقعت فتنة عظيمة ولـكن الله سلم

هل تحب الجامعة أن يكون طه حسين في الجامعة أشبه بمومسة عجفاء علق في أشراكها شاب مهذب عزيز على أهله من اسرة عريقة في المجد والدين والمروءة ووالده وجميع أهله وأقاربه وأصدقاؤه يسعون لتخليصه من تلك الحيـة الرقشاء ويتوسلون بكل الوسائل لانقاذه والمحافظة على سمعته وسمعة أهل بيته، والمومسة الفاجرة لاتقاومهم إلا باستبكائها على قلب ذلك الشاب الطيب السريرة وقبضها على فؤاده قبضا محكماً وتظاهرها بحبه وتعشقه ، ولولا محافظتهم على فلذة كبدهم لسحقوا المومسة بنعالهم

وأعجب من ذلك إبقاء المصريين على هذه الجامعة وإرسالهم أولادهم لتعلم الزندقة والالحاد فيها ليهلك من هلك عن بينة ويلحد من ألحد على رغم أنف المصريين

فسر الى الامام ياصادق الرافعي واحمل كل يوم راية من رايات البيان واحرق كتاب الادب الجاهلي كما مزقت كتاب الشعر الجاهلي ولا تفتر عن هدم الجامعة بريشة قلمك حتى تقضي عليها قضاء مبرما كما قضى « أسد الاسلام » السيد رشيد رضا في مجلته المنار على دولة الحسين طاغيـة الحجاز فدارت عليه الدوائر ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

وهـذه جريدة الاخبار الغراء مفتوحة على مصراعيها لنشر كتابتك الرائعة والله في عونكم جميعاً مادمتم في عون الاسلام دين الانسانية (ولتعلمن نبأه بعد حين) سيقول ساسة السياسة ما لمراكش ومصر فان نظرت القذى الطفيف في عيون

المصريين فما بالها تعامت عن الاخشاب في أبصار المراكشيين ؟

وهلا نظر المراكشيون الى حالتهم وما هم فيه من التأخر والانقياد الأعمى للمحتلين والجهل الضارب أطنابه حتى انه لا يوجد في مراكش مدارس ولا جرائد أو مجلات ولا اندية ولا جمعيات خيرية أو سياسية ولا مجالس شورية أو تشريعية حتى المجالس البلدية لا وجود لها هناك فالرعية في مراكش كالغنم في يد الجزار متى أرادها للذبح يسوقها بسهولة ؟

سيقولون ذلك أو أكثر منه ولهم الحق كل الحق ونقول في الجواب ونحن في غاية الخجل، نقول لهم لا يذفف علي جريح ونقر لهم سلفا بكل ماقد يدعونه ومع ذلك نعيد عليهم النصيحة بأنه ماقاد المراكشيين الى جحيم الاحتلال ثم الهوان والخزي إلا أمثال طه حسين بمثل حماقته وانقياد القادة لأمثاله حتى حلت الحاقة الحاقة ، فاعتبروا يا أولي الابصار، وإن العاقبة للمتقين (مسلم غيور)

لماذا دخلت في الاسلام ؟

(نشرت بعض الجرائد العربية في أمريكا ثم في مصر مقالا بهذا العنوان لصاحب الامضاء الذي هداه الله تعالى الى الاسلام ببحثه الحر وعقله المستقل وفطرته السليمة فلغط أهل ملته التقليدية في اسلامه بما شاءت عصبيتهم فكتب مقاله النزيه رداً عليهم . قال)

لم ألزم الصمت حتى الآن ولم أتحاش اذاعة اسلامي على صفحات الجرائد إلا لاعتقادي بأن الامر ليس بذي أهمية تذكر . وما هو إلا حادث بسيط خاص بي وحدي دون سواي ، ولست بمؤد عنه حسابا إلا لخالقي عز وجل

وما كنت لاحسب وايم الحق أن شخصي الحقير يستأهل مثل هذا الاهتمام ويستفز كل هذه الجلبة والضوضاء مستثيراً الظنون المتضاربة والاقاويل المتنوعة حول عمل كنت أعده بسيطا . ولم يقعدني عن إذاعته إلا خوفي من أن يحسب العاذل انني أرمي من ورائه إلى حب الشهرة والمجد الباطل

أما وقد وقع ما كنت أتحاشاه تواضعا لا خوفا فانني لم أخف قط في قول الحق

ولا خشيت فيه لومة لائم فلم يبق بد من بسطي لبني وطني رأيي الصراح في الامر المذكور كي لا تبقى حسرة في نفس يعقوب

ليس في اعتناق الاسلام مدعاة للاستغراب ولا موضع للظنة والريبة ، فان هو بحسب اعتقادي إلا تطور طبيعي يؤدي اليه التعمق في درس الاديان المتسلطة اليوم على عقول البشر ، اللهم إذا كان عقل الدارس غير مقيد بقيد غليظ يربطه بأحد الاديان ربطا محكما لا يستطيع الافلات منه

وليس غرضي الآن التبسط في شرح كل دين على حدة لتبيان أفضلية الواحد على الآخر . فذاك أمر يستلزم مجلداً ضخما ، لا مقالا واحداً ينشر في جريدة سيارة : فاكتفي إذن من هذا البحر الواسع بالوشل مقتصراً على بعض المميزات بين الدين المسيحي الذي ولدت في أحضانه والدين الاسلامي الذي اتبعته

لا جدال في أن الاول دين سام غاية في الجمال والنفع لبني البشر إذا جردناه من الزوائد التي أدخلها عليه الاكليروس فمسخته مسخاً وشوهته تشويهاً جعله اليوم ديناً أقرب إلى المادة الفانية منه إلى الروح الشريفة السامية

أدخل مثلا إحدى الكنائس فترى التماثيل والايقونات والرسوم محيطة بك من كل جانب

تأمل ملابس الكهنة وزخرفتها وزركشتها

لاحظ بدقة طقوس الصلاة والعبادة وما يعتورها من رائحة بخور وابتهال حار لطغمة لا يحصي عديدها من قديسين وقديسات يقومون سداً منيعا دون الوصول إلى العزة الصمدانية

تبصر في كل هذا وقل لي: ألا تحسب نفسك في هيكل أعد لعبادة الاوثان؟

تعال معي الآن لندخل هذا الجامع الخالي من التماثيل والصور

أنظر هذه الجموع الغفيرة المؤلفة من مئات وألوف الرجال الاشداء

تأمل خشوعهم العديم المثال وسجودهم بورع زائد كأنهم رجل فرد أمام الواحد القهار

اصغ إلى صلاتهم السامية في بساطتها والمختصرة (١) في كلمات الشهادة

(١) أي المختصرة معانيها ومقاصدها الكلية في الشهادتين والتكبير

«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الله أكبر الله أكبر»

أنظر إلى إمامهم اللابس ثيابا بسيطة كواحد منهم والمتعمم بعمامة من الشاش الابيض الرخيص الثمن، وقابل ملابسه بملابس ذاك الكاهن أو المطران المزركشة بخيوط الفضة والذهب والمرصعة قلنسوته بالحجارة الكريمة

في الجامع كل شيء يحولك عن بهرجة هذا العالم الفاني ويصعد بك في عوالم اللانهاية ليضعك عند أقدام العزة الصمدانية. أما في الكنيسة فكل ما يحيط بك يبعد عن الواحد الاحد ويلصقك بالمادة

قد يقول لي قائل ان البروتستنت وهم شيعة من المسيحية قد نسخوا من كنائسهم الرسوم. فلماذا لم تتبع مذهبهم وفضلت الاسلام عليه؟ فجوابي ان المذهب البروتستنتي هو أقرب المذاهب المسيحية إلى الدين المسيحي الحقيقي. غير انه يعاب في نظري لاقراره بالوهية المسيح. وأنا – مع اعتباري السيد المسيح من فضلاء المصلحين والانبياء وفي اعتباري النبوة وحي إلهي – لا اقر له بالالوهية. ولن أعبد قط رجلا مثلي من لحم ودم

وهذه العقيدة راسخة فيَّ منذ بلغت رشدي. وقد جاهرت بها منذئذ بين أهلي وأقربائي وكل من شافهني في هذا الموضوع من سنين طوال الى يومنا هذا فتطوري أذن ليس حديث العهد كما يتوهم غير عارفي، بل هو نتيجة اقتناع راسخ مستحوذ لا علي فقط بل وعلى السواد الاعظم من المسيحيين المتعلمين الذين سنحت لي مباحثتهم في الامر، وجلهم ينكرون حتى وجود الباري تعالى عز وجل

أما ميلي الى الدين الاسلامي الحنيف فليس حديث النشأة أيضاً. ولهم بذلك علم (أعني) من كانوا يطلعون على كتاباتي في جريدتي المحتجبة (أدا ليد) ومجلتي (لا بالا برابورتانيا) فمنذ خمس سنوات خلت بدأت بالمدافعة جهراً عن الاسلام بقلمي ولساني بعد ان كنت ادافع عنه سراً بلساني فقط

غير ان ميلى المذكور لم يصل بي الى حد التدين نهائيا بالدين الذي آليت على نفسي الدفاع عنه. وما ذلك إلا لاني كنت لم أزل اجهل عنه الشيء الكثير. فعندما عولت على وضع كتابي «شرائع الاسلام» رغبة مني في دحض افتراءات المفترين على الشريعة السمحة رأيت نفسي مضطراً لمراجعة مصنفات الأئمة الاعلام

ومطالعة أكثر من واحد من كتب الدين . فاتضح لي عندئذ بجلاء جمال هذا الدين السامي وفضل المصلح الاعظم محمد بن عبد الله ﷺ على الانسانية جمعاء فصممت حينئذ على اتخاذ الاسلام دون باقي الاديان ديناً أتدين به . وكان ذلك عام ١٩٢٤ ، أي حين انتهائي من وضع الكتاب المذكور

بيد أني للاسباب التي ذكرتها آنفاً ، ولحذري من سوءظن أولئك الضعفاء العقول الذين لا يبصرون أعمال بني جنسهم إلا مدفوعة بدافع مادي، ولا يتصورون ان المرء قد يعشق الجمال لمجرد الجمال بل لما يتضمن من لذة مادية وحشية ـ قلت اني لهذه الاسباب تركت أمر اسلامي طيّ الخفاء إلى أن جاء زمن إعلانه ولم يبق في وسعي السكوت، لان سكوتي الآن إما أن يحسب عليّ جبناوخيانة وإما مراوغة ومداجاة ، فاكون نصرانياً مع النصارى ومسلماً مع المسلمين، وأنا بعيد عن ذلك

فانا منذ ثلاث سنوات مسلم بكل ما في الاسلام من مبادىء سامية وأفكار راقية وروح تعاضد وحب خير وابتعاد عن المنكر . والذي يزيدني تمسكا به ما وجدته فيه من الحض على العلم والعرفان ومطابقته روح المدنية الحقيقية

فالاسلام دين علم وعمل . وبعبارة أخرى هو دين إيجابي ، بعكس الدين المسيحي الذي هو سلبي : يأمر بانكار الذات التام ويحض على الابتعاد عن كل ما في هذه الدنيا من رزق ومتاع بصورة ان من أراد العمل (١) بأوامر الدين المسيحي بالحرف الواحد لزمه ترك الدنيا والتنسك في صومعة . أما الدين الاسلامي فيمكننا العمل بأوامره تماما دون أن يحوجنا ذلك إلى الابتعاد عن العالم وما فيه من لذة وتمتع غير محرمين

ورب قائل يقول انه كان بوسعي أن أفعل كباقي متعلمي النصارى المحافظين بالاسم فقط على دينهم والعاملين فعلا ضد تعاليمه. فجوابي على قولهم هو اني لا أرضى لنفسي ادعاء ما ليس فيّ . فما دمت لا أستطيع العمل بتعاليم الدين المسيحي فمالي وللادعاء الفارغ بحملان اسمه. ثم إني لأشعر بذاتي حقيراً في عيني نفسي إن لم أجسر على التصريح بأفكاري بحرية واستقلال . وكيف يحق لي طلب استقلال لبني أمتي وبلادي إذا كنت لا أبدأ بانالة روحي استقلالها لتفعل ماتراه صالحا وموافقا لخلاصها وراحتها الابدية؟

(١) أي بحيث أن من أراد العمل الخ

وهل يليق بمن كان مثلي أن يظل أسير التقاليد إذا كان في هذه التقاليد ما ينافي عقله واعتقاده ؟ فاذا ولدت مسيحياً من أبوين مسيحيين ، هل يكفي ذلك لبقائي على الدين المسيحي حتى لوكان هذا مخالفا لما يوحيه إليّ ضميري ويمليه عقلي؟

ولو كان هذا صحيحاً ومقبولا لما جاز للسيد المسيح عليه السلام وتلاميذه الابرار ترك اليهودية والتبشير بالنصرانية ولا للنبي محمد ﷺ وصحابته (رضي الله عنهم) هجر عبادة الاصنام ، ونشر الاسلام من المشرق إلى المغرب

إن سنة النشوء والارتقاء تقضي ببقاء الاصلح. فمن ترك أمراً صالحاً للتمسك بما هو أصلح منه أو بما يعتقده أصلح منه كان بما ملاباً أوامر تلك السنة الازلية التي لا مرد لاحكامها

هذه هي حقيقة حالي والاسباب الجوهرية التي حملتني على اعتناق الاسلام لاقف على خدمته البقية الباقية من عمري قسطنطين ملحم

سعد زغلول

(٢)

تكلمنا في النبذة الاولى من هذه الترجمة على فطرة سعد الزكية ، وغريزته الاستقلالية ، ووراثته للسجايا العربية ، كالفصاحة والشجاعة والحرية ، وحاجته إلى تربية حكيمة وتعليم نير يكمل بهما استعداده لعظائم الامور

ثم تكلمنا على هداية الله له وسوقه اياه عند ارادته طلب العلم الى حضن الاستاذ الامام فكان له تلميذاً عنه يتلقى العلم ، ومريداً اليه ألقى مقاليده في تربية النفس ، كما انه أدرك معه أواخر عهد حكيم الامة السيد جمال الدين الافغاني ، فكان يختلف الى مجالسه ، ويلتقط بعض ما ينثر من درره ، وتنفعل روحه بما يتجلى في شكل خلقته ، وعلو همته ، وملامح نظرته ، من شعاع ينبعث من عينيه ، وحرارة تفيض من بين جنبيه ، وحكمة تتدفق من بين ماضغيه ، وهمة تتضاءل أمامها العظائم ، وشجاعة تجبن دونها الضياغم ، وناهيكم بفصاحة لسانه ، وقوة عارضته ، وتأثير خطابته ،

حدثني حفني بك ناصف وهو كسعد ومحمد باشا صالح من الرعيل الاول من

تلاميذ الاستاذ الامام قال: كنا اذا قيل لنا ان السيد سيخطب الليلة نفضل سماع خطبته على سماع أطرب المغنيين (كالسي عبده) فنؤثرها عليها حتى ان المدعو منا الى وليمة عرس يترك الاجابة لها، وكنا نجد في أنفسنا من سماع خطبته (و كذا سائر كلامه في الاصلاح) ان الواحد منا جدير باصلاح مديرية أو اصلاح مملكة اه

قد صار جميع الذين اختلفوا الى مجلسه خطباء يتفاوتون بقدر معارفهم ولسنهم، وكان الاستاذ الامام أوسعهم علما، وأصحهم حكما، وأفصحهم لسانا، وأحسنهم بيانا، وأبلغهم قلما، وكان يليه في سلاسة الانشاء ودقة التعبير ابراهيم بك اللقاني، وانفرد ابراهيم بك المويلحي ببلاغة الترسل ونكت النقد، فخاف وراءه فيهما كل أحد، وخطابة ابراهيم بك الهلباوي معروفة للجماهير لان الشيخوخة لم تنل من منته، ولم تضعف من شرته، ولم تخفض من جرس صوته، وقد اشتهر السيد عبد الله نديم بخطابة التهييج في عهد الثورة العرابية فكان مسعر نارها، ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها، فانه ذو خلابة وغلو، ولا يهيج العوام الا الغلو، وأما سعد فقد بزّ الجميع في الخطابة الجدية بعد أن زاولها في عهد اشتغاله بالمحاماة، وإن أصعبها مركبا، وأعزها مطلبا، وأعلاها على العقول منالا، وأعصاها على فصاح الالسنة مقالا، لهي الخطابة السياسية، في متنازع المصالح الدولية، والمطامع الاستعمارية، كما هو شأننا مع الدولة البريطانية، وقد أصاب سعد القدح المعلى منها، حتى شهد له أشهر خصومه الانكليز وغيرهم بنبوغه فيها، وكانت أفعل مواهبه في زعامته، وكان مع هذا كاتبا مجيداً، والاستاذ الامام هو الذي علمه الانشاء، ثم مرنه عليه بجعله أحد المحررين بالقسم الادبي في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) في عهد توليه لرياستها مع ادارة المطبوعات العامة. وقد رأى القراء نموذجا من مكتوباته العادية لاستاذه وأستاذنا إذ كان في بيروت عقب نفيه من مصر[1]

(١) مر في ص ٥٩١ ج٨ ان ذلك الكتاب كان بعد عودة الاستاذ من أوربة الى بيروت والصواب أنه كان بعد ذهابه من مصر الى بيروت وقبل سفره الى أوربة ووقع غلط آخر في ص ٥٩٠ من تلك النبذة وهو ان محلة نصر بلدة الاستاذ في مديرية الغربية والصواب أنه في مديرية الشرقية كما بيناه في ترجمته وتاريخه، وكان الغلط من المطبعة

(٣) إيمان سعد وخلائقه وتأثيرهما في عمله

قد علم مما تقدم ان سعدا تربى في حجر الاستاذ الامام تربية اسلامية استقلالية فكانت عقيدته الدينية راسخة وآدابه الاسلامية عالية ظهر أثرهما في أعماله الكسبية ونزاهته فيها عن الطمع والدناءة وأكل السحت ، بل كان يقيد في دفاتره ما يأخذه من مقدم جعل الوكالة في المحاماة في دفتر الامانة لا في دفتر الدخل والايراد ، ليردها الى صاحبها إذا لم يقدر على عمل شيء له ... ولم يكن يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها على الباطل ، وربما كان ينصح لبعض الذين يطلبون توكيله عنهم نصائح يستغنون بها عن توكيله ، حدثنا عن نفسه أن رجلا عرض عليه أن يوكله في قضية ذكرها له فقال له انني لا أقبل جعلا منك أقل من مائتي جنيه ، وقضيتك هذه بسيطة لا يحتاج المدافع فيها عنك علما واسعا ولا حججا تعجز أنت عن الادلاء بها كما ألقنك ، فأنا أذكر لك ما أدافع به عنك إذا قبلت الوكالة وأرجو أن يحكم لك به كما يحكم لي إذا كنت صادقا فيما ذكرت لي من موضوع القضية ، فاسمع ما أقوله لك ووفر على نفسك مبلغ ٢٠٠ جنيه . وذكر له ما يجب أن يدافع به . فقال الرجل بل أرجو أن تقبل الوكالة عني وتدافع لي في المحكمة بنفسك وتأخذ الجعل حلالا طيبة به نفسي

قال سعد فقلت له قبلت وسترى وتسمع صدق ما نصحت لك به ، وذهب الى المحكمة في بنها ومعه الموكل وقال فيها عند الدفاع عنه ما كان ذكره له بعينه وحكمت له المحكمة على خصمه (قال) وكان دفع لي نصف الجعل فلما جاءني بالنصف الآخر قال لي : أتظن انني أبله (عبيط) لم أفهم نصيحتك لي أو لم أصدقها ؟ كلا انني فهمتها وصدقتها ولكنني رجل ذو نعمة وأطيان واسعة وقد كثر المعتدون علي فأردت أن يعلموا ان وكيلي « سعد زغلول » ليكفوا عن الاعتداء علي فأنا وفرت بهذا المبلغ مالا كثيرا أو تعبا لا يعرف آخره ! اه وهذا القول يدل على بعد مدى الصيت الذي وصل اليه سعد في أثناء اشتغاله بالمحاماة

ثم ان سعداً دخل في أطوار التفرنج في معيشته وأفكاره الاجتماعية والقانونية ، وغلبت نزعة الوطنية المصرية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية ، وظل يقول بأن المسلمين لا يرتقون ارتقاء صحيحا إلا بالاصلاح الديني الذي كان يدعو إليه الحكيمان

أستاذه وأستاذ أستاذه ، وأما العبادات فلا نعلم انه كان يذهب الى المساجد الا في بعض الاحتفالات الرسمية في عهد وزارته وبعض صلوات الجمعة في زمن زعامته ، وأنكر عليه أهل الدين أموراً منها عمله في تجرئة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ، ولكنه قاوم الدعوة إلى لبس البرنيطة

وأما ايمانه بالله وتوحيده له وتوكله عليه فلم يزدد في هذه السنين الاخيرة الا قوة وثباتا ، حتى انه صار حالا له ووجدانا ، وقد بلغ من الايمان بالقضاء والقدر ان صار من قبيل من يسميهم الصوفية أهل الفناء في التوحيد أو ممن يسميهم المتكلمون بالجبرية . فكان كثيراً ما يصرح في الكلام على كل مامسه من مصيبة ، وكل ما أوتي من فلج على الخصوم في حادثة ، بأن هذا فعل الله وحده ، وانه لا حول له فيه ولا قوة ، حتى انى ناظرته في بعض كلامه هذا وبينت له فيه مذهب السلف ومذهب متكلمي السنة فكان يقول : اني أعبر عما أشعر به وأراه علما ضروريا لا اختيار لي فيه مهما تكن المذاهب ، وكان أول عهدي بهذه الحال فيه عقب فوزه المضاعف في انتخابه للجمعية التشريعية في دائرتين، بعد أن تصدى لمناهضته في الانتخاب صاحبا السلطتين ، سلطة الامير الشرعية ، وسلطة عميد الاحتلال الفعلية

وقد جرى بيني وبينه مناظرات كثيرة في بعض المسائل الشرعية الاجتهادية وبعض المشكلات في تفسير القرآن فكان فيها كلها متحليا بالاستقلال والانصاف لا يتعصب لرأيه ولا فهمه، ولا يجد أدنى غضاضة في قبول ما يظهر له أنه الصواب وكان يسأل عن بعض المشكلات سؤال استفهام لا يشوبه رأي يحتج له أو يدافع عنه

جلست بجانبه فى مأتم صديق الجميع حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى وكان القاريء يقرأ سورة النمل فسألني عدة مسائل في بعض الآيات وقبل مني كل ما أجبته به عنها وربما كان يكون الجواب كلمة واحدة . مثال ذلك انه سأل عند قوله تعالى حكاية عن بلقيس ملكة سبأ (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) الآية . قال ان الامر ليس كذلك الآن ، وكم يحفظ التاريخ مثل ما نراه الآن من زيارة الملوك لعواصم غير بلادهم فما المراد من الآية ؟

قلت: المراد اذا دخلوها فاتحين . قال: ظاهر

وسألني مرة عن الانجيل المنزل على عيسى بن مريم كما ورد في القرآن أين هو ؟ وانما عند النصارى أربعة أناجيل هي عبارة عن تواريخ وجيزة كالسيرة النبوية عندنا . قلت ان الانجيل المفرد المذكور في القرآن مذكور في هذه الاناجيل الاربعة أيضاً وفي غيرها من كتب تلاميذ المسيح ورسله المعبر عنها عندهم بالعهد الجديد كقوله للحواريين (التلاميذ) « واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » كما ترى في أواخر انجيل لوقا عنه عليه السلام . وأول كلمة في انجيل مرقس « بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله » فهذا الانجيل المفرد في كلامهم هو الذي يعنيه القرآن وهو ما كان يعظهم ويبشرهم به ولم يوجد كله في كتاب كما يدل عليه قوله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به) الخ مافصلته له فأعجبه ومن شاء الوقوف عليه فليراجعه في أول تفسير سورة آل عمران وغيره من تفسيرنا

فمن كان يسمع منه إشكالا مثل هذا أو ذاك يظن انه معترض على القرآن وهو لا يبالي ذلك، والأقرب أن يقال هو مستشكل لا معترض ، ولولا انه كان صريحاً في أمثال هذه الاشكالات اذا عرضت ومجاهراً بما أنكرنا وأنكر غيرنا عليه لما ذكرناه. وأرجى مايرجى له عند الله تعالى قوة ايمانه به وتوحيده إياه توحيداً علمياً وجدانياً لا يشوبه شرك في ألوهيته تعالى ولا في صفاته ولا في أفعاله ، حتى كاد يكون منكراً للاسباب أن يكون لها تأثير في الوجود كما علمت . وأنه كان اذا ظهر له الحق يذعن له وينقاد فهو حسن النية فيما أخطأ فيه

لهذا أنكرت على الذين كانوا انشقوا عليه من الوفد وطفقوا يطعنون عليه بأنه متكبر مستبد، وعلى من قلدهم في ذلك، أنكرت على هؤلاء كلهم قولا ومناظرة لبعضهم في المجالس وخطابا على المنابر وكتابة في المنار، وقد كتبت مقالا طويلا في تلك الاثناء نشرته في الجزء ٧ من المجلد ٢٢ (سنة ١٣٢٩ هـ ١٩٢١ م) بلغت صفحاته ٢٧ صفحة عنوانه « الطور الجديد للمسألة المصرية » ومما ذكرته فيه من خطبة لي في إحدى الاحتفالات بعد عودته من أوربة اثر تولية عدلي باشا للوزارة

وظهور الشقاق في أثنائها ردا على من اتهم سعدا بالكبرياء والاستبداد بالرأي «ان الذي نعهده فيه بالاختبار هو الاستقلال في الرأي واحترام الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في داره محاورات في مسائل علميـة وشرعية واجتماعية كان ينصف فيها مناظريه ومحاوريه بكل ارتياح ، ويعترف بصحة رأيهم اذا ظهر له انه الصواب ، وربما كنا معهم أو منهم في بعض الاحيان» اه

على انه كان شديد الاعجاب بنفسه ، وعدم المبالاة بخصمه، بل غلبت عليه في المدة الآخرة المحاباة السياسية ، على ماسبق له في الاولى من العدالة القضائية ، فصار يؤثر المتملقين له على المتنزهين عن التملق والدهان حتى من محبيه الناصحين ، وكنت ذكرت في مقالي المذكور آنفا (انطور الجديد للمسألة المصرية) ماينتقد عليه من ضعف السياسة بغلب ملكة القضاء عليه ، ولما قرأ تلك المقالة في المنار قال هذه مقالة تحفظ للتاريخ ، سمع هذا منه محمد بك يوسف المحامي المشهور وهو الذي نقله إلي

وجملة القول ان سعداً قد ربي تربية ايمان وعقل ، واستدلال واستقلال ، وحب للحق والعدل ، وعزيمة قوية ، وشجاعة أدبية، فكانت هذه التربية سبب نجاحه في كل عمل تولى أمره ، وكانت أعماله في الكتابة والتحرير ثم في المحاماة ثم في القضاء ثم في وزارتي المعارف والحقانية ثم في الجمعية التشريعية هي المكملة لاستعداده الفطري لزعامة الامة واضطلاعه بما حمل من أعبائها، والاستهانة بأعظم الاخطار في سبيلها ، وكان استعداد الشعب مع استعداده هما السبب فيما نال من الفلج والظفر في مكافحة بريطانية العظمى فقد صرحت الجرائد الانكليزية المشهورة بأن كفاحه كان هو السبب في رفع الحماية الرسمية عن مصر والاعتراف لها بالاستقلال والسيادة القومية ، ولما كان هذا الاعتراف مقيداً بما سموه التحفظات الأربع لم يعتد ولم يزده الامضاء في جهاده . والأمة لم تأل جهدا في تأييده وتفويض أمر قضيتها له، ولولا ذلك لذهب استعداده كما ذهب استعداد أستاذه الذي كان أكبر من استعداده كما سنفصله في النبذة الثالثة من هذه الترجمة ان شاء الله تعالى

التقريظ وانتقاد المطبوعات

﴿ الحديث ﴾ مجلة « تبحث في الآداب والتاريخ والعلوم الاجتماعية » أنشأها في حلب كل من سامي افندي الكيالي وهو محررها ومديرها المسئول وادمون افندي رباط . قيمة الاشتراك فيها ٧٥ قرشا وأنه ليسرنا أن تكثر المجلات العلمية والادبية في أمتنا ولكن يسوءنا أن يكون بعض هذه المجلات أضر على الامة من بعض الجرائد السياسية التي تخدم الاجانب الضراة باستعبادها واستعمار بلادها، وتمهد لهم السبيل لذلك. فان جمهور الامة يسهل عليه أن يدرك خيانة هؤلاء فان ثوب الوطنية المزور الذي يلبسونه نهنه يشف عما وراءه، وأما إفساد المجلات والجرائد لتكوينها بتقطيع الروابط التي توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ، ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنه بمشخصاتها ، فلا يدرك كنهه ويحيط بمفاسده إلا أفراد قليلون، ذلك بأن أولئك المفسدين يدعون أنهم يخدمون العلوم والآداب ويرقونها لتنهض بها الامة الى مستوى الامم العزيزة الراقية، ويقل من يدرك أنهم يخربون بيوتها بأيديها وأيدي أعدائها من حيث يعجزون عن بناء بيوت أخرى لها تكون خيراً مما هدموا

ذلك مثل بعض محرري جريدة السياسة ومجلة الهلال بمصر كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمي . . . المنتحلين لانفسهم صفة تجديد الثقافة ، واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بآرائهم مثنية عليهم ، فان كان محررها العريق في هذه الامة العربية، الاصيل في بيوتات هذه الملة الاسلامية ، غير مقلد لهؤلاء الواغلين عليهما، الأدعياء فيهما، الذين لاينزع بهم عرق غيرة عليهما ، ولا موافق لهم في كل رأي من آرائهم، ولا مائل مع كل ريح من أهوائهم، ـ وهو ما نعتقده في نفي الكلية لا الكل المنطقيين ـ فلماذا لا يفتأ ينوه بهم، بما يغري قراء مجلته باتباع خططهم، وهي ما يسمونه الثقافة الجديدة التي يحكمونها في كل ما أشرنا اليها من مقومات الامة ومشخصاتها، وبذلك كانوا دعاة هدم وإفساد فيها ؟

الثقافة في اللغة مصدر ثقف الرجل (كضخم) أي صار ثقفا وثقيفا ـ ويقال

ثقف (كتعب) أيضا ـ أي صار ثقفا أي حاذقا خفيفا ، وهذا الحذق والخفة اللذين يدعو اليهما هؤلاء الملاحدة مفسدة ظاهرة للامة الاسلامية وشعوبها ولا سيما العربية ذات التشريع العادل والتاريخ المجيد ، غايتها تقليد ملاحدة الافرنج وفساقهم فيما يشكو منه جميع عقلائهم وحكمائهم ، وهو فيهم عرض من أعراض الترف والثروة والسيادة والملك الواسع، فلو لم يكن في نفسه مفسدة لكان ضاراً للشعوب الضعيفة الفقيرة الجاهلة كشعوبنا ، فكيف وهو الذي أفسد شعوب المدنيات القديمة ذات البأس والقوة ، ولا يشك حكماء أوربة اليوم بأنه سيفسد مدنيتهم في زمن لم يعد بعيداً حتى أن بعضهم يعد عمر بعض الدول الكبرى بعشرات السنين ، ولدينا عنهم نقول كثيرة في ذلك قد نشرنا بعضها

هذا وان هؤلاء الدعاة للثقافة الجديدة التي تشمل في استعمالهم ثمرة العلوم والفنون والآداب والاديان ليس لانفسهم حظ منهـا الا بعض مدلولها اللغوي وهو الخفة الشبيهة بخفة الصبيان فهم عاقون لامتهم هادمون لهدايتهـا وتشريعها وآدابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ، ومنهم المستخدمون لذلك، وهم يوهمون الناس فى هذه الايام انهم مبدعو هذه الدعوة في بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها في مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من أراد أن يجعل مصر أوربية وله في ذلك كلمة مشهورة . فكان أول ثمرة منها جناها فقد ملكه، وأما جده محمد علي فانما أخذ عن أوربة أسباب الثروة من صناعة وزراعة وأسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقي يملك أمر نفسه دون تقليد القردة في الازياء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التي يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة ، وانا لنرجو من مجلتنا السورية الجديدة التي لا يملك هو ولا غيره من أهل وطنه شيئا من أمر تعليم الشعب ولا تربيته ولا ادارته ولا سياسته أن يحرر أولا تحديد الثقافة والتجديد الذي يحييه ويجعله شعباً حراً قويا؟ فانا لنضن بابن الكيالي الكريم أن يكون مقلدا لسلامه موسى ومحمود عزمي وطه حسين الذين لا وطن لهم ولا ملة ولا أمة عليهن .

(العصور) « مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة ، محررها وصاحب امتيازها اسماعيل مظهر » تصدر بمصر في كل شهر أفرنجي وقيمة الاشتراك فيها

كل سنة ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ شلنا في سائر الاقطار

اسماعيل مظهر بك، شاب بحاث في العلوم العصرية عاشق لها وقد جعل عنوان مجلته المبين لغرضه منها قوله الذي ينشره تحت عنوانها في كل جزء منها : «حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأي من الآراء أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه »

هذا عنوان فلسفي حسن ونصيحة أحاول الجري عليها في جميع ابحاثي حتى الدينية منها. ولكن لا أدري أفهمي لها موافق لفهم كاتبها أم مخالف له، التقاليد في عرف علمائنا هي العادات الموروثة وكل رأي غير قطعي يتبع فيه الانسان من لا يمتاز عليه بعصمته عن الخطأ في تبليغ عن الله تعالى ، فهو يتبعه بغير دليل، والاساطير هي أخبار الاوائل المسطورة في الكتب الخرافية التي لا يثبت فيها نقل، ولا يعرف لها أصل ، والمذهب هو طريق من طرق الاستدلال الاجتهادية التي لم تصل عندك الى درجة اليقين ، والحقائق جمع حقيقة وهي ما ثبت باليقين والقطع ، والنقيضان هما الامران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كاثبات الشيء ونفيه في حال واحدة وزمن واحد الخ ما هو مقرر في علم المنطق من شروط التناقض

فالقرآن وما تواتر عن النبي ﷺ من أمر الدين لا يدخل عندنا في التقاليد ولا الآراء ولا المذاهب ، فضلا عن الاساطير ، فاذا كان فهمنا لكل ماذكر واحداً، فان عنوان مجلته لا يعارض ديننا الاسلامي في عقائده وأصوله ولا في فروعه الاجتهادية أيضا. وذلك أن نؤمن برب وإله واحد نعبده ولا نعبد غيره ، ونؤمن بأن محمداً عبده ورسوله وخاتم النبيين، وأن القرآن كتابه المنزل الثابت بالتواتر القطعي عن رسوله ﷺ نؤمن بما دل عليه دلالة قطعية، ونأخذ بظاهر مادل عليه دلالة ظنية، إلا اذا عارضه دليل قطعي يبيح لنا حمله على مجاز أو كناية تتفق مع الدليل القطعي المعارض. وكذلك نأخذ بكل ماثبت عن النبي ﷺ من أمر الدين بالدليل القطعي رواية ودلالة ونستعمل اجتهادنا فيما روي عنه من الظني فيهما. وفي هذه الحالة لا يجوز له أن ينشر في مجلته مايشكك القراء في الدين الذي هو الوازع النفسي

لاجتناب الفواحش والمنكرات واستحلال الاموال والاعراض ، والتحلي بالفضائل والاعمال الصالحات. بل لا يباح هذا الافساد في الامة لعاقل فان الفلسفة الحق تحظره أيضا كما بينه الفيلسوف العربي الكبير ابن رشد بما معناه ان الفيلسوف لا يبيح لنفسه البحث في حقية الدين وصحته لانه عبارة عن التشكيك في الفضيلة ومحاولة البحث هل هي ثابتة أم لا . الناس يمكنهم التشكيك في كل شيء وقد فعلوا، فاذا أرادوا أن يشككوا في فائدة علم الطب مثلا فانهم يجدون على ذلك شبهات كثيرة وحقائق ووقائع صحيحة تشكك غير المحقق في ذلك ولكنهم يكونوا في ذلك مفسدين جانين على الناس ، وان نفع الدين للبشر فوق نفع الطب فالتشكيك فيه أشر وأضر ، وأدهى وأمر .

واننا مع هذا نسأل صاحب العصور الواسع الاطلاع أن يعد لنا كل ما أجمع علماء الغرب وعقلاؤهم عليه ويعدونه من حقائق العلوم القطعية التي يجزمون بأنه لا يمكن الارتياب فيها ولا الرجوع عنها، أو كل ما يعلمه من ذلك ليعلم قراؤه منه ما الذي يجب ترك كل مذهب وكل رأي يخالفه لاجله . ولنرى نحن علماء الدين الاسلامي والدعاة الى هدايته والمدافعين عنه رأينا في موافقته أو مخالفته لقطعيات الاسلام وما هو بين هذا وذاك ، وأما إطلاق المشككات في هداية الدين تلذذاً بنظريات بعض الباحثين ، فهو فتنة في الارض وفساد كبير ، فعسى أن يتأمل فيلسوفنا الشاب في ذلك ويراعيه فيما ينقله إلينا من علوم الغرب الناضجة.

مطبوعات المطبعة العصرية

لصاحب المطبعة العصرية المتقنة الياس افندي أنطون الياس عناية بنشر الكتب والرسائل التي يصح أن توصف بالعصرية كطبعته وهذه طائفة منها أهداها الينا

﴿التربية الاجتماعية﴾ تأليف علي أفندي فكري أمين دار الكتب المصرية وموضوعه الآداب التي تجب مراعاتها في هذا العصر بين أصناف الناس من شخصية ومنزلية واجتماعية ووطنية ودينية وآداب المحادثة والمناظرة والمراسلة والمرافعة والضيافة والزيارة والتهنئة والتعزية وجميع أنواع الاجتماع. والكتاب مؤلف من ٢٠٠ صفحة ونيف بقطع رسالة التوحيد، وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار وثمن النسخة منه ٥ ؛ صاغ

﴿ المرأة الحديثة ـ وكيف نسوسها ﴾ بقلم الكاتب القانوني الاجتماعي «عبدالله

حسين الخريج في الحقوق والعلوم السياسـية » وفيه فصول عن المرأة الانكليزية للموسيو جليكان » افتتح هذا الكتاب مؤلفه بمقدمة في وجه الحاجة الى مباحثه وخلاصة تلك المباحث وهي في عشرين فصلا (١) في الخلاف بين الجنسين في القبائل الوحشية والحب والبغض وكونهما يوجدان معاً (٢) في سوء التفاهم الدائم بين الجنسين ومن مباحثه : المرأة والدين، المرأة والفن ، ظلم النساء (٣) الزوجان في الحب (٤) الحرب الزوجية . ومن مباحثه: الزواج الامثل، رأي المرأة الحديثة في الزوجية ، الزواج في الحال والاستقبال، المقابلة بين الحياة الزوجية والمعاشرة الحرة أي السفاح واتخاذ الاخدان (٥) العراك في الاسرة (٦) النزاع في الكسب وفيه الكلام في احتراف النساء ونتائجه (٧) المعركة السياسية ، ومن مباحثه الخوف من حكم النساء . تطلع المرأة الى الحرية . عداء الرجال باستعمال القوة في الحرب الجنسية (٨) هل السلام ممكن ؟ ذات بين الزوجين (٩) المرأة والكتاب. ومن مباحثه المقابلة بين المرأتين الانكليزية والمصرية . مسائل المرأة في العالم واحدة، الحب وهم (١٠) صفات الزوجة ومن مباحثه : الزواج ليس ضروريا دائما - خطر النسل على هناء الزوجية - المرأة تحت القوة - الفتور في الزوجية (١١) اختيار المرأة خطيبها - ومن مباحثه تعدد الزوجات والطلاق - جهل الفتاة بخداع الشبان (١٢) مطالب المرأة المصرية - يعني مطالب جماعة الاتحاد النسائي كحقوق الانتخاب ومنع تعدد الزوجات والطلاق (١٣) الامانة الزوجية ، ومن مباحثه احتكار الرجل لزوجه ، وذوبان حمية الرجولية في هذا العصر ، وخطر الجناية على الامانة الزوجية وهو انحلال الاسرة . وفضائح الاسرة الكبيرة في أوربة ومصر (١٤) الزواج والطلاق (١٥) هل تتزوج ؟ ومن مباحثه الرغبة عن الزواج وعللها ٨ انتشار الفجور، الراحة في الحياة الطليقة، كثرة المشاكل الزوجية، الجمال الزائل الاولاد، الاستقلال عند الرجل والمرأة (١٦) بمن نتزوج؟ (١٧) الزواج بالاجنبيات

(١٨) المناعة الجنسية وهو فصل مهم لا يدل عنوانه على مباحثه وهي شكاية الاخلاق الفاضلة - سيئات اللهو غير الشرعي ، مشاكل الخليلات (أي ذوات الاخدان) ... والصحة والشهوة والجنسية والعفاف ، وأهمه قرارات المؤتمرات

الطبية والمجامع الدولية في فضل العفاف وبحث طبي في ذلك (١٩) البغاء ، ومن مباحثه أسبابه الثمانية وتشريعه في أوربة و «استحالة مقاومة البغاء» (٢٠) الرقص

وقد طالعنا هذا الكتاب المهم ونتربص فرصة لابداء رأينا التفصيلي فيه، وأما الرأي الاجمالي فهو انه مثال للاضطراب والذبذبة اللذين أحدثهما العلم العصري الناقص وإهمال التربية - وان جميع مايشرحه الكتاب من مشكلات الحياة الزوجية لا علاج له الا في التربية الاسلامية الصحيحة مع العلم الصحيح الناضج كما بيناه من قبل في مقالاتنا (الحياة الزوجية) المنشورة في مجلد المنار الثامن وغيرها. وصفحات الكتاب ٢٥٦ ماعدا فهرسه من قطع رسالة التوحيد وهو يطلب من مكتبة المنار

مجلة وجريدة شابتان رباعيتان

﴿مجلة الزهراء﴾ أتمت مجلة الزهراء ثلاث سنين من عمرها ودخلت في سنتها الرابعة حسنة النبتة، راسخة الشجرة، يانعة الثمرة، تخدم النهضة العربية العصرية خدمة صالحة، على خبرة و بصيرة، يتوخى منشئها الكاتب البارع محب الدين افندي الخطيب فيما ينشئه بقلمه وما ينشره لغيره كل مايفيد أدب اللغة وأدب النفس وأدب الاجتماع، ويجتنب كل مايزلزل العقائد أو يفسد الاخلاق، مما يكثر في المجلات والجرائد في هذه الايام، ويعده في اجتهاده كثير من الكتاب المجيدين، والشعراء النابغين ، الذين عرفوا قيمة خدمته ، أوأعجبوا بأدبه وهمته ، فكيف بمن جمعوا بين الامرين، وبلغوا منهما مجمع البحرين، فنسأله تعالى أن يزيدنا وإياه علما نافعا، وعملا صالحا، وينصرنا في جهادنا على أعداء أمتنا، الذين يهاجمونها في دينها ولغتها وسائر مقوماتها ومشخصاتها، وأكثرهم من الادعياء فيها ، والمدعين لخدمتها وتجديد شبابها ، ألا لعنة الله على الكاذبين

﴿جريدة الشورى﴾ أتمت جريدة الشورى ثلاث سنين من عمرها ودخلت في سنتها الرابعة وهي تنبت نباتا حسنا وتزداد في كل عام نموا وتأثيرا وفائدة على اضطهاد بعض الحكومات الاستعمارية لها ومنعها إياها من دخول البلاد التي ابتليت بحكمها، حتى صار لها من موارد الاخبار، ومصادر الانتشار ، وثقة الاحرار، ما ليس للجرائد اليومية المعمرة . فنهنيء صاحبها محمد على افندي الطاهر بنجاحه على حين نرى الجرائد الحديثة في كل عام تولد فلا تلبث تو أد، زاده الله نجاحا وتوفيقا



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ رجب سنة ١٣٤٦هـ ٢ برج الدلو سنة ١٣٠٧ هـ ش ٢٣ يناير سنة ١٩٢٨

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من تونس ﴾ (تأخرت سهواً)

(س ٢٩ – ٣٣) من صاحب الامضاء بتونس

حضرة صاحب الفضيلة والفضل ، والرأي والقول الفصل .

سيدي أعزك الله وأخذ بيدك . من بعد تقديم السلام والاحترام لسعادتكم ، وما يجب عليّ أن أبرز ما أشعر به بفؤادي نحو خدمتكم، من الشكر الجزيل، والدعاء لكم بالبقاء والعمر الطويل فاني أرجو من فضيلتكم أن تعيرونا فترة من وقتكم النفيس كي تجيبونا على السؤالين التاليين خدمة للعلم ودحضاً للدعاية التي يبثونها جماعة المبعوثات البروتستانت بهذه البلدة المنكوبة الحظ مما جعل الناس في حيرة من القبض على دينهم وكأنه قد انطبقت عليهم كلمة الرسول «يأتي يوم» الحديث – ولكم المنة والشكر وعظيم الأجر

أولا :أن تفسروا في مناركم المنير. ما معنى أو كنه الآية التي بعد: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية . وما يقصد بالمثلية وإن كانت في العدد كما هو المتبادر فكيف يتصور عدهن وإن كانت طبقات طبقات بعضها فوق بعض (حسب ما أشار اليه ذو الجلالين) وتحيط بجميعها الكرة الارضية فلماذا لحد الآن لم يكشف شيئا من هذا الانفصال العلم الحديث رغم ما حفروا وثقبوا الارض تنقيبا ولماذا يفرق بينهن إن كانت على هاته المنوال والحالة هذه . وإن فرضنا ان كل أرض مصورة بكرة أرضية خاصة والحال أننا في واحدة فقط كما هو المقرر فالباقيات الست أين هي؟ ومن يسكنها ؟ وما أقوال الباحثين فيها ؟ انتهى

ثانياً : ما حالة سيدنا عيسى الآن ؟ وأين جسم سيدنا عيسى من روحه ؟ وما قولكم في الآية التي بعد (إني متوفيك ورافعك إليّ) الآية . وإن كان حيا يرزق كما كان في الدنيا فمم يأتيه الغذاء الذي يحتاج اليه كل جسم حيواني كما

هي سنة الله في خلقه ؟ وإن قلنا انه في السماء وأثبتنا من الآية أو غيرها ماتقدم فعند نزوله في أي مكان ينزل؟ ومن أين يأتي ؟ وما أقوال السادة العلماء فيه ؟ وماحكم من ينكر وجود سيدنا عيسى الآن حيا ويعتقد[1] في يوم يأتي؟ وما نصيب هذا المفكر من الايمان ؟ أفيدونا عن ذلك ولكم الدعاء بالاعانة والامتنان . ويا حبذا لو تسرعوا بنشر السؤالين في المجلة حتى ينفصم حبل الالحاد والتضليل (وإبادة كل بدعة أو ضلالة أنفع لجميع المسلمين) والله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا. على لسان من يقيضه من خلقه ويجعله بذلك خليقا، والسلام

من محبكم الداعي لكم مشتركم

فقير ربه عمر خوجه بتونس

تفسير (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)

جاء ذكر السموات والارض معا في عشرات من الآيات، وجاء ذكر الارض وحدها في آيات أخرى كثيرة ولم تذكر في القرآن إلا مفردة ، بل ليس فيه مايشير الى تعدد الارض إلا هذه الآية في آخر سورة الطلاق على بعض الوجوه المحتملة في المثلية وهي مبهمة لايمكن تعيين المراد منها بالرأي على سبيل القطع ، وقد تغلغلت الاسرائيليات في تفسيرها ولا سيما أقوال كعب الاحبار ووهب بن منبه التي صرح المحققون بعدم الثقة بشيء منها ، وناهيك بهذه الاسرائيليات في وصف السموات السبع والارضين السبع وما فيهن، ومن أغربها أثر ابن جريج الطويل العريض في خرافات طولهن وعرضهن وما فيهن والمسافات بينهن وبالصخرة الخضراء المكللة والثور ذي الثلاث القوائم والقرنين وبالحوت الذي ذنبه عند رأسه .وبالخرافة التي أخرجها أبو الشيخ في العظمة عن كعب الاحبار قال : الارضون السبع على صخرة والصخرة في كف ملك والملك على جناح الحوت والحوت في الماء والماء على الريح والريح على الهواء ريح عقيم لاتلقح وان قرونها معلقة بالعرش

وروي عن ابن عباس في تفسير الآية انه قال لوحدثتكم بها لكفرتم وكفركم تكذيبكم

---

(١) كذا في الاصل ولعله سقط منه شيء وهل هو إثبات نزوله في يوم يأتي أو عدمه؟

بها وروي عنه انه قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم . قال البيهقي اسناده صحيح ولكنه شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا . وقال الذهبي مثل ذلك وزعم أبوحيان انه موضوع من رواية الواقدي . وهو رأي في المثلية معناه : وخلق من الارض مثلهن في الصفة وهو كونها كأرضنا حتى في حياة أمثالنا من العقلاء المكلفين فيها . وهذا المعنى يقتضي ان في السموات السبع ولو في جملتهن ومجموعهن أحياء كبني آدم بعث فيهم رسل كرسلهم وهو ليس بشاذ لا يعرف له أصل كما زعموا بل له أصل في القرآن نفسه وهو (٤٢: ٢٧ ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير)

وقال جمهور المفسرين إن المراد بالمثلية العدد وهو كونها سبعاً وحاول بعضهم وصفهن بكل ماوصفت به السموات السبع من كونهن طباقا بعضها فوق بعض إلى غير ذلك ، ومن وجود السكان فيهن قيل من الملائكة وقيل من الجن - ولكن الملائكة والجن لم يطلق عليهما اسم الدواب ، ولا أدري لماذا يهرب هؤلاء من اثبات انواع الحيوان فيهن والله تعالى يقول (وما بث فيهما من دابة) أي السموات والارض ولو في جملتهما

وقال بعضهم تبعا للضحاك انهن سبع طبقات متصل بعضها ببعض لا متفرقة وفصله بعضهم بما يقرب من قول علماء الجيولوجيا في طبقات الارض. وقال آخرون: ومن الارض مثلهن في العدد فقط مع الامساك عن الاتصال والانفصال

والسائل مطلع على هذه الاقوال والآية ليست نصاً في شيء مما قيل والمتبادر منها بحسب العبارة وصرف النظر عن الروايات والاقوال أن الله خلق سبع سموات وخلق الارض مماثلة لهن أو خلق من الارض مثلا ونظيراً لهن . أي ان خلق الارض كخلق السموات ، والمثلية تصدق في الامور المشتركة بين المثلين ولا يجب أن تكون من كل وجه في المادة والصفات، كيف وقد ضرب الله المثل لنوره المصباح في المشكاة ، وانما تعرف الصفات المشتركة بين الاشياء بالحس يقينا أو بالقياس ظنا أو بالوحي إيمانا، وليس عندنا نص من الوحي في وجه المماثلة ، وأما

الحس فاننا نرى الارض على قرب ونعرف من صفاتها شيئاً كثيراً إن لم نقل كل شيء ولو بالاجمال، وأما السموات السبع فاذا كان المراد بها الدراري التابعة لنظام شمسنا هذه كما كان يفهم العرب مثل أمية بن أبي الصلت الذي ذكر السبع في شعره وكما يقول الكثيرون من العلماء بالتفسير وبعلم الهيئة الفلكية فوجه الشبه ظاهر عندهم وهو ان هذه الارض نفسها كوكب من كواكب النظام الشمسي كالمريخ والمشتري التي تستمد النور من الشمس وترتبط معها بسنة الجاذبية العامة ، إلا ان بينها فروقا وأقربها الى صفة الارض في أحيائها النباتية والحيوانية المريخ . وقد نقل الراغب عن بعض العلماء عبارة بديعة في هذا المعنى وهي: كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء وبالاضافة الى مافوقها فأرض، إلا السماء العليا فانها سماء بلاء أرض[1] قال وحمل على هذا قوله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)

وأقول إن هذه الدراري انما كانت تعد سبعاً في عرف المتقدمين بعد الشمس والقمر منها دون الارض، وهي تعد الآن ثماني منها الارض وكوكبان عرفا بمراصد هذا العصر وهما أورانوس ونبتون ومكانهما وراء زحل أي فوقه ودونه المشتري فالمريخ فالزهرة فعطارد وهي سبع سموات بالنسبة الينا كما تقدم فبقيت عبارة القرآن صحيحة في نفسها وإن كانت السموات السبع مجهولة لنا كأن تكون من عالم الغيب فالواجب أن يحمل معنى المثلية على أعم الوجوه ككونها من خلق الله الدال على قدرته وعلمه كما يدل عليه آخر الآية وسيأتي، ولكن هذا القول مردود بالآيات القرآنية المتعددة

وقد ورد في الاحاديث والآثار روايات كثيرة في ذكر السموات السبع والارض وفي بعضها ذكر لتعدد الارض وقد عقد البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه بابا سماه (باب ما جاء في سبع أرضين) وقول الله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الخ الآية وذكر فيه حديث عائشة مرفوعا « من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين » وحديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل « اشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول « من أخذ شبراً من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » وظاهره يوافق قول من قال ان المراد بالسبع الطبقات وأنهن متصلات كطبقات الجيولوجية قال الحافظ في شرح الحديث

من كتاب المظالم من الفتح : وفيه ان الارضين السبع متراكمة لم يفتق بعضها عن بعض لأنها لو فتقت، لا كتفى في حق هذا الغاصب بتطويق التي غصبها لانفصالها عما تحتها، أشار الى ذلك الداودي وفيه ان الارضين السبع طباق كالسموات وهو ظاهر قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) خلافا لمن قال ان المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم الخ . وأنت ترى ان هذين القولين مختلفان فان كانت السبع الطباق من السموات منفصلا بعضها عن بعض لا يظهر معنى التطويق منهن في الحديث الصحيح، وهو الحديث الصحيح في التعدد دون غيره . ولا ندري أكان هذا الجمع مستعملا بالسبع عند العرب كالسموات أم لا

وروى أحمد والترمذي عن الحسن عن أبي هريرة حديثا مرفوعا فيه بعد سبع أرضين بين كل منها خمسمائة عام، وهو حديث غريب منقطع والحسن لم يسمع عن أبي هريرة ورواه البزار والبيهقي من حديث أبي ذر مرفوعا بنحوه وهو مرسل قال في البداية ولا يصح اسناده

وقد علم مما تقدم ان أصح ما ورد في تعدد الارض حديثا عائشة وزيد بن سعيد (رض) في مغتصب شيء من الارض أنه يطوقه من سبع أرضين وهذا لا يدل على تعدد الارض بوجود سبع مستقلة منفصل بعضها عن بعض كالسموات وهو لم يرد تفسيراً للآية. ويليه حديث ابن عباس في كون كل أرض منها منفصلة عن غيرها مستقلة يسكنها عقلاء مكلفون فيهم رسل منهم كأشهر الرسل منا . وقد ضعفوه بشذوذ متنه عندهم لاستغراب وجود رسل في عالم آخر غير أرضهم . قال القسطلاني: ففيه ـ أي في تضعيف البيهقي والذهبي له بالشذوذ ـ انه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن كما هو معروف عند أهل هذا الشأن فقد يصح الاسناد ويكون في المتن شذوذ وعلة تقدح في صحته . ومثل هذا لا يثبت بالحديث الضعيف . وقال في البداية وهذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس أخذه من الاسرائيليات اه

وأقول ان هذه القاعدة صحيحة عند المحدثين والاصوليين جميعا ولكن قل من عني بتحكيمها في الاحاديث الشاذة المتون بمخالفة القطعيات حتى الحسية منها كحديث أبي ذر (رض) في غروب الشمس وكونها تكون مدة غيابها عن الارض

ساجدة تحت العرش تستأذن ربها في العودة الى الطلوع الخ وهو متن مخالف للحس فان الشمس لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، وهذا مشاهد معلوم بالقطع . ولما أوردنا رد طعن الطاعنين على الاسلام به وبينا الرد على ذلك من عدة وجوه طعن في ديننا دجال بيروت يوسف النبهاني الشاعر بجهله وتعصبه لانه مروي في الصحيح

ومما سبق لنا بيانه في هذا المقام من وقوع مثل هذا الشذوذ في الصحيحين على قلة ان حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم في خلق السموات والارض في سبعة أيام وأوله « خلق الله التربة يوم السبت » وصرح فيه أبو هريرة بالسماع منه ﷺ قال القسطلاني كغيره لكن اختلف فيه على ابن جريج وقد تكلم فيه نقال البخاري في تاريخه : وقال بعضهم عن كعب الاحبار وهو أصح . يعني انه أصح مما سمعه أبو هريرة وتلقاه عن كعب فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا. وفي متنه غرابة شديدة الخ

أقول وقد حققنا من قبل ان كعب الاحبار من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين وتحمل على الرواية عن أنبياء بني اسرائيل وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه وصاروا يتناقلون قوله بدون اسناده اليه حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم أنها مما سمعوه من النبي ﷺ وأدخلها بعض المؤلفين في الموقوفات التي لها حكم المرفوع كما قال الحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره من أوضحها كلامه في تفسير هذه الآية ، ونحن كما بينا ذلك مراراً في التفسير وغير التفسير من مباحث المنار

وجملة القول انه ليس لدينا حديث صحيح مرفوع لا قطعي ولا ظني في بيان المراد من قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) والمتبادر منه انه خلق لنا من هذه الارض أو هذه الارض نفسها مثلهن خلقا وتكوينا ويدخل في هذه المثلية تنقل خلق كل من هذه الارض وتلك الاجرام المماثلة لها في الاطوار المبينة في آيات حم السجدة وليس الغرض من ذكر ذلك بيان حقيقة السموات والارض وصفاتها ، بل دلالة ذلك على قدرة الله تعالى وعلمه بما خلقه فانه قال في آخر الآية (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما)

فعلم مما تقدم كله ان نص الآية المسئول عنها لا يرد عليه اعتراض علمي فلكي مما ثبت في علم الهيئة بالقطع بل هي موافقة لهذا العلم في الجملة ولاسيما على القول الذي نقلنا ماذكره الراغب في بيانه ، وهو ان كل كوكب من الدراري أرض بالنسبة الى من فيه من المخلوقات وسماء بالنسبة الى من يراه فوقه من سكان سائر الكواكب — وهـذا التعبير أصح مما نقله هو لموافقتـه للهيئة الجديدة. واذا ضممنا اليه سائر الآيات في هذه المسائل ظهرت معجزة أو معجزات جديدة للقرآن باثباته لحقائق أخرى لم يكن يعلمها الرسول ولا قومه من قبله بل منها مالم يكن يعلمه أحد ، وقد بينا الشواهد على هـذا في الكلام على إعجاز القرآن من جزء التفسير الاول وغـيره وفي مواضع أخرى من المنار ، وآخر ما أثبته بعض كبار الفلكيين الغربيين من ذلك إثبات حركة للشمس تجري فيها الى غاية مجهولة وجميع دراريها تابعة لهـا وهو صريح قوله تعـالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقـدير العزيز العليم) ولـكن ماورد في كتب اليهود والنصارى في الخلق والتكوين للسموات والارض وغيرهما هو المعترض الذي لايمكن الجواب المعقول عنه ، وسبب ذلك أنه لم ينقل عن الوحي نقلا صحيحاً متواترا

حالة سيدنا عيسى الآن وآية وفاته ورفعه

الذي نعلمه قطعاً ان سيدنا عيسى عليه السلام في عالم الغيب كغيره من اخوانه النبيين، وان حالته فيه حسنة لأنه من أولي العزم من الرسل وقد وعد الله أمه بان يجعله وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ولا نعلم شيئا تفصيليا عن حالته كما هو شأننا في سائر مافي عالم الغيب لأنه لا مجال للعقل والرأي فيه وإنما الواجب فيه اتباع النصوص القطعية من القرآن ومن أخبار المعصوم القطعية الرواية والدلالة فليس عنـدنا نص من ذلك في علاقة جسده بروحه ولا في صـفة رزقه ولو وجد نص في ذلك لما كان إلا مثل ماورد في صحيح مسلم عن حياة الشهداء وكون أرواحهم في الآخرة تكون « في جوف طير خضر لهـا قناديل معلقة بالعرش تسرح من

الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل » فهل يمكننا أن نفهم من هذا الحديث شيئا نعرفه معرفة تفصيلية ؟

وأما قوله تعالى (ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ) الآية فهو على ظاهره كما رواه مخرجو المأثور عن علي بن طلحة عن ابن عباس قال (إني متوفيك) مميتك و نقله الحافظ ابن كثير ومحيي السنة البغوي في تفسيريهما[1] وذكرا بعده ان وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . وقال مطر الوراق : اني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه . وقال الاكثرون المراد بالوفاة ههنا النوم . ذكره ابن كثير وأورد الشواهد على تسمية النوم وفاة ولا نزاع فيه لغة فان التوفي قبض الشيء وافيا تاما ويتعين المراد منه بذكر المتوفى بالصراحة أو بالقرائن . وعبارة البغوي بعد ذكر الاقوال الثلاثة : وقال بعضهم المراد بالتوفي الموت وروي عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه : إني مميتك . يدل عليه (قل يتوفاكم ملك الموت) فعلى هـذا له تأويلان أحدهما ماقاله وهب ـ وذكره وقفى عليه بقول الضحاك . فعلى هذا يكون قول ابن عباس هو الظاهر المتبادر وقول وهب والضحاك تأويل مخالف للظاهر فيكون كل منهما ضعيفا في نفسه ، على انحطاط رتبة قائله في علمه وفهمه ، ولاسيما وهب بن منبه الذي هو صنو كعب الاحبار في بث الخرافات الاسرائيلية في تفسير أمثال هذه الآيات من القرآن بدهاء غريب ألبس بعضها ثوبي زور من المرفوعات والموقوفات

وذكر المفسرون عند تفسير هذه الآية من سورة آل عمران مافي موضوعها من آية سورة النساء وهي قوله تعالى في اليهود (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيـه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) وهي لا تختلف مع الآية الاولى في شيء . وقد كتبت في تفسيرها (من جزء التفسير ٦ ص ٢٠) مانصه :

« وأما قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) فقد سبق نظيره في سورة آل عمران

---

١) راجع ذلك فى تفسير ابن كثير وتفسير البغوي (ص ١٥٠ ج ٢ من طبعة المنار)

وذلك قوله تعالى (٣: ١٥٥ إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا) روي عن ابن عباس تفسير التوفي هنا بالاماتة كما هو الظاهر المتبادر ، وعن ابن جريج تفسيرها باصل معناها وهو الاخذ والقبض وان المراد منه ومن الرفع إنقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذي اصطفاه وقربه اليه قال ابن جرير بسنده عن ابن جريج : فرفعه إياه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا اه . أي ليس المراد به الرفع إلى السماء لا بالروح والجسد ولا بالروح فقط. وعلى القول بأن التوفي الاماتة لا يظهر للرفع معنى إلا رفع الروح. والمشهور بين المفسرين وغيرهم ان الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء اه . وذكرت هنالك استدلالهم على هذا بحديث المعراج وكونه يقتضي حياة كل الانبياء الذين ذكر ﷺ انه رآهم في بيت المقدس وفي السموات كحياته بالروح والجسد، ولم يقل بهذا أحد . وورد في ادريس عليه السلام من سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) وقال تعالى في الرسل (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

نزول المسيح من السماء

وأما نزوله عليه السلام في آخر الزمان فقد استدلوا عليها بآية (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) بناء على وجه من ثلاثة أوجه قالوها في تفسيرها (الاول) وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته الذي سيكون بعد نزوله ـ وهو أبعد الوجوه عن المتبادر من لفظها اذ ليس فيها اشارة ما إلى نزوله وان هذا الموت يكون بعده (الوجه الثاني) الضمير في موته إلى الكتابي ، والمعنى انه يؤمن بعيسى عند موته وقبيل خروج روحه باطلاع الله إياه على حقيقة أمره عند الغرغرة ، وعلى غير ذلك من أمر الآخرة ، وهو الوقت الذي لا ينفع فيه أحداً إيمانه لانه يصير اضطراريا (الوجه الثالث) ان الضمير في قوله (ليؤمنن به) لمحمد ﷺ

وجملة القول انه ليس في القرآن نص صريح في ان عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى الى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وانما هذه

عقيدة أكثر النصارى وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهر الاسلام إلى الآن بثها في المسلمين وممن حاولوا ذلك بادخالها في التفسير وهب بن منبه الركن الثاني بعد كعب الاحبار لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات كما تقدم آنفا

والاحاديث الواردة في نزوله عليه السلام كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرها ، وأكثرها واردة في اشراط الساعة وممزوجة بأحاديث الدجال وفي تلك الاشراط ولاسيما أحاديث الدجال والمهدي اضطراب واختلاف وتعارض كثير بيناه في أواخر تفسير سورة الاعراف . والظاهر من مجموعها انه يظهر في اليهود دجال بل أكبر دجال عرف في تاريخ الامم فيدعي انه هو المسيح الذي تنتظره اليهود فيفتتن به خلق كثير لما يظهره من الغرائب والعجائب التي هي أغرب من جميع معجزات الانبياء أو مثل أعظمها ، وفي آخر مدته يظهر المسيح الذي هو عيسى بن مريم ويكون نزوله في « المنارة البيضاء » شرقي دمشق ويلتقي بالمسيح الدجال بباب لدّ ـ وفي فلسطين بلد يسمى باللد ـ فهنالك يقتل المسيح الصادق عيسى ابن مريم عدو الله المسيح الدجال بعد حرب طويلة تكون بين المسلمين واليهود والله أعلم

حكم من ينكر وجود المسيح حيا

وأما من ينكر الآن وجود المسيح حيا بروحه وجسده ومانصيبه من الايمان؟ فقد علم حكمه مما تقدم . وهو ان هذه المسألة ليست من أصول عقائد الاسلام التي تلقن لمن يدخل فيه ولاهله ـ ولا من الاحكام التي تذكر في كتب الردة بناء على ان جاحدها يرتد عن الاسلام لدخولها في قاعدة كفر من يجحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة ـ بل هي من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده الى السماء ممن لا قيمة لاقوالهم كوهب بن منبه وكذا الضحاك بن مزاحم على انه وان اختلف في توثيقه وتضعيفه خير من وهب بن منبه الذي وثقه الجمهور انخداعا منهم وغفلة عن كون دسائسه الاسرائيلية من وضعه لا منقولة من كتب بني اسرائيل المقدسة . ولم يرو الضحاك عن أحد من الصحابة سماعا وكان يأخذ التفسير عن ذا وذا كما اعترف به

وأما من اطلع على الاحاديث الواردة في نزوله وقتله للدجال واعتقد صحتها فلا يسعه الا أن يعتقد ان النبي ﷺ قالها باعلام من الله تعالى لانها ليست من الآراء الدنيوية التي يتكلم فيها الانبياء كغيرهم بحسب الظن الذي يخطيء ويصيب وهم غير معصومين فيه كما ورد في أحاديث تأبير النخل في صحيح مسلم وما في معناه ؛ وحينئذ يجب عليه الايمان بصدقه فيها، فان أنكره ورده عالما بصحته غير متأول لمدلوله يكفر والعياذ بالله تعالى . والأولى والاسلم له أن يقول ان قول الرسول حق وسيقع على الوجه الذي أراده من قوله، والله أعلم بمراده منه في جملته وتفصيله . وصحته لا تتوقف على القول بعدم موت عيسى فقد قال حبر القرآن وأعلم المفسرين في تفسير آية آل عمران بدلالتها على موته عليه السلام والله تعالى قادر على بعثه ، وعلى ارساله بصفة خارقة للعادة . وقد ذكر الاستاذ الامام ان بعضهم تأولها بأن روح المسيح ومقاصده التي جاء بها لاصلاح جمود اليهود على ظواهر الألفاظ وتركهم لمقاصد الدين الخ كما تراه في تفسير آية آل عمران من تفسيرنا . وهذا التأويل بعيد عن ظواهر الالفاظ في تلك الاحاديث ولكن المتأول يقول انها وأمثالها من اشراط الساعة وأمور الغيب قد نقلت بالمعنى فعبر الرواة عما سمعوا بما فهموا . وقد تقدم هذا البحث في أشراط الساعة من تفسير سورة الاعراف المشار اليه آنفا.

وأما العهد الجديد عند النصارى من الأناجيل وغيرها فهي صريحة في أن المسيح يظهر في الملكوت قبل انقضاء الجيل الذي كان فيه وتقوم الساعة ويدين العالم . وقد ظهر عدم صحة تلك النصوص فاضطروا الى تأويلها بما لا يعقل. ومع ذلك ينتقدون علينا بما لا إشكال فيه. ينظرون القذى في أعين غيرهم وينسون الجذع الذي في أعينهم

والخلاصة انه لا يجب على مسلم أن يقف على تلك الاحاديث وأمثالها لانها ليست من أركان الايمان ولا من أركان الاسلام كما تقدم — ولا يضره في ايمانه واسلامه الاشتباه في صحتها وعدم القطع بروايتها ودلالتها على ماقال الجمهور — وإنما الذي يضره هو أن يكذبها أو يردها بعد العلم بصحتها واعتقاد ارادته ﷺ لظاهرها لانه حينئذ يكون مكذبا للصادق المصدوق المعصوم من الكذب وكذا من الخطأ فيما يبلغه عن الله تعالى والله أعلم

(باب المقالات)

الاصلاح الحقيقي والواجب للازهر (*

(والمعاهد الدينية)

إن الأمة المصرية كسائر أمم الشرق جماعة دينية جمعها الدين ووحد بينها، وبنيت أخلاقها وحضارتها عليه. وقد تغلغل الدين في جميع شؤونها ، فنظم سلوك الرجل في منزله ، وسلوك المدنيين بعضهم مع بعض ، وسلوك الملك مع رعيته والرعايا مع ملوكهم . فلو قد سألت مصريا لماذا تصدق في قولك وتتوخى العدل في حكمك وتؤدى الأمانة اذا اؤتمنت؟ ولماذا لاتأتي الفحشاء والمنكر ولا تكذب ولا تجور ولا تخون ؟ لأجابك بأن الله أمر بالأولى ونهى عن الثانية ، واذا كان عالما أو متعلما تلا عليك الآيات والاحاديث الدالة على ذلك مثل آية (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) ومثل حديث « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » فاذا لم تقو الروح الدينية في نفوس المصريين أو ضعف الدين عندهم انهارت هذه الفضائل لانه الاساس لها عندهم وقد بنيت عليه فتتداعى وتتصدع بانصداع الاساس ، وكذلك اذا شوه بادخال البدع والخرافات عليه فسدت الامة وضعف أمرها . واذا قوي الدين واستحكمت عقيدته فيهم وبقي بمنجاة من الزوائد والبدع صلحت الامة وقوي أمرها ، لذلك كان حتما مقضياً على أولي الامر في مصر أن يعنوا بأمر الدين ويتعهدوه مخافة أن تضعف العقيدة في نفوس الامة أو تطرأ البدع والمحدثات عليه فتشوه جماله ولا يكون في الامة أداة عز ومنعة

ولما كان الازهر والمعاهد الدينية هي معقل الدين في مصر والمنبع الذي يتخرج منه رجاله وجب أن يعنى بها وأن تتعهد بالقيام عليها واصلاحها لذلك كان المصلحون الاولون : الشيخ جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام

*) للاستاذ الشهير صاحب الامضاء

وغيرهما يولون وجوههم قبل الازهر ، ويرجون صلاح الامة بصلاحه ، ورقيها برقيه . ولكن الازهر أبى على المصلحين وامتنع عليهم من الاصلاح ، والسبب في إبائه أن الازهريين لم يكونوا قد اطلعوا إلا على علومهم في كتبهم التي تدرس في الازهر ، ولم تكن قد أخرجت لهم المطابع من كتب السلف ولا نتائج قرائح الأمم فما كانوا يرون وراء علمهم علما ، ولا غير تعليمهم تعليما ، ويعتقدون أن كل يد تمتد اليهم فانما تمتد بالمسخ والتشويه والافساد .

تلك كانت العقيدة السائدة ، ليس غير الازهر معهداً وليس غير مافيه من علوم علما ولا غير الازهريين علماء ، لذلك أبى ما كان يريده منه المصلحون ، فاضطروا الى انشاء مدارس يراد منها ما كان يراد منه ، فعلوا ذلك وهم يعلمون أنه لايجدي إلا قليلا ، لأن الازهر لما له من المكانة الدينية والتاريخية في الامة هو المسموع الكلمة والنافذ الرأي فيها والمعلم الموثوق به عندها في شأن الدين ، فعقيدتها عقيدته ، وآراؤها في الحياة والاجتماع آراؤه ، وان هذه المدارس التي تنشأ بجانبه ليست لها هذه المنزلة فلا تؤثر الاثر المطلوب ، ولكنهم فعلوا ذلك ريثما يفيء اليهم ليكون الاصلاح به تاما وشاملا .

هذا شأن الازهر في الماضي البعيد . أما بعد ذلك فقد أذعن للاصلاح لانه قد انسع أفقه بما خرجته له المطابع من كتب السلف ومن علوم الشعوب فعلم أن وراء علمه علماء وأن وراء كتبه كتباء ولانه رأى أبناءه يعزلون عن الحياة لانهم لا يتسلحون بأسلحتها الجديدة ، لكن ذلك الاصلاح كان كذلك الاصلاح الذي بنيت عليه مدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي في الشكل والعرض لا في الصميم والجوهر

لقد اقتصر الاصلاح في مدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي والمعاهد الدينية الى الآن على إدخال بعض علوم جديدة واختصار بعض الكتب وترتيبها وتبويبها

وأما العلوم نفسها فقد بقيت كما كانت لم تمتد اليها يد بتغيير ولا تبديل وربما كان ذلك الاصلاح خيراً في ذلك الزمن ليتقى به الطفرة ولانه كان ملائما لحاجة ذلك العصر . أما الآن وقد تطورت الامة وتغير الزمن وتطلبت أساليب الحياة الجديدة أنماطا من التعليم جديدة فمن الواجب لمصلحة مصر والعالم الاسلامي

أن يكون الاصلاح في موضوع العلوم وجوهرها وأن يتناول مافي الكتب نفسها ومسميات العلوم فربما يغير مسمى العلم نفسه ولا يبقى منه إلا اسما يدل على مسمى آخر ليس بينـه وبين المسمى الاول إلا الاشتراك في الاسم .

يجب أن يكون الاصلاح أبعد في الوهم وأقصى في الامد من تلك القشور التي يقترحها المقترحون والتي وقف عندها المصلحون الى الآن . ومنذ صدر القانون بتنظيم سلطة صاحب الجلالة الملك على المعاهد الدينية وأصبحت تابعة لرئيس مجلس الوزراء وأصبح مسؤولا عنها أمام مجلس النواب ، أبدى مجلس النواب غير مرة رغبته في إصلاح الازهر والمعاهد الدينية وقد أبدت لجنة الاوقاف والمعاهد في تقرير ميزانية الازهر تلك الرغبة أيضاً وتقدمت الى الحكومة أن تؤلف لجنة يكون فيها جماعة من النواب لوضع الاصلاح المنشود ليقدم الى البرلمان في الدورة المقبلة - ولما كنت قد درست الازهر والمعاهد الدينيـة مدة ربع قرن وبحثت عن عللها وأمراضها بحثـاً مستفيضاً مستقصى فعلمت داءها الدويّ ودواءها الناجع وكنت أتربص الوقت الذي تتجه فيه نيات أولي الأمر الى إصلاح الازهر والمعاهد الدينيـة إصلاحا جديا ورأيت الفرصـة قد سنحت الآن لاظهار أولي الامر رغباتهم في ذلك الاصلاح وفي تعيـين لجنة لوضعه أردت أن أعرض على أولي الامر إجمال الاصلاح الذي رأيته بعد جهود بذلتها ، ومشقات عانيتها ، وأن أضع بين أيديهم القواعد الكلية التي ينبني عليها ذلك الاصلاح ،فان رأوا فيه غناءً ورأوه جديراً بأن يرضي حاجات الامة التواقة الى النهوض من إصلاح الازهر فصلت ماأجملته وأوضحت ما اختصرته وشرحته شرحا وافيًا مبينا

وسأقصر بحثي هنا على الاصلاح العلمي ، أما الاصلاح الاداري فقد تركته لمن هم أمس به مني . وهاءنذا آخذ في إجمال الاصلاح الذي أراه :

هـذا الاصلاح الذي نقترحه على أولي الامر ونجمله هنا ونأخذ على عاتقنا بسط القول فيـه وتنفيذه قد نظر الى تطورات العـلوم فرآها في طور عظمتها وارتفاعها ورآها في طور ضعفها وإسفافها . رآها حينما كانت مصاحبة لقوم أعزة فقويت بقوتهم ، وحينما صارت مع قوم آخرين أذهانهم كالمملحة لايقع فيها شيء

إلا أحالته ملحاً فضعفت بضعفهم ، فيبعث العلم الحيّ في طوره الحيّ من مرقده ، ويرمس تلك الرسوم الميتة البالية التي هي حثالة الاذهان الجامدة ونخالة الافكار المتبلدة .

هذا الاصلاح خبير ، وجريء ، وحكيم : أما خبرته فلأنهساير الدين في أطواره المختلفة فرآه وهو في جدته ونضرته في الصدر الاول حينما كان مبعث العظمة والمجد والسعادة لمن يدينون به ، ورآه وقد أدخلت عليه البدع وغيّر فيه كثير من رسومه وتواضع الناس على رسوم وأوضاع أدخلوها في الدين على أنها من الدين ، ونظر الى تاريخ العقائد والنحل المختلفة والفرق الاسلامية المتباينة ورأى ماعند بعضها من حق ونافع ، وباطل وضار .

وأما أنه جريء فلأنه سيعمد الى تلك الاوضاع والزوائد والبدع والخرافات التي حشرت في الدين وليست منه ويزلزلها من قواعدها ويهدم شامخها ويحل محلها تلك المبادىء العلوية السامية ، ويعود بالدين الى عهد السابقين الاولين ، فيضحى كما كان نوراً وسعادة ورحمة للعالمين ، ويأخذ من الفرق الاسلامية أيا كانت حقها ونافعها ، وينفي باطلها وضارها

وأما أنه حكيم فلانه لايغير فجأة وقسراً واستبداداً ، وانما يغير تدريجاً ، ولا يغير شيئاً إلا بعد أن تقوم الحجة على صحته ووجوبه وقبول الجمهرة له ، فان الاصلاح بالرفق والاناة خير وأجدى منه بالعنف والشدة وأدعى الى الطمأنينة والسلام . وبذلك تصبح مصر الامام المقتدى به في الشرق والمعلمة للثقافة الاسلامية

وسيكون الاصلاح مبنياً على قاعدتين : أولاهما ان العلوم لم يفرغ من تمامها ولم تبلغ الكمال المرجو لها ، وانما هي سائرة نحو التطور والكمال أمامها لا وراءها ، ثانيتهما ان الاخلاق والشرائع والاديان والعقائد والعلوم وكل مافي الكون جعلت لمصلحة البشر وسعادته وعظمة الانسانية وعزتها

هذا الاصلاح ليس إصلاحا للمعاهد الدينية فحسب وانما هو انقلاب اجتماعي خطير له فائدته وخطره في الحياة الاجتماعية المصرية خصوصا ، والحياة الاسلامية عموما ؛ ذاك أنه نظر الى أمم الشرق والى أمم الغرب فوجد الأولى أمما اتكالية ، ووجد الثانية أمما استقلالية . وجد الاولى وانية قليلة الأمل في الحياة ترضى

بالدون، ووجد الثانية بعيدة الامل لا ترضى من الغايات إلا أبعدها منالا، وأشرفها مقصداً. وجد الاولى أمماً مكسالا تألف الدعة والراحة وقد أشربت نفوسها شيئاً من معاني اليأس والقنوط، فهي نائمة تغط غطيطاً لا تكاد تصحو أو تفيق. وأما الثانية فهي أمم ذات عزائم وذات جلد، تألف التعب والجهد، وهي آملة متطلعة تبسم للحياة وتبسم الحياة لها. وبحث في علة ما في الشرق من أمراض فوجد من بعض أسبابها تلك العقائد والآراء التي أدخلتها الفرق المختلفة من المتصوفة وغيرهم على الاسلام وليست منه فتأصلت في نفوس الشرقيين وآتت أكلها الخبيث المستوخم فذلك الاصلاح سيجتث هذه العقائد الباطلة من الامة ويحل محلها العقائد الاسلامية الصحيحة التي تدعو الى الجد والعمل والمثابرة والجهاد في هذه الحياة. وسيعد الازهريين ليكونوا عونا على ذلك، فهم معقد الأمل لهذه المهمة ومناط الرجاء وسأمثل لبعض هذه الآراء ليعلم الناس أي خير يحل بالأمة، وأي شر يرفع عنها، وأي بركة تنزل، وأي وباء يزول، اذا أدخل هذا الاصلاح.

من هذه الآراء ما أدخله المتصوفة من أن التوكل على الله ينافي الادخار والكسب، والأخذ في الاسباب، وينافي التداوي، ولن يكون المتوكل متوكلا حقا حتى يقطع الاسباب، وأن التوكل ينافي التدبير والاحتياط والاحتراز، وكأنه هو إهمال العواقب، وإطراح التحفظ، ويروون لتثبيت ذلك ماقاله أبو سليمان الداراني وهو: لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص. ويروون أن أبا يعقوب الزيات سئل عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجاب فأعطى التوكل حقه، ثم قال استحييت أن أجيبك وعندي شيء، ويروون عن ذي النون المصري أنه قال سافرت وما صح لي التوكل إلا وقتاً واحداً: ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة فقالت لي نفسي ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل

وهذه العقيدة تنافي الدين والعقل ومذلة للأمم: أما مخالفتها الدين فلأن الدين يقول (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ويقول (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) ويقول (خذوا حذركم) ويقول (وشاورهم في

الامر) وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين

وأما مخالفتها العقل فلان العقلاء مازالوا يوصون بالادخار وكسب المال والاخذ في الاسباب، ويقولون: لا عقل كالتدبير. ويطلبون أن ينظر المرء في الامور ببصر وينفذ البصر بالعزم بعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف.

وأما انها مذلة للأمة فلأنها تدعوها الى الاخلاد والعجز والتواني وطرح الاسباب فتضعف وتهن ويستولي عليها الاقوياء المستعدون المحتاطون الذين عرفوا الأسباب واستعملوها ولم يهملوها. هذه العقيدة توارثها الأحفاد عن الآباء وذاعت في الامة ذيوعا عظيما حتى نطقت بها أشعارهم، ودارت في أمثالهم، وسيعنى الاصلاح بتطهير الامة منها ومن أمثالها فليست هي الأولى والاخيرة، وإنما هناك عقائد أخرى لها ما لهذه من الضرر وإنما سبيلنا هنا أن نمثل ولا نستقصي

ان الغاية التي يرمي اليها ذلك الاصلاح ويسعى لتحقيقها وتبيين الاسباب لادراكها هي:

أولا: تخريج قضاة مجتهدين أو على الاقل متبعين يتبعون المجتهد بعد قيام الدليل عندهم على صحة قوله فيحكم القاضي عن اجتهاد أو اتباع لا عن تقليد كما هو الآن، لأنه قد اتفقت كلمة الاولين على منع حكم المقلد وفساد التقليد في الحكم والافتاء، وقالوا ان التقليد مرتبة العوام لا من نصب نفسه للقضاء والفتياء وقالوا لا فرق بين بهيمة تقاد وانسان يقلد

ثانيا: تخريج معلمين ذوي كفاية لتعليم اللغة العربية والدين والاجتهاد في أن يكون معلم الدين متحليا بمكارمه، واقفا عند منهياته، متبعاً أوامره، ليقتدى به وتحسن الاسوة، وأن يكون معلم اللغة العربية قد اكتسب ملكة الخطابة والكتابة باللغة العربية البليغة ليكسب تلاميذه هذه الملكة بمحادثته اياهم ومحاورته لهم، ويكون تعليمهم اللغة عمليا وعلميا لا علميا فقط، وبتوالي الزمن على ذلك ترقى لغة التكلم إلى لغة الكتابة فيسهل انتفاع العامة من لغة الكتابة

ثالثا: تخريج وعاظ ومرشدين عارفين بسياسة المدينة والمنزل وما به تسعد المدينة والمنزل، وبطباع الجمهور، عارفين بوسائل الاقناع قادرين على الاقناع فيما فيه سعادة المدنيين، فيضبطوا المدنيين بالاقاويل الخطابية ويحملوهم على ما فيه

سعادتهم وأمانهم ـ لا كما هم الآن يقلدون في الخطابة فيأتون بخطب قيلت في عصور التأخر والانحطاط ليس لها غرض الا التزهيد في الدنيا والكف عن الجهاد فيها

رابعا : جعل رجال الدين مسؤولين عن الحياة الخلقية في مصر فكما ان مصلحة الصحة مسؤولة عن صحة أجسام من في مصر كذلك رجال الدين مسئولون عن صحة أخلاقهم والقيام عليها ، فيعدون لان ينشروا في الامة قوة الارادة وصحة العزم وحب الوطن والايثار والتعاون والتضامن وتفهيم المصريين انهم كشخص معنوي كل عضو يعمل لمصلحة الجميع وألم العضو ألم للجميع. وأن يكافحوا الرذيلة الفاتكة بالمجتمع من الحسد والتباغض وانحطاط الهمم وضعف الارادة وحب الذات دون الصالح العام ، وأخيراً هم مسؤلون عن ذلك العامل المسكين الذي يكسب ما يكسب بعرق الجبين فينفقه في الكوكايين والافيون والحشيش والخمر وتلك السموم الضارة والمهلكة. إنه سيغرس في الازهريين حب الانسانية والمجتمع والتضحية بذواتهم لاجل سعادة المجتمع وبث الفضيلة فيه وتنقيته من الرذيلة وسيقض مضاجعهم الشوق إلى نجاة المصابين من أمتهم بتلك الامراض القتالة والسموم المهلكة من الخمر والميسر والمخدرات وسيقدمون اليهم الدواء الناجع ان جاءوا اليهم فان لم يجيئوا ذهبوا هم اليهم ، وطرقوا عليهم أبوابهم وأماكن لهوهم ليقدموا اليهم الاصلاح . وإنهم بذلك ليكونون منتجين في أمتهم إنتاجا لا تنتجه أية طائفة من الطوائف ، ويقدمون لمجتمعهم يداً لايقوم بشكرها . فأين منهم حينئذ الاطباء . إن الاطباء يصحون الاجسام أما هؤلاء فيبنون الاخلاق [1] في الامة ويقومون على تربية نفوسها ، وليست الامم إلا بأخلاقها

فبالاخلاق تحكم أمة أمة أخرى وتسخرها كما تسخر الناس الانعام والدواب وهذا الانتاج الذي لا إنتاج بعده. وكلما تقدمت الامة ورقيت وعلمت قيمة الاخلاق في الوجود عرفت لهم قيمتهم وفضلهم

(١) المنار : وكذا الصحة البدنية فان من يتبع هداية الدين في حظر المسكرات والمخدرات والفواحش وفي الطهارة للبدن والثوب والمكان وأشباه ذلك قلما يصابون بالامراض ويحتاجون الى الاطباء، فاتباع الدين أعظم واق من الامراض قبل وقوعها

خامسا: تسليح رجال الدين بالعلم الحق ليتمكنوا من تطهير أمتهم من العقائد التي ورثها الناس عمن تقدمهم والتي هي تخالف الدين وفي الوقت نفسه قاتلة للامة مضعفة لاخلاقها. وأكبر الظن انها كانت أكبر عامل على ضعف الشرق وانحطاطه وارتكاسه في تلك الهوة التي يتخبط فيها الان

سادسا: اطلاق العقول من أسر التقليد الى فضاء الحرية في الفكر والاستنباط وتعليمها صناعة الانتاج العقلي وخلق حركة علمية ابتكارية في علوم الاخلاق والاجتماع والدين واللغة والعلوم الفلسفية كالتي كانت في أزهى العصور السابقة كعصر المأمون

هذا إصلاح نتيجة درس ربع قرن خمس وعشرين سنة مع الاناة والتثبت ودقة الملاحظة والاستقلال في الرأي والحرية في الفكر . هذا علم لا يعلمه إلا من توافر عليه وتهيأت له أسبابه . ان أولي الامر إذا أرادوا إصلاحا كهذا فانه يقتضيهم ما شاء الله من زمن وما شاء الله من جهود وقوى، ولعلهم بعد ذلك ينقطعون دونه

إن في أعناقنا لامتنا أمانة ثقيلة هي بعثها ببعث أسباب الحياة والمجد فيها . وقد حملنا القدر هذه الامانة بما علمناه من أسباب ضعفها والاسباب التي تحيا عليها وان ظهورنا لتنوء تحتها ولا نكاد نستقل، فهل لاولي الامر أن يعينونا حتى نستقل بها ونؤديها كما وجبت ؟

محمد عرفه — أستاذ بمعهد الاسكندرية

[المنار] يوافق الاستاذ الى هذه الاصول الاصلاحية وقد أكثر من الكتابة فيها بعد أن أشرنا اليها في مقاصد المنار وموضوع دعوته في فاتحة العدد الاول الذي صدر في شوال سنة ١٣١٥

نظرة عامة في حالة الاسلام

(مقالة للمرحوم مصطفى بك نجيب الذي كان من أشهر كتاب المسلمين في مصر أرسلها الى المنار مشايعة له على خطته منذ أكثر من ربع قرن فلم ننشرها يومئذ لكثرة لحنها وخجلنا من الافتيات على صاحبها بتصحيحها بدون إذنه، ثم ضلت بين الاوراق حتى عثرنا عليها في هذه الايام فرأينا الحاجة اليها كما كانت أو أشد مما كانت سنة كتابتها فصححنا أكثر غلطها ونشرناها وهذا نصها)

من الأمور التي يحار فيها لب المدققين في الامور الاجتماعية والذين لهم إلمام بعلوم التاريخ وأسباب تقدم الأمم أن يرى الاسلام في درجة الشقاء التي أصبح

بها وهذه الحالة التي عليها الأمم المختلفة المتدينون بالدين الحنيف قد استلفتت أنظار كل المجتهدين في أسباب تقدم وارتقاء سعادة الأمم ومن جهة أخرى قد شمتت أعداء الاسلام لأنهم جعلوا ذلك حجة قوية يحتجون بها على ان الدين المنيف هودين الهمجية والانحطاط وقد كذبوا في زعمهم ولكن المقادير لم تساعد المسلمين في الارتقاء والارتفاع ولا يسند هذا الى الاسلام لانه بريء من كل ما يسند اليه من الخزعبلات والتعصب الاعمى

ولو نظرنا نظرة عامة في أحوال المسلمين لوجدناهم في أسوأ حال لأنهم تركوا فضائل ما يأمرهم به دينهم القويم واتخذوا الكسل عادة والخرافات طبعاً غريزياً، مع ان القرآن الشريف يأمرهم بالاجتهاد والعمل، ويرغبهم في الكسب والارتزاق، وأن يسعوا في الأرض من مشارقها لمغاربها ليتحصلوا على الفوائد والمنافع التي تعلي شأنهم وتنمي ثروتهم

يتأسف المسلم الغيور أن يرى ما آلت إليه أحوال المسلمين من (ضلال عن) سواء السبيل ، فقد ضلت الافراد وتغيرت معالمهم وصار بينهم وبين الدين بون عظيم مع انهم لو ساروا على مبدأ الدين الاسلامي لأصبحوا في العز الرفيع والسؤدد الجليل ، ولكن أين ذلك ، وقد ضربت على أفئدتهم غشاوة من الجهل وتركوا لأنفسهم مسلك الغباوة حتى حادوا عن الفضائل ، وتشبثوا بالرذائل ، ومع ذلك تراهم مصممين على ما هم عليه قائمون ، واليه متجهون ؟ أما آنت لهم الفرصة ؟ ألم يستفيدوا من الدروس المدهشة التي يرونها اليوم بعد الآخر ؟ ألم تعلمهم الأهوال كيف المآل ؟ فقد انتهز الاجنبي فرصة نومنا وتداخل في أمورنا ، ورمانا بعدم الكفاءة والأهلية للعمل ، هل بعد ذلك احتقار ؟ كيف تكون أحوال المسلمين وقد أمسوا مستعبدين بالأجانب لا يملكون لنفسهم حرية ولا يمكنهم أن يجعلوا لدينهم صفة ولا شأنا بين الأديان ؟ أين العلماء المجتهدون منهم الذين يهبون أنفسهم للتعليم ويرغبون في تهذيب أخلاق إخوانهم المفتقرين لتنبيههم عن غفلتهم ؟ لا غيرة عندهم ، ولا نفس ترغبهم في العمل للمنفعة العامة ،

سمعت من سائح سألته عن حالة المسلمين في جاوه وسوماطرة: فجاوبني انهم في

أتعس عيش وأحط حالة، لا يسوغ لهم أن يجتمعوا في اجتماعات، ولا تأذن لهم الحكومة ببناء مساجد وجوامع يقيمون بها الصلاة، حتى مدائنهم خالية من كل ما يقام فيه شعائر العبادات الدينية الاسلامية، وإذا وجد شيء من هذا القبيل فيمكن العثور عليه صدفة في القرى، فالمسجد يكون مركبا من أكواخ حقيرة تقام فيه بعض الفروض، ولا يسمح لساكني هذه الجزر بشيء سوى الضروري جداً مع أنهم ملايين عديدة يسكنون هذه البقاع الخصبة والتي لا ينقصها إلا العلم والانتظام في سلك المدنية، كل ذلك حاصل والمسلمون في غفلة شديدة لا يحركون ساكنا ولا يرفعون صوتا، فهل هذا ما يأمرهم به دينهم السديد؟

هل يأمرهم بالذل والمسكنة؟ كلا ثم كلا

وهذا مثل من الأمثال التي يصادفها الانسان بنفسه في حياة الأمم الاسلاميه وإذا قلنا ان هذا الضعف ناتج من الضغط على الافراد وعدم تمكنهم من حكم أنفسهم بأنفسهم فاليك أمثالا متنوعة تشاهد بالعين ونراه وإذا لم نرها فقد سمعنا عن أخبارها. فعدد الممالك الاسلامية التي تحكم نفسها فترى(؟) ان حالهم أسوأ وأردأ من غيرهم: لا نظام لحكوماتهم ولا مبدأ لدى الحكام إلا الاستبداد والظلم، حتى ان هذه الأسباب تجعل بابا للتداخل الاجنبي كما هو مشاهد الآن بمراكش وغيرها من الممالك الأسيوية الاسلامية المستقلة

ما الذي ينتظر من هذه الأمم ما دامت على هذه الحالة من الضعف؟ هل يؤمل منهم خير بعد أن سلموا أرواحهم وبلادهم للأجانب وبعد أن سيطر هؤلاء عليهم وأخذوا زمام أعمالهم في قبضتهم؟

أرى انه ما دام أمراء المسلمين لاهين في شهواتهم ولذاتهم، مبتعدين عن كل ما يجلب السعادة لشعبهم، غير مبالين إلا بمنافعهم الشخصية ومزاياهم النفسانية، فذلك ما يجلب الدمار ويورث الضياع، لأن الملك إذا ترك لنفسه العنان وانقاد إلى أهوائه ضاع وضيع من هو عليهم سلطان، فمن الوبال أن يحرم الاسلام من الأمراء العاملين لنفعه الساعين في مصلحته واعلاء كلمته. وإني أرى أن السلطان العادل أو الأمير العارف يفيد المسلمين كثيراً ويصلح شأنهم لأنهم يعدون

ان الحاكم عليه صلاح الرعية، وبفساده تفسد البرية ، وقد رسخ ذلك في أوهامهم بدرجة غريبة لأنهم تعودوا ذلك من قديم مع ان ذلك لم يكن إلا بدعة من البدع التي أضاعتهم وهضمت حقوقهم ، لأنهم إذا طالبوا الحكام بواجباتهم لم يستطيعوا أن يفعلوا مثل ما يفعلون معهم ، ويستبدون مثل ما يستبدون ، ويجحفوا بحقوقهم مثل ما هم عليه قائمون

هذا ومن جهة أخرى ترى ان المسلمين أصبحوا في حالة تأخير من جهة الفكر والتصور لأنهم امتثلوا للخرافات وزودوا عقولهم بأفكار سخيفة وتركوا الأصول الحقيقية فلذلك أثرت في حياتهم ووجودهم هذه الاعتقادات المأخوذة عن محض الجهل حتى صارت لهم عادة مأثورة و قياسا مألوفا مع ان ذلك مخالف لنصوص الشرع علي خط مستقيم

ترى أيضاً ان المسلمين منقسمون بينهم لا تربطهم محبة ولا تجمعهم الفة ولا جامعة لأنهم أصبحوا محكومين ولا يخفى ان الضغط والاستبداد يذهبان ما في الانسان من الغيرة والحمية وخصوصاً إذا جعل هذا الأمر عادة فيصير كأنه مخلوق لهذه الحالة . فلهذه الأسباب لا تجد للمسلمين جامعة واحدة حتى إنك ترى في البلد الواحدة فتوراً بين الأهل والافراد وقد نسوا كل النصائح الحكيمة التي أتى بها القرآن الشريف من الآيات البينات في الاتحاد (سنشد عضدك بأخيك) (إنما المؤمنون إخوة) إلى آخر تلك الآيات البينات

ومن الحديث الشريف ما يغني عن البيان ويفصح عن المقصود في مثل هذا الموضوع

وأما من يسمون بالعلماء فهم في حالة تأخر وانحطاط فهم يرمون وراء ظهورهم وينبذون نبذ النوى كل المبادىء الحديثة من العلوم ويكفرون من اتبعها زعماً أن ذلك مخالف للشريعة السمحة ولو تصوروا قليلا لعرفوا تماما سوء فهمهم وقلة ادراكهم

٣٠ اغسطس سنة ٩٠٥ مصطفى نجيب

كتاب الصحة لمهاتما غاندي

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه الهادين المهديين

(وبعد) فاني أقدم هذا الكتاب الصغير في حجمه، الكبير في معناه، إلى الأمة العربية في لغتها الشريفة التي لها فضل كبير عليّ وعلى العالمين . وقد خصصت مجلة «المنار» الغراء بنشر هذه الترجمة لما لها من الايادي البيضاء في الاصلاح الاجتماعي والديني ، وما لصاحبها من المنة الكبيرة عليّ بتثقيفي وتربيتي ، إذ أنا تلميذه ومريده ، وتشرفت بالمثول بين يديه سنين عديدة

ترجمت الكتاب الى العربية بعد أن استأذنت مصنفه مهاتما غاندي [1] فاستحسن فكرتي ، وأذن لي بل ألح عليّ بذلك قائلا « إني أحب العرب وأحترمهم، وأنتظر منهم أعمالا عظيمة لخير الشرق والانسانية ، وأرغب في عرض أفكاري عليهم »

فقلت له « ولكن العرب فطروا على عيشة تصدهم أن يأخذوا ببعض أفكارك التي بسطتها في الكتاب ، بل ربما يستهزئون بها »

فقال « لا عجب ان فعلوا ذلك . إني لا أنتظر من جميع الناس ان يقبلوا كل ما أقول . وظيفتي أن أقول ، لا ان أكره الناس على اتباعي»

---

(١) « مهاتما » معناه في اللغة السنسكرية « الروح الاكبر » لقب غاندي بهذا اللقب لان قومه يعتقدون بعظم روحانيته .

ألف مهاتما غاندي كتابه هذا وهو ليس بطبيب ، وترجمته أنا ولست بطبيب . أراد غاندي بتأليفه ان يخدم الناس بما جربه بنفسه من قواعد الصحة . وأردت أنا بترجمته ان أخدم الناطقين بالضاد بما قرأته ولم أجربه بنفسي قط . فغرضي من هذه الترجمة ليس دعوة الناس الى العمل بكل ماجاء في هذا الكتاب ، لاني لا أجزم بصحة كل ما جاء فيه . بل انما غرضي الاخبار بما قاله في مسألة الصحة هذا الزعيم السياسي والمصلح الاجتماعي والقائد الديني في القارة الهندية ، والذي يحسب كثير من الاوربيين والامريكان — وفيهم عدد من القسيسين — أنه مسيح جديد ، جاء ليجدد تعاليم المسيح القديم ! وأقواله مهما تبدو غريبة ، وأفكاره مهما تظهر شاذة ، تستحق الاعتبار والتأمل على كل حال .

ان من سوء حظ الشرق أنه لم يفقد استقلاله السياسي فحسب ، بل قد فقد استقلاله الفكرى أيضاً ، ولذلك تراه يقلد الغرب في كل شيء ، حتى إنه أصبح لا يتفكر في نفسه ولا يقيم للاشياء وزناً ولا يميز بين الحق والباطل . بل لا يزال نظره الى الغرب فان رآه يقول لشيء إنه حق ، قال هذا أيضاً إنه حق وبالعكس .

أنا لا أكره الغرب ولا أنكر فضله في العلم والمدنية ولا أحرّم الاقتباس والاستفادة منه . ولكن الذي أقبحه وأشمئز منه هو الاستعباد الفكري للغرب . لان هذا الاستعباد اذا تمكن من نفوسنا لن نسترد حريتنا السياسية المغصوبة ، ولن نجدد أسس قوميتنا المتهدمة .

أقول هذا لأني أخشى أن ينبذ فريق من القراء هذا الكتاب قبل أن يطلع عليه ، لا لانه يستحق النبذ ، بل لانه جاء من مصدر شرقي بحت ، فيحسبه سخافة شرقية . فلذلك أرجو من هو على هذه الشاكلة أن

يتمهل في الحكم عليه ليقرأه بامعان ، فان لم يعجبه فليرمه ان شاء . واني تطمينا لهؤلاء أقول ان هذه الآراء ليست خاصة بغاندي وحده ، بل هنالك في أوربا وأمريكا أيضا ثورة كبيرة على الطب وأساليبه وأدويته بل ان تقدم العلوم قد أخذ يهدم أركان هذا الطب الذى نسميه «الحديث» ويسمونه هنالك « القديم » .

ان مهاتما غاندي — وان لم يكن طبيباً — مهتم بمسألة الصحة اهتماما كبيراً ، ذلك دأبه من نعومة أظفاره . وكتب ما كتب بعد أن جربه بنفسه على نفسه سنين طويلة ، وهو لا يزال متمسكا بكل ما قاله وعاملا به بكل دقة وشدة.

يعلم اهتمام غاندي بمسألة الصحة من كتاباته وخطبه الكثيرة فيها . وقد صرح مراراً بأنه لو لم يقدر له أن يكون سياسياً ومصلحاً اجتماعياً ، لكان كناساً في بلدته ، ينظف المراحيض ويزيل القاذورات من البيوت ، ليعيش الناس بالصحة والعافية !

وقد سمعت ممن شهد المؤتمر الوطني سنة ١٩٢١ في بلدة أحمد آباد مقر غاندي ـ ولم أستطع الاشتراك فيه لاني كنت يومئذ مسجونا ـ أن مهاتما غاندي كان ينظف المباول وبيوت الخلاء بنفسه ومعه تلاميذ مدرسته. مع انا نعلم ان هذا المؤتمر كان عظيما جداً اجتمع فيه اكثر من نصف مليون نفس.

وقد يتعجب الذين بهرتهم المدنية الغربية، وغرتهم أبهة الزعامة الوطنية، كيف يقوم هذا الزعيم الجليل بهذا العمل القذر ؟ هؤلاء يتعجبون لانهم لم يعرفوا هذه الشخصية العجيبة النادرة: شخصية مهاتما غاندي. ان هذا الرجل ـ وان ظهر ونبغ في القرن العشرين ـ يضرب لابناء هذا العصر في نفسه مثل بوذا وكنفوشش وغيرهما من المصلحين وقادة البشر في العصور الغابرة

الذين أسسوا دعوتهم على مكارم الاخلاق وحب الانسانية والعيشة الساذجة والروحانية النقية والثقة التامة بذات الله العلي الكبير والتوكل عليه .

ان هذا الزعيم كذلك يدعو الناس الى المعيشة الفطرية الساذجة ونبذ البذخ والترف، والى التخلق بالاخلاق الفاضلة ، والمحبة الشاملة العامة ، والتمسك بجميع مافي الاديان من الخير والتقوى وخشية الله والرأفة بالبشر .

ليت شعري كيف كان يكون عجب المغترين بالمدنية الغربية اذا رأوا هذا الزعيم الهندي بأعينهم؟ انهم ليرونه عاريا، حافياً، حاسراً ، قد تجرد من الملابس قائلا «لا يصح لي أن أتجمل بالملابس والملايين الكثيرة من بني جلدتي لايجدون مايسترون به عوراتهم ويقون به أجسادهم من الحر والبرد» فتراه الآن متجرداً ليس على جسده لباس اللهم الا إزار صغير يستر به عورته !

وكذلك شأنه في مأكله : لا يأكل المشتهيات والملذات والاطعمة الشائقة . ليس ذلك لانه يرى رأى المتقشفين الغفل الذين يحرمون أنفسهم من الطيبات ويحسبون ذلك قربة الى الله . بل يرى ذلك مضراً بالصحة البدنية والعقلية . فلذلك نراه لا يأكل الملح ولا اللحم ولا العدس ولا الحبوب . ماعدا خبز القمح نادراً. وقد حصر غذاءه في الفواكه وهو يكثر من أكل البرتقال والموز ويفضلهما على غيرهما من الفواكه .

وقد أخبرني عن سبب تركه الملح فقال :

مرضت زوجتي في أفريقية الجنوبية (وكان يشتغل هنالك بالمحاماة) مرضا شديداً فداويتها أولا بنفسي فلم ينفعها شيء . فراجعت أحد الاطباء وأدخلتها في مستشفاه الخصوصي . فأمرها أن تترك اكل الملح والعدس فغضبت من نصحه وأبت امتثاله فغضب الطبيب أيضا ، وكان حديد المزاج قاسيا فدعاني

في نصف الليل وقال ان زوجتك عصت أمري، فأنا لا أعالجها بل لا أسمح لها بالبقاء عندي دقيقة واحدة ، فاذهب بها حيث تشاء حالا بدون أدنى تأخير!

قال مهاتما غاندي فتحيرت في أمري ورجوت الطبيب أن يسمح لها بالبقاء الى الصباح ولكنه أبى ذلك وأصر على أمره ، فاضطررت أن أخرج زوجي في تلك الساعة من الليل البهيم البارد وأحملها على ظهري مسافة ١٥ ميلا حيث كان مقامي !

« فلما وصلت بها الى البيت ، قلت لها بئس ما فعلت . إنك لا تشفين الا باتباع نصح الطبيب . يجب أن تتركي أكل العدس والملح والاتموتين. فقالت ان الامتناع عن العدس سهل ، ولكن الملح لا أستطيع تركه وان مت بسببه ، ولو كنت أنت في مكاني لما وسعك تركه ! فقلت تقولين ذلك ! فها أنا ذا أترك الملح سنة كاملة مختاراً ! فلما سمعت ذلك أخذت تبكي وتعتذر من قولها . ولكني هدأت روعها وقلت لها لا بأس عليك. لم أقل ذلك لأني غضبت من قولك ، بل انما أفعل ذلك لتتشجعي أنت في مكانك فيسهل عليك ترك الملح »

قال « فلما مضت السنة ورأيت فوائد ترك الملح ، ماعدت اليه الى الآن»

أما صحته - فجسمه نحيف جداً، لا يجاوز ثقله أكثر من ١٠٤ أرطال (Pound) ولكنه يرى نفسه أصح الناس جسداً ويقول ان الرطوبات والشحم الزائد والفضلات التى لا احتياج اليها قد خرجت من جسمي وأصبحت قويا بكل معنى الكلمة .

وكلامه هذا ليس جزافا لانه يقوم بأعمال قد يعجز عنها الرجال الاشداء . فهو يحرر ثلاث جرائد أسبوعية وهي تصدر في أوقاتها المعينة

بدون أن يحدث فيها أي خلل . ونحن نعلم أنه يشتغل بالاشغال العقلية ١٦ ساعة كل يوم ومع ذلك لايشعر بالتعب . وكذلك نراه من سنين كثيرة في السفر ، لايستقر في مكان ، يدور من بلد الى بلد ، يخطب مرات عديدة في يوم واحد ويقابل ألوفا من الناس .

وأكبر دليل على قوته أنه صام أربعين يوما متتابعة لم يذق فيها أي شيء . ومع ذلك لا أغمي عليه ولا أحس بضعف ، بل مازال يكتب لجرائده المقالات ويغزل كل يوم من القطن المقدار الذي قرره لنفسه . ومن أعجب ما رأيناه أنه بينما كان ثقله قد قل كثيراً في الاسبوع الاول من الصوم حتى خافوا على نفسه ، أخذ يزداد وزناً بعد ذلك ، وقد تحير الاطباء في تعليل ذلك .

ثم انه فوق ذلك قد ملك زمام نفسه ، فيعيش كما قرر لنفسه ان يعيش . فلا ينام الا القدر الذي قرر ان ينام ، ويقوم بجميع أعماله بنظام تام ، بدون أن يطرأ عليه أي خلل . ثم انه لا يغضب أبداً ولا يستعجل ولا يفزع ، بل يبقى دائما هادئا مطمئنا كأنه مالك نفسه سخرها فأصبحت له أطوع من بنانه .

ومن عجيب أمره أنه يعيش مع زوجته ولكنه يحسبها كأخته او امه كما اشار في هذا الكتاب ، وكما صرح في احدى خطبه هذه الايام فقال « أنا وزوجتي قد اتفقنا على أن نعيش كالاخ والاخت أو كالابن والاب أو البنت والام . فأنا لها كأب وهي لي كأم »

وكلامه هذا لا يرتاب فيه . لان عيشته مفتوحة وليست بسر . وهو لا يكذب أبداً مهما اضطرته الاحوال .

فيعلم من كل هذا أن صاحب هذا الكتاب ، وان لم يكن طبيبا قد عرف أسرار الصحة وجربها في نفسه فأصبح رجلا غير عادي في

صحته الجسدية وصحته العقلية . وقد قدم في نفسه نموذجاللرجل الصحيح تمام الصحة . وأودع تلك الاسرار في هذا الكتيب ليجربها الآخرون فان وجدوها خيراً تمسكوا بها والا ضربوا بها عرض الحائط

هذا ما أردت أن أقوله للقراء قبل أن يطلعوا على الصفحات الآتية: الا أنه بقي عليّ أن أشكر صديقي ورفيقي في الدرس حضرة الاستاذ الشيخ عبد العزيز العتيقي من أهل نجد الذي ساعدني في تقويم عبارة الترجمة . فأشكره شكراً جزيلا وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يأخذ بيده ويمهد له السبيل لخدمة شعبه ، الذي كنت أعهده متفانيا في حبه .

والحمد لله أولا وآخرا عبد الرزاق المليح آبادي

« المنار » لما عرض علينا ولدنا الروحي الفاضل الخادم لملته وأمته الاسلامية ترجمته لهذا الكتاب النفيس استحسناه وقبلنا أن ننشره فى أجزاء المنار ليستفيد منه قراؤه الاهتمام بصحة أجسادهم وسلامة أرواحهم فهو يفضل جميع ما الفه الاطباء أنه يعنى بالامرين معا ، ولعمري ان حاجة البشر الى صحة أرواحهم أشد، كما ان تفريطهم فيها أعم ، ولنا على قول المترجم ان المؤلف غير طبيب ان الطب الصحيح ما صدقته التجارب وكان مستنبطا منها ، وهو صادق في خبره عن تجاربه الا انه لا بد من تكرار التجربة، وأن يراعى فيها اختلاف الاحوال والامزجة، وكذلك صفات الانفس وقواها فان المؤلف ذو ارادة قوية هي الركن الاعظم لعظمته التي ساد فيها قومه وأصبح زعيمهم الأكبر في دينهم ودنياهم باستحقاق وهي مع الذكاء والبصيرة ركن لصحته الجسدية أيضا . ومثله في استقلال عقله وكبر همته وعقائد ملته لا يخلو من شذوذ ذاتي ومخالفة دينية لكثير من الناس. وقد علقنا في حواشي الكتاب على أهم ماشذ به في نظر نا. وا ننا نشكر له بلسان أمتنا الاسلامية عنايته بالتأليف بين مسلمي الهند وهندوسها وفاقا لرأينا ونشكر له أيضا ثناءه على أمتنا العربية وحسن أمله فيها وقد قال نبينا (ص) « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل »

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٦)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب المقلدة ﴾

﴿المقام السابع والعشرون﴾ قوله ومن جاء بعدهم قوم لم يتدبروا معاني الحديث ولم يتفطنوا لما عليه اسلافهم فشددوا النكير على تشييد القباب والبناآت حول القبور زعماً منهم أنهم فهموا من الاحاديث مالم يفهمه الأولون الراسخون في العلم وأنهم وصلوا الى مالم يصل إليه أئمة المسلمين وهيهات ذلك

أقول وددت أن هذه المغالطة القبيحة لم تصدر من السيد مهدي ـ والمقدر كائن ـ وما أدري كيف طاوعه ضميره ولم ينهه عن عكس القضية فناشدتك الله الذي هو عند لسان كل قائل من أحق بهذا الكلام؟ في الاستدراك على السلف والحكم عليهم بالجهل والرغبة عن الخير وعدم الفطنة لفضيلة بناء القباب مع أنهم زعموا أنها من أعظم القربات . الذين ابتدعوا بناء القباب وزخرفها وزينوا للغافلين الجاهلين الغلو فيها ولم ينصحوهم حتى وقعوا في الكفر البواح وعصوا الرسول وضربوا بنصوصه المستفيضة عرض الحائط وجاءوا بموبقة لم تخطر ببال أحد من السلف سلف جميع الطوائف فضلا عن ان يقولوا بها بل اجمعوا على تركها . ولو كانت خيراً ما قصر عنها السلف وسبق اليها الخلف ، أم الذين تلوا نصوص نبيهم فقالوا سمعنا وأطعنا وأجروها على ظواهر دلالتها بلا تأويل ولا تحريف ولا تعسف وفهموا منها ما فهمه الاسلاف فانتهوا عما نهتهم عنه كما انتهى سلفهم

فوافقوا السلف علما وفهما وعملا ولم يبتدعوا بعدهم مثقال ذرة،فهذه أقوال الرسول (ص)وأقوال السلف وأفعالهم وفيها هدم ما يبنى على القبور وتروكهم ومنها ترك بناء القباب وغيرها على القبور كلها مع المانعين من القباب وليس مع المجيزين لها حرف واحد عن الرسول ولا لهم سلف به في بدعتهم البته الا من هو مثلهم أو قريب منهم أو زلة صدرت من غير معصوم ثم إن النبي(ص)ما كان يحدث الناس بالاغاليط حتى تلتبس أحاديثه على الافكار وتتضارب فيها الافهام وكيف وهو أفصح الفصحاء وأقدرهم على ايصال مراده الى الاذهان السليمة والقلوب البصيرة الطاهرة من البدع بكل سهولة فكل من له أدنى معرفة بلغة العرب ورأى نصوص الباب وتلقاها بقلب سليم من العصبية تبين له كالشمس مراد الرسول فيها بلا كلفة لا يختلف في ذلك اثنان ولا ينتطح فيه عنزان

ثم لو سكت الرسول(ص) عن البناء على القبور وسكت السلف لكان محرما بلاشك لادلة(منها)أنه بدعة وكل بدعة ضلالة على لسان محمد (ص) ومنها أنه حدث وقد صح عن النبي(ص) أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» (ومنها) اجماع السلف على تركه (ومنها) أنه باب جهنمي من أبواب الشرك ماقرت عين أبليس بمثله وما ولجه أحد الا ارتطم في قعر هاوية الكفر كما هو مشاهد بالعيان ولا يحتاج الى اقامة برهان(ومنها) اتفاق العقلاء الا من تغيرت فطرته على استقباحه وأنه عبث تصان منه أفعال العقلاء (ومنها) أنه من سنن المشركين وقد أمرنا بمخالفتها الى غير ذلك

﴿ المقام الثامن والعشرون ﴾ قوله . مع ان هؤلاء ليس لهم ان يجتهدوا

لو كانت لهم اهلية الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام بعد تقرر اجماع أهل السنة على وجوب التقليد والاخذ بقول احد الائمة الاربعة (١).

اقول لقـد حجرت واسعا وما انصفت علماء أهل السنة اذ أبحت لنفسك ولعلماء فرقتك الاجتهاد وحظرته عليهم ولا ادري لم فعلت ذلك؟ أظننت ان جمهور علمـاء المسلمين من أول المائه الرابعة الى اليوم ماوجد فيهم احد يعرف حكم الله ويقوم بحجته؟ إني لأربأ بك عن تصور هذا فضلا عن تصديقه وما المانع لهم من الاجتهاد بعد التبحر في علوم الشريعة والتضلع من موارد أدوات الاجتهاد؟ وهل منعهم من الاجتهاد بعد ذلك الا تحكم محض وتلك اذا قسمة ضيزى؟ ولو فرضنا أن علوم الاجتهاد امحت ودرست معالمها عند جميع المسلمين ماعدا الشيعة ماجاز على علماء أهل السنة أن يقتنعوا بالجهل في تلك القرون المديدة. وليس بعزيز عليهم أن يرحلوا الي علماء الشيعة من جميع الاقطار ويتلقوا عنهم من العلم مايؤهلهم لمعرفة الحلال والحرام بالدليل وذلك أهون عليهم من درس فلسفة اليونان والتبحر فيها واستنباط العلوم الرياضية الدقيقة كعلم الجبر والمقابلة ودقائق الهندسة وعلم النحو وغيرها

«١» سبب هذه الفرية على أهل السنة ان بعض المقلدين الذين ينعقد الاجماع باتفاق أمثالهم قالوا ولم يوافقهم سائر علماء عصرهم بوجوب تقليد الجمهور ولا سيما الحكام لبعض المذاهب المدونة وعللوا ذلك بالمصلحة. وهذا ليس باجماع كما زعم الشيعي تعصبا كما ترى في ردمناظره. وانما ذكرت هذا لأقول ان الشيعة يكثرون من التبجح على أهل السنة بزعمهم انهم انفردوا بالقيام بفريضة الاجتهاد دونهم، وهو زعم مردود بالبداهة فانهم أشد من أهل السنة تعصبا لمذهبهم والاجتهاد والتمذهب ضدان لا يجتمعان

وان أمة مضى عليها ألف سنة إلا قليلا وليس فيها أحد يعرف حكم الله بدليله ويقوم لله تعالى بحجته ويحمل ميراث محمد ويبثه في الناس ويدعو الى الله على بصيرة - لفي خسران مبين

وان كنت معترفا بأن علماء أهل السنة يعلمون من علوم الاجتهاد مايعلمه علماء الشيعة أو أكثر فكيف تختلف النتيجة عن المقدمات الصحيحة ويتجرد الملزوم بلا مانع عن لازمه ؟

وقوله ليس لهم أن يجتهدوا لو كانت لهم أهلية الاجتهاد فيه نفي لاهلية الاجتهاد عنهم وحجره عليهم حتى لو وجدت اهلية وما بعد هذا تحكم!

وقوله في استنباط الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ادهى وأمر لانه لم يقتصر على نفي استنباط الاحكام عنهم بل نفى عنهم معرفة الحلال والحرام ويلزم منه أن قضاتهم ومفتيهم جميعاً في تلك الاعصار كانوا يسفكون الدماء ويبيحون الفروج(١) ويتصرفون في الاموال غير عالمين بحلالها وحرامها وأي قدح أعظم من هذا ؟

قوله : بعد تقرر إجماع أهل السنة على وجوب التقليد . (أقول) متى تقرر هذا الاجماع وأين تقرر ومن هم المجمعون ومن هم الناقلون له ؟ فهذه أسئلة أربعة يجب الجواب عنها ، والحق الذي لا شك فيه هو أن علماء أهل السنة مجمعون على تحريم التقليد والقول على الله بلا علم وأجمعوا أيضا على أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد ليس بعالم ولا هو من أهل الاجماع فلا يعتد بوفاقه ولا خلافه بل هو بمنزلة الصبيان حكى ذلك ابن عبد البر في كتاب

«١» اللزوم في هذين الامرين على اطلاقهما غير مسلم فان تحريمهما من المعلوم من الدين بالضرورة لا بالاجتهاد.

العلم وأبو شامة وابن حزم وابن القيم والسيوطي والشوكاني والفلاني ونقلوه عن أئمتهم نقلا يفيد العلم النظري وهذه كتبهم شاهدة بذلك وقد الف في رد التقليد كثير من السلف والخلف قال الامام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في كتابه (الرد على من أخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض) في ص ٤٢ ط الجزائر (الباب الثالث) في ذكر من حث على الاجتهاد وامر به وذم التقليد ونهى عنه . اعلم انه مازال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضون عليه وينهون عن التقليد ويكرهونه ويذمونه وقد صنف جماعة لايحصون في ذم التقليد فمن صنف في ذلك المزني صاحب الامام الشافعي الف كتاب فساد التقليد نقل عنه ابن عبد البر في كتاب العلم والزركشي في البحر ولم أقف عليه والف ابن حزم ثلاثة كتب في ابطال التقليد وقفت عليها والف ابو شامة في ذلك كتابه خطبة الكتاب (المؤمل في الرد الى الامر الاول) وقفت عليه والف ابن دقيق العيد كتاب (التسديد في ذم التقليد) لم أقف عليه وألف ابن قيم الجوزية كتابا في ذم التقليد وقفت على كراسين منه وألف المجد الفيروزادي صاحب القاموس كتاب الاصعاد الى رتبة الاجتهاد ولم اقف عليه وهذه نصوص العلماء في ذم التقليد اه ثم ذكر أقوال العلماء ومنهم الائمة الاربعة في تحريم التقليد فأين اجماع أهل السنة على جواز التقليد فضلا عن وجوبه ؟ فمن الورع اللائق بالناس عامة وبالعلماء خاصة أن لا يسارعوا الى الحكم في مسألة ولا سيما ان كانت اجنبية عنهم الا بعد تمحيصها

﴿ المقام التاسع والعشرون ﴾ قوله وقد فات المنار ومكاتبه ان يطعنا بمثلها على أهل السنة حيث شيدوا بناآت القبور وقبابا منذ أكثر من

تسعمائة سنة ومن المعلوم بالوجدان ان القبور التي شيدها أهل السنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ومصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار أكثر بكثير مما شيده الشيعة

(اقول) لم يفت صاحب المنار انتقاد ماصنعه من ينتسبون الى السنة من بناء القباب وعبادة القبور بل رد عليهم بما لم يرد بمشار عشره على الشيعة وهو معروف بعدم التعصب والمجاملة والتساهل مالم يفض الى تضييع الواجب وهو مسالم للشيعة متودد اليهم حتى إن جماعتهم بالقاهرة يدعونه لحضور المأتم السنوي فيجيبهم الى الحضور(١) فاذا قيل له في ذلك أجاب بانه ارتكب أخف المفسدتين لان ماينشأ عن عدم اجابتهم من التقاطع والتدابر بين المسلمين اعظم فسادا من حضوره بمكان تعمل فيه بدعة، وله اصدقاء كثير من علماء الشيعة، ولو عرفتموه حق المعرفة لرفعتموه عن وصمة التعصب للمذاهب والوقوف مع المشارب ولا ادعي فيه العصمة فلا معصوم الا محمد ﷺ

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسن فقط ؟
غير محمد الذي عليه جبريل هبط

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

(لها بقيه)

«١» اي في بعض السنين لا دائما

رحلة جلالة ملك الافغان

(أمان الله خان)

تواترت أنباء البرق من أوربا ثم من الهند بعزم صاحب الجلالة أمان الله خان ملك الافغان على القيام برحلة طويلة من بلاده إلى الهند فمصر فأوربا فتركية فروسية ثم تتابعت بشروعه فيها ، ثم بوصوله إلى كراجي فبمباي فابحاره منها الى مصر. وأهم أنبائه في الهند عندنا أنه صلى الجمعة في مسجد بومباي الجامع فاكتظ بعشرات الألوف من المصلين فيه وفي رحبته وفنائه حتى قال مراسل روتر انهم بلغوا خمسين ألفا . وقد التمسوا منه أن يخطب فيهم فخطب خطبة بليغة بالفارسية حثهم فيها على التسامح الديني والاتفاق مع الهندوس ووصاهم باحترام دينهم الوثني ليحترموا هم الاسلام وقد ترجمت الخطبة باللغة الاوردية في المسجد فكان لها تأثير عظيم . ومن أغربها انه ظهر منه هنالك ما استدل به على جفوته للانكليز .

ولما وصل الى هنا سر أهل هذه البلاد جداً السرور بزيارته وبدعوة جلالة ملكهم اياه الى ضيافته الملكية وضيافة حكومته السنية لأنه ملك شرقي قد نالت بلاده استقلالا تاما مطلقا من كل قيد بعد الحرب العالمية الكبرى، التي هدم تأثيرها ممالك وبنى ممالك أخرى، وأخص من ذلك أنه ملك شعب اسلامي وهذه البلاد شرقية اسلامية وقد دخل كل من الشرق والاسلام في طور جديد من تعارف شعوبهما وتآلفهما

وثم سبب ثالث لاهتمام شعبنا المصري بالملك الافغاني وهو أن لقب « الافغاني » مرسوم في القلوب والادمغة من رجال النهضة العصرية في مصر وسائر الشرق وفي كتبها العصرية ومجلاتها العلمية والادبية والدينية وصحفها السياسية بأحرف من النور إذ كان هو اللقب الوطني لمصلح الشرق وموقظه من رقاده وحكيم الاسلام الداعي لاصلاحه [السيد جمال الدين الحسيني الافغاني] الذي كان الاستاذ الامام والزعيم الاكبر للاصلاح الديني والعلمي والاجتماعي أول مريديه وخليفته من بعده ، وكان سعد باشا زغلول الزعيم السياسي الاكبر من أصغر تلاميذه سناً ، وأوائل تلاميذ خليفته وأظهرهم نبوغا، رحمهم الله تعالى

أجمعت الجرائد المصرية على التنويه بالزائر الكريم ، والضيف العظيم ، وعنيت اليومية منها بنشر أخباره ، وذكر ماعرفت من أقواله وأحواله ، في زيارته للمعاهد العامة من المساجد ودور الآثار العادية والكتب والبرلمان والمدارس العليا ، كقوله في دار الكتب المصرية الكبرى وقد قدمت له صورة السيد جمال الدين « أوه ، هذا رجلنا » وكاستعباره عند رؤية سعد زغلول باشا وتمنيه رؤيته حياً . وكاستقصائه في السؤال عن كل شيء مهم ولا سيما الآثار المصرية ومنها السؤال عن سبب معرفتهم للغتها الهيروغليفية وتعجبه من سماح حكومتهم لخروج (حجر رشيد) المشهور الذي عرفوها منه إلى بلاد أجنبية — والسؤال عن طريقة استخراج الآثار واستغرابه لكون الاخصائيين من الاجانب يتبرعون بالحفر عنها واستخراجها والعناية بحفظها بغير أجر خدمة للعلم، وقوله إنه سيراعي ذلك في استخراج آثار بلاده .

وخير ماأعجب به الجمهور من شمائله وآدابه تواضعه حتى لطبقة الخدمة وذكروا من ذلك أن أحد خدم مسجد السلطان حسن قدم له عند ارادة الدخول ذلك الجرموق الذي يلبسه السياح فوق أحذيتهم عند دخول المساجد ، فلما انحنى ليربطه له على حذائه كالعادة استكبر ذلك وقال : أستغفر الله ، أستغفر الله ، وانحنى هو وربطه بيده . وذكروا أيضاً أنه كان يصافح عامة الناس كخاصتهم في حديقة الاسكندرية التي دعاه اليه مجلسها البلدي ثم يضع يده على صدره ورأسه. ولم يخل وجوده في القاهرة والاسكندرية من أمور تدل على كراهته للانكليز كما ظهر في إلمامه بالهند ، ومثل هذا غير معهود في المعاملات الدولية بين الملوك ورجال الدول الرسميين في الاحوال الودية العادية ، وهو مع هذا يريد زيارتهم في عاصمتهم زيارة رسمية ، ويقال إنه يرغب في التأليف بين دولتهم ودولة الجمهورية التركية ، ويسعى لعقد اتفاق ودي ثلاثي هو الركن الثالث فيه ! !

وقد زرناه مع اخواننا من هيئة مجلس ادارة جمعية الرابطة الشرقية في دار الضيافة فاستقبلنا فيها واقفاً إذ دخل علينا وألقى السلام فصافحنا وصافحناه واحداً بعد واحد ، وكان يعرفه بنا أحدنا ميرزا مهدي بك رفيع مشكي ثم قرأ الرئيس خطاب ترحيب به موقع عليه من الاعضاء تلاه بالعربية ـ وتلا مهدي بك ترجمته

بالفارسية ، فأجاب جلالته بخطاب وجيز رحب به بالجمعية وأثنى عليها ونصح لها بمثل ما نصح لمسلمي الهند بالتساهل الديني وعدم التعصب بين الملل والطوائف ، وقد علم أن هذا من مقاصد الجمعية وأنه ليس في مصر مثل ما في الهند من التعصب

ثم قدم له الخطابان مع صندوق لهما من الفضة منقوش نقشاً صناعياً دقيقا جيلا من صناعة مصر لهذا العهد -- وقدمت له مع ذلك بعض كتبي وكتب شيخنا الاستاذ الامام المختصرة مجلدة بالسندس الاخضر ، وقدم له توفيق بك من أعضاء الجمعية الحاضرين كتابا شرعيا خطياً وجيزاً أيضاً — فقبل الجميع بالشكر ، ولما انفتل راجعاً أراد حمل هذه الكتب بيديه فأخذها منه بعض بطانته — فكان هذا مما عد من تواضعه المطبوع غير المتكلف ، ولكن لم يكن منه استقباله للجماعة وقوفا وإن كان هو واقفا أيضاً

وأما الكتب التي قدمتها لجلالته فهي رسالة التوحيد للاستاذ الامام وكتاب الوحدة الاسلامية وفيه محاورات المصلح والمقلد — وخلاصة السيرة المحمدية ، والدعوة الاسلامية — وكتاب الخلافة أو الامامة العظمى

هذا وإنه لولا لبس هذا الملك البرنيطة وكذلك جلالة الملكة زوجه مع سفورها الذي لم يجد له في مصر مجالا واسعاً مع محافظة جلالة ملكة مصر على الحجاب لما كان لأحد من أهل مصر أدنى انتقاد عليه ، ولكان السرور به عاما والثناء عليه غير مشوب بشيء إلا ما يقال همساً من عدم تبرعه بشيء من المال لشيء من الاعمال الخيرية كما هي عادة الملوك والامراء في أمثال هذه الزيارات ، وأخبار تبرعات جلالة ملك مصر في ممالك أوربة لا تزال ترن في الآذان ، وتلوح في آفاق الأذهان .

كانت مخيلات المفكرين عندنا تصور ملك البلاد التي أنبتت السيد جمال الدين بصور شتى ، فبعضهم يتصور أنه متوج بتاج قد كورت عليه عمامة عجراء كعمامة هارون الرشيد ، وبعضهم يخيل اليه أنه يزين مفرقه خوذة عليها عمامة مخصرة كخوذة صلاح الدين ، وأنه يلبس قباء خسروانياء ومعطفا مزركشاهندياء ، وأكثر الواقفين على حال العصر كانوا يعتقدون أنه يلبس الزي الافرنجي كملوك أوربا

وسلاطين آل عثمان الا أنه يمتاز بعمارة (١) شرقية غير الطربوش العثماني المصري كالقلبق الايراني أو غيره ، ولم يكن يلوح في خيال أحد أنه يضع على رأسه برنيطة عادية حتى رأوا ذلك بأعينهم حتى في زيارته لبعض المساجد الأثرية والمعاهد العامة

تأثير لبس ملك الافغان البرنيطة

انما يسبح صاحب الجلالة الافغانية في الارض بقصد الاختبار والاعتبار فما يجب أن يعلمه ويتلقاه بصدر واسع أن السواد الاعظم من علماء الاسلام وأهل الدين من سائر الطبقات قد امتعضوا من رؤية البرنيطة على هامته ، بل خشوا أن تكون أثرت في نفسه دعاية الترك الكاليين وأن يتلو تلوهم في حكومتهم اللادينية، ويحذو مثالهم في مدنيتهم التقليدية ، أعاذه الله وشعبه من ذلك ،

قد شرع الترك في تقليد الافرنج منذ قرن أو أكثر بتدريج بطيء ليكونوا مثلهم مع اتقاء خطر الطفرة في التحول والانقلاب فلم يزدهم التقليد إلا وهنا على وهن. لذلك يقدر أهل الرأي والبصيرة من علماء الاجتماع ان وثبة مصطفى كال ستكون أشد خطراً على قومه وان أوهم ظاهرها أنها دخلت في حياة جديدة ،فان الدولة المهرمة يظهر فيها مثل هذا الانتعاش قبل موتها فيكون كإيماض الذبالة (الفتيلة) في السراج قبل الخمود والانطفاء كما قال مؤسس علم الاجتماع حكيمنا العربي عبد الرحمن ابن خلدون . وإننا نرى حكماء أوربة يسخرون من التقليد التركي الجديد الجملي، والافغان أجدر بالحياة من الترك اذا راعوا في تجديد دولتهم ، جميع مقومات ملتهم .

وأما دعاة الغلو الالحادية في التفرنج من زنادقة المسلمين والملاحدة منهم ومن سائر الطوائف المقيمة في هذا القطر فقد ابتهجوا وانشرحت نفوسهم برؤية الملك الشرقي المسلم قد آثر البرنيطة الافرنجية على كل عمارة اسلامية أو شرقية، وجددوا دعوتهم إلى إلقاء الطربوش واستبدال البرنيطة به اقتداء بالملك الشرقي العظيم الذي صرح بأنه لم يلبسها بقصد الاقتداء والتشبه بالافرنج، بل لأنها قديمة العهد في بلاده، ولعله يعني بذلك أن لا يدخل في عموم حديث عبدالله بن عمر (رض) عند أبي داود عن النبي ﷺ قال «من تشبه

(١) العمارة والعمرة بالفتح كل مايوضع على الرأس من عمامة أو تاج أو غيرها

بقوم فهو منهم» ورواه الطبراني في الاوسط من حديث حذيفة رضي الله عنه أيضاً

أول ما رأيناه في تجديد الدعوة إلى لبس البرنيطة اقتداء بالملك أمان الله خان (بعد أن خفتت أصوات دعاتها زمانا ليس بقصير) مقالة نشرت في المقطم وأول ما نقوله في ذلك اننا نعلم أن دعاة البرنيطة لا يقصدون بالدعوة اليها الا جذب الناس إلى التفرنج بترك مشخصات أمتهم وقوميتهم كما يدعونهم الى ترك مقومات الامة المليةمن تشريع وآداب ولغة ودين بحجة أنها عتيقة باليه وان لذة الحياة بالجديد ، وما التعلق بالجديد لأنه جديد إلا شأن الاطفال : يسرع اليهم الملل مما ألفوا ، فيؤثرون مايعرفون كل يوم على ماكانوا عرفوا ، وأما من بلغ أشده واستوى ، وكلت فيه جميع القوى ، فانه مهما يألف من المنازل فحنينه أبداً للمنزل الاول ، ومهما ينقل فؤاده مع الهوى فلا يزال حبه الصادق للحبيب الاول ، ولذلك يعدون الرابطة الوطنية من أقوى روابط الحضارة للانسان، حتى أسندوا إلى حكم النبوة قول بعضهم « حب الوطن من الايمان»، وعلماء الاجتماع يقولون إن الامة سليلة التاريخ القديم ، لا وليدة العهد الجديد ، فان ملكات العلوم والفنون فيها لا تحصل لها الا بتعدد الاجيال جيل الاقتباس ، وجيل الحضرمة ، وجيل الاستقلال

والحق الحقيق بالقبول أن كل انسان مركب من قديم موروث ، وجديد مخلوق ومكسوب ، وانما يطلب المكسوب لحفظ الموروث وتكميله فهو تابع للمصلحة والمنفعة ، واننا نرى أقوى الامم وأعزها هي الشديدة المحافظة على القديم والتروي في الجديد كالاسرائيليين والسكسونيين، فما لهؤلاء الاحداث المتفرنجين يشون في هذه الامة الدعاية إلى تحقير كل قديم، والترغيب في كل جديد، حتى ماينكره كل عقل سليم ، كتهتك النساء والاسراف في الزينة والشهوات وتقطيع ما لأممهم من روابط وصلات ، حتى المقومات والمشخصات

يريد ناشر الدعوة إلى البرنيطة اليوم أن يخدع الشعب المصري بالاقتداء بهذا الملك العظيم ملك الافغان ، فان كان هذا الشعب ينتظر ملكا شرقيا يقتدي به في مثل هذا فأقرب الملوك اليه ملكه وممثل حكومته فهو أحق من غيره بالاتباع في هذه الحالة التي عدوها من أحوال التنازع بين القديم والجديد ، فجلالته شديد المحافظة على

زي قومه وحكومته الرسمي، وجلالة ملك الافغان قد اعتذر عن لبس البرنيطة بعذر إن صدق عليه فانه لا يصدق علينا في مصر وأمثالها من الاقطار كسورية التي سرى سم التفرنج التقليدي إلى بعض شبانها المغرورين وقد قلت في مطلع قصيدة نظمتها في عهد طلب العلم بينت فيها مضار هذه التقاليد الصورية وأهمها تفريق وحدة الامة

ليس التمدن تقليد الاربي فيما انتحاه من العادات والزي
ان المقلد لاينفك مرتكساً في الضعف يخبط في ليل دجوجي
بل التمدن ملزوم التقدم مد عاة الرفاهة منفاة الألاقي
روح شريف به تحيا الشعوب بما يبث فيها من العلم الحقيقي
حتى ترى كثرة الافراد راجعة لوحدة والفرادى كالاتابي

بل جلالة ملك مصر وجلالة ملكتها حجة على كل هؤلاء الجناة على روابط ملتهم ووحدة أمتهم وخير قدوة في موضوع القديم والجديد التي ألمحنا بها. ذلك أنهما على كونهما في أعلى درجات الحضارة والرفاهة المصرية يحافظان كل المحافظة على شرف الملة والامة وآدابها ومشخصاتها، فجلالة الملك يتنزه عن شرب المسكرات في المآدب الملكية والمواقف الرسمية كما يتنزه عنها في قصره، وبينه وبين ربه، حتى إنه لم يبح لنفسه أن يحسو منها حسوة بالتبادل مع أعظم ملوك العالم فيما يسمونه شرب الانخاب الودية

بل نقل الينا من أخبار رحلته الاوربية في الصيف الماضي أنه اشترط فيما دعي اليه من مآدب الملوك ورؤساء الحكومات ووزرائها أن لا يكون على الموائد شيء من لحم الخنزير. وقد كان نقل الينا مثل هذا عن المرحوم الأمير حبيب الله خان والد جلالة الملك أمان الله خان، عندما زار لندن عاصمة الانكليز، بل قيل انه اشترط في حضور مائدة الملكة فيكتوريا أن لا يكون عليها خمر ولا شيء من صحاف الذهب والفضة وكؤوسها.

وأما جلالة ملكتنا فأبت عليها وعلى جلالة الملك الآداب الاسلامية والتقاليد القومية أن تظهر في أوربة سافرة الوجه أو أن تحضر الاحتفالات والمآدب الرسمية او غير الرسمية التي يجتمع فيها النساء والرجال بالازياء الرسمية المعهودة في هذا العصر وهي مما لا يبيحه الاسلام،

فشكراً لملكنا ولملكتنا على هذا منا ومن العالم الاسلامي كله،

جمعية الشبان المسلمين

أحمد الله تعالى أن وفق المسلمين في مصر الى تأليف هذه الجمعية التي يرجى أن تكون على تأخرها عن أخوات لها في بلاد أخرى هي الرأس لهن وهن أعضاؤها، وأن تكون مصر هي الدوحة الباسقة لهن وهن فروعها، ولم يسرني تأليف جمعية بعد جماعة الدعوة والارشاد كتأليف هذه الجمعية التي طال تفكري في شدة حاجة المسلمين اليها وتحدثي مع أهل الرأي في السعي لها، وقد مكثت سنين أبحث عن تاريخها وتطورها وتعاليمها السرية ، وعزّ عليّ أن أختار طائفة تنهض بتأسيسها ثم تقوم بأعبائها ، وكلفت الاستاذ توفيق دياب الخطيب المشهور في أيام الحرب الكبرى أن يبحث في المسألة وهل يمكن لنا تأليف جمعية المسلمين كجمعية الشبان المسيحيين مع مراعاة قانونها في اجتناب السياسة أم تعارض السلطة العسكرية في ذلك ؟ ثم علمت منه ومن غيره عدم الامكان في ذلك الزمان ، على انني لم أهتد بعد عودة الحرية الى البلاد الى رجال ينهضون بهذا العمل الجليل ، ويستقلون بهذا الحمل الثقيل. ولكل قدر أجل، فلما استعدت البلاد بتطورها له ظهر ظهوراً طبيعياً بتداعي بعض شباب المدارس العليا اليه، وهم أحق وأولى وأجدر به، فلما تم تكوين أعضاء الجنين ظهر له الرأس الطبيعي القمين بتدبيره، وما كان كذلك طبيعيا فهو الذي يحيا حياة طبيعية. فتأسست الجمعية ولله الحمد ، وتأسس مجلس ادارتها ولله الحمد، ووضع لها القانون وهذا نصه ولله الحمد :

القانون الاساسي لجمعية الشبان المسلمين

﴿ الباب الاول ﴾

(في تأليف الجمعية ومقاصدها)

[المادة الاولى] تألفت في القاهرة عام ١٣٤٦ من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام (١٩٢٧ من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام) جمعية تسمى « جمعية الشبان المسلمين »

[المادة الثانية] لاتتعرض هذه الجمعية لشئون السياسة بأي حال

[المادة الثالثة] تنحصر أغراض الجمعية فيما يأتي :

١ — بث الآداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة

٢ — السعي لانارة الافكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر

٣ — العمل لازالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية

٤ — الاخذ من حضارتي الشرق والغرب بمحاسنهما جميعاً ، وترك مافيهما من مساويء

[المادة الرابعة] تتوسل الجمعية إلى هذه الاغراض بالطرق الادبية : فتنشيء ناديا لالقاء محاضرات أدبية علمية اجتماعية ، وتنشر ماتدعو المصلحة إلى نشره بأي لغة تمس الحاجة إلى استعمالها

﴿ الباب الثاني في أعضاء الجمعية ﴾

[المادة الخامسة] تتألف الجمعية من أعضاء عاملين وأعضاء مؤازرين ، فالعضو العامل هو كل من يثبت على تأدية قيمة الاشتراك وهو عشرة قروش شهريا ، والعضو المؤازر هو كل من يعطف على الجمعية فيخدمها أدبياً أو يعينها ماليًا ويرجع تقرير عضويته إلى تقدير مجلس الادارة

[المادة السادسة] يشترط في العضو العامل أن يكون مسلما حسن السيرة طيب السمعة ، وألا يكون معروفا بنزعة تخالف أصل العقيدة الاسلامية

[المادة السابعة] يجب فيمن يطلب الانضمام إلى الجمعية أن يزكيه اثنان على الاقل من أعضائها

﴿ الباب الثالث في الجمعية العمومية ﴾

[المادة الثامنة] تتألف الجمعية العمومية من جملة الاعضاء العاملين وتنعقد في خلال الاسبوع الثاني من شهر رمضان في كل عام ، أو في غير هذا الميعاد اذا اقتضت الحال انعقادها

[المادة التاسعة] تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة نافذة اذا تكامل في أول اجتماع لها — بعد دعوتها اليه — ثلثا الاعضاء ، فاذا لم يتكامل هذا

العدد تأجل انعقادها أسبوعين . وعلى رئيس مجلس الادارة أن يجدد الدعوة الى هذا الاجتماع الثاني قبل ميعاده بأسبوع على الاقل ، وحينئذ تكون كل قراراتها صحيحة نافذة مهما كان عدد الحاضرين من الاعضاء

[المادة العاشرة] اذا طرأ في المدة الواقعة بين آخر انعقاد للجمعية والانعقاد الذي يليه شيء يدعو إلى عقد الجمعية العمومية بصفة غير عادية وجب أن تنعقد في الموعد الذي تحدده الدعوة إلى ذلك ، وتجري عليها حينئذ أحكام المادة التاسعة فيما يختص بانعقادها وقراراتها

[المادة الحادية عشرة] اذا اتفق خمس أعضاء الجمعية العمومية على دعوتها إلى انعقاد غير عادي ، ووجهوا الدعوة من أجل ذلك إلى مجلس الادارة ، كانت دعوتهم قانونية ، وكانت تلبيتها واجبة . ومثل ذلك أن يقرر هذا الانعقاد مجلس الادارة بأكثرية ثلثي أعضائه

﴿ الباب الرابع ﴾

(في مجلس الادارة)

[المادة الثانية عشرة] يتألف مجلس الادارة من اثني عشر عضواً تنتخبهم الجمعية العمومية من أعضائها بالاقتراع السري لادارة شئون الجمعيـة مدة سنتين وفي نهاية السنة الاولى لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاثنى عشر يقترع المجلس سريا لاسقاط نصفهم وتكمل الجمعية العموميـة — بطريق الانتخاب — عدد أعضاء مجلس الادارة بالانتخاب . وهلم جراً في كل عام . أما رئيس المجلس ووكيـل الرئيس وكاتب السر العام وأمين الصندوق فتختارهم الجمعية من أعضاء المجلس

(المادة الثالثة عشرة) يختص المجلس بالادارة العامة ويكون مسئولا عنهـا وعن تنفيذ أحكام القانون ونظام الجمعية ، وعليه أن يفكر فيما يرقى بالجمعية ويحقق مقاصدها ويتسع به نطاقها

(المادة الرابعة عشرة) يكون انعقاد مجلس الادارة قانونياً اذا حضر سبعة من أعضائه ، وتكون قرارات مجلس الادارة قانونية متى صدرت عن الاكثرية

المطلقة وهي ماتزيد على النصف بصوت واحد ، واذا تساوت الاصوات ترجح الجانب الذي يكون الرئيس معه

(المادة الخامسة عشرة) اذا تخلف أحد أعضاء مجلس الادارة عن حضور جلساته ثلاث مرات متوالية بدون عذر صحيح كتب اليه المجلس في ذلك . فان لم يحضر الجلسة الرابعة بعد وصول الكتاب اليه عد مستقيلا عن عضوية مجلس الادارة

(المادة السادسة عشرة) اذا خلا مكان أحد أعضاء مجلس الادارة يحل محله العضو الذي حاز أكثرية الاصوات في الجمعية العمومية بعد أعضاء المجلس فان لم يتيسر هذا ندب مجلس الادارة من أعضائه العاملين من يحل محله إلى أن تعقد الجمعية العمومية فتنتخب من تشاء

(المادة السابعة عشرة) على مجلس الادارة أن يقدم للجمعية العمومية تقريراً سنويا ببيان أعمال الجمعية وميزانيتها من إيرادات ومصروفات

﴿ الباب الخامس في مالية الجمعيه ﴾

(المادة الثامنة عشرة) تتكون مالية الجمعيــة من الاشتراكات التي يدفعها الاعضاء العاملون . ومن اعانات أهل الغيرة والخير من الاعضاء أوغيرهم .ومن ريع المطبوعات التي تصدرها الجمعية ، ولمجلس الادارة أن يوسع موارد الجمعيـة بالطرق الشريفة المشروعة متى كانت متفقة مع روح الجمعية وغير منافية لاغراضها

(المادة التاسعة عشرة) مجلس الادارة مسئول عن مالية الجمعية وعليه أن يودع أموالها باسمها أمانة في مصرف يختاره . ويجوز أن يبقي المجلس في عهدة أمين الصندوق عشرين جنيهاً ينفق منها لحاجة الجمعية

(المادة العشرون) لأمين الصندوق بالاشتراك مع رئيس مجلس الادارة أن يتصرف من مالية الجمعية في مبلغ لايزيد على عشرة جنيهات عند الضرورة ، وعليه أن يقدم حسابها لمجلس الادارة في أول اجتماع له

(المادة الحادية والعشرون) لايصح أن يسحب شيء من أموال الجمعية من المصرف المعين إلا بقرار قانوني من مجلس الادارة وتوقيع الرئيس وأمين الصندوق

﴿ أحكام عامة ﴾

(المادة الثانية والعشرون) على مجلس الادارة أن يضع لائحة داخلية للجمعية تتضمن تفصيل ماأجمله القانون من أحكامه ، وتأليف لجان من الاعضاء العاملين يكون اختصاصها تحقيق أغراض الجمعية في وجوهها المختلفة ، وتحديد واجبات الاعضاء الادبية وما يتبع ذلك من أحكام تأديبية تختص بما يقع من الاعضاء من مخالفة هذا القانون أو الخروج على الجمعية أو العمل ضد مقاصدها ، وتعرض هذه اللائحة على الجمعية العمومية للنظر فيها ثم اقرارها

(المادة الثالثة والعشرون) للجمعية أن تنشيء فروعاً داخلية في القطر المصري وشعباً في الاقطار الاخرى ، وتتكفل اللائحة الداخلية بتحديد الصلة بين المركز وهذه الشعب والفروع

(المادة الرابعة والعشرون) لايجوز بحال من الاحوال تعديل شيء من مواد هـذا القانون الا اذا اقترح ذلك ثلاثة أرباع مجلس الادارة أو خمس أعضاء الجمعية العمومية ، وفي كلا الحالين لا بد من عرض مشروع التعديل على الجمعية العمومية لتقبله أو ترفضه بأكثرية ثلثي أعضائها الحاضرين

(المادة الخامسة والعشرون) لايصح تغيير المادة الاولى والمادة الثالثة والمادة السادسة من هذا القانون بأي حال

[المنار] في بعض مواد هذا القانون إجمال من جهة وتحديد من جهة أخرى سيدعو الاختبار الى تلافيهما على ان تنفيذه مع ذلك خير وبركة وسيكون أول فوائده صد سيل الالحاد الآتي دون جرف عقائد الأمة وآدابها بدعاية التجديد العمياء الصماء، ومناط الرجاء في التنفيذ أعضاء مجلس الادارة الجامعون بين العلم بالحاجة ، وعلو الهمة في العمل ، فرئيسهم عبد الحميد بك سعيد ، والوكيل الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش ، وأمين الصندوق الاستاذ أحمد باشا تيمور ، وأمين السر الاستاذ محب الدين الخطيب، فهم لعمري أولو كفاءة وكفاية، وجد وعناية، تغني شهرتهم عن الثناء عليهم، وفقهم الله تعالى وسائر أعضاء الادارة ومساعديهم المصلحين، وخذل معارضيهم من الملاحدة والضالين والمفسدين ، آمين

أنباء العالم الإسلامي

وفيات الاعيان

توفي في هذه الفترة — فترة تعطيل المنار السنوي — ثلاثة رجال من الممتازين في اشخاصهم و بيوتاتهم : أمين بك الرافعي صاحب جريدة الاخبار بمصر والامير نسيب ارسلان في (لبنان ـ سورية) والحكيم محمد أجمل خان في الهند، ولكل منهم مقام معلوم ، وحق من الفضل مشاع أو مقسوم . وعمل في خدمة الامة ظاهر او مكتوم. فعلى الامة شكر ما ظهر، ولا يخفى على الله شيء مما بطن، والله شكور حليم

(أمين بك الرافعي الفاروقي) هو ابن الشيخ عبد اللطيف الرافعي الفقيه مفتي الاسكندرية في آخر عهده، وبيت الرافعي أشهر بيوتات العلم في مصر وسورية على الاطلاق ووطنهم الاصلي طرابلس الشام وتخرج أكثر علمائهم في الأزهر و نيطت بهم الوظائف الشرعية في هذا القطر من قضاء وإفتاء وولي كبيرهم الشيخ عبد القادر الملقب بالرافعي الكبير إفتاء الديار المصرية في آخر عمره بعد الاستاذ الامام وهم ينتسبون إلى الخليفة الثاني الامام العادل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقد علم الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى ولديه امينا وعبد الرحمن في المدارس المصرية حتى تخرجا في مدرسة الحقوق ونالا شهادتها (الليسانس) واختارا الاشتغال بالمحاماة الحرة على خدمة الحكومة لميلهما إلى السياسة، وقد انتسبا كلاهما إلى الحزب الوطني فكانا من أركانه العاملين المتحمسين المخلصين، واشتغل امين بالتحرير في جرائد الحزب من اللواء والعلم والشعب فكان خير محرريها بل خير محرري الصحف في هذا القطر علما وبيانا واخلاصا وثباتا واستقامة . ثم انفرد بادارة جريدة الاخبار ورياسة تحريرها فكان إماما مستقلا تمام الاستقلال في كل مايعتقد انه الاصلح للامة والملة والوطن لايتقيد بقرار الحزب الوطني ولا غيره على كونه أشد أعضاء هذا الحزب استمساكا بمقاصده وغايته وهي استقلال مصر والسودان التام المطلق من كل قيد، وعدم الاعتراف للمحتلين فيهما بأدنى حق ، والسعي لاخراجهم منهما بخفي حنين.

وكانت تربية أمين وأخيه الاسلامية على كمالها اللائق ببيته ونسبه لم يؤثر

التعليم العصري تحت مراقبة الاحتلال في أنفسها أدنى تأثير بزلزل العقيدة أو يفسد الأخلاق أو يخل بأداء الفرائض أو يفتن الشباب باقتراف الشهوات المحرمة، وناهيك بتربية دينية تحفظ على مثل هذين الشابين الموسرين الجميلي الصورة عفتهما وصيانتهما في بلد كمصر في حرية الفسق وانتشاره

وقع بيني وبين امين من التلاقي والمخالطة في السنين الاخيرة مالم يكن من قبل فعلمت منه بالاختبار المحافظة على الصلوات وتلاوة القرآن للتعبد والاهتداء، وليس في سعي الانسان عمل أقوى من هذين العملين في ملكة التقوى في القلب وما للتقوى من حسن الاثر في عزة النفس وشرفها وشجاعتها وعزوفها عن الدنايا والمطامع والشهوات السافلة . (ان الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا* وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون) الخ

لهذا كان امين ممن قال الله تعالى فيهم (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) وكان من اركان حرب هذا الجهاد وقواده وان تراءى في صورة الجندي المعتاد بتواضعه وتأبهه عن الشهرة عوضا عن تأبهه بها، وزهده في الزعامة والرياسة التي يعمل الكثيرون لها . ويبتغون اليها الوسيلة بالوطنية وغيرها . على ان هذا الجهاد الشريف لمصلحة الملة والامة والوطن لما يوجد له جيوش ولو وجدت لعرفت ان اميناً من قوادها وأركان حربها، وأعطته حقه من قيادتها وزعامتها

بل أقول ان أمينا الرافعي كان من طبقة الشهداء الذين هم حجة الله على متبعي الهوى والباطل في هذا الزمن باستقامته والتزامه الحق الذي يعتقده ودعوته اليه وجهاده في الدفاع عنه، لا يثنيه عن ذلك خوف إيذاء قوي ولا الطمع في منافع ذي سلطان، وحجة على الذين يزعمون ان ما يسمونه الوطنية معارض للاستمساك بعروة الرابطة الدينية، فقد كان أقوى اركان الوطنية في هذه البلاد لا من أفواها، وكان مع ذلك مستمسكا بعروة الاسلام الوثقى التي لا انفصام لها إيمانا وعملا ودفاعا، لم يتهمه قبطي ولا انكليزي ولا يهودي بانه من المتعصبين الذين تحملهم عصبية دينهم على هضم حق أي وطني في بلادهم لمخالفته له

وهو حجة أيضا على زنادقة المسلمين ودعاة الالحاد فيهم سواء منهم الذين يدعون اليه وما يستلزمه من الاباحة بالصراحة، والذين يدعون اليه بحيلة تجديد شباب الامة، وهدم كل ما للامة من بنيان وتاريخ.. فانه لا يوجد فيهم أحد يدعي انه عرف من شؤون العصر وعلومه ونظمه وقوانينه المثبتة للحاجة إلى التجديد

ما لم يعرفه أمين فيتهم امينا بانه معتصم بالدين لجهله بان الدين الاسلامي ينافي ما يحتاج اليه أهله في العصر من علوم وفنون ونظام. لذلك نرى الجرائد على اختلاف منازعها ومشاربها وعلى وجود الزنادقة وغير المسلمين في محرريها قد أجمعت بعد وفاة أمين على اطرائه باعلى الاخلاق والصفات الوطنية العليا، مع البر والتقوى.

نعم إنهم لم يصرحوا بان سبب هذه الفضائل كلها هو هداية الاسلام ، وتأثير تلاوة القرآن ، والمحافظة على الصلوات ، فرحمه الله ورحم احمد مختارباشا الغازي الذي كان يقول ان الصلاة هي «بوليس المسلمين» المانع لهم من ارتكاب الفواحش والمنكرات ولكن مركزه في الباطن لا في الظاهر. اه وليست فائدة الصلاة محصورة في التخلية والمعنى السلبي المعبر عنه بقوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بل هي تعين مقيمها بالخشوع والحضور على جميع معالي الامور كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين) وكما علم من آيات (إن الانسان خلق هلوعا) الخ وقد ذكرت آنفا

مات امين الرافعي فاهتز القطر المصري لموته هزة عنيفة بل زلزل زلزالا شديدا وأجمعت الهيئات الدينية والسياسية الحكومية والنيابية والوطنية والصحفية على تشييع جنازته، والاختلاف إلى مأتمه، وانشاء المقالات الحافلة والقصائد الطنانة في تأبينه ورثائه، وتبيين فضائله ومناقبه ، على أنه كان صاعقة شديدة على بعض هذه الهيئات السياسية والالحادية ، وحسب المنار التذكير بهذه الكليات من سيرته الحميدة ، وقد ترجمه وسيترجمه كثيرون من سائر نواحي فضائله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ووفق محرري جريدة الاخبار للثبات على طريقته في الدفاع عن الدين وفضائله، والتنفير عن الالحاد ورذائله . والمحافظة على الوطن وحقوقه

(الامير نسيب ارسلان) هو من خيرة أمراء هذا البيت الكريم — امراء ارسلان — تهذيبا وعلما وأدبا ، كان رحمه الله تعالى ركنا من أركان النهضة العربية الجديدة وشاعراً من أبلغ شعرائها وخطيبا من مصاقع خطبائها، وحسبك أنه ثالث القمرين للاميرين الشهيرين شقيقيه الامير شكيب والامير عادل ، وان لم يشتهر في مصر والبلاد غير العربية كشهرتهما، لانه لم يتح له من السياحة في الارض ما اتيح لهما، بل قضت عليه شؤون الاسرة النبيلة أن يظل في وطنه كما أشرت الى ذلك فى تعزيتي عنه لآله وأسرته خطابا لاخي الكريم، وولي الحميم ، الامير أبي غالب شكيب ، وهذا نصها :

من محمد رشيد رضا الى أخيه الامير شكيب أرسلان

أطال الله تعالى بقاء أمير البيان ، وعماد بيت أمراء أرسلان ، وأحسن عزاءه وعزاءنا به عن شقيقه الامير نسيب ، الكاتب الاديب ، والشاعر الخطيب ، والكافل لخدمة أم الامراء في الوطن ، وقد طوحت بأخويه طوائح الزمن ؛ وأطال له ولنا بقاء شقيقه الامير عادل ، رب السيف والقلم ، ورافع الراية والعلم ، خواض الغمرات ، ومتقنص الطيارات ، قائد الكماة الاباة في ميادين الجهاد ، والحماة الرماة في مواطن الجلاد ، وأبقى الله فيما يطيل من عهده ، وللامة في مستقبلها البعيد من بعده ، عمر نجله النجيب ، وغصن دوحته الرطيب (الامير غالب) بحسن تأديبه وتربيته ، ويتم تثقيفه وتنشئته ، فله منها ولنا منهم خير عزاء وسلوة ، وفيما فقدنا وفقدوا من السلف والخلف أحسن اسوة

ولأنت أيها الامير بعلمك وتجاربك ، وبكبر نفسك وعلو همتك ، وعما يتنشب في قلبك من حب وطنك ، وما يلوث بزعامتك من حقوق أمتك ، لأجدر بالصبر عن أخيك من الخنساء بالصبر عن أخيها ، على كونك أحق منها بالتمثل بقولها :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

فأطال الله بقاءك لأمتك العربية المظلومة ، ولملتك الاسلامية المهضومة ، ولوطنك السوري المجتاح . فكل منهن محتاج الى علمك وبيانك ، والى قلمك ولسانك ، وأطال الله حياتك لأمراء آل أرسلان ، تجدد من مجدهم مالا يخلقه الزمان ، وإنما هو طور جديد ، وأسلوب طريف لفضل تليد ، جمعت به بين قلم ابن خلدون و، قول سحبان ، في حكمة على بألسنة العرب والترك والفرنسيس والالمان ، أفليس هذا تجديداً لأدب أجدادك الذين قال فيهم اليازجي الكبير شاعر لبنان :

شبانهم مثل الشيوخ نباهة وشيوخهم في البأس كالغلمان
ويخاطبون بكل فن أهله فكأن واحدهم بألف لسان

بلى ، فهذا هو المجد ، لاما يكذب دعيه فيه الأب والجد ، وهذه هي الزعامة والامارة ، لا الألقاب المزورة والمستعارة ، فاصبر فان مصابك بالجاة على وطنك وأمتك ، أوجع من مصابك بابن أبيك وأمك ، (واصبر وما صبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

(الحكيم محمد اجمل خان مسيح الملك) هو من اكبر بيوتات المجد القديم المسلسل الذي لم ينقطع يتصل نسبه بملا علي القاري المحدث الفقيه المشهور كما أخبرني بلسانه.
ومن آثار هذا المجد الموروثة خزانة كتبه المشتملة على نفائس المخطوطات في العلوم المختلفة من شرعية ولغوية وطبية وفنية باللغتين العربية والفارسية المكتوب بعضها على ورق الحرير بالخط الفارسي أو النسخي الجميل الذي يستحق كل سطر منه أن يكون زينة تحلى بها جدران القصور وأندية العلم والادب

انتهت إلى هذا الحكيم الزعامة الطبية والاجتماعية والسياسية في مسلمي الهند وكان من أبرع الاطباء على الطريقة العربية اليونانية مع إلمام بالطب الاوربي العصري يجمع به احيانا بين الطبين في بعض صفات الامراض ومشخصاتها وبعض المؤثرات في الادوية لها ، وكان امراء الهند في الممالك الهندية المستقلة يستمدون على طبه ويدعونه لمهمات الامور. وداره في دهلى عاصمة الدولة، تدعى « بيت الحكمة » وفيها يدرس الطب القديم كما كان على عهد آبائه وأجداده الذين لقب كثير منهم بلقب الحكيم

وقد كان رحمه الله تعالى من أصحاب الرأي والبصيرة في الامور العامة وتولى رياسة جمعية الخلافة وعقد بعض المؤتمرات الهندية العامة تحت رياسته وكان من رأيه وجوب الاتفاق بين المسلمين والهندوس في الامور الوطنية من سياسية واقتصادية وغيرها وكان الزعيم أكرم الله مثواه صديقي ولما زرت مدينة دهلي في أثناء سياحتي الهندية في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠ الموافق أواخر مارس سنة ١٩١٢ دعاني إلى النزول في داره العامرة وألح علي في ذلك فاعتذرت بانني إنما لم أعلمه بوقت مجيئي إلى دهلي وسبقت فنزلت في إحدى فنادقها الكبرى في ضواحيها الخلوية بين الحدائق والبساتين في هذا الفصل الجميل (فصل الربيع) لاجد بعض الراحة فيها من كثرة الزائرين ، ولا يتيسر هذا مع النزول بداره القديمة في البلد وهي مأوى طلاب العلم والطب ومنتجع الزائرين ، فاكتفى مني بقبول دعوة خاصة ودعوة عامة دعا اليها جمهوراعظيما من العلماء والكبراء، وقدم لي سيارته لركوبها في زيارتي للمعاهد العامرة والاثرية في البلد وضواحيها فجزاه الله تعالى احسن الجزاء

وجملة القول ان الهند قد خسرت بفقده أعظم زعمائها المحنكين علما وحكمة وسياسة وإخلاصا فنعزي عنه الامة كلها ونخص ولده الكبير المهذب جعله الله خير خلف لخير سلف . آمين

باب الانتقاد على المنار

كتب الي الشيخ عبد الظاهر الامام في المسجد الحرام يقول ان بعض الاخوان انكر علي تفسيري الهم في سورة يوسف عليه السلام بما خالف اجماع المفسرين وخاصة شيخهم ابن جرير – وانه هو اي الكاتب وافقهم على ذلك

وجوابه ان المفسرين اختلفوا في تفسير الآية فلم يجمعوا على قول وان إجماعهم ليس بحجة ولا يمكن العلم به ان أمكن وقوعه ووقع ، والامام احمد يحتج باجماع الصحابة ان علم وينفي ماسواه . وان الذي قلتـه أنا منقول عن بعض المفسرين في يوسف عليه السلام وهو انه هم بضرب امرأة العزيز . وظاهر أنها هي أولى بارادة هذا لان الانسان انما يهم بفعل مايقدر عليه وهي تقدر على ضربه والضرب معتاد من السيدة لفتاها ولاسيما إذا أهانها بمثل الاهانة التي أهان بها يوسف مولاته إذ راودته عن نفسها فاستعصم وهذا معهود في كل زمن . وأما الفاحشة فهي لا تقدر عليها وحدها وهو قد استعصم منهـا عقب المراودة ولم يجنح إلى القبول وانما تكون المرأة في حال التراضي مواتيـة لا مبتدأة . واستعمال هم بفلان في معنى هم بقتله أو ضربه وارد وله شواهد في الآثار الصحيحة لان الهم يتعلق بفعل لا بجثـة ويفسر الفعل بالقرائن فاذا قيل ان فلانا فعل كذا من المنكر فهم به عمر مثلا فالمعنى الذي تقتضيه القرينة انه هم بتأديبه بالقتل أو مادونه كالضرب ولو بالدرة . وقد رأى جمهور المفسرين ان القرينة في قصة يوسف تقتضي أن يكون متعلق الهم المشترك بينه وبين سيدته هو الفحشاء وهذا إنما كان يترجح على إغماض في تسمية قبولها هما لو كانت الداعية عندهما واحدة ولـكن الامر لم يكن كذلك بدليل عدة آيات من السورة فتعين ترجيح تفسير الهم بالضرب والايذاء منها كما هو المعهود من الطباع في مثل هذه الحال في كل زمان : همت بضربه وهم بالدفاع عن نفسه أولا كما هو حق من صال عليه غيره ، فرأى من برهان ربه ماحمله على الفرار فاستبقا الباب الخ

والدليل على هذا من القصة المنزلة أمور (١) انهما لما ألفيا العزيز لدى الباب شكت اليه فتاها بقولها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) الخ واللائق بمعنى السوء هنا التعدي والاهانة بالضرب ونحوه لان معناه في اللغة ما يسوء فاعله أو الموجه اليه من قول أو عمل فهو يطلق حتى على المكروه وصغائر المعاصي (٢) انها لم تكن تتهم يوسف بارادة الفحشاء بدليل قوله تعالى حكاية عنها (ولقد راودته عن

نفسه فاستعصم) ثم قوله تعالى في آخر قصتها حكاية عنها (الآن حصحص الحق) الخ فترجح انها لم ترد بكلمة السوء لزوجها إلا التعدي (٣) انه عليه السلام كان عرضة لامرين الفحشاء التي دعته اليها بالقول الصريح ، والسوء الذي كادت تلجئه اليه باهم بضربه وقد صرفهما الله عنه كما قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومثل هـذا قوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء)

ويؤيد ذلك من المعقول ان المرأة يبعد أن تفتح باب التهمة لزوجها على نفسها فلما اتهمته بارادة السوء بها دافع عن نفسه وصرح بانها راودته عن نفسه، أي فامتنع حتى همت بالانتقام منه ، فانكرت بالطبع ، فشهد الشاهد من أهلها، بما دل على صدقه وكذبها ، ثم اعترفت بمراودتها هي له مرتين: مرة للنساء وشهدت له فيها بأنه استمسك بعروة العصمة — ومرة للرجال لما ارسل الملك من سأل النساء عن سبب مراودتهن له عليه السلام هل كانت عن اظهاره الميل اليهن (فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) اي أدنى ميل سيء بدليل النكرة المنفية المؤكد عمومها بكلمة « من » (قالت امرأة العزيز) حينئذ (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين)

وأما مخالفة ابن جرير فلا يستنكرها على احد من الناس مسلم يعرف أصول هذا الدين فمن المعلوم من الدين بالضرورة ان فهم ابن جرير ليس أصلا من أصول الدين ولا حجة من حججه ولم يوجد عالم من علماء المسلمين قال بوجوب اتباعه أو التزم اتباعه بالفعل تدينا، وما من مفسر الا وقد خالفه في بعض آرائه وهو نفسه قد خالف في التفسير بعض مارواه عن الصحابة وهم أعلم منه وصرح بانه لايحتج بقول أحد بعينه في تفسير آية الا رسول الله (ص)

وانتقد الشيخ عبد الظاهر أيضا إيراد المثنى المجرور بالالف في ص ٤٦٩ ج ٦ م ٢٨ من المنار وسأل عن إعرابه — وجوابه انه كتب او جمعه عمال المطبعة هكذا سهواً في الغالب وهو مع هذا ليس خطأ فان لغة استعمال المثنى بالالف في أحوال إعرابه الثلاثة مشهورة وهي لغة فصيحة حملوا عليها قوله تعالى (ان هذان لساحران) من سورة طه على قراءة تشديد إن . فليراجع المنتقد تفسيرها في كتب التفسير التي تعنى بالاعراب أو في المغني لابن هشام أو ما شاء من كتب النحو . وينبغي لمن ينتقد الاعراب أن يكون عارفا بضروريات النحو على الاقل

﴿ خاتمة المجلد الثامن والعشرين من المنار ﴾

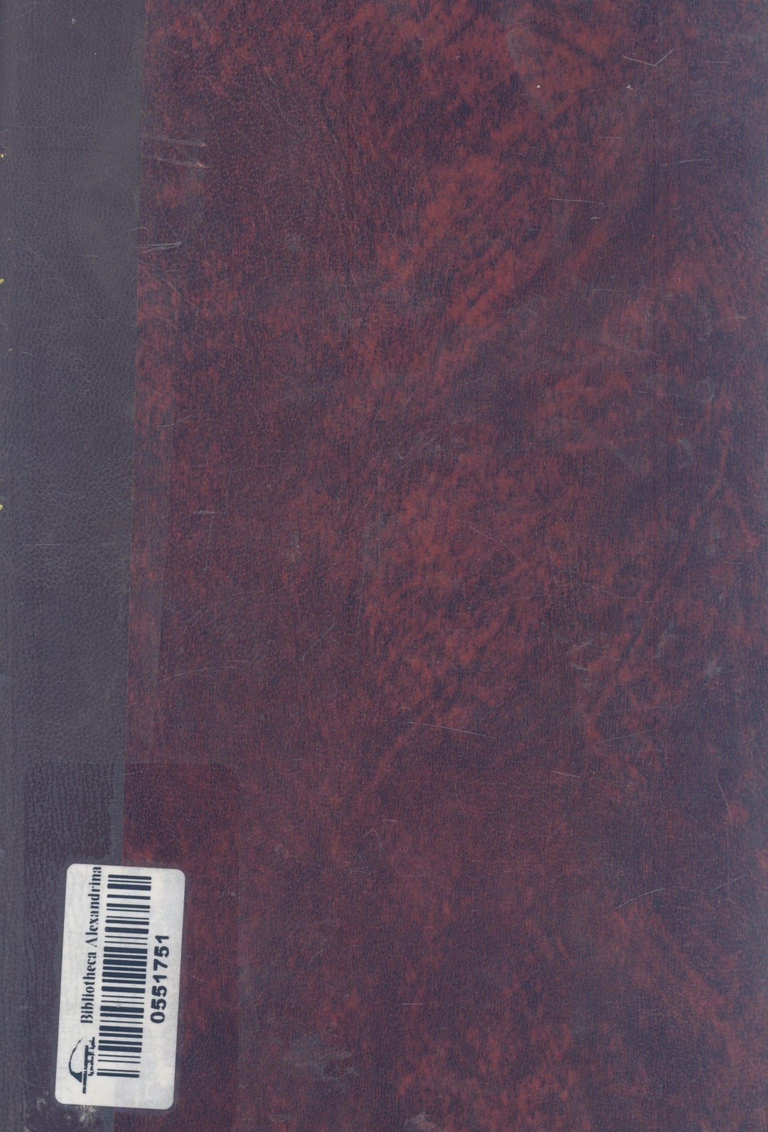
بسم الله وبحمده نختم المجلد الثامن والعشرين كما افتتحناه بهما ، ونصلي ونسلم على خاتم النبيين ، من أكمل الله برسالته الدين ، محمد النبي الأمي العربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وآله وصحبه الهادين المهديين ، ومن اتبع هديه الذي بلغه ويلغوه عنه بالقول والعمل إلى يوم الدين .

أما بعد فاننا قد ازدادت أعمالنا في هذه السنة بما حدث من الخلاف في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت تقوم بأعمالها في خدمة الوطن بالنظام التام ـ وبكثرة المطبوعات لدينا بعد تجديد مطبعتنا وادارتها بالكهرباء، وتوسيع أعمال مكتبتنا وتنظيمها، فاما اللجنة التنفيذية لمؤتمر السوري الفلسطيني فقد علم الخاص والعام أن سبب الخلاف الذي حدث فيها هو ماظهر من محاولة أولاد لطف الله استغلال القضية السورية وثورتها بالتزلف لفرنسة لجعل أحدهم أميراً للبنان الكبير والتوسل الى ذلك بما يدعونه من خضوع جميع المعارضين للانتداب للجنة التنفيذية وكون مقاليد اللجنة بيد رئيسها الامير ميشيل بك لطف الله وقد رأت اللجنة انه لا علاج لذلك الا اسقاط هذه الرياسة ففعلت ذلك وانفردت بالعمل والف الرئيس السابق لنفسه لجنة خاصة به ينعم برياستها ولكنها لا تمثل حزبا موجوداً ولا يثق بها حزب من تلك الاحزاب بل زالت ثقة جماهير الوطنين به وبمن جرأه على الشقاق والانفصال من أعضاء اللجنة وصار اعضاء اللجنة الحقيقية الممثلة للاحزاب والزعماء في سورية وفلسطين على رأي واحد وشعور واحد ولكن بعد الاشتغال عن كل عمل بمفاوضات الصلح على أساس عودة ميشيل بك لطف الله الى الرياسة كما كان فلم يمكن ذلك

وأما ادارة المجلة والمطبعة والمكتبة فقد انتظمت في سلك واحد وصار لدينا سعة في الوقت للعود الى العناية بالمنار والتفسير الذي تطالبنا باتمامه الامة من جميع الاقطار . ولم يبق الا أن يؤدي لنا قراء المنار قيمة الاشتراك في أوقاتها وستقاضي الادارة الجديدة الماطلين المسوفين في هذا القطر لدى المحاكم إن لم يؤدوا ما عليهم من الحقوق من تلقاء أنفسهم

وانا نطالب أهل العلم والرأي بأن يكتبوا الينا بكل ما يرونه في المنار مخالفا للحق او منافيا لمصلحة الامة مؤيدا بالدليل ومراعى فيه الاختصار، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ؟

منشيء المنار
محمد رشيد رضا


Bibliotheca Alexandrina
0551751